

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 45 JANUARY – FEBRUARY 1981.

العدد (٤٥) ـ ربيع الأول ١٤٠١ هـ السنة الرابعة ـ كانون الثاني(يناير)/شباط(فبراير) ١٩٨١ م

بسم الله الرحمن الرحيم



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

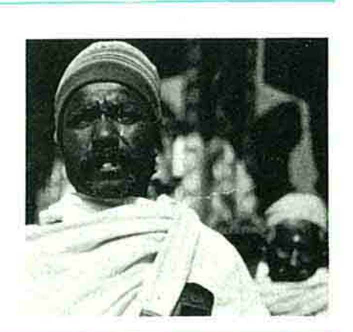
العدد (٤٥) ربيع الأول ١٤٠١هـ السنة الرابعة كانون الثاني (يناير) شباط (فبراير) ١٩٨١م

هذا العدد

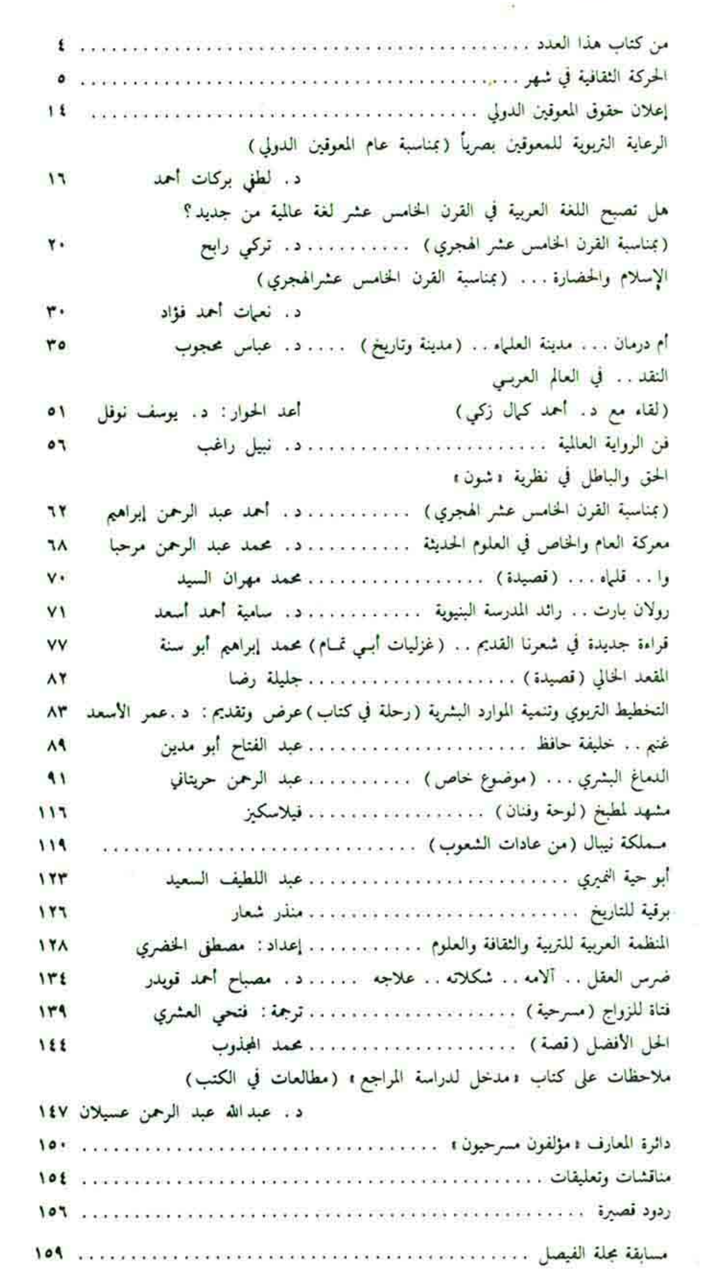
★ اعتباراً من هذا العدد يبدأ العام ١٩٨١م، الذي جعلته الأمم المتحدة عاماً للمعوقين، من أجل ذلك سوف تقوم مجلة «الفيصل» بتغطية هذه المناسبة طوال العام من خلال الدراسات والبحوث التربوية، والنفسية، والطبية، والأدبية، والاجتماعية التي ستنشرها المجلة تباعاً، في هذا العدد دراسة عن «الرعاية التربوية للمعوقين بصرياً» ونص حقوق المعوقين الدولي ص (١٥) وص (١٦) ★



★ مملكة نيبال في آسيا لها عاداتها وتقاليدها التي ورثتها كابراً عن كابر، فأبقت عليها الأجيال لأنها جانب هام من تاريخهم.. ماذا عن هذه العادات والتقاليد الطريفة الغريبة.. هذا ما ستطالعه على ص (١١٩) ★



★ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واحدة من منظمات الجامعة العربية.. قد يتساءل القارئ عن مشروعاتها المستقبلية، ودورها في إفريقيا، والأعمال التي قامت وتقوم بها في حقول التربية، والثقافة، والعلوم.. الإجابة على ص (١٢٨) ★



من كتاب هذا العدد

من كتاب هذا العدد من كتاب هذا العدد



د . عبد الله عبد الرحيم عسيلان

★ من مواليد المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية عام ١٣٦٤هـ .

★ دكتوراه في الأدب والنقد .

★ عمل عضواً بهيئة التدريس في كلية اللغة العربية بالرياض .

★ يعمل حالياً وكيلاً لعمادة شؤون المكتبات بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالرياض .

★ له عدد من المؤلفات في النقد والتحقيق .



د . سامية أحمد أسعد

★ من مواليد مصر .

★ دكتوراه في الأدب الفرنسي .

★ لها ترجمات لعدة نصوص أدبية ونقدية ، إلى جانب عدد من المواضيع والدراسات نشرتها في المجلات العربية ، ولها كتاب « في الأدب الفرنسي المعاصر » تأليفاً . ولها كتاب بالفرنسية عن فن الإبداع المسرحي عند فيكتور هيجو وآخر تحت الطبع بالفرنسية أيضاً عن مسرح آرتور آداموف .

★ تعمل حالياً أستاذة الأدب الفرنسي ، ورئيسة قسم اللغة الفرنسية وآدابها ـ كلية آداب جامعة القاهرة .

عبد الرحمن حريتاني

★ من مواليد مدينة حلب ـ سورية .

★ دراسات جامعية علمية ، ويحضر للدكتوراه .

★ لـه موسوعة علمية مخطوطة .

★ نشر عدداً من البحوث والدراسات العلمية في الصحافة العربية والعالمية .

د . عمر الأسعد



★ من مواليد حيفا عام ١٩٣٨ م .

★ دكتوراه في الأدب ـ جامعة القاهرة .

★ عمل موجهاً تربوياً ، ومساعد خبير اللغة العربية في هيئة الأمم المتحدة في بيروت ، فأستاذاً مساعداً في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في جامعة اليرموك بالأردن .

★ لـه عدد من المؤلفات المطبوعة ، إلى جانب بعض الدراسات والبحوث في مجلات مختلفة .

جليلة رضا

★ من مواليد ١٩٢٠ م ، الإسكندرية ـ مصر .

★ الثانوية العامة .

★ تجيد اللغة الفرنسية إلى جانب العربية .

★ لها سبعة دواوين ، ومسرحية شعرية .

★ عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة .

★ عضو اتحاد الكتّاب .

★ عضو مؤسس في رابطة الأدب الحديث .

د . نعمات أحمد فؤاد



★ من مواليد القاهرة عام ١٩٣٤ م .

★ دكتوراه ـ جامعة القاهرة .

★ لها ٢٢ كتاباً في الأدب والنقد ، إلى جانب عدد من البحوث والمقالات نشرت في المجلات العربية .

★ عملت أستاذ الدراسات العليا بكلية الفنون ـ جامعة حلوان ، كما عملت أستاذاً للأدب والنقد وفلسفة الحضارة بكلية البنات الإسلامية ، وكلية المعلمين بجامعة طرابلس ، ومعهد النقد الفني بأكاديمية الفنون .

★ تحتل حالياً منصب مدير عام المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

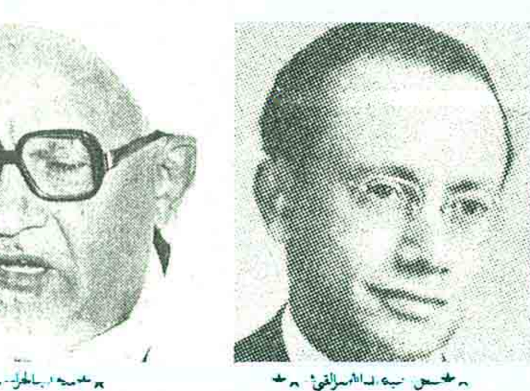
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي :

- افتتاح صالة عرض عالمية للفنون التشكيلية في الرياض .
- اكتشاف مدينة أثرية بمنطقة (الجميرا) بدبي .
- إنشاء «بيت القرآن الكريم» في البحرين .
- صدور مجلة إسلامية بقطر باسم (الأمة) .
- عقد مؤتمر للطب الإسلامي بالكويت .
- معرض للكتاب السعودي بمدينة جدة .

في العالم :

- معرض «فن الكتاب الإسلامي خلال ١٠٠٠ عام» في ألمانيا .
- أصغر كتاب في العالم يصدر في اليابان باسم «لغة الزهور» .
- كلية جديدة في (لندن) باسم العالم المسلم «ابن سينا» .
- القرآن الكريم يسجل على أشرطة - كاسيت - باللغتين العربية والإنجليزية .
- العثور على حيوان بحري من العصر الجيولوجي الثاني في مدينة «جوبكين» الروسية .

★ محمد السليم ★	[illegible]	★ حسن عبد الله القرشي ★
		

السعودية

معرض للفنون التشكيلية

أقام المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الجنوبية معرضاً للفنون التشكيلية بصالة المعارض في (**خميس مشيط**) عرضت فيه (٣٥) لوحة لشباب المنطقة متضمنة أعمالا زيتية وخزف طباعة .

حسن القرشي رئيساً لنادي جدة

اختير الشاعر السعودي المعروف **حسن عبد الله القرشي** ليكون رئيساً **لنادي جدة الأدبي** خلفاً للمرحوم **محمد حسن عواد** ، [illegible] نشاطات واسعة ودور كبير في الحياة الأدبية .

معرض نسائي

أقيم في مدينة (الرياض) ولمدة أسبوعين **معرض نسائي** ، عرضت فيه أكثر من (٥٠٠) قطعة فنيّة ، اشتركت فيه فتيات من مختلف المراحل التعليمية التابعة لرئاسة تعليم البنات . تمثل هذه القطع نواحي متعددة من الفنون التشكيلية استعملت فيها خامات البيئة ، ومستهلكاتها من كل منطقة تعليمية .

معرض للكتاب الإسلامي

أقيم بثانوية العليا بالرياض معرض **للكتاب الإسلامي** اشترك **فيه عدد كبير من دور النشر بالمملكة** ، وعرضت فيه مجموعة كبيرة من الكتب والأشرطة الإسلامية وذلك بتخفيض ٣٠٪ من قيمة الكتب والأشرطة المعروضة .

بناء شخصية الطالب المسلم

ذلك هو موضوع ندوة **عمادات شؤون الطلاب بجامعات المملكة** ولمناقشة دور هذه العمادات في بناء شخصية الطالب المسلم . استمرت تلك الندوة التي عقدت (بالظهران) ثلاثة أيام ، إلى جانب ذلك درست عدة مواضيع تتعلق بتطوير دور العمادات ، وعلاقتها بالطالب .

معرض الكتاب السعودي

افتتح **معرض للكتاب السعودي** وذلك في (**المكتبة العامة بجدة**) عرضت فيه المطبوعات الجديدة ، واشترك فيه عدد من دور النشر المحلية ، وقد استمر أسبوعاً ، وكان فرصة للمؤلفين السعوديين لعرض مؤلفاتهم التي طبعت في الداخل والخارج .

صالة عرض عالمية

افتتحت في **الرياض صالة العرض العالمية** التابعة «**لدار الفنون السعودية**» وهي صالة وضعت كعرض **للفنون التشكيلية** . وقد عرض في هذا الافتتاح المعرض الجماعي الأول للفنانين التشكيليين بالمملكة ، واستمر هذا المعرض مدة خمسة عشر يوماً ، وقد هدفت الدار من إيجاد تلك الصالة لتساهم في تنشيط الحركة التشكيلية للفن السعودي التشكيلي ، وإيجاد جو من البحث والمقارنة مع الفنون التشكيلية العالمية ، من أهم أهدافها :

★ إقامة المعارض الجماعية .

★ إقامة المعارض الشخصية لأي فنان من أي جنس وجنسية ، وذلك على نفقته أو نفقة أية جهة من القطاعين .

★ تنظيم المعارض الفنية الدورية .

★ عرض أعمال الفنانين من خارج المملكة .

★ الدعاية للمعارض إذا طلب منها .

هذا إلى جانب أهداف أخرى وضعتها الدار المسؤولة عن صالة العرض .

كتب جديدة

● « **رهين المحبسين** : أبو العلاء المعري بين الإيمان والإلحاد » ، تأليف **عبد الكريم الخطيب** ، صدر عن **دار اللواء للنشر والتوزيع بالرياض** .

● « **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه** » ، تأليف

الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، صدر عن **جامعة الرياض**.

● «**الأمثال العامية في نجد**»، الجزء الرابع (م ـ هـ)، تأليف **محمد بن ناصر العبودي**، صدر عن **دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة**.

● «**مع الشعراء**: مختارات ومطالعات»، تأليف **حمد الجاسر**، صدر عن **النادي الأدبي ببريدة**.

● «**النهج المحمدي**»، تأليف **عبد العزيز المسند**، صدر عن **النادي الأدبي بالرياض**.

● «**أمثال القرآن**»، تأليف **ابن قيم الجوزية، تحقيق الدكتور ناصر بن سعد الرشيد**، صدر عن **دار مكة للطباعة والنشر**.

● «**جدة القديمة والحديثة**»، صور وضعت في كتاب، إعداد الفنان **خالد خضر**، صدر في **جدة**.

● «**تطور الخدمات النفسية بالمملكة** وفي مستشفى الأمراض النفسية بالطائف»، صدر عن **مستشفى الأمراض النفسية بالطائف**.

● «**دليل واجبات الأخصائي الاجتماعي** في مجال الخدمات الاجتماعية النفسية»، صدر عن **مستشفى الأمراض النفسية بالطائف**.

● «**محمد السّليم**»، كتاب عن معرض، وحياة الفنان التشكيلي السعودي محمد السّليم. تمت طباعته في إيطاليا، ووزع في المملكة.

الكويت:

مهرجان لكتب ولعب الأطفال

نظم **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب** المهرجان السنوي الثاني للكتب ولعب الأطفال، وذلك لمدة أسبوع كامل، وقد تضمن العديد من الكتب والمصورات والألعاب الترفيهية والعلمية.

مؤتمر للطب الإسلامي

عقد في (**الكويت**) المؤتمر الدولي الأول **للطب الإسلامي**، اشترك فيه نحو من **ستمائة عالم وطبيب مسلم** في مختلف التخصصات الطبية، وذلك لدراسة **التراث الطبي الإسلامي، والكشف عن خصائصه وسماته ومحاولة ربطه بالطب الحديث**.

كتب جديدة

● «**المخطوطات الجغرافية العربية في المتحف البريطاني**»،

كلمة

(٣) الحركة الأدبية في المملكة

مرت على الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية فترة تركز نشاطها على نشر نتاج الأدباء في الصفحات الأدبية الأسبوعية، أو بعيداً عن هذه الصفحات في الصحف السيارة، لأن كثيراً من الأدباء المعروفين، أو كما عرفوا بالأدباء الكبار، كانوا لا يحبون نشر نتاجهم في الصفحات الأدبية انطلاقاً من أن القائمين أو المشرفين عليها هم من شبان أدب الصحافة.

وحقيقة أن شبان الأدب استطاعوا أن يكونوا جيلاً متعدد الاهتمامات، فظهر عدد من كتّاب القصة القصيرة، والشعراء الذين يكتبون الشعر الحر أو المرسل وكتّاب المقالة، فأوجدوا حركة لا بأس بها في الوسط الأدبي الذي كان يرى الشعر من أهم فنون الأدب نتيجة للمؤثرات التاريخية والاجتماعية القديمة.

وفي السنوات الخمس الأخيرة التي نرصد نشاطها في هذه العجالة، تم التركيز فيها على إصدار الكتب، وكان للنوادي الأدبية نصيب الأسد في هذا التركيز، إلى جانب ما أصدره الشبان أنفسهم من كتب، فظهرت دواوين شعرية، ومجموعات قصص قصيرة، ومقالات، كما نشطت دور النشر فأصدرت هي الأخرى عدداً من الدواوين الشعرية، وكتب المقالات، ومجموعات قصصية، وروايات.

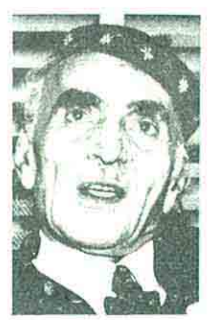
من خلال هذه الكتب والدواوين يستطيع الناقد والباحث في أدب المملكة أن يجد أمامه الطريق أكثر اتساعاً مما كانت عليه حين كان نتاج الأدباء تتوزعه الصحف السيارة، والمجلات.

فقد ظهرت كتب ودواوين للدكتور غازي القصيبي، وحسين سرحان، وحمزة شحاتة، ومحمد عمر توفيق، وعزيز ضياء، وأحمد قنديل، ومحمد علي السنوسي، وحمزة بوقري، والضبيب، والشامخ، والمبارك، ومن الكوكبة الشابة عبد الله جفري، وعصام خوقير، ومحمد علوان، وسعد الحميدين، والشاعر أحمد الصالح (مسافر)، وحسين علي حسين، وسباعي عثمان، وعلي الحسون.. وغيرهم، ولا ننسى في هذا المجال نشاط الشيخ حمد الجاسر، وعبد الله بن خميس، والعقيلي، والزهراني في إصدار المعاجم الجغرافية لمواقع مدن وقرى مناطق المملكة، وكذلك نشاط الشيخ عبد القدوس الأنصاري في مجال الآثار والتاريخ، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في مجال اللغة، والأستاذ عبد العزيز الرفاعي من خلال سلسلته الكبيرة «المكتبة الصغيرة» الذي نشرت عدداً من الدراسات والدواوين له ولغيره.

والتركيز على إصدار الكتب ظاهرة جيدة برزت في وقت الساحة الأدبية تكاد تكون شبه مشلولة من الإصدارات، مما يجعل مهمة الناقد والباحث ليست سهلة، وتعتورها كثيراً من المتاعب بالبحث في مجاميع الصحف السيارة المتناثرة هنا وهناك.

إذن، فإصدارات الكتب خلال هذه السنوات الخمس إيجابية كبرى جاءت في مواجهة سلبية السنوات التي سبقتها، ومن خلال هذه الإصدارات يستطيع القارئ أن يرصد ملامح الحركة الأدبية في المملكة.

علوي طه الصافي



★ محمد مهدي الجواهري ★

للدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، صدر عن قسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

● « **الشماريخ في علم التاريخ** » ، تأليف **جلال الدين السيوطي** ، تحقيق **محمد إبراهيم الشيباني** ، صدر عن **الدار السلفية للطباعة والنشر والتوزيع** .

● « **الجميزة** » ، مجموعة قصص قصيرة ، تأليف **سليمان الشيخ** ، صدرت عن **شركة الربيعان للنشر والتوزيع بالكويت** .

● « **البلوغ** » ، تأليف **الدكتور حسن فريد أبو غزالة** ، صدر في الكويت ضمن سلسلة « **الناس والطب** » التي يصدرها الاتحاد العام للأطباء والصيادلة الفلسطينيين .

كتب جديدة

● « **الشام : لمحات أثرية وفنية** » ، تأليف **الدكتور عفيف بهنسي** صدر عن **دار الرشيد للنشر ببغداد** .

● « **ما لم ينشر من تراث الجاحظ** » ، تحقيق **الدكتور حاتم الضامين** ، صدر عن **دار الجاحظ للتأليف والنشر** .

● « **كلمات على ضفاف الواقعية ـ دراسة نقدية في الرواية والقصة** » ، دراسة للناقد **شمس الدين موسى** ، صدرت عن **دار الرشيد للنشر ببغداد** .

● « **ديوان الجواهري** » ، الجزء السابع والأخير من ديوان الشاعر **محمد مهدي الجواهري** ، صدر عن **دار الرشيد ببغداد** .

● « **تاريخ القانون** » ، تأليف **الدكتور هاشم الحافظ** ، صدر عن **دار الحرية وجامعة بغداد** .

● « **وجوه تغني للفرح** » ، مجموعة قصصية تأليف **جاسم محمد صالح** ، صدرت في **بغداد** .

في دائرة الضوء

● **الكتاب : الماسونية**

● **المؤلف : محمد صفوت السقا ، وسعدي أبو جيب**

من منشورات **رابطة العالم الإسلامي** في هذا العام (١٤٠٠ هـ) كتاب (**الماسونية**) . ألفه **الأستاذ الشيخ محمد** [illegible] العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي في **مكة المكرمة** والسيد الأستاذ **سعدي أبو جيب** ، وطبعته مؤسسة **الطباعة والصحافة والنشر** في (٢٤٤) صفحة .

يوجز الكتاب **تاريخ (الماسونية)** وجذورها البعيدة ويصف تنظيماتها وطقوسها ومراسمها وأيمانها وأغراضها القريبة والبعيدة وصفاً مختصراً واضحاً جذاباً ، فلا يترك القارئ الكتاب حتى يتمه لجودة العرض وأهمية الموضوع ولشدة صلة الماسونية بالمسائل الكبرى والقضايا المصيرية التي تشغل بال العرب والمسلمين في زماننا .

في بداية المطالعة يظن القارئ أن المؤلفين بالغا في اتهام الماسونية والحكم عليها بقوة . لكن المؤلفين [illegible] من مراجع منوعة (بالعربية والفرنسية والإنكليزية) تدل على أن المؤلفين الفاضلين قاما بدراسات واسعة عميقة قبل تأليف الكتاب .

يمكن تصنيف مراجع الكتاب في ثلاث فئات :

أ ـ الاتصالات الفردية والشهادات الشفوية .

ب ـ الكتب التي ألفها كبار الماسونيين ، يدخل في ذلك معاجم المصطلحات الماسونية .

جـ ـ المؤلفات التي أخرجها عن الماسونية بعض الذين دخلوا فيها وارتفعوا في المراتب ثم تركوها بعد أن خاب بها ظنهم .

النتيجة التي وصل إليها المؤلفان موجزة في فقرة من المقدمة (ص ٦) جاء فيها أن « واحدة من تلك البذور هي الماسونية التي تبناها العديد من رجالات العالم [illegible] نسيج الإنسانية والأخوة والتعاون والحرية وما شئت من فضيلة ، تستر وجهها الشيطاني وما تشعه العينان من سم وكفر وإلحاد » .

وترمي الدراسة إلى إبراز الأمور التالية :

أ ـ الماسونية منظمة سرية لها رموزها وأسرارها ، وهي من أقدم الحركات الباطنية وأكثرها تنظيماً وأوسعها انتشاراً .

ب ـ (حقائق) الماسونية لا تكشف لأتباعها إلا بالتدريج ، حين يرتقون من مرتبة إلى مرتبة . وعدد المراتب التي يعدها الكتاب ثلاثاً وثلاثين تتلوها **ماسونية العقد الملوكي ثم الماسونية الكونية** « وهي قمة الطبقات وبيد أفراد هذه الطبقة وحدهم أمر كل المحافل الماسونية في العالم بمن فيها وما فيها » (ص ٨٦) .

جـ ـ (حقائق) الماسونية

المغرب :

كتب جديدة

● « **الاسم العربي الجريح** » ، تأليف **عبد الكبير الخطيبي** ، صدر في **الرباط** .

● « **الفكر الإسلامي والاختيار الصعب** » ، تأليف **الدكتور عباس الجراري** ، من منشورات **الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي** .

● « **وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب** » ، إعداد **محمد ابن عزوز حكيم** ، صدر عن **مؤسسة عبد الخالق الطريسي للثقافة والفكر بتطوان** .



تونس :

كتب جديدة

● « **درة الغواص في محاضرة الخواص** » ، تأليف **برهان الدين إبراهيم بن فرحون المالكي** ، تحقيق وتعليق وتقديم **محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ** ، صدر عن **المكتبة العتيقة للنشر والتوزيع بتونس** .

● « **قضايا التعليم الفني في البلاد العربية** » ، صدر عن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** .

● « **دم ودخان** » ، مجموعة قصص تأليف **مبارك ربيع** ، صدرت عن **الدار العربية للكتاب** .

الجزائر :

كتب جديدة

● « **الحوات والقصير** » ، رواية تأليف **الطاهر وطار** ، صدرت في **الجزائر** .

● « **محاضرات الملتقى الخامس** للتعرف على الفكر الإسلامي » ، صدر عن **وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية بالجزائر** .

تختلف باختلاف المراتب ، ففي مراتبها الأولى تدعو إلى احترام الأديان والأخوة والعدالة ونفع الناس والمساواة . وفي مراتبها العليا تحاول تهديم الأديان والاستئثار بالمال والمعرفة والسلطان واستثمار (**العشيرة**) الماسونية ومنظماتها والمؤسسات والشخصيات المتعاونة معها أو المغرورة بها لمصلحة فئة قليلة استطاعت الوصول إلى القمة في تنظيماتها . وأكثر الذين وصلوا إلى القمة هم **الصهاينة من اليهود** وأنصارهم .

د ـ العرب والمسلمون خدعوا بالماسونية لأنهم لم يعرفوا إلا مراتبها الأولى التي تدعو إلى الفضائل التي يحبها العرب والمسلمون . أما الذين ارتقوا إلى المراتب واطلعوا على الأسرار العليا فقد تركها أكثرهم وتبرأوا منها .

هـ ـ عادت **الكنيسة الكاثوليكية الماسونية** عداء شديداً مدة قرون ، ثم خف العداء وحلت محله صلات التفاهم والتعايش بعد أن دخل في **الكهنوت** بعض الماسونيين وانتمى إلى الماسونية بعض رجال الكنيسة .

و ـ ما تزال الماسونية قوية حية ، ولها في زماننا تنظيمات جديدة لها أسماء جديدة مثل جماعة (**الروتاري**) وجمعيات الأسود (**لاينز**) وغيرها . ولا يرى المرء أعضاءها ظاهرين معروفين في الحياة اليومية ، فإذا ظهر أمر يهدد مصالحهم أو قام مرشح لعمل يهمهم أو وظيفة يريدون الاستيلاء عليها غير مرشحهم ، خرجوا فجأة من الخفاء وتظاهروا فيها بالأظافر والأنياب ، ويتحولون إلى الدفاع عن مصالحهم وعلى إنجاح مرشحهم ، ولو كان ثمة خير منه للعمل وأقدر على القيام به وأنفع للناس والبشرية .

ز ـ لا يستطيع العربي أو المسلم أن يفهم في زماننا المكائد الكبرى وتضارب المصالح الدولية وشباك المذاهب السياسية المسيطرة واتجاهات السياسة العالمية إلا إذا درس تأثير الماسونية في الحياة الدولية والمجتمعات العربية والإسلامية . هذه الدراسة تكشف له حقائق الأمور وتعينه على تفهم تداخل الحوادث والسياسات والعلاقات الدولية والإنسانية تفهماً صحيحاً .

يتساءل القارئ لهذا الكتاب المهم عن الأسباب التي تدعو الناس في عصرنا للدخول في الماسونية ولعل أهم الأسباب ما يلي :

أ ـ الإنسان بطبيعته ميال إلى الأسرار ، وكلنا يعرف رغبة الأطفال منذ صغرهم في تنظيم (**الجمعيات**) **السرية** .

ب ـ من أسرار الماسونية ما له وجه تاريخي جذاب ، ينقل لمستحق السر الأسرار التي توصل إليها البناؤون القدماء في **فن العمارة والبناء** ، كما ينقل إليهم من بعد ذلك تصوراً معنوياً للكون والحياة ، وفلسفة التعاون والتضامن واستثمار المال والعلم والسلطة في هالة من السر والكتمان وفي إطار هندسي يضعون في ذروته خالق الكون (الذي هو مهندس الكون الأعظم) ولا يكشفون لهم الأسرار إلا بمقدار كلما ارتقوا في المراتب ، فيشعرون دوماً بلذة التقدم المستمر في معرفة الكون وقيادة الناس .

جـ ـ يجد المرء في تنظيمات الماسونية ما يغنيه عن أسرته (وقد ضعف تأثير الأسرة في زماننا) كما يغنيه عن النادي أو الحزب . في

الصهيوني ، أهم هذه الكتب :

★ « **التيه** » ، قصة **لمحمد القطب** .

★ « **أغاني النصر** » ، شعر **لفخري بطرس** .

★ « **النكبة والبناء** » ، **للدكتور وليد قحاوي** .

★ « **سقوط جدار الوهم** » ، شعر **لكمال سعد** .

★ « **امرأة مصرية في خارج البلاد** » ، مذكرات **لسكينة السادات** .

فلسطين

جامعة جديدة

تعمل الإدارة العربية في **غزة** على إنشاء (**جامعة عربية**) في هذا القطاع المحتل ، وستبدأ بإنشاء كليات (للطب والهندسة) بالإضافة إلى ضم المدارس الفنية العاملة في غزة منذ سنوات ، وسيتكون المجلس العام الأعلى لهذه الجامعة من شخصيات عربية في غزة .

منع تداول كتب

منعت عدة كتب من التداول في الأرض المحتلة وذلك من قبل العدو

كتب جديدة

● « **من أغاني العمر** » ، تأليف **عبد الرحمن الريماوي** ، صدر في **نابلس** .

● « **لا** » ، مسرحية من تأليف **زكي درويش** ، صدرت عن **دار الأسوار بعكا** .

● « **كاريكاتور ناجي العلي** » ، صدر عن **دار العامل برام الله** .

● « **موت معالي الوزير** » ، مجموعة قصصية تأليف **نوال السعداوي** ، صدرت عن **دار الأسوار بعكا** .

كل بلد في أوروبا نادٍ يمكن أن يذهب إليه الماسوني ويقرع الباب مرتين أحياناً فيفتح له أهل النادي ويحتفون به كأنه واحد منهم منذ زمان طويل . وإذا اضطربت الأمور الدينية والسياسية في بلد ما أو في زمان ما ، يجد المرء في (المراتب الأولى) من الماسونية جماعات تحترم الأديان لكن لا تتدخل في شؤونها كما لا تتدخل بالسياسة ، فينتسب إليهم ويطمئن لأنظمتهم .

د ـ يمنح الانتماء إلى الماسونية شعوراً بالطمأنينة والأمان ، فبفضل إخوانه سيستطيع الحصول على عمل أو على الارتقاء في عمله . وإذا وقع في ضائقة هبوا لمعونته ، وإذا مات اهتموا بأسرته .

هـ ـ يطلب من الماسوني أحياناً القيام بأعمال قد لا ترضي ضميره وتسيء إلى وطنه وقومه ودينه باسم المذهب ومصالح (العشيرة) . لكن لا يطلب منه القيام بهذه الأعمال (التي تمحو الفوائد الآنفة الذكر محواً) في بداية المراتب ، لذلك فإنه لا يحس بالأخطار ، ولا يعرف الحقيقة إلا حين يقع في الشراك .

يرى مؤلفا الكتاب أن الضعف قد بدأ يتغلغل في هيكل الماسونية في زماننا رغم قوتها وكثرة أتباعها « لأن صيحات رجال الفكر في الشرق وفي الغرب قد أخذت تجلجل تقع على رؤوس النيام مثل أم الأرض ، كي تصحو من هذا السبات العميق ، وتعرف إلى أين تسير (ص ١٧٤) » .

وفي الواقع تحدث المئات على صفحات **الصحف الغربية** أن الخلافات قائمة بين **المحافل الماسونية** وبين رؤساء المحفل الواحد أحياناً ، وأن التجانس القديم في التفكير وفي طرق الانتساب قد تداعى . فظهرت محافل قائمة على الالحاد ، وفتحت بعض المحافل أبوابها للنساء وللراغبين في الانتساب إليها من الشروط المطلوبة . وكان هذان الأمران محرمين في الماضي . وقد ألفت **الكنيسة الاسكتلندية** عام ١٩٦٥ م ، لجنة للتحقيق في قدرة الماسونية على صرف المسيحيين عن دينهم ، وأخرجت **الإذاعة البريطانية** عام ١٩٦٦ م ، فيلماً إعلامياً عن الماسونية **لجامس ديوار** عنوانه « **السر المكشوف** » . وقد عد الماسونيون هذا الفيلم عداء لهم ، وتدخلاً في حياتهم الخاصة ، وصاروا يتهربون من الصحفيين ويرفضون الحوار معهم . لكن أحد أقطابهم صرح بهذه المناسبة أن الماسونية ليست منظمة سرية وإنما هي منظمة لها أسرارها . وقد نشرت **مجلة المستمع البريطانية** في عددها الصادر في لندن في ٢٤/ ٤/ ١٩٨٠ م ، مقالا **لروبرت فوكس كرافت** ، ذكر فيه أنه قام بدراسته لا لمعرفة أسرار الماسونية وإنما لمعرفة الدوافع التي تدفع الماسونية إلى أن يكون لها أسرار . وهو يعتقد أن أهم هذه الدوافع المحافظة على المذهب وعدم نقله إلا لمن تم استعدادهم لقبوله .

لا بد من شكر المؤلفين الفاضلين على هذا الكتاب الجيد الموجز السهل الأسلوب الذي يكشف عن صلة الماسونية بالصهيونية (التي نصبت نفسها عدوة للعرب المسلمين) والذي يجدر بكل عربي وبكل مسلم اقتناؤه وقراءته بإمعان وبصيرة واعتبار .

والله أعلم .

قسم الدراسات والبحوث في مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس



البحرين :

بيت القرآن الكريم

اهتماماً بكتاب الله الكريم ، قررت **دولة البحرين** أن تبني متحفاً خاصاً **ليحتوي على المخطوطات النادرة للقرآن الكريم** ، وكذا **النسخ الخطية الحديثة** ، **مع ترجمات مختلفة بشتى اللغات لمعاني القرآن الكريم وسائر طبعاته** في مختلف العصور ، وفي مختلف أنحاء العالم ، وتقرر أن يكون اسم هذا المتحف هو « **بيت القرآن الكريم** » ، كما تقرر أن تنشأ فيه ثلاث قاعات تخصص للدراسة والمطالعة ، ولتحفيظ هذا الكتاب الكريم .

قطر :

الأمة

ذلك هو عنوان **مجلة إسلامية شهرية جامعة** صدرت عن **إدارة الشؤون الإسلامية برئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر** ، وذلك احتفالا بحلول **القرن الخامس عشر الهجري** .

وهي كما قال محررها مجلة جميع المسلمين في أنحاء بلاد العالم ، ومن هذا المنطلق اختير لها اسم (**الأمة**) لتعبر عن العقيدة والمقومات الفكرية والإسلامية التي لا تتقيد بالحدود الجغرافية ، وقد صدر العدد الأول منها لشهر محرم عام ١٤٠١هـ ، زاخر بشتى العلوم والمعارف ومزدان بالصور الحديثة والملونة .

دبي :

اكتشاف مدينة أثرية

في منطقة (الجميرا) بإمارة دبي كشفت عمليات التنقيب عن دلائل أثرية تشير إلى وجود **مدينة أثرية كاملة تحت الأرض** يرجع تاريخها إلى **العهد الأموي في القرن الهجري الأول / السابع الميلادي** .

السودان :

* كتب جديدة *

● « **حروف من دمي** » ، مجموعة شعرية **للشاعر سيف الدسوقي** ، صدرت عن **المجلس القومي للآداب والفنون بالسودان** .

نافذة

بين يدي

القرن الخامس عشر .. والعام الدولي للمعوقين

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في إحدى جلساتها بأن يكون عام ١٩٨١م ، هو « عام المعوقين » ، وقد سبق الاحتفاء بعام الطفل على المستوى الدولي .

ونحن هنا نقف لنذكر القارئ بأن هذه المجلة قد قامت بتغطية عام الطفل طول عام ١٩٧٩م ، من خلال عدد من الدراسات التربوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والإنسانية . كما نشرت عدداً من الإحصاءات ، والمقالات ، والصور ، واللوحات الفنية .

والمجلة إلى جانب ذلك كله لم تهمل الجانب التاريخي والتراثي ، فنشرت عدداً من الدراسات الإسلامية التي تناولت دور العرب والمسلمين في رعاية الطفولة ، والعناية بهم صحياً ، واجتماعياً ، وتربوياً ، ونفسياً ، واقتصادياً . وكان رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام قدوة المجتمع الإسلامي في العناية بالطفولة البريئة .

كما قدمت المجلة بعض الكتب التراثية والمعاصرة التي تعكس اهتمام العرب بالطفولة ، وما قدموه هم من خدمات سبقوا بها الدول المعاصرة .

وقد طرحت المجلة في عام الطفولة هذه القضايا في جميع أعدادها الصادرة أثناء عام الطفل ، من خلال أقلام أدباء وعلماء وكتاب العالم العربي والإسلامي الذين يستحقون شكر قراء المجلة ، والعاملين عليها .

وامتداداً لذلك تعزم المجلة القيام بتغطية العام الدولي للمعوقين ، الذي يبدأ بهذا العدد ، وقد استقطبت المجلة من أجل هذا الهدف أقلام عدد من المختصين الذين سيطالعون القارئ بدراساتهم المختلفة .

ولكي لا نسبق الأحداث ، فإننا سنترك الحديث في الوقت الحاضر عما ستقدمه المجلة للقارئ بمناسبة العام الدولي للمعوقين إلى الوقت المناسب من ناحية ، ولإيماننا أن حديث الأعمال أعمق وأبق من حديث الأقوال من ناحية أخرى .

ونذكر القراء أيضا بأن المجلة أخذت على عاتقها تغطية العام الأول من القرن الخامس عشر الهجري في كل أعدادها التي ستصدر خلال هذا العام ، ولعل العدد الذي صدر في ذي الحجة ١٤٠٠هـ ، خير مؤشر على البداية ، فقد حفل العدد المذكور بمجموعة من المواضيع والدراسات بأقلام أساتذة وعلماء أفاضل يمثلون الاتجاهات التي تستقطب الرأي والفكر التربوي في مجالات تخصصاتهم ، ومن مختلف الأقطار العربية والإسلامية .

ونحن حين نشير إلى ذلك إنما نشير إليه لتذكير القارئ ، واستقطاب اهتمامه .. والله الموفق .

« المجلة »





★ ابن سينا ★

أمـريـكـا :

الاحتفال بمتحف (موما)

احتفلت الأوساط الثقافية بنيويورك بمرور (٥٠) عاماً على **إنشاء متحف «موما» الأميريكي** ، فخصصت بهذه المناسبة أسبوعاً كاملاً لعرض التحف الفنية التي يقتنيها المعرض ، ومن المعروضات لوحة **للفنان العالمي (بيكاسو)** وهي **«غرونيكا»** إلى جانب (٤٠) تمثالا من أعماله المشهورة في النحت .

★أحدث الكتب★

[illegible]

نيويورك .

● **«نساء قاتلات»** ، تأليف **آن جونز** ، صدر في **نيويورك .**

ألـمـانـيـا :

فن الكتاب الإسلامي

أقيم في (**بون**) معرض ثقافي وفني كبير تحت عنوان (**معرض فن الكتاب الإسلامي خلال ١٠٠٠ عام**) عرضت فيه مجموعة قيمة من المخطوطات ، والكتب ، والنصوص ، والرسوم ، والموجودات الثقافية الأثرية ، والمحفوظة في المكتبات الكبيرة بالعاصمة الألمانية ، استمر هذا المعرض ثلاثة عشر يوماً وأشرفت عليه (**مبرة الممتلكات الثقافية البروسية**) بمدينة **برلين الغربية** .

بـريـطـانـيـا :

كلية باسم ابن سينا

[illegible]

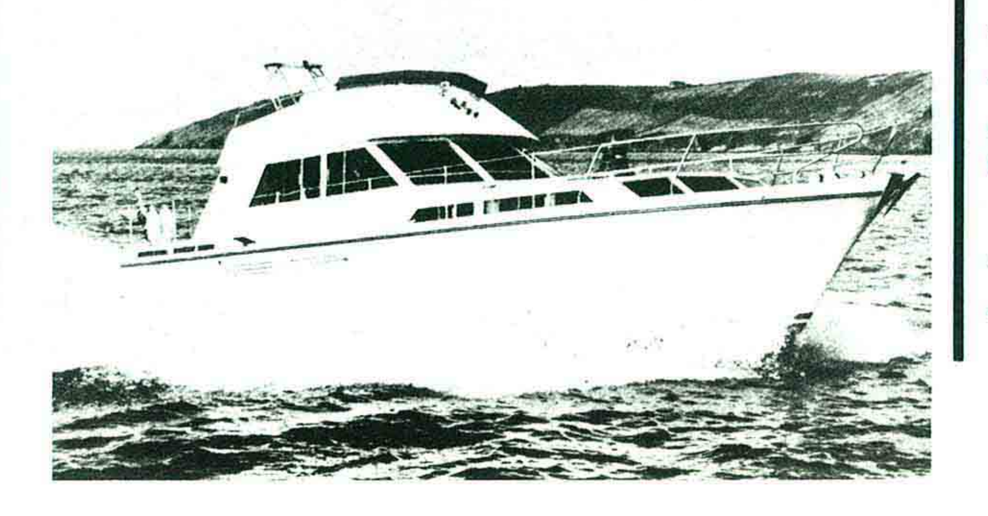


● السيارة المكنسة ●

استطاعت إحدى الشركات البريطانية أن تبتكر مكنسة صناعية تدور بالمدخرات الكهربائية (البطاريات) وهي تعمل دون ضجيج ولمدة خمس ساعات داخل المصانع والمخازن والمستودعات وتكنس حوالي (١٥٠٠٠) م² كل يوم . وهي عبارة عن سيارة صغيرة يركبها الكنّاس ولها عجلتان لتوجيهها من الخلف . وهي تستطيع أن تزيح أي مخلفات من تراب وغبار وتجمع القمامات ويتم ذلك عن طريق فرشاة دوارة ومراوح ماصة .

● زورق فخم لستة أشخاص ●

قامت شركة (مارين بروجكتس) Marine Projects ببناء زورق رشيق الشكل يصلح للرياضة البحرية والارتحال حتى في عرض البحر . يبلغ طوله ١٢,٥ م ، وله بدن عميق على شكل العدد ٧ ، ليوفر له سرعة كبيرة واقتصادية تمكنه لهيج البحر وتلاطم أمواجه . والبدن مبني ليسمح بسرعة تصل إلى (٣٠) عقدة وفيه عارضة تضفي عليه استقراراً في الاتجاه المطلوب وفيه ثلاث مقصورات (كباين) تتسع لنوم ستة أشخاص . وقد تم عزل ضجيج المحرك مع تهوية كاملة .



اسم العالم المسلم (**ابن سينا**) صاحب الإنجازات العلمية المعروفة ، تستقبل الكلية الطلبة العرب ، خاصة **دول الخليج** ، حيث تقدم لهم العلوم والمعارف المختلفة ، مع المحافظة على السلوك الإسلامي ، وستفتح الكلية أبوابها قريباً مطابقة في منهجها للمدارس الإنجليزية ، وسيشتمل المنهج في هذه الكلية على مواد دراسية عن الدين الإسلامي واللغة العربية .

القرآن الكريم على كاسيتات

اهتماماً بالقرآن الكريم وخدمة لأبناء المسلمين الذين لا يعرفون العربية ، فقد تم تسجيل آي الذكر الحكيم باللغتين العربية والإنجليزية على مجموعة من أشرطة الكاسيت تبلغ (٣٢) شريطاً ، تحمل آية بالعربية تتبعها فوراً ترجمتها بالإنجليزية ، وقد فحص هذه التسجيلات ، ودقق الترجمة ثلاثة من كبار العلماء ، **وجاءت هذه الفكرة** من جانب **السيد عبد السلام** رئيس شركة اس . ار . انترناشونال المحدودة في ويلز ، وقد كانت الترجمة التي وقع عليها الاختيار هي **ترجمة المرحوم محمد مرمدوك بيكثول** ، والتلاوة العربية بصوت **المقرئ الباكستاني السيد غلام رسول** ، والإنجليزية بصوت **الدكتور يعقوب زكي** الذي يعد من **أبرز العلماء المسلمين في العالم** .

أحدث الكتب

● « **نقد ثان للمستشرقين الناطقين بالإنجليزية وطريقة تصديهم للإسلام والعرب** » ، تأليف **الدكتور عبد اللطيف الطيباوي** ، صدر عن **المجلس الثقافي الإسلامي بلندن** .

● كما صدرت الكتب التالية عن **دار نشر مسلم سكولز ترست** :

★ « **معاني الصلاة ـ وفوائدها** » ، بقلم **أ. رحمن** .
★ « **محمد رحمة للعالمين** » ، بقلم **أ. رحمن** .
★ « **المصارف والتأمين بلا فوائد** » ، بقلم **أ. رحمن** .

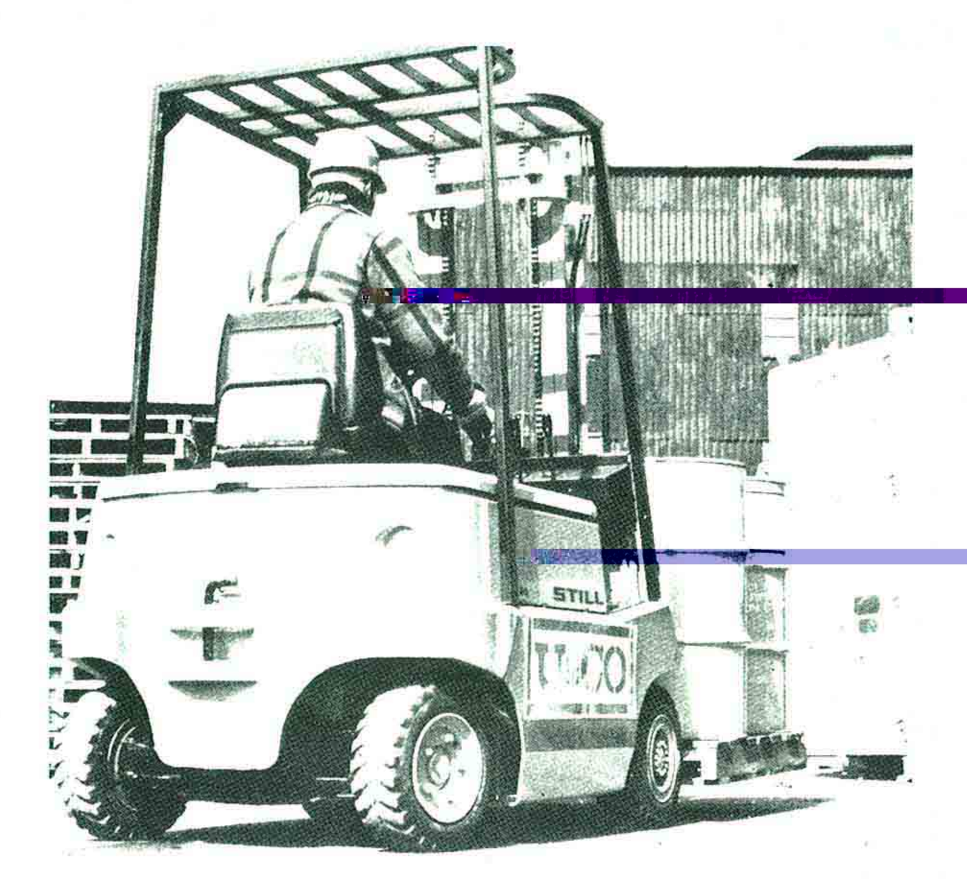
● « **الفلسفة والسياسة والمجتمع** » ، دراسة من إعداد **بيتر ليسليت وجيمس فاشكن** ، صدرت عن **بلاك ويل** .

● « **الليبرالية وعلم الاجتماع ـ بريطانيا ١٨٨٠ ـ ١٩١٤م** » ، دراسة بقلم **ستيفان كوليني** ، صدرت عن **كامبردج** .

● « **النظم الاجتماعية والبيئية** » ، إعداد **بي . سي . برتهام و ر . ف . الين** ، دراسة صدرت عن **أكاديميك ـ برسي** .

● « **الشباب في المجتمع المعاصر** » ، دراسة من إعداد **كرسي موراي** ، صدرت عن **نفير** .

● « **مجموعة قصائد والتر دولامار** » ، صدرت عن **فابير** .



تستخدم الروافع الشوكية عادة في تحميل بضائع ونقلها من السيارات الشاحنة إلى المخازن أو على العكس وفي أماكن العمل لصف البضائع المخزنة . ومن أهم عيوبها أنها تعمل بالبنزين أو الديزل في أماكن شبه مغلقة مما يؤدي إلى تلوث الهواء وإلحاق الضرر بالعمال ، يضاف إلى ذلك أنها غير مأمونة وعرضة للانقلاب إذا زاد تحميلها عن طاقتها .

وللتغلب على هذه المصاعب قامت شركة (ستيل Still) الألمانية بابتكار رافعة شوكية جديدة تعمل (بالبطاريات) بدلا من الوقود العادي . كما أنها أثقل وزناً ، ونقاط استنادها الأرضية أكبر مما يجعلها متوازنة وأمينة . وفي الآلة الجديدة مزايا أخرى منها أنّ مقعد السائق يمكن تعديل وضعه ، كما يمكن تعديل سرعات الرفع والخفض مما يؤدي إلى توفير المزيد من الوقت .



★ ميخائيل نعيمة ★

روسيا :

حيوان من العصر الجيولوجي الثاني

عثر أفراد **بعثة الآثار السوفياتية** على بقايا **حيوان بحري عملاق** منقرض وذلك بالقرب من مدينة (**جوبكين**) يصل طوله إلى خمسة أمتار ويرجع تاريخه إلى **العصر الجيولوجي الثاني**.

*** أحدث الكتب ***

● «**سبعون**»، كتاب يروي سيرة الأديب اللبناني **ميخائيل نعيمة** في (٣) أجزاء، صدر بالروسية عن **دار العلم بموسكو**.

أسبانيا :

معرض هنري ماتيس

أقيم في **العاصمة الإسبانية** معرض للرسام الفرنسي الراحل (**هنري ماتيس**) ضم (٦٠) لوحة من اللوحات التي رسمها الفنان للطبيعة الصامتة، ومن بينها لوحة «الصحراء» و«الرسام موديله» و«الرقص والموسيقى». ومن المعروف بأن (ماتيس) ولد عام ١٨٦٩ م. وتوفي عام [illegible]، وقد تميزت أعماله باللونين الأبيض والأسود.

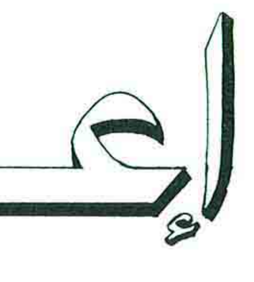
الهند :

عبد العزيز بنعبد الله ومجمع الهند

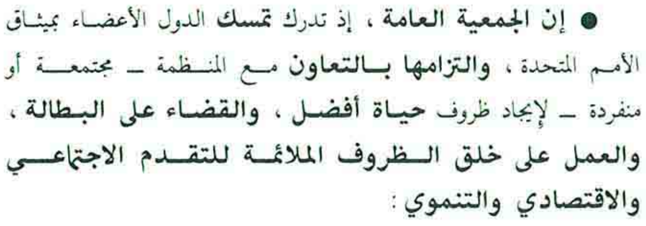
اختار المجمع العلمي الهندي مدير مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي عبد العزيز بنعبد الله ليكون **عضواً مراسلاً فيه**، ومن المعروف بأن المجمع يتخذ من جامعة (**عليكرة الإسلامية**) مقراً له، ويهدف إلى **تشجيع الدراسات العربية والإسلامية وتطويرها**.

*** أحدث الكتب ***

● «**السيدة غاندي**»، تأليف **دوم موريس**، صدر **في الهند**.







● **إن الجمعية العامة**، إذ تدرك **تمسك** الدول الأعضاء بميثاق الأمم المتحدة، **والتزامها بالتعاون** مع المنظمة ــ مجتمعة أو منفردة ــ لإيجاد ظروف **حياة أفضل**، **والقضاء على البطالة، والعمل على خلق الظروف الملائمة للتقدم الاجتماعي والاقتصادي والتنموي**:

● **تؤكد من جديد إيمانها بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وبمبادئ السلام والكرامة الإنسانية، وقيمة الفرد والعدالة الاجتماعية، التي ينادي بها الميثاق**،

● وتُذكر بمبادئ **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وبالميثاق العالمي لحقوق الإنسان، وبإعلان حقوق الطفل، وبإعلان حقوق المتخلفين عقلياً، وتُذكر** أيضاً **بالأسس التي يقوم عليها التقدم الاجتماعي، والتي تم إقرارها في دساتير واتفاقات وتوصيات وقرارات منظمة العمل الدولية، ومنظمة اليونيسكو، ومنظمة الصحة العالمية، واليونيسيف، وغيرها من المنظمات الدولية**،

● **كما تذكر أيضاً بالقرار رقم ١٩٢١ / ٥٨** الذي اتخذه المجلس الاقتصادي والاجتماعي في السادس من أيار (مايو) ١٩٧٥ م **الخاص بالحد من الإعاقة وإعادة تأهيل المعوقين**،

● وتؤكد أن الإعلان الخاص بالتقدم الاجتماعي والتنموي قد نادى **بضرورة حماية حقوق المعوقين جسدياً وعقلياً، وضرورة رعايتهم، وإعادة تأهيلهم**،

● **وتدرك ضرورة الحد من الإعاقات الجسدية والعقلية وضرورة مساعدة المعوقين**، لتطوير قدراتهم بمختلف الوسائل والطرق، وتشجيعهم ــ بقدر الإمكان ــ للعودة إلى الحياة العادية.

● كما تدرك أن **بعض الأقطار في مراحل نموها الحالية لا تستطيع أن تقوم إلا بجهود محدودة** في هذا المضمار،

● **وتعلن حقوق المعوقين**، هذه، **وتطلب العمل على المستوى الوطني والدولي** لكي يكون هذا الإعلان أساساً عاماً وإطاراً

لان حقوق المعوقين

أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في التاسع من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٥م "القرار رقم ٣٠/٣٤٤٧"

يستند إليه في حماية هذه الحقوق :

(١) يطلق تعبير «**شخص معوق**» على كل شخص لا يستطيع تأمين حاجاته الأساسية بشكل كامل أو جزئي و/أو حياته الاجتماعية كنتيجة لعاهة خلقية أو غير ذلك ، تؤثر في أهليته الجسمية أو العقلية .

(٢) **يتمتع كافة المعوقين بالحقوق الواردة في هذا الإعلان ، بدون استثناء وبدون أي تفريق أو تمييز يقوم على العرق ، أو اللون ، أو الجنس ، أو اللغة ، أو الدين ، أو الرأي السياسي ، أو البلد ، أو الأصل الاجتماعي ، أو الحالة المالية ، أو الميلاد ، أو أي تفريق قد ينطبق على المعاق نفسه أو عائلته .**

(٣) **للمعوقين حق طبيعي في احترام كرامتهم الإنسانية .** وهم – بغض النظر عن سبب إعاقتهم أو طبيعتها أو مداها – **كافة الحقوق الأساسية التي يتمتع بها غيرهم من المواطنين من نفس العمر** ، ومن أول تلك الحقوق : **الحق في التمتع بحياة كريمة وطبيعية وكاملة** بقدر الإمكان .

(٤) **للمعوقين كافة الحقوق المدنية والسياسية ، شأنهم في ذلك شأن أي إنسان عادي** ، وتطبق الفقرة السابعة من (إعلان حقوق المتخلفين عقلياً) في الحالات التي تستدعي تحديد أو حذف تلك الحقوق للمتخلفين عقلياً .

(٥) **للمعوقين الحق في اللجوء إلى الوسائل الموضوعة تحت تصرفهم كي يصبحوا معتمدين على أنفسهم** ما أمكن ذلك .

(٦) **للمعوقين الحق في العناية الطبية ، والنفسية ، والعلاجات الوظيفية** ، ومن ذلك **الجراحة الترقيعية ، والتقويمية ، وتطبيقاتها** ، وكذلك إعادة **تأهيلهم طبياً ، واجتماعياً** ، وتعليمهم وتدريبهم ، وإعادة تأهيلهم ، ومساعدتهم ، وإرشادهم ، وتوظيفهم ، وغير ذلك من الخدمات التي تمكنهم من تطوير مهاراتهم إلى أقصى حد ممكن وذلك للإسراع في عملية انخراطهم في المجتمع والحياة العادية .

(٧) **للمعوقين الحق في الضمان الاجتماعي والاقتصادي وتأمين مستوى حياتي لائق ، ولهم الحق – حسب قدراتهم – أن يؤمن لهم العمل الملائم لإمكاناتهم ، أو أن يعملوا عملاً مفيداً ، ومنتجاً ومثمراً يدر عليهم الربح ، كما لهم الحق في الانضمام للنقابات المهنية .**

(٨) **للمعوقين الحق في أن تؤخذ احتياجاتهم الخاصة بعين الاعتبار في كافة مراحل التخطيط الاقتصادي والاجتماعي .**

(٩) **للمعوقين الحق في العيش مع أسرهم ، أو مع أسر بديلة ، والمساهمة في كافة النشاطات الاجتماعية والإبداعية والترفيهية** . ولا يجوز – إذا تعلق الأمر بمكان إقامة المعوق – أن يعامل معاملة مختلفة عن ذلك ، غير تلك التي تتطلبها ظروفه ، أو تحسين حالته ، وإذا كانت إقامة المعوق في مؤسسة متخصصة بالمعوقين لا بد منها ، فيجب في هذه الحالة أن يكون الوسط والظروف الحياتية قريبة – بقدر الإمكان – من ظروف الحياة الطبيعية لأشخاص في نفس سنه .

(١٠) **يجب حماية المعوقين من كافة أنواع الاستغلال ، وكافة الأنظمة أو المعاملات التي تقوم على أساس تمييزي أو تعسفي أو تحط من قيمتهم .**

(١١) **للمعوقين الحق في طلب المعونة القضائية المقررة** عندما تكون تلك المعونة ضرورية لحمايتهم ، أو لحماية ممتلكاتهم . **كما يجب أن تؤخذ حالتهم الصحية والعقلية بعين الاعتبار ، في حال تحريك دعوى قضائية ضدهم** ، وذلك في كافة مراحل الإجراءات القضائية .

(١٢) **يمكن استشارة جمعيات المعوقين في كافة الأمور المتعلقة بحقوق المعوقين .**

(١٣) **يجب إبلاغ المعوقين وعائلاتهم والجمهور بحقوق المعوقين التي يحتويها هذا الإعلان ، وذلك بكافة الوسائل الممكنة .**



انطلاقاً من مبادئ شريعتنا الإسلامية السمحاء التي أكدت تحقيق تكافؤ الفرص بين جميع الأفراد ؛ لا فرق في ذلك بين غني أو فقير ؛ سوي أو معوق ؛ فكل يستطيع أن يشارك في تحديث وتعصير الوطن حسب ما تسمح به قدراته وإمكانيته واستعداداته.

وتأسيساً على أن التربية في جوهرها عملية إنسانية تستهدف بناء الإنسان ليكون أكثر إنتاجية في مجتمعه.

واستجابة لقادة الفكر التربوي في وطننا العربي في ضرورة تقديم مزيد من العون التربوي للمعوقين، لمساعدتهم على حسن التكيف مع أنفسهم ومع من حولهم وما حولهم.

وبمناسبة استعداد وطننا العربي لاستقبال العام الدولي للمعوقين، كانت دواعي اختيار هذه الدراسة موضوعاً للبحث.

الرعاية التربوية

ووصولا إلى مقصدنا هذا ؛ فإن هذه الدراسة ستطرح **ثلاثة أسئلة** تشكل في ترابطها وتكاملها المستهدف وهي :

- **ما أهم التفسيرات العلمية للاعاقة البصرية ؟**
- **ما السمات العامة المميزة لشخصية الكفيف ؟**
- **ما المسؤوليات الملقاة على عاتق المسؤولين في وطننا العربي لرعاية المعوقين بصرياً.**

تمهيد

لقد تحقق في مجال تربية المعوقين تقدماً كبيراً في تقنيات التعلّم كما حدثت تجديدات تربوية هامة لا سيما خلال العقد الماضي ؛ إلا أن هذا التقدم ما زال قاصراً في الوقت الراهن على المجتمعات المتقدمة دون المجتمعات النامية ؛ مما يستلزم من المسؤولين في هذه المجتمعات تقديم العون التربوي لنشر وتطبيق أفضل التقنيات ذات الفاعلية المؤثرة في تربية المعوقين، لا سيما والعالم كله على موعد مرتقب مع إشرافة العام الدولي للمعوقين.

إن من المسلمات التربوية الرئيسية أن لكل طفل الحق في الحصول على التعليم ؛ كما أن أغراض التربية وأهدافها متماثلة في جوهرها بالنسبة لجميع الأطفال، رغم أن التقنيات اللازمة لمساعدة تقدم كل طفل على حدة قد تختلف قوة ومقداراً حسب نوعية الطفل ودرجة إعاقته.

ولقد أجمعت مختلف استقصاءات البحوث والدراسات في هذا المجال على أن نسبة الإعاقة بين الأطفال والكبار تتراوح بين ١٠٪ إلى ١٥٪، وقد يترتب على ظروف اقتصادية واجتماعية زيادة هذه النسبة مما يستلزم بالضرورة تقديم مزيد من الرعاية التربوية الخاصة.

ولقد ورد في **إحدى وثائق برنامج الأمم المتحدة للتنمية**، وهي مذكرة استشارية تقنية (G 3400-1) بتاريخ ٣٠ إبريل (نيسان) عام ١٩٧٨م، الفقرة (أ، ١) : «يعاني حوالي ١٠٪ من أي مجتمع من إعاقة بدنية أو حسية أو عقلية تتطلّب عوناً خاصاً إذا أريد لقدراتهم أن تشارك بفاعلية في تنمية مجتمعاتهم المحلية».

كما ورد في **وثيقة منظمة الصحة العالمية** (PRO-29) المؤرخة في ٦ يونيو (حزيران) عام ١٩٧٨م، الملحق رقم (١) الفقرة (١، ١) ما يلي : «إن ١٠٪ على الأقل من جميع الأطفال يولدون بإعاقة بدنية أو عقلية أو يكتسبونها بالدرجة التي تجعلهم في حاجة إلى مساعدة خاصة من أجل ممارسة الحياة اليومية العادية».

كما أكد هذه النسبة **التقرير النهائي للجمعية الدولية لإعادة تأهيل المعوقين** رقم (22-P-55058/2-03) في الفترة من عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧٢م، في الصفحة الثامنة حيث جاء : «يعاني ١٠٪ إلى ١٥٪ على الأقل من سكان أي مجتمع من إعاقة بدنية أو عقلية ظاهرة».

وفي ضوء هذه التقارير وغيرها ينبغي أن تكون الموارد التربوية للمعوقين مناظرة بنفس القوة والمقدار للموارد المتوفرة للأسوياء، وذلك للوفاء بالاحتياجات الخاصة بهؤلاء المعوقين.



بقلم : د. لطفي بركات أحمد

للمعوقين بصريًا

وفي هذه الحدود ، سوف نحاول إلقاء بعض الضوء على إحدى فئات المعوقين ، وهم **المعوقون بصرياً** ، وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة الثلاثة السابقة وذلك على النحو التالي :

●● السؤال الأول : ما أهم التفسيرات العلمية للإعاقة البصرية ؟

ويمكننا إيجاز أهم هذه التفسيرات على النحو التالي :

(أ) الإعاقة البصرية من المنظور اللغوي

الواقع أن هناك ألفاظاً كثيرة في **اللغة العربية** تستخدم للتعريف بالشخص الذي فقد بصره مثل **الأعمى ، الأكمه ، الأعمه ، الضرير ، العاجز ، المكفوف ، الكفيف** .

وكلمة الأعمى مأخوذة من أصل مادتها وهي العماء ؛ والعماء هو الضلالة . والعمى يقال في فقد البصر أصلاً وفقد البصيرة مجازاً ؛ أما كلمة الأعمه فهي مأخوذة من العمه والعمة كما في **لسان العرب** تعني التحير والتردد ، وقيل العمه أي التردد في الضلالة والتحير في منازعة أو طريق ، ويقال العمه في افتقاد البصر والبصيرة ، وقيل إن العمة في البصيرة كالعمة في البصر ، ويقال أرض عمهاء أي بلا إمارات أو علامات ، وغالباً ما ترد كلمة عمه ومشتقاتها في معرض الذم ، ووردت في **القرآن الكريم** آيات استخدم فيها لفظة العمه بما يوحي بالضلالة ﴿ **لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ ، (سورة الحجر ، الآية ٧٢) .

أما كلمة الضرير فهي بمعنى الأعمى ، لأن الضرارة هي العمى ، وهي مأخوذة من الضر وهو سوء الحال ؛ أما كلمة العاجز فهي شائعة في الريف العربي ، والعامة يطلقونها على المكفوف لملاحظتهم أنه قد عجز عن الأشياء التي يستطيعونها هم ، وهي من العجز أي التأخر عن الشيء ؛ أما كلمة الأكمه فمأخوذة من الكمه والكمه هو العمى قبل الميلاد ، أي من يولد أعمى مطموس العين ؛ أما كلمة الكفيف أو المكفوف فأصلها من الكف ومعناها المنع والمكفوف هو الضرير وجمعها مكافيف .

(ب) الإعاقة البصرية من المنظور الفسيولوجي

وهي تعني الحالة التي يفقد فيها الشخص القدرة على الرؤية بالجهاز المخصص لهذا الغرض وهو **العين** ؛ **والأسباب الفسيولوجية التي تعطل العين عن آداء وظيفتها ترجع إما إلى أسباب خارجية تتعلق بكرة العين نفسها فتشتمل على العيوب التي تصاب بها الطبقات والأجزاء المكونة للعين كالطبقة القرنية و الشبكية و العدسة** ؛ أما الأسباب الداخلية فتشتمل على العيوب التي يصاب بها **العصب البصري** كأن ينقطع مثلاً نتيجة إصابة بحادث فيتعذّر بذلك وصول الإحساس البصري المنطبع على الشبكية إلى المراكز الحسية في الدماغ .

(ج) الإعاقة البصرية من المنظور التربوي

وتشمل الإعاقة هنا الكف الكلي ، ومن لديه بقية من الابصار تصل إلى ٦٠/ ٦ ، وصاحب الإعاقة هنا يعتبر في حكم المكفوفين ، وله الحق في الحصول على مساعدات مادية وأدبية ؛ **ويكاد يجمع جهرة المربين على أن التعريف التربوي للإعاقة البصرية يتضمن ما يأتي :**

★ الشخص الذي يكون بصره بين صفر ، ٦٠/٦ ، ١/٢٥ .

★ الشخص الذي لا يستطيع أن يقرأ الكتابة العادية للمبصرين .

★ الشخص الذي لا يستطيع أن يتابع الدراسة في المدرسة العادية .

●● **السؤال الثاني : ما السمات العامة المميزة لشخصية الكفيف ؟**

ليس من شك في أن الكشف عن السمات العامة المميزة لشخصية الكفيف يساعد المهتمين والمشتغلين في هذا المجال بتقديم العون الذي يتواءم واحتياجات هذه الشخصية ؛ وتأسيساً على ذلك فإننا سنعتمد على بعض الدراسات التربوية والنفسية في هذا الميدان والتي يمكننا الإشارة إليها على النحو التالي :

(أ) دراسات « موهل »

قامت « **موهل** » بدراسة أنواع المخاوف والقلق والأحلام التي تنتاب شخصية المكفوفين ، وذلك عن طريق إجراء مقابلات فردية معهم ؛ **ووصلت من دراستها إلى أن المكفوفين يعانون جموداً في سلوكهم ، وهذا الجمود مرده إلى عوامل انفعالية أكثر منها عضوية ، كما أنهم يعانون شعوراً بالنقص والدونية يصاحب بحيل تعويضية** [١] .

(ب) دراسات « براون »

طبّق « **براون** » اختبارين من اختبارات الشخصية على (٢١٨) كفيفاً تتراوح أعمارهم بين ١٦ ــ ٢٢ عاماً ؛ (٣٥٩) مبصراً من طلبة وطالبات المدارس العليا ، ولقد استخدم الاختبارين التاليين :

1. The Clark Revision of The Thurstone Personality [illegible]
2. The Neyman Kholstedt Test and Introversion - Extroversion Questionaire

ولقد أظهرت المقارنة بين نتائج المجموعتين بالنسبة إلى الاختبار الأول أن المكفوفين أكثر تعرضاً للإصابة بالاضطرابات النفسية من المبصرين ، في حين أوضحت نتائج الاختبار الثاني الخاص بالانطوائية والانبساطية عدم وجود فروق بين المجموعتين [٢] .

(ج) دراسات « بريلاند »

طبّق « **بريلاند** » مقياس (**بل**) للتكيّف على مجموعتين إحداهما تجريبية تتكون من (٨٤) كفيفاً ، والأخرى مقارنة متكافئة معها في العدد ؛ ووصل من بحثه إلى أن المكفوفين يعانون ضعفاً في الصحة الجسمية أكثر مما يعانيه المبصرين ، وأنهم ينقصون عن المبصرين في درجة تكيفهم الانفعالي والاجتماعي [٣] .

(د) دراسات « كتسفورث »

أجرى « **كتسفورث** » دراسة للتعرف على أوهام المكفوفين ، وكانت العيّنة مكوّنة من (٨٤) فتى وفتاة بعضهم ولد أكمهاً وبعضهم أصيب بالعمى في مراحل زمنية مختلفة ؛ **ووصل من خلال دراسته هذه إلى تقسيم أوهام المكفوفين إلى ثلاثة :**

★ أوهام يحاول خلالها الكفيف أن يحرر نفسه من اتجاهات المجتمع نحوه وذلك بتحطيم مصدر مضايقاته .

★ أوهام يقوم بها الكفيف بدور البطل الذي يدمر ما يحيط به ، وقد يدمر نفسه أيضاً بما يوحى إليه بشعور البطولة .

★ أوهام يتخذ الكفيف أثناءها موقفاً انسحابياً [٤] .

ولقد أظهرت دراسات « **سمث** » و « **بوهلر** » و « **جوسلد** » أن هناك اختلافات في محتويات الأوهام عند المبصرين تتكافأ مع اختلافات محتوى الأوهام عند المكفوفين .

وفيما يتعلّق **بذكاء الكفيف** فقد انقسم جمهرة المربين إلى فريقين ؛ فريق يقرر أن ذكاء الكفيف لا يقل عن ذكاء المبصر ، إن لم يتفوّق عليه أحياناً ، وهؤلاء يستدلون على ذلك ببعض مشاهير العباقرة من المكفوفين ؛ « **فهومر** » قدم للأدب **الإلياذة والأوديسة** ؛ و « **ديدموس** » اشتهر بأنه كان أستاذاً وفقيهاً وأنه اخترع نوعاً من الحروف مكنته من أن يقرأ [٥] ؛ و « **نيكولاس ساوندرسن** » الذي ولد أكمهاً وأصبح عالماً في الرياضيات وكان أستاذاً في **جامعة كمبردج** ، و « **لويس برايل** » صاحب طريقة **برايل** للقراءة والكتابة حتى وقتنا الحاضر ؛ و « **هيلين كيلر** » التي حصلت على الدكتوراه وهي عمياء [illegible] رعاية الصم .

وعلى مستوى **الوطن العربي** ظهرت أسماء لامعة كان أصحابها مكفوفين أمثال **أبو العلاء المعري** ؛ **بشار بن برد** ؛ **الفضل بن محمد القصباني النحوي** ؛ **شافع بن علي بن عساكر العسقلاني** ؛ **أبو القاسم عبد الرحمن بن يحيى الأسدي** ؛ **الإمام عبيد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ؛ وأبو الفتوح ابن**

التعاويذي وغيرهم .

أما الفريق الآخر فنظرته إلى ذكاء الكفيف أكثر تجرداً وموضوعية ، فهم يعترفون بنبوغ بعض المكفوفين ، إلا أن هذا الاعتراف لا ينسيهم أن ثمة عباقرة من المبصرين ، ويرون أن المقارنة بين ذكاء المبصرين وذكاء المكفوفين معيارها المقارنات الإحصائية التي هي خير دليل على ذلك . فلقد دلّت نتائج الاختبارات التي طبقت على المبصرين والمكفوفين ، أن الذكاء العام للفئة الأولى أعلى بنسبة غير ملحوظة من الذكاء العام للفئة الثانية ، كما أن المعلومات العامة لدى الفئة الأولى أعلى منها بكثير لدى الفئة الثانية [٦] .

كذلك ينقسم المربون إزاء قدرة **التصور البصري لدى الكفيف** ؛ ففريق يرى أن الكفيف رغم قصوره عن الرؤية فهو قادر ببصيرته على رؤية الأشياء ووصفها بدقة ، شأنه في ذلك شأن المبصر ، ويستند هؤلاء إلى ما يأتيه بعض المكفوفين من ضروب الوصف التي تحتاج إلى رؤية مما يصعب عليه بعض المبصرين ، ويستندون في ذلك إلى بعض قصائد المشهورين مثل قصيدة بشار بن برد التي يصف فيها خروج الجيش والتقائه مع العدو وانتصاره ، والتي مطلعها « **وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى . . .** » أو قصيدة **عبد الرحمن بن يحيى الأسدي** التي يتغزّل فيها بالفتاة التي يهواها « **أراك عيني كحيل الطرف ذو حور . . .** » .

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : **هل هذه الصور البصرية التي ينشئها المكفوفون تعني فعلاً أنها موجودة في خيالهم كما هي موجودة في خيال المبصرين ؟ أم أنها ليست أكثر من اقتران لفظي حفظه الكفيف ثم استدعاه لتركيب صور بصرية لا تقابل في ذهنه شيئاً يمت إلى الواقع المرئي بصلة ؟** .

ولعل الجواب يكون في غير صالح الفريق الأول وقد يعزّز رأي الفريق الثاني الذي يرى أن هذه الصور ليست أكثر من تركيب لفظي لعب فيه الاقتران دوراً كبيراً ؛ إلا أن هذا الاقتران قد لا يكون دائماً لفظياً ؛ بل قد يكون اقتراناً بين إحساسين أحدهما بصري فيلجأ الكفيف لإنشاء الصورة البصرية مستعيناً بالإحساس الآخر الذي يتلقاه فعلاً .

هذه صورة موجزة عن السمات العامة لشخصية الكفيف لعلّها تنقلنا إلى السؤال الثالث والأخير من هذه الدراسة وهو :

●● السؤال الثالث : ما المسؤوليات الملقاة على عاتق المسؤولين في وطننا العربي لرعاية المعوقين بصرياً ؟

يمكننا إيجاز هذه المسؤوليات على النحو التالي :

★ **أولا** : ينبغي أن تتبنى **المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم** بموجب قوانينها الاعتراف بحقوق المعوقين في التعلم وفي المشاركة في المجتمع .

★ **ثانياً** : ينبغي وضع **التشريعات** الكفيلة بالوفاء باحتياجات المعوقين من الموارد والقوى البشرية والخدمات التنظيمية المساندة .

★ **ثالثاً** : ينبغي تضمين **برامج ومناهج ومقررات** كليات ومعاهد إعداد المعلمين معلومات كافية للتعرف على المعوقين وتزويد طلابها بالأساليب التجديدية لمواجهة الإعاقة في مختلف أشكالها .

★ **رابعاً** : ينبغي إقامة **مراكز** دعم إقليمية تعنى بوضع برامج المعوقين ، وتوفير **المعلمين** المتخصصين ، وتنظيم دورات في مواقع العمل ، وتطوير البرامج في ضوء روح العصر ومتطلباته .

★ **خامساً** : ينبغي **إنشاء مكتبة** مرجعية تكون من مهامها جمع وتوزيع الدراسات والبحوث والمناهج الدراسية المنشورة في مجالات المعوقين .

★ **سادساً** : ينبغي إشراك **أجهزة الثقافة والإعلام** في عقد ندوات ومحاضرات ولقاءات للتعريف بماهية الإعاقة وأسبابها ، وصورها ، وآثارها وطرق مواجهتها ، والحد منها .

★ **سابعاً** : ينبغي إجراء **الكشف المبكر** والتقييم والتدخل لتعزيز إمكانات النمو للمعوقين .

★ **ثامناً** : ينبغي أن تشارك **مراكز البحوث في جامعات الدول العربية** في إجراء دراسات وبحوث نظرية وعقلية عن المعوقين ، وأن تترجم نتائج هذه الدراسات إلى ممارسات تشمل المناهج والمقررات الدراسية ، وإعداد المعلم والأنشطة المرتبطة بالمعوقين .

★ **تاسعاً** : ينبغي توسيع دائرة الاتصال **بمنظمات الأمم المتحدة الدولية والحكومية** مثل **مكتب العمل الدولي (الآيلو) ILO ومنظمة التعاون والتنمية في الميدان الاقتصادي OECD والجمعية الدولية لإعادة تأهيل المعوقين BICE والاتحاد العالمي للصم** WFD وغيرها . والله الموفق

الهوامش

1. Sommers Vita, S; *The Influence of Parental Attitudes and Social Environment on the Personality Development of the Adolescent Blind* (New York: American Foundation For The Blind, 1944); P. 3.
2. Cruickshbank, W; M; *Psychology of Exceptional Children Youth* (U.S.A Prentice-Hall Inc. 1955); P. 261
3. *ibid*, P. 263.
4. Cutsforth, Phomas; D; *The Blind in School and Society* (New York: American Foundation For The Blind, 1951), PP. 71-75
5. Rurlock Elizabeth, B; *Child Development* (New York: Mc-Graw Hill Book Company Inc; 1942); P 410.
6. Baker, H; J; - *Introduction to Exceptional Psychology* (New York: Macmillan, 1953); P. 60

هل تصبح اللغة العربية



تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية تنعكس عليها وكذلك من خلالها كل الظواهر التي تسود المجتمع من رفعة أو انحطاط ومن تقدم أو تأخر، ومن نهوض أو كبوة، ولذلك فإن اللغة تنهض بنهوض المجتمع وتطوره، وتسقط بسقوط المجتمع وتأخره.

ومن هنا لا يمكننا أبداً أن نجد في العالم سواء في القديم أو في العصر الحديث، لغة متطورة في مجتمع متأخر، حضارياً وصناعياً، كما لا يمكننا أن نجد من ناحية أخرى مجتمعاً متقدماً حضارياً، وصناعياً وفي نفس الوقت لغته التي يتكلمها، ويثقف أبناءه بها، ويسير بها شؤونه الاقتصادية والاجتماعية والإدارية متأخرة أو بدائية، لأن التقدم والحضارة والصناعة تقوم كلها باللغة، وعلى أساس اللغة، فاللغة هي المحتوى، وهي المضمون، وهي المرآة لكل حضارة وثقافة سواء كانتا متقدمتين مزدهرتين، أو متخلفتين منكمشتين ولذلك فإن التقدم أو التأخر مرتبطان باللغة ارتباطاً وثيقاً صعوداً أو هبوطاً.

واللغة العربية لم تشذ عن هذه القاعدة طوال مراحل حياتها حتى الآن، فقد كانت لغة بسيطة ومحدودة المضامين، العلمية، والحضارية، يوم كان المجتمع العربي نفسه بسيطاً ويعيش في عصر البداوة قبل الإسلام، ثم أصبحت لغة متقدمة ومتطورة يوم أن أصبح هذا المجتمع نفسه بعد الإسلام مجتمعاً متقدماً علمياً وحضارياً، بعد احتكاكه بحضارات وثقافات البلدان التي فتحها المسلمون بحيث **صارت اللغة العربية «بلا مراء لغة الجنس البشري الحضارية في الفترة الممتدة من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي لدرجة أنه كان يتحتم على الشخص الذي يريد الإلمام بثقافة عصره، وبأحدث ما يجري فيه من علوم، أن يتعلم اللغة العربية»**[1].

كيف أصبحت العربية لغة عالمية بعد الإسلام؟

عندما خرج العرب المسلمون لنشر الدين الإسلامي في الممالك التي كانت خاضعة **للإمبراطورية الفارسية** مثل العراق وغيره والممالك التي كانت خاضعة **للإمبراطورية الرومانية** في بلاد الشام، ومصر، وشمال إفريقيا والأندلس، واستطاعوا خلال فترة تاريخية قصيرة نسبياً أن يخضعوها لحكمهم، وينشروا فيها الدين الإسلامي، ولغة القرآن الكريم، وجدوا تلك الأمم التي خضعت لهم دينياً، وسياسياً، وعسكرياً، هي من الناحية الثقافية، والعلمية، أرقى منهم حضارياً، وأغزر منهم ثقافياً. كما أن لغاتهم هي الأخرى من الناحية العلمية والإدارية والفنية كانت أرقى وأغزر من اللغة العربية التي كانت فقيرة لغوياً في الأساليب العلمية والإدارية بالمقارنة مع **اللغة الفارسية، واللغة الرومية، واللغة اليونانية**، وهي اللغات التي كانت في ذلك الوقت لغات العلم، والفلسفة، والطب، والمنطق، والفلك، والرياضيات، والإدارة، والاتصالات الدولية في العالم القديم، لمدة قرون عديدة قبل الإسلام وعند ظهوره. وفي البداية ترك العرب الأمور الإدارية والمالية في الشعوب التي فتحوها تجري باللغات التي كانت تسير بها قبل الفتح الإسلامي لأن اللغة العربية لم تكن متعودة على ممارسة الأمور الإدارية والمالية من ضرائب، وخراج، وتسيير إلى آخره قبل الإسلام، حتى تستطيع أن تقوم بنفس المهمة بعد الإسلام.

هذا بالإضافة إلى انشغال العرب المسلمين طوال معظم القرن الأول الهجري بأمور **الفتح والجهاد** ومصارعة أعداء الإسلام في الداخل، وعلى حدود الدولة الإسلامية الناشئة في الخارج، واستمر هذا الوضع حتى **خلافة عبد الملك بن مروان الأموي**[2]، الذي تمت في عهده **عملية تعريب الدواوين أو الإدارة الحكومية في الدولة العربية الإسلامية** الناشئة كما سنشير إلى ذلك بعد قليل.

لقد تنبه العرب المسلمون إلى التناقض الذي كان يسود أوضاع الدولة الإسلامية في الممالك التي انضوت تحت لوائها، وهو بقاء اللغات غير العربية سائدة في المجالات المالية والإدارية، والعلمية وانحصار اللغة العربية في مجالات محدودة هي المجالات الدينية والأدبية، وديوان الجند فقط.

فالدولة عربية إسلامية، ولغة الدين والقرآن عربية، ولغة الحكام هي اللغة العربية، ولغة الدواوين والإدارة غير عربية. إن بقاء هذا الوضع الشاذ بدون علاج جذري وسريع، يشكل تهديداً خطيراً لا على مستقبل الحكم العربي الإسلامي، في تلك الأقطار فقط، ولكن كذلك على مستقبل اللغة العربية نفسها، باعتبارها لغة الدين الذي تقوم على أساسه الدولة الإسلامية، والرابطة المتينة التي تربط بين كافة القاطنين في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية الشاسعة الأطراف، فإذا بقيت بعيدة عن شؤون الإدارة والمال، والتسيير فإن تلك الرابطة قد تنفصم عراها في يوم

في القرن الخامس عشر الهجري

لغة عالمية من جديد

بقلم : د. تركي رابح

من الأيام وبالتالي يدب الانحلال والاضمحلال إلى الدولة الإسلامية .

وقد ظهر في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري ، وطوال القرنين الثاني والثالث الهجريين عدد من الحركات الثقافية والعلمية والإدارية لتدارك وضعية اللغة العربية ، إدارياً ، ولغوياً ، وعلمياً في وقت واحد ، لكي تصبح لغة عالمية يمكن إيجازها في الحركات التالية :

أ ـ حركة تعريب الدواوين الإدارية

أما الحركة الأولى فقد توجهت صوب **تعريب إدارة الدولة وشؤون الحكم** ، وقد تمثلت في **تعريب الدواوين ، وشؤون المال والضرائب** . لقد كانت الدواوين في **العراق** وما جاورها يجري العمل فيها باللغة الفارسية . وكانت الدواوين في **بلاد الشام ومصر ، وشمال إفريقيا** يجري العمل فيها باللغة الرومية وكانت الدواوين في **الأندلس** يجري العمل فيها باللغة اللاتينية .

وقد أمر عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي بتعريب الدواوين لأنه أدرك بثاقب فكره خطورة الازدواج اللغوي[3] على كيان الدولة الإسلامية ، وعلى مستقبل اللغة العربية ، وهي لغة القرآن إذا لم يعجل بتعريب الدواوين ، وتوحيد لغة المعاملات الإدارية ، مع لغة الدين والعبادات بحيث تصبح لغة المجتمع الإسلامي العربي لغة واحدة هي اللغة العربية سواء في المساجد والمحاكم ، ومعاهد التعليم ، أو في الشؤون الإدارية والمالية وغيرها من شؤون الحكم والسيادة ، وقد ترتب على تعريب الدواوين وتوحيد لغة العمل بها في مختلف أرجاء الدولة العربية الإسلامية أن أصبحت اللغة العربية ، والثقافة العربية ، منتشرتين بين كافة الجنسيات اللغوية التي دخلت تحت لواء الحكم الإسلامي ، كما تعربت الشعوب الأعجمية التي اعتنقت الإسلام ، حيث اتخذت من العربية لغة لها ، كما اتخذت من الإسلام ديناً لها ، **أما اللغة العربية فقد عجلت عملية تعريب الدواوين بتطويرها وإثرائها بمصطلحات ، ومفردات جديدة ، وبالتالي أصبحت لغة ثرية ، وصارت لغة دين ودنيا معاً .**

لقد مكنت حركة تعريب الدواوين اللغة العربية من التحرك في أوسع ميدان ، ومن بث مبادئ الدين مباشرة بين الناس ، بدون أي واسطة ، فقد **أضطرت العناصر غير العربية إلى تعلم اللغة العربية ، واتقانها لكي يتصلوا عن طريقها بمصادر الدين الإسلامي في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف** ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لكي يستطيعوا أن تكون لهم مكانة ودور داخل نطاق الدولة الإسلامية التي لغتها هي اللغة العربية ، وتولي مختلف الوظائف التي لا تتاح بعد تعريب الدواوين إلا لمن يكون حاذقاً للغة العربية ، لغة الحكم والإدارة والدين في الدولة العربية الإسلامية الجديدة .

وفي الواقع فإن تعريب الدواوين « يعتبر أعظم حدث ثقافي سياسي بعد جمع القرآن نظم وفق خطة شاملة »[4] ، لقد كان هذا العمل يعني أكثر من مجرد التعريب لسجلات الضرائب ، إنه نشر للثقافة العربية التي طغت على الثقافات الأخرى ، وطبعتها بطابعها الخاص ، وهذا أدى حتماً إلى زوال نفوذ بعض الفئات التي كان كيانها مستمداً من التفوق في الثقافة ، والمدنية .

وقد ترتب على اتمام تعريب الدواوين الإدارية في مختلف مناطق الدولة الإسلامية أن تمكنت اللغة العربية من التغلب على اللغات السائدة في العالم وقتذاك وهي اللغات التالية : **الفارسية ، والإغريقية ، والرومية ، والقبطية ، والبربرية ، واللاتينية** ، وأصبحت هي لغة العلم والثقافة والإدارة في وقت واحد .

ب ـ حركة لتدوين وتقعيد قواعد اللغة العربية

وأما الحركة الثانية التي نشطت منذ أواخر القرن الأول الهجري وطوال القرون الثلاثة التالية فهي **حركة لغوية** رأى القائمون بها وجوب المحافظة على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ، ولغة الدين الإسلامي الحنيف ، من أي تحريف أو تصحيف قد تتعرض لهما من طرف الشعوب غير العربية التي اعتنقت الإسلام ، وهكذا نشأ **علم النحو** ، على أيدي **أبي الأسود الدؤلي** ، المتوفي سنة ٦٩ هـ ، ثم تناوله منه **علماء البصرة والكوفة** فأكملوه وفصَّلوه[5] ، كما قام **الخليل بن أحمد** (١٠٠ ـ ١٧٤ هـ) وهو عبقرية عربية فريدة من نوعها في تاريخ الثقافة العربية بالعكوف على تنظيم علوم اللغة العربية يخترع فيها ، ويستنبط أصولها من فروعها على طريق لم يسبق إليها ، فهو **أول مبتكر للمعاجم اللغوية ، وهو أول مبتكر لعلم العروض ، وحصر كل أشعار العرب في بحوره ، وهو الذي اخترع علم الموسيق**

العربية ، وجمع فيه أصناف النغم ، وهو الذي عمل النحو الذي نعرفه اليوم[٦] .

وقد قام إلى جانب أبي الأسود الدؤلي ، والخليل بن أحمد وأضرابهما من علماء الكوفة والبصرة وبغداد علماء كثيرون تمحضوا لجمع أشعار العرب ، وآدابهم ، وقصصهم ، وأمثالهم ، وكل ذلك كان بهدف المحافظة على اللغة العربية ، واستنباط مختلف العلوم اللغوية التي تجعل منها لغة غنية في متنها ، خصبة في محتواها ، متينة في قواعدها ، وتراكيبها ، نذكر منهم على سبيل المثال فقط « **الأصمعي** » **وأبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، والكسائي ، والفراء ، والمفضل الضَّبِّي وسيبويه** .

ويلاحظ أن البعض من هؤلاء اللغويين هم من العرب الأقحاح ، كما أن بعضهم الآخر هم من الفرس الذين أسلموا مثل أبي عبيدة ، والكسائي ، وسيبويه . لقد أدرك علماء القرون الهجرية الأولى ، وبخاصة القرنان الثالث والرابع بثاقب فكرهم دور اللغة العربية الفصحى ، في ربط حياة العالم الإسلامي في حضارته ، العربي في كتابه وثقافته ، برباط متين ، وما يتهدد هذه الوحدة من عوامل التفكك والتفرق ، إذا ما تركت تلك الرابطة من غير تقنين ، وتنظيم ، وإذا ما سمح لعوارض اللحن ، وخصائص اللهجات الدارجة أن تطغى على اللغة الفصحى ، أو تنقص من مظاهر الولاء لها ، لهذا قاموا بحركتهم الأكاديمية الموفقة ، في جمع اللغة العربية ، وميز فصيحها وغريبها ، وقياسها وشاذها ، وفي تدوين أدبها الذي كان يعتمد في مراحله الأولى على **الرواية** ، وحفظه من الضياع والخلط ، والاضطراب وفي وضع المعايير المقننة للغة وأدبها وبلاغتها ، ولم يكن مجهود هؤلاء العلماء في حفظ اللغة والأدب ، ونهضة دراساتها بأقل من مجهود **علماء الشريعة** في خدمة الدراسات القرآنية وجمع السنة وضبط رواية الحديث ، وتطور الفقه والتشريع[٧] .

وقد كان من نتائج هذه الحركة اللغوية النشيطة أن أصبحت اللغة العربية منظمة تنظماً دقيقاً في نحوها ، وصرفها ، وعروضها وبلاغتها ، مما جعل منها لغة علم وأدب ، ودين ، وإدارة أي لغة قادرة على التعبير عن خلجات النفس من ناحية ، ومبتكرات العقل والفكر من ناحية أخرى ، وبذلك صارت لغة قادرة على أداء كل الوظائف المطلوبة من لغة حية نامية ، سواء في الآداب والعلوم أو في الإدارة وشؤون الحكم .

جـ ـ حركة ترجمة من مختلف اللغات

وأما الحركة الثالثة والأخيرة التي مهدت الطريق إلى اللغة العربية بعد الإسلام لكي تصبح لغة عالمية طوال العصور الوسطى بالاصطلاح الأوروبي لتقسيم التاريخ فهي حركة الترجمة الواسعة النطاق من اللغات الثقافية والحضارية في ذلك الوقت إلى اللغة العربية ابتداءً من أواخر القرن الأول الهجري والتي ازدهرت في **عصر الرشيد والمأمون** بصفة خاصة ، وخصوصاً من اللغات التالية :

١ ـ اللغة اليونانية ، ٢ ـ اللغة الرومية ، ٣ ـ اللغة الفارسية ، ٤ ـ اللغة الهندية .

وقد نهض بعبء هذه الترجمة[٨] ، عدد من المدارس من بينها المدارس التالية :

١ ـ مدرسة جنديسابور قرب مدينة البصرة .

٢ ـ مدرسة نصيبين .

٣ ـ مدرسة حران .

٤ ـ مدرسة الرها .

٥ ـ مدرسة أنطاكية .

٦ ـ مدرسة الإسكندرية .

وقد كانت المدارس المذكورة تغلب عليها اللغة اليونانية حيث ترجمت عن طريقها علوم المنطق والطب والطبيعيات والفلك .

دور بيت الحكمة في بغداد

وقد بلغت حركة الترجمة إلى اللغة العربية ذروتها في عهد المأمون حيث **تحول بيت الحكمة**[٩] **الذي أنشأه هارون الرشيد في بغداد إلى ما يشبه معهداً علمياً كبيراً ، وقد ألحق به مرصد مشهور كان يعمل به علماء كثيرون من مختلف اللغات والثقافات ، وصار بيت الحكمة بمثابة جامعة كبيرة للترجمة والبحوث العلمية تتصل بها مكتبة ضخمة** ، ومرصد عظيم ، واستمر بيت الحكمة في تغذية اللغة العربية بمختلف العلوم والفنون حتى مجيء **التتار** إلى بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، حيث هدم على أيديهم . وقد ترتب على ترجمة المعارف العلمية ، والفلسفية إلى اللغة العربية أن أصبح العقل العربي في **العصر العباسي** الأول عقلاً متفلسفاً ، كما أصبح عقلاً علمياً ، لا من حيث فهمه وفقهه بعلوم الأوائل فقط ، بل أيضاً من حيث اسهامه فيها وإضافاته الجديدة علوماً لأول مرة في تاريخ الحضارة الإنسانية على نحو ما أضاف « **الخوارزمي** » علم الجبر الذي أبدعته عبقريته لأول مرة .

كذلك أظهر العقل العربي نضجه العلمي ، وإحكامه لوضع العلوم ، منذ القرن الثاني الهجري فيما نراه متجلياً في العلوم اللغوية ، والدينية ، ومباحث التاريخ ، وعلم الكلام .

ومن هذا يظهر أن حركة الترجمة إلى اللغة العربية كانت واسعة النطاق وشملت ما أنتجه الأقدمون من فلسفة ، وعلم ، وطب ، وحكمة وفلك ، ولم تمض ثمانون عاماً على تأسيس مدينة بغداد حتى كان العرب يقرأون بلغتهم أكثر مؤلفات **أفلاطون** ، والأفلاطونية الحديثة ، وأهم ما كتبه **أبقراط ، وجالينوس وأقليدس ، وبطليموس** ، وغيرهم من الكتاب والشراح . وبينما كان المسلمون يعيشون في هذه النهضة العلمية كانت علوم اليونان غير معروفة تقريباً للأوروبيين[١٠] وحسبنا أن نعلم أن العصر الذي أطلع فيه هارون الرشيد[١١] والمأمون[١٢] الشرق الإسلامي على خبايا الفلسفة اليونانية ، والفارسية ، هو العنصر نفسه الذي كان فيه

أمثالها في الغرب مثل « **شارلمان** » ونبلائه يحاولون أن يتعلموا كيف يكتبون أسماءهم . وقد تبع عصر النقل والترجمة المزدهر في ظل الخلفاء العباسيين الأوائل عصر آخر هو عصر ابتكار ، بحيث لم يأت القرن العاشر (الميلادي) حتى تطورت اللغة العربية فأصبحت لغة حية قوية ، دقيقة البناء ، سهلة المنال ، تطاوع إرادة الكتاب للتعبير عن الفكر العلمي ، والآراء الفلسفية العليا ، وفي الوقت نفسه صارت لغة السياسة والتخاطب الأدبي في أقطار مترامية الأطراف تمتد من أواسط آسيا ، إلى شمال إفريقيا ، والأندلس ، ومنذ ذلك الحين أخذت الشعوب التي تسكن العراق ، وسورية ، وفلسطين ، وليبيا ومصر ، وتونس والجزائر ، ومراكش والأندلس ، تعبّر عن أسمى ما يدور في خلدها من فكر وآراء بهذه اللغة نفسها .

ولقد عقب عصر الترجمة (حوالي ٧٥٠ ـ ٨٥٠م) عصر إنتاج وابتكار ، أثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم ، وتراث اليونان المدرسي وهضمه بل حولوا التراثين لحاجاتهم الخاصة ، وطرق تفكيرهم ، وأضافوا إليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه .

وقد ظهرت مآثرهم (مآثر العرب) في الطب ، والفلسفة ، ولكنها تجلت بنوع خاص في الكيمياء والفلك ، والرياضيات ، والجغرافيا .

أما الترجمات التي قاموا بها فقد طبعتها العقلية العربية بطابعها الخاص في الأجيال اللاحقة ، ثم اتصلت مع ما اتصل بأوروبا من مبتكراتهم الخاصة سالكة طريق **سورية وإسبانيا ، وصقلية** ، وما لبثت أن وضعت أساس حركة العلم والمعرفة التي سيطرت على أوروبا في القرون الوسطى[١٣] . يقول **البحاثة الفرنسي غوستاف لوبون** في كتابه « **حضارة العرب** »[١٤] مصوراً كيف أصبحت اللغة العربية لغة عالمية في الفترة الممتدة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي : « **إن العربية أصبحت لغة عالمية في جميع الأقطار التي دخلها العرب حيث خلفت تماماً اللهجات التي كانت مستعملة في تلك البلدان مثل السريانية واليونانية والقبطية ، والبربرية ، إلى آخره** » .

أما في **الأندلس** فإن اللغة العربية قد قضت تماماً على اللغة اللاتينية وهي لغة الكتاب المقدس للمسيحيين حتى أن **الكاتب المسيحي « الفارو »** وهو من رجال القرن التاسع الميلادي ندد بشدة بجهل مواطنيه باللغة اللاتينية فقال : « **إن المسيحيين أصبحوا شغوفين بقراءة القصائد وروائع الخيال العربية ، ويدرسون مصنفات علماء الكلام المسلمين ، لا بقصد تنفيذها ، بل من أجل التمرن على الأسلوب الصحيح الأنيق في العربية ، وجميع الفتيان المسيحيين المبرزين لا يعرفون سوى اللغة العربية ، والأدب العربي ، فهم يقرأون الكتب العربية ، ويدرسونها بكامل الحرارة ويتهافتون على اقتناء المكتبات الضخمة مهما كلفهم ذلك من ثمن ، ويعلنون على الملأ حيثما وجدوا أن الأدب العربي شيء بديع** » . ثم يتأسف الكاتب المسيحي « الفارو » على هذا الوضع فيقول : « ما أعظم الألم ، لقد نسي المسيحيون حتى لغتهم الدينية ، ولا تكاد تجد واحداً بين الألف ، يحسن تحرير رسالة باللغة اللاتينية إلى صديق له .

أما اللغة العربية فإنك تجد أفواجاً من الناس يحذقون التعبير بها بكامل الأناقة ، بل إنهم يقرضون من الشعر من الوجهة الفنية[١٥] ما يفوق أشعار العرب أنفسهم » .

وهكذا أصبحت اللغة العربية طوال العصور الوسطى هي اللغة العالمية الأولى في العالم الإسلامي وغير الإسلامي ، فهي لغة الثقافة ، وهي لغة التعليم في الجامعات ، وهي لغة البحث العلمي ، في شتى مجالات البحوث النظرية والتطبيقية على حد سواء ، كما أصبحت اللغة العربية هي لغة الاتصالات الدولية بين أمم وشعوب كثيرة ، وهذا بشهادة الباحثين والمنصفين من علماء أوروبا نفسها .

جمود اللغة العربية في عصر الانحطاط

وقد أعقبت عصر ازدهار اللغة العربية عصر آخر تراجعت فيه عن مكانتها المرموقة وذلك عندما ساد الظلام والانحطاط العالم العربي والإسلامي ، **ابتداء من القرن الثالث عشر الميلادي** حيث انعكس عليها ذلك الوضع باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية تصعد بصعود المجتمع ، وتهبط بهبوطه كما قلنا في مقدمة هذه الدراسة ، وقد دام هذا الوضع **حتى القرن التاسع عشر** ، حيث بدأت اللغة العربية من جديد تنفض عنها غبار الجمود والتأخر ، وتتطلع إلى استعادة دورها القيادي في الحضارة الإنسانية ، ومما ساعدها على استعادة حيويتها وديناميكيتها هي حركة الترجمة من اللغات الأوروبية الحديثة واحتكاكها بتلك اللغات التي قطعت شوطاً بعيداً في مضمار التقدم والازدهار .

وإذا كانت اللغة العربية في بداية عصر ازدهارها أيام الأمويين والعباسيين قد واجهت مشاكل نابعة منها ذاتياً تقريباً حيث كانت فقيرة في المصطلحات العلمية ، والإدارية ، وليست لها خبرة بمجالات العلوم الطبية والهندسية والفلك ، فإن المشاكل والصعوبات التي واجهتها في العصر الحديث كانت مختلفة بعض الشيء عن المشاكل السابقة وهي تتمثل في بعض المشاكل التي أثارتها في وجهها بعض الجهات المعادية للعروبة والإسلام بصفة رئيسية .

أعداء اللغة العربية في العصر الحديث

لقد تكالب على محاربة اللغة العربية في العصر الحديث صنفان من الناس حتى لا تعود من جديد إلى أداء دورها التاريخي والحضاري الذي نهضت به منذ قرون عديدة حيث كانت اللغة الأولى في العالم القديم علمياً وإدارياً ، وحضارياً وثقافياً ، وهؤلاء الأعداء هم :

١ ـ **المبشرون** .

٢ ـ **المستعمرون** .

دور المبشرين في محاربة اللغة العربية

لقد قام المبشرون بشن معركة ضارية ضد اللغة العربية الفصحى باعتبارها **لغة القرآن**، واللغة التي تجمع بين مختلف أقطار الأمة العربية، **وقد تجلت محاربة المبشرين للغة العربية في الأمرين التاليين**:

١ ـ الدعوة إلى استعمال **اللهجات العامية** بدل اللغة العربية الفصحى، في مختلف الأقطار العربية.

٢ ـ الدعوة إلى **استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية** في الكتابة العربية، وكان غرضهم من وراء ذلك تحقيق عدة أهداف تتمثل فيما يلي:

أ ـ القضاء على الدين الإسلامي الذي يعتبر مصدر القوة والمقاومة للعرب المسلمين، وهذا يحقق هدفاً رئيسياً للمبشرين الحاقدين على الإسلام.

ب ـ القضاء على الثقافة العربية عن طريق فصل الأجيال العربية الصاعدة عن تراثها الثقافي المكتوب بالحروف العربية منذ ظهور الإسلام وذلك عند استبدال الحروف العربية في الكتابة بالحروف اللاتينية.

جـ ـ القضاء على اللغة العربية الفصحى، واستبدالها باللهجات العامية المحلية لكل قطر عربي وهذا يحقق هدفاً استراتيجياً للمبشرين والمستعمرين معاً يتمثل في فصم عرى الوحدة القومية بين أقطار الأمة العربية حتى يمكن استعباد العرب جميعاً بعد أن تذهب قوتهم التي تتمثل في وحدتهم القومية.

والدليل على سوء نية المبشرين ضد اللغة العربية الفصحى هو تلك الموجات الضخمة من الدراسات المغرضة التي قام بها البعض منهم من أجل الدعوة إلى استعمال اللهجات العامية[١٦] في مختلف الأقطار العربية بدل العربية الفصحى، بقصد تشتيت الصف العربي، وتعميق جذور الخلاف بين العرب في لسانهم الموحد الذي هو اللغة العربية المشتركة، ولولا أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ولغة الدين والحضارة الإسلامية، لتحقق لأعدائها ما كانوا يرمون إلى تحقيقه من وراء نشاطهم المحموم في الدعوة إلى اللهجات العامية، وكذلك في الدعوة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، بدل الحروف العربية، فإذا نجح أعداء اللغة العربية (وهم في نفس الوقت أعداء العرب) في تحقيق استعمال العاميات المحلية بدل اللغة الفصحى المشتركة والكتابة بالحروف اللاتينية بدل الحروف العربية فسيصبح لكل قطر عربي لغته الخاصة أو ربما لغاته الخاصة (نظراً لتعدد اللهجات العامية في كل قطر حسب مناطقه) لأن لكل قطر عربي مجموعة من اللهجات العامية، وبذلك تتفرق وحدة العرب، ويتمزق شملهم وبالتالي سوف يسهل على الاستعمار استعبادهم[١٧] والسيطرة عليهم إلى أبد الأبدين، وهناك خطر آخر لا يقل عن خطر الفرقة السياسية وهو انقطاع الرابطة التي كانت تربط العرب بتراثهم العلمي والثقافي المسجل بالحروف العربية بعد الاستغناء عن الكتابة بالحروف العربية والكتابة بالحروف اللاتينية[١٨].

دور الاستعمار في محاربة اللغة العربية

وقام المستعمرون من ناحيتهم سواء في المشرق العربي أو في المغرب العربي هم أيضاً بشن حرب ضارية ضد اللغة العربية، تمثل في العمل على إبعادها من كافة مجالات الحياة الثقافية والإدارية، والتربوية، وحصروها في نطاق الكتاتيب والزوايا، وبعض الجوامع فقط.

ففي **المغرب العربي** مثلاً أقام **الاستعمار الفرنسي** في كل من **تونس والجزائر والمغرب**، وخاصة الجزائر سياسته منذ البداية على محاربة اللغة العربية الفصحى، وحتى اللهجة العامية العربية لم تسلم هي الأخرى من محاربته، حيث طارد العربية الفصحى من الإدارة والتعليم ووسائل الثقافة المختلفة، وأحل اللغة الفرنسية محلها في كل تلك المجالات، ثم بعد ذلك عمل على تشجيع **اللهجات البربرية** لكي تحل في الحديث العادي محل العربية سواء كانت فصحى أو عامية.

ويد عرفت هذه السياسة في تاريخ الاستعمار الفرنسي[١٩] بالمغرب العربي بالسياسة البربرية، وسياسة الفرنسة.

اللغة العربية تنتصر على أعدائها

ورغم تلك المحاولات المبذولة من طرف المبشرين والمستعمرين وهم الأعداء الرئيسيون للغة العربية ثم بعض أذنابهم من العرب الذين أفلح الاستعمار في إضعاف مقومات شخصيتهم الوطنية في محاولة القضاء على اللغة العربية. إلا أن اللغة العربية قاومت وصمدت وفي النهاية انتصرت عليهم جميعاً وواصلت مسيرتها في عزم وثبات نحو استعادة مكانتها الجديرة بها كلغة علم وأدب، وفكر، وتقنية، وحضارة.

ولا بأس أن نورد هنا واقعة تاريخية حدثت سنة ١٩٢٣م، حتى نعرف عنف الحرب التي واجهت اللغة العربية إبان العهد الاستعماري من طرف المبشرين والمستعمرين على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم.

ففي عام ١٩٢٣م، قامت **مجلة «الهلال» بالقاهرة** بطرح مجموعة من الأسئلة حول مستقبل اللغة العربية على طائفة من كبار المفكرين في الوطن العربي في ذلك الوقت، يهمنا منها في هذه الدراسة السؤال التالي وهو:

«هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية[٢٠] وتعلم بها جميع العلوم؟».

ونحن نورد هنا مقتطفات من إجابة **الأديب اللبناني جبران خليل جبران** على السؤال المذكور، لأنها تعطينا فكرة واضحة عن الوضعية الشاذة التي وصلت إليها اللغة العربية في مطلع القرن العشرين على يد المبشرين والمستعمرين.

يقول جبران خليل جبران: «لا يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية، حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من أيدي الجمعيات الخيرية، واللجان الطائفية، والبعثات الدينية، إلى أيدي الحكومات المحلية.





★ الخوارزمي ★



★ هارون الرشيد ★

« ففي **سورية** (بلاد الشام) مثلاً كان التعليم يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتهم خبز الصدقة لأننا جياع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ولما أحيانا أماتنا ، أحيانا لأنه أيقظ جميع مداركنا ونبه عقولنا قليلاً ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا وأضعف وحدتنا ، وقطع روابطنا ، وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة ، مختلفة الأذواق ، متضاربة المشارب ، كل مستعمرة فيها تشد في حبل إحدى الأمم الغربية ، وترفع لواءها ، وتترنم بمحاسنها وأمجادها .

« فالشاب الذي تناول لقمة من العلم في **مدرسة أميريكية** قد تحول بالطبع إلى معتمد أميريكي ، والشاب الذي تجرع رشفة من العلم في **مدرسة يسوعية** صار سفيراً فرنسياً ، والشاب الذي لبس قميصاً من نسج **مدرسة روسية** أصبح ممثلاً لروسيا إلى آخر ما هناك من المدارس وما تخرجه في كل عام من الممثلين ، والمعتمدين ، والسفراء » .

ثم يقول : « نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية ، وغير العالية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميولنا السياسية ، وتتبلور منازعنا القومية ، لأن في المدرسة تتجوهر المنازع ولكن لا يتم هذا حتى يصير بإمكاننا تعليم الناشئة على نفقة الأمة ، لا يتم هذا حتى يصير الواحد منا ابناً لوطن واحد ، بدلا من وطنين متناقضين »[٢١] .

إن هذه الإجابة المركزة تعطينا فكرة واضحة عن التمزق الذي كان يسود المدارس في الوطن العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر نظراً لاختلاف لغات التعليم فيها ، وتعدد الاتجاهات الأيديولوجية للتعليم بتعدد اللغات والهيئات والدول المشرفة عليه ، وأثر ذلك على تكوين الأجيال العربية تكويناً ممزقاً هو الآخر كما أوضحه « جبران » في النص السابق ، لأن معظم أقطار الوطن العربي بعد **الحرب العالمية الأولى** كانت ترزح تحت وطأة الاحتلال الأجنبي سواء كان **فرنسياً** مثلما هو الحال في بلاد الشام (سورية ولبنان) والجزائر ، وتونس ، والمغرب ، وموريتانيا ، أو **إنكليزياً** كما هو الحال في العراق ، وفلسطين ، والأردن ، والخليج العربي ، وجنوب اليمن ، ومصر ، والسودان ، أو **إيطالياً** كما هو الحال في ليبيا ، أو **إسبانياً** كما هو الحال في الريف المغربي والصحراء الغربية .

وقد بذلت **إيطاليا وبريطانيا وفرنسا** ، وهي الدول الأوروبية الرئيسية التي بسطت سيطرتها ، وخصوصاً بريطانيا وفرنسا على معظم أجزاء الوطن العربي ابتداءً من النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري كل جهودها من أجل القضاء على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن ، ولغة الثقافة العربية ، ولغة الحضارة الإسلامية ، واستبدالها باللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية .

فالإنكليز مثلاً حاولوا عقب احتلالهم لمصر سنة ١٨٨٢ م ، أن يقضوا على اللغة العربية الفصحى ، كأداة ناجعة ووسيلة فعالة ، من أدوات الوحدة الثقافية بين الناطقين بالضاد ، ووسائلها المهمة ، وفعلت فرنسا نفس الشيء في الأقطار التي خضعت لسيطرتها ، كما فعلت إيطاليا في ليبيا نفس العمل . وعملت الدول الثلاث على احلال لغاتها في التعليم بمختلف مراحله محل اللغة العربية التي اعتبرت لغة أجنبية كما هو الحال في الجزائر على سبيل المثال .

وقد قاومت الأقطار العربية المعنية تلك المحاولات الاستعمارية الشرسة ضد اللغة العربية مثلما قاومت السيطرة الاستعمارية ضد أوطانها بكل قوة وبسالة وعندما نجحت في إزاحة السيطرة الاستعمارية عن كاهلها شرعت في النهوض بالرجوع إلى « تراثنا الثقافي » وإحياء ما اندثر منه ، وجمع ما تبعثر منه في مختلف بلاد العالم ، وتلك ظاهرة ، قل من درسها ، أو عني باستكشاف معانيها ، وإيضاح دلائلها العميقة .

« فقد بدأت أوروبا مثلاً نهضتها الحاضرة بالرجوع إلى تراث الإغريق ، والرومان ، والعرب ، حتى إذا ما تكاملت لها أسباب المعرفة وانفتحت على آفاقها راحت تزيد ثروتها العقلية والفنية بدراسات واسعة مفصلة للحضارات القديمة ، في مصر ، وبابل ، والهند ، والصين ، حتى بلغت ما بلغته من غنى واتساع في مطلع القرن العشرين » .

إن هذه الظاهرة البارزة في النهضة الأوروبية الحديثة ، إن كان لها من معنى فإن معناها الوحيد هو أن كل محاولة ترمي إلى صرف العرب عن تراثهم الثقافي والحضاري ، وتبديلهم تبديلاً جديداً ، على أسس مغايرة لثقافتهم الأصلية ، سوف تؤول حتماً إلى الاخفاق وإنه يستحيل عليهم أن يستردوا استقلالهم السياسي ، ومكانتهم تحت الشمس باصطناع ثقافة غير ثقافتهم ، ولغة غير لغتهم ، وأخلاق غير أخلاقهم ، التي تكونت عبر العصور من الجاهلية إلى الأدوار الإسلامية إلى العصور الحديثة[٢٢] .

وقد استعادت اللغة العربية الآن في معظم الأقطار العربية وخصوصاً في المشرق العربي سيادتها المطلقة في مجالات الثقافة ، والفكر ، والإدارة ، بعد أن تحررت الأقطار العربية من الاحتلال الأجنبي ، وأصبحت سيدة مصيرها ، وصانعة مستقبلها ، وتخلصت من نظم التعليم الاستعمارية التي كانت في جملتها ضد اللغة العربية وما تنطوي عليه من أخطار التمزق والفرقة للأجيال العربية الصاعدة كما شرح ذلك جبران خليل جبران ، في النص الذي أوردناه منذ قليل .

بل إن اللغة العربية هي في الوقت الحاضر تشق طريقها بكل عزم وثبات لكي تستعيد دورها التاريخي العظيم الذي لعبته من منتصف القرن السابع الميلادي وحتى نهاية القرن الحادي عشر منه ، عندما أصبحت لغة العلم ، والثقافة ، والفكر ، والاتصالات الدولية الوحيدة في العالم القديم ، أي إنها الآن في طريقها لأن تصبح من جديد لغة عالمية مثل

اللغات العالمية المعاصرة وهي الإنكليزية والفرنسية، والإسبانية، والروسية.

اللغة العربية في طريقها نحو العالمية

إن اللغة العربية التي هي لغة لأكثر من ١٥٠ مليون نسمة من العرب يقطنون رقعة شاسعة في قارتي آسيا وإفريقيا، ويتوفرون على ثروات طائلة، وموقع استراتيجي فريد في نوعه، هي الآن في طريقها لأن تصبح مرة أخرى لغة عالمية خلال **القرن الخامس عشر الهجري** الموافق للقرن الحادي والعشرين الميلادي، وذلك بناء على عدد من الشواهد والاعتبارات التي لا تخفى على الباحث المتتبع لتطور العالم العربي، واللغة العربية في وقت واحد، ففي العالم العربي اليوم نهضة علمية، وثقافية، مرموقة، وتطور صناعي وزراعي لا بأس بهما، وهو عازم على امتلاك **التكنولوجيا الحديثة** التي بواسطتها يستطيع تطوير صناعته وزراعته حتى يخرج من دائرة التخلف. إن عدد الجامعات في العالم العربي في الوقت الحاضر يربو على خمسين جامعة، وهي في ازدياد مطرد كما أن عدد طلبة البعثات العلمية العرب في أميريكا وأوروبا ودول المعسكر الشرقي يعدون بعشرات الآلاف في مختلف التخصصات العلمية.

وهناك مجموعة من **المجامع اللغوية في العالم العربي** تعمل بدأب على النهوض باللغة العربية، وإغناء متنها بالمصطلحات العلمية الحديثة، في شتى العلوم والفنون كما أن هناك **حركة ترجمة نشيطة** من مختلف لغات العالم الحية إلى اللغة العربية، وهناك إلى جانب ذلك عدد من **المجامع العلمية** تعنى بالبحوث العلمية في مجالات العلوم التطبيقية بالإضافة إلى أن **موقع العالم العربي الاستراتيجي**، قد جعل منه نقطة التقاء لمختلف التيارات الفكرية والسياسية، والحضارية والثقافية المعاصرة، فإذا أضفنا إلى العوامل السابقة ما تزخر به المنطقة العربية من **ثروة نفطية** هائلة، والنفط هو عصب الحضارة العصرية، إذا عرفنا كل هذه الأمور لا نكون مغالين إذا ما قلنا بأن الأمة العربية وهي قلب العالم الإسلامي وموئل مقدساته هي في طريقها لأن تلعب دورها الحضاري والروحي في العالم المعاصر مثلما لعبته في العصور الإسلامية الزاهرة، وأن اللغة العربية هي الأخرى في طريقها لأن تصبح لغة عالمية تؤدي دورها في المسرح الدولي كأقدم لغة حضارية تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الإنساني.

إن اللغة العربية اليوم تتمتع بمكانة مرموقة سواء في العالم الإسلامي أو غير الإسلامي.

مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي

لعل من أهم العوامل التي ساعدت في الماضي وتساعد في الحاضر، والمستقبل على جعل اللغة العربية لغة ذات مكانة خاصة عند المسلمين هي أنها لغة القرآن الكريم، والقرآن هو كتاب دين المسلمين يقرأه أبناؤهم منذ الصغر، ويحفظونه كله أو جله، وهي التي يؤدون بها الصلوات الخمس في كل يوم وليلة.

وبالتالي فكل المسلمين حيثما كانوا ومهما كانت اللغات التي يتحدثون بها فهم يحبون اللغة العربية، ويحاولون تعلمها حتى يتصلوا عن طريقها بمصادر الدين الإسلامي في القرآن والحديث، وسيرة السلف الصالح فالمسلمون في **أندونيسيا، وباكستان، وبنغلاديش، والملايو، والهند، ونيجيريا، والكامرون وتشاد، ومالي**، وغيرها من الأقطار الإسلامية الأخرى في قارات آسيا وإفريقيا وأميريكا يحسون بالحب والتقدير، والولاء للغة العربية، لأنها لغة القرآن، كتاب دينهم الذي يدينون به، ويزداد حرصهم من يوم إلى آخر على تزويد شبابهم بها، ويطالبون أقطار الأمة العربية بأن تمدهم بالمعلمين والأساتذة لكي يقوموا على نشر اللغة العربية في مدارسهم وجامعاتهم، بل إن بعضهم كما هو الحال في الباكستان مثلاً يقترحون أن تصبح اللغة العربية إحدى اللغات الأساسية في أنظمة تعليمهم وثقافتهم بل إن بعضهم يتمنى مخلصاً أن تصبح اللغة العربية هي اللغة الرسمية عندهم.

إذن فإن مكانة اللغة العربية في العالم الإسلامي مكانة مرموقة، وهي واسعة الانتشار بين شبابه وتلامذته، وسوف تزداد انتشاراً بين المسلمين كلما ازداد التعليم انتشاراً بينهم، وزالت الأمية عن جماهيرهم، فإذا عرفنا أن **تعداد المسلمين في العالم اليوم يربو على ٧٠٠ مليون نسمة** فإن اللغة العربية سوف تصبح في مستقبل الأيام من أوسع لغات العالم انتشاراً ولا يتقدمها في هذا الميدان سوى اللغة الصينية فقط.

وفي القارة الإفريقية التي توصف فيما يتعلق باللغات بأنها واحدة من أكثر القارات تعقيداً حيث يوجد فيها ما يقرب من (٨٠٠) لغة، وليس هذا التعقيد على مستوى القارة فحسب بل هو يتجاوزها ليفرض نفسه في الدولة الواحدة، **ففي دولة نيجيريا على سبيل المثال عشرات اللغات المنطوقة** وهكذا غيرها من الدول الأخرى، وبذلك تنتشر في إفريقيا ظاهرة استعمال اللغات الأوروبية مثل الإنكليزية، والفرنسية، والبرتغالية، والبلجيكية، والألمانية.

ومنذ عام ١٩٦١ م، ظهرت عدة حركات لإحياء اللغات الوطنية والقومية، وقد أدت الدعوة النشيطة إلى إحياء اللغات الإفريقية الوطنية إلى عودة تبؤ اللغة العربية مكانتها كلغة حضارية لأكثر من نصف تعداد سكان القارة الإفريقية، فسبعون في المائة من الذين ينتمون إلى الثقافة العربية يعيشون في القارة الإفريقية (مصر ـ السودان ـ ليبيا ـ تونس ـ الجزائر ـ المغرب ـ موريتانيا ـ الصحراء الغربية ـ الصومال ـ جسوتي).

مكانة اللغة العربية في العالم غير الإسلامي

وإذا، انتقلنا من العالم الإسلامي إلى العالم غير الإسلامي في أوروبا وأميريكا، وإفريقيا، فإننا نلاحظ أن اللغة العربية قد فرضت نفسها في السنوات القليلة الماضية في البلدان

الأوروبية والأمريكية ، والإفريقية ، حيث أضحت ضرورة ملحة لممثلي التجارة والصناعة الأوروبية والأمريكية في الأقطار العربية ، وخاصة النفطية منها التي تشهد نهضة عمرانية واقتصادية ، وإنمائية هامة نتيجة استثمار البعض من عائدات النفط الضخمة في خطط التنمية ومشاريعها .

وتأتي في مقدمة البلدان التي تنتشر اللغة العربية في جامعاتها ، ومعاهدها ، ومدارسها **الولايات المتحدة الأمريكية** ، حيث يزداد الإقبال فيها على تعلم اللغة العربية بكثرة ، وخاصة بين صفوف رجال المال والأعمال نظراً للمصالح الأمريكية الضخمة في الوطن العربي .

وفي طول الولايات المتحدة وعرضها يلاحظ المراقب زيادة مفاجئة في عدد الأمريكيين الذين يلتحقون بدروس تعليم اللغة العربية في المدارس ، وأقسام اللغة العربية في الجامعات .

ويبدو اهتمام الأمريكيين باللغة العربية إلى درجة أن أحد أساتذة الجامعات وهو **الدكتور ، بابير ماكاي ، من جامعة ولاية واشنطن ، ابتكر حاسباً إلكترونياً مبرمجاً باللغة العربية** وقد استغرق العمل لإنجازه سبع سنوات[٢٣] وهكذا يتضح أن الإقبال على تعلم اللغة العربية من قبل الأمريكيين يتزايد باطراد في الوقت الحاضر ، نظراً لأهمية لغة الضاد في دنيا التجارة ، والصناعة والسياسة ، والمال .

أما في **القارة الأوروبية** فإن الإقبال على تعلم اللغة العربية يتزايد يوماً بعد يوم في معظم الدول الأوروبية مثل بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وروسيا ، ومالطة ، واليونان ، وغيرها من الدول الأوروبية الأخرى .

وإلى جانب الإقبال على تعلم اللغة العربية في أميريكا وأوروبا فإنك لن تجد إذاعة سواء في أميريكا أو أوروبا إلا وهي تخصص حيزاً هاماً لبرامج باللغة العربية سواء بالنهار أو بالليل ، وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك العشرات من الجرائد والمجلات التي تصدر باللغة العربية من مختلف العواصم الأوروبية والأميريكية ، وتقوم الجاليات العربية الكبيرة العدد في أميريكا وأوروبا واستراليا بعمل نشيط في نشر اللغة العربية في الأوساط التي تعيش فيها ، وتعليمها للراغبين في تعلمها .

ويلاحظ أن اللغة العربية أصبحت لغة رسمية في كل من موريتانيا ، والصومال وجيبوتي ، وجزر القمر ، فضلاً عن إقرار الجمعية الوطنية في السنغال اللغة العربية كلغة الزامية في المناهج الدراسية وإقرار تدريس اللغة العربية في غينيا منذ استقلالها في عام ١٩٦٠م .

ويبدو حسب الظواهر الملاحظة أنه لن يمضي وقت طويل حتى يعم تدريس اللغة العربية في القارة الإفريقية ، وذلك نظراً لانتشار الدين الإسلامي في معظم أقطارها[٢٤] .

ومن المعروف تاريخياً أن الإسلام يعتبر من أهم عوامل انتشار اللغة العربية في العالم وخاصة في إفريقيا وآسيا ، لأن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ، ومن الصعب على المسلم غير العربي أن يفهم دينه على خير ما يرام ما لم يقرأ القرآن باللغة العربية ، لهذا نجد أن المسلمين غير العرب يقبلون على تعلم اللغة العربية أكثر من غيرهم نظراً للترابط الروحي بين الدين الإسلامي ولغة القرآن الكريم « اللغة العربية » .

ومن الممكن للدول الإفريقية التي تعاني من مشكلة اللغة أن تتخذ العربية لغة لها ، وخصوصاً إذا كانت دولة ينتشر فيها الإسلام مثل نيجيريا ، والكامرون ، وغينيا وبذلك تتخلص من واقع اللغات الإفريقية الضعيفة من ناحية ، وكذلك من عقدة اللغات الأوروبية الموروثة من عهد الاستعمار من ناحية أخرى ، غير أن إقدام إفريقيا على اصطناع اللغة العربية يتوقف على مستقبل اللغة العربية نفسها ، وعلى وضع سياسة عربية موحدة نحو نشر اللغة العربية على مستوى عالمي وتوفير الإمكانات التي تساعد على نشرها في إفريقيا ، مثل تكوين المعلمين بأعداد كافية وتدريس اللغة العربية بالطرق السمعية البصرية الحديثة ، والعمل على افتتاح فروع للجامعات العربية في القارة الإفريقية ، وتخصيص المنح الدراسية السخية للطلبة الأفارقة من الدول العربية إلى غير ذلك من الأمور المساعدة على نشر اللغة العربية في مختلف المناطق الإفريقية .

إن ظاهرة انتشار اللغة العربية من جديد على المستوى العالمي في الوقت الحاضر ــ وسوف يكون في المستقبل أكثر من الآن ــ ليست إلا استمراراً لمسيرة اللغة العربية التاريخية ، منذ القرن السابع الميلادي عندما أصبحت لغة عالمية ، وقد عبَّر **المستشرق الفرنسي « لويس ماسينيون »** عن أهمية اللغة العربية كلغة دولية فقال : « **إن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي ، وإن استمرار حياة اللغة العربية دولياً ، لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل** »[٢٥] .

وفي عام ١٩٦٧م ، أعلن **رئيس الاتحاد الدولي لمترجمي المؤتمرات السيد « جون هابرت » في مؤتمر للمترجمين عقد في مدينة جنيف السويسرية** قائلاً : « تبرز اللغة العربية في طريقها لأن تصبح أكثر فأكثر كلغة عالمية »[٢٦] .

العربية لغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة

ومن أبرز الخطوات التي خطتها اللغة العربية خلال السبعينات من هذا القرن نحو العالمية هو اعتمادها كلغة رسمية ، ولغة عمل ، في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ففي الدورة الثامنة والعشرين[٢٧] المنعقدة في عام ١٩٧٣م ، وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة بالاجماع على اقتراح « **لجنة شؤون الإدارة والموازنة** » بجعل اللغة العربية لغة رسمية ، ولغة عمل في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ولجانها السبع الرئيسية ، وذلك ابتداءً من أول يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٧٤م ، **وبذلك أصبحت اللغة العربية أول لغة في العالم تضاف إلى اللغات الخمس الرسمية في الجمعية العامة** منذ اقرارها في عام ١٩٤٦م ، وبهذا أصبحت اللغة العربية لأول مرة في التاريخ الحديث واحدة من اللغات الدولية المستعملة في الأمم المتحدة ، إلى جانب اللغات المستعملة فيها وهي : الإنكليزية ،

والفرنسية ، والإسبانية ، والروسية ، والصينية .

وقد نوهت الجمعية العامة في قرارها بجعل اللغة العربية لغة رسمية في أعمالها وبالدور الذي مثلته اللغة العربية «في الحفاظ على حضارة الإنسان وتراثه الثقافي ، وفي العمل على نشرها» . إن هذا التطور العظيم الذي بلغته اللغة العربية منذ عام ١٩٧٤ م ، يعني أنها أصبحت اليوم تستخدم في الأمم المتحدة في الحديث والقاء الخطب ، والكلمات الرسمية ، وإصدار الوثائق وفي الترجمة الفورية إلى اللغات الرسمية الخمس ، كما تترجم اللغات الخمس الأخرى إلى اللغة العربية .

ولغة رسمية في منظمة الوحدة الإفريقية

وكما اختيرت اللغة العربية كلغة رسمية في منظمة الأمم المتحدة ولجانها والمنظمات الدولية التابعة لها ، مثل **منظمة اليونسكو ، وهيئة الصحة العالمية ومنظمة الطفولة** ، وغيرها من المنظمات التابعة للأمم المتحدة .

فقد **اختيرت اللغة العربية كلغة رسمية في منظمة الوحدة الإفريقية** جنباً إلى جنب مع اللغة الإنكليزية واللغة الفرنسية ، وذلك منذ عام ١٩٧٣ م ، فهي واحدة من اللغات الرسمية التي تسير بها أعمال ومؤتمرات منظمة الوحدة الإفريقية .

اللغات الرئيسية في العالم المعاصر

والجدير بالملاحظة أن هناك اثنتي عشرة لغة رئيسية في العالم مستعملة في عصرنا الحديث من بينها اللغة العربية التي تأتي نسبياً في الدرجة التاسعة في الترتيب العام بالنسبة لعدد المتكلمين بها ، وهذه اللغات هي كما يلي حسب الترتيب :

١ ـ اللغة الصينية التي يتكلمها ٢٥ ٪ من جملة سكان العالم .
٢ ـ اللغة الإنكليزية التي يتكلمها ١١ ٪ من جملة سكان العالم .
٣ ـ اللغة الروسية التي يتكلمها ٨,٣ ٪ من جملة سكان العالم .
٤ ـ اللغة الهندية التي يتكلمها ٦,٢٥ ٪ من جملة سكان العالم .
٥ ـ اللغة الإسبانية التي يتكلمها ٦,٢٥ ٪ من جملة سكان العالم .
٦ ـ اللغة الألمانية التي يتكلمها ٣,٧٥ ٪ من جملة سكان العالم .
٧ ـ اللغة اليابانية التي يتكلمها ٣,٧٥ ٪ من جملة سكان العالم .
٨ ـ اللغة البنغالية التي يتكلمها ٣ ٪ من جملة سكان العالم .
٩ ـ اللغة العربية التي يتكلمها ٢,٧ ٪ من جملة سكان العالم .
١٠ ـ اللغة الفرنسية التي يتكلمها ٢,٧ ٪ من جملة سكان العالم .
١١ ـ اللغة البرتغالية التي يتكلمها ٢,٥ ٪ من جملة سكان العالم .
١٢ ـ اللغة الإيطالية التي يتكلمها ٢,١ ٪ من جملة سكان العالم .

خاتمة الدراسة

وفي خاتمة هذه الدراسة يمكننا على ضوء الحقائق والظواهر التي ذكرناها سواء على النطاق العربي أو الإسلامي ، أو الإقليمي ، أو الدولي بالنسبة للخطوات التي قطعتها اللغة العربية نحو العالمية في السنوات الماضية ، **يمكننا التنبؤ بأن اللغة العربية التي كانت لغة عالمية ابتداء من القرن الثاني حتى نهاية القرن الثامن الهجريين سوف تصبح مرة أخرى لغة عالمية خلال القرن الخامس عشر الهجري** لكي تؤدي دورها الحضاري والروحي ، والعلمي في العالم لأنها لغة كما قالت الأمم المتحدة عند إقرارها في عام ١٩٧٣ م ، كلغة رسمية ولغة عمل في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها ، «قد ساهمت مساهمة كبيرة في الحفاظ على حضارة الإنسان ، وتراثه الثقافي ، وفي العمل على نشرها **وقد ارتكزت اللغة العربية في بداية نهضتها لكي تصبح لغة عالمية على ثلاث دعائم أساسية هي** :

(١) التعريب (تعريب الدواوين أي الإدارة) الذي نهض به الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ابتداءً من عام ٧٦ هجرية والذي جعل من العربية لغة إدارية ممتازة .

(٢) اصلاح متن اللغة وتقعيد قواعدها على أسس علمية ، وقد ظهر ذلك في الحركة اللغوية النشيطة التي نهضت بها **مدرسة الكوفة ، والبصرة** ، وبغداد لمدة قرون .

(٣) الترجمة الواسعة النطاق من اللغات العلمية والحضارية قبل الإسلام إلى اللغة العربية التي نهضت بها عدة مدارس من بينها **بيت الحكمة في بغداد** ، بحيث لم تمض ثلاثة قرون على ظهور الإسلام حتى أصبحت اللغة العربية من أغنى اللغات وأرقاها وبذلك صارت لغة العلم ، والفكر ، والثقافة ، والسياسة للعالم القديم كله .

ويبدو لي في الوقت الحاضر أن مما يساعد على التعجيل بتمكين اللغة العربية من أن تصبح فعلاً لغة علوم وتقنية هو الإسراع في تعريب التعليم في كافة المراحل بعد وضع خطة علمية شاملة لذلك على أن تكون متبوعة بتعريب الإدارة في البلدان العربية التي لم تتحق عندها عملية تعريبها حتى الآن مثل «الجزائر وتونس والمغرب» .

وإلى جانب ذلك ينبغي تنظيم وتدعيم هيئات وجهات الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية على مستوى الوطن العربي ، وأن نعمل مثلما عملت **اليابان** في بداية نهضتها العلمية والصناعية وذلك بتعيين مجموعة من العلماء في كل سفارة عربية في الدول الأجنبية ينحصر عملهم في اقتناء الكتب العلمية الهامة التي تصدر في تلك الدول وترجمتها إلى اللغة العربية أولا بأول وبذلك تصبح اللغة العربية مسايرة للتطور العلمي والتكنولوجي في العالم كله ، بالإضافة إلى العناية بتدريس اللغات الأجنبية





★ الكسائي ★



★ شارلمان ★

ذات المستوى العلمي والتقني الرفيع ، ووضع سياسة علمية واضحة لتعليم اللغات الأجنبية في المدارس والجامعات العربية .

كذلك ينبغي العمل على **تنشيط المجامع اللغوية في البلاد العربية** من أجل تسهيل قواعد اللغة العربية وتبسيطها ، وإثراء معجمها بالمصطلحات العلمية والفنية الحديثة .

وإلى جانب ذلك ينبغي العمل على استنباط طرق علمية وتربوية لتسهيل تعليم اللغة العربية للأجانب مع الأكثار من **معامل ومخابر تعليم اللغة العربية بالطرق السمعية والبصرية** في الجامعات وأقسام اللغة العربية في مختلف أقطار الوطن العربي .

كذلك ينبغي العمل على **إنشاء المراكز الثقافية العربية في البلدان الأجنبية لتعليم اللغة العربية** للراغبين في تعلمها مثلما يفعل الإنكليز والأمريكان والفرنسيون وغيرهم من أجل نشر لغاتهم بين شعوب العالم .

هذه الأمور باختصار وتركيز مجتمعة يمكن عن طريقها في نظري ــ بالإضافة إلى النجاحات التي حققتها اللغة العربية فعلاً حتى الآن نحو العالمية ــ أن تصبح اللغة العربية لغة عالمية فعلاً وبصفة عملية وأن تتبوأ مكانتها المرموقة في المجتمع الدولي كلغة علم ، ودين ، وثقافة وحضارة متطورة خلال نصف القرن الخامس عشر الهجري الحالي بإذن الله .

هوامش

(١) ــ مجلة « عالم الفكر » المجلد الثامن العدد الأول ، مايو (أيار) ، يونيو (حزيران) سنة ١٩٧٧ م ، ص ٣ الكويت .

(٢) ــ تولى الخلافة بعد أبيه مروان بن عبد الملك في عام ٦٥ هجرية وقد استمر في الحكم واحداً وعشرين عاماً (٦٥ــ٨٦ هـ) .

(٣) ــ انظر « الجهشيار » (الوزراء والكتاب) تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، ط ١ القاهرة سنة ١٩٣٨ م ، ص ٣٩ .

(٤) ــ انظر عبد الكريم ذنون ، تعريب دواوين العراق في عهد الحجاج بن يوسف الثقفي ، مجلة آفاق عربية ، عدد ١٢ السنة الرابعة أغسطس (آب) سنة ١٩٧٩ م ، ص ٩٧ ، ٩٨ ، بغداد .

(٥) ــ انظر أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، ٢٣٧ ، القاهرة بدون تاريخ ، ص ٢٠٦ .

(٦) ــ انظر أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ص ٢ ط ٦ ، النهضة المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٦١ م ، ص ٢٩٠ .

(٧) ــ محمد خلف الله أحمد ــ مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، عدد ٤ ، جوان (حزيران) سنة ١٩٧٣ م ، القاهرة ص ٤ ــ ٥ .

(٨) ــ شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر العباسي الأول ، ط٢ دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٦٦ م ، ص ١٠٩ .

(٩) ــ أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، جـ ١ ، ط ٦ ، النهضة المصرية ، القاهرة سنة ١٩٦١ م ، ص ٦١ ــ ٦٦ .

(١٠) ــ الفكر الإسلامي منابعه وآثاره ، ترجمة الدكتور أحمد شلبي ، ط القاهرة سنة ١٩٦٦ م ، ص ٤٢ ــ ٤٣ .

(١١) ــ تولى الخلافة في الفترة (٧٨٦ ــ ٨٠٩ م) .

(١٢) ــ تولى الخلافة في الفترة (٨١٣ ــ ٨٣٢ م) .

(١٣) ــ فيليب حتي وآخرون ، تاريخ العرب جـ ٢ ط ٣ . دار الكشاف ، بيروت سنة ١٩٦٩ م ، ص ٤٤٤ .

(١٤) ــ ط ٤ سنة ١٩٦٤ م ، ترجمة عادل زعيتر الحلبي ، القاهرة ، ص ٤٤٠ .

(١٥) ــ نقلاً عن كتاب « التعريب ومستقبل اللغة العربية » للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة سنة ١٩٧٥ م ، ص ٧ .

(١٦) ــ راجع كتاب تاريخ الدعوة إلى العامية ، للدكتورة نفوسة سعيد ، دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م ، ص ٩ .

(١٧) ــ انظر الدكتور تركي رابح ، علاقة العامية بالفصحى ، دراسة منشورة في مجلة « الأصالة » عدد ٢٥ السنة الرابعة الجزائر مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية سنة ١٩٧٥ م ، ص ٦٧ إلى ص ٨٦ .

(١٨) ــ راجع كتاب « التبشير والاستعمار في البلاد العربية » ط ٣ ، بيروت سنة ١٩٦٤ م ، ص ٢٢٤ .

(١٩) ــ انظر كتاب « التعليم القومي والشخصية الوطنية » للدكتور تركي رابح ، الفصل الثاني من ص ٩٣ إلى ص ٩٦ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر سنة ١٩٧٥ م .

(٢٠) ــ انظر فتاوى كبار الكتاب والأدباء ، دار الهلال ، مصر سنة ١٩٢٣ م .

(٢١) ــ انظر كتاب « المجموعة الكاملة » لمؤلفات « جبران خليل جبران » قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة (دار صادر ، بيروت سنة ١٩٦١ م ، ص ٥٤٧ إلى ص ٥٤٨) .

(٢٢) ــ عبد اللطيف شرارة ، الجانب الثقافي من القومية العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت سنة ١٩٦١ م ، ص ١٣٤ .

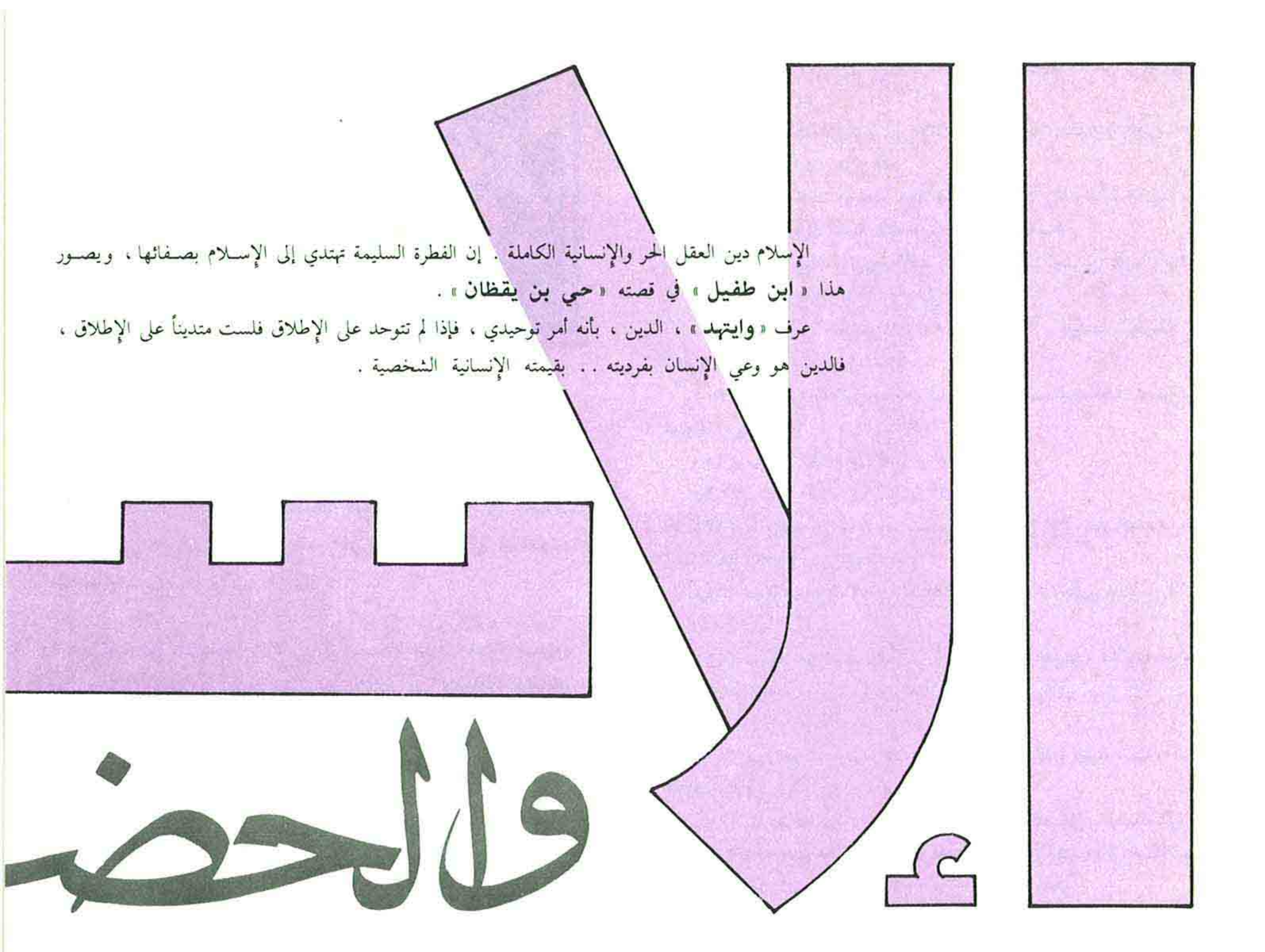
(٢٣) ــ مجلة دراسات عربية ، عدد ١ ، السنة ١٤ ، نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٧ م ، ص ٤٧ .

(٢٤) ــ إحسان جعفر ، مجلة الثقافة العربية ، عدد ٦ ، السنة الخامسة جوان (حزيران) سنة ١٩٦٨ م ، ص ٦٢ طرابلس ليبيا .

(٢٥) ــ مجلة دراسات عربية ، مرجع سابق ص ٤٣ .

(٢٦) ــ مجلة دراسات عربية ، مرجع سابق ص ٣٩ .

(٢٧) ــ انظر صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية (عدد ١٠) فبراير (شباط) ، مارس (آذار) ، إبريل (نيسان) سنة ١٩٦٦ م ، بيروت ص ٢٢٨ إصدار مكتب اليونسكو للتربية في البلاد العربية ، بيروت .



الإسلام دين العقل الحر والإنسانية الكاملة . إن الفطرة السليمة تهتدي إلى الإسلام بصفائها ، ويصور هذا « **ابن طفيل** » في قصته « **حي بن يقظان** » .

عرف « **وايتهد** » ، الدين ، بأنه أمر توحيدي ، فإذا لم تتوحد على الإطلاق فلست متديناً على الإطلاق ، فالدين هو وعي الإنسان بفرديته .. بقيمته الإنسانية الشخصية .

وقد احترم الإسلام الإنسان يوم جعل العلاقة بينه وبين الله مباشرة ، فالمسجد في الإسلام كالقلب المفتوح . إنه بيت الله بدون **حجاب ولا كهانة** ولا وسيط . وهذه هي سمة الإسلام الكبرى .

المسجد في الإسلام مساواة بغير شعارات أو حروف .. فالناس فيه سواء من يحضر أو لا ، يقف في الصف ، ومن يحضر أخيراً يقف في نهاية الصفوف ولو كان أميراً ..

وبهذا الاحترام الكامل للإنسان ، صنع الإسلام حضارته لقاء حمياً بين المادة والروح حين غلبت الحضارات والأديان قبله أحدهما على الآخر .

الإسلام رؤية جديدة للحقيقة ، فحين تستحضر المسيحية ملكوت الله في القلب البشري ، يستحضر الإسلام ملكوت الله في داخل النفس وخارجها وما وراء المحسوس .

ومن هذا كان الإسلام **ديناً وحضارة** شعائر وشرائع .. فرؤية القرآن لله ، **رؤية محيطة** . إن القرآن الكريم حافل بالصور **لكنها ليست للتصوير الحسي .. إنها رؤى ممتدة ..** يقول الله تعالى **﴿ كلمة طيبة كشجرة طيبة ﴾** كيف تصور هذه الآية .

رؤى ممتدة هي انفتاح لا يعادي العقل لكنه أبعد منه مدى .. انفتاح يرى الخلد لا يعني استمرار الزمن ، ولكنه يعني **ما وراء الزمن** .

يقول كارليل Karlile في كتابه « **الأبطال** » : « **لو لم يكن محمد فيه صدق لما استطاع دينه أن يعطي هذه الحضارة كلها** » .

الحضارة هي عطاء الإنسان : **عقله وروحه ووجدانه ويده** . فوقف عقله وراء تجاربه يدرك الأشياء ويربط بينها ويحلل ويستنتج ويستشف ثم يصل إلى جواب لسؤال حاك في نفسه أو طرحه عليه واقعه .

ومن اشراقات روحه اهتدى إلى الدين .

ومن هزات وجدانه أبدع الفن ، وأترع الخلق ، وأمرع الحب .

ومن صنع يده : الإناء والبناء والنسيج والزرع والشجر .

ومن بدع أنامله الرسم والتصوير والنمنمة والنقش على الحجر .

كان خالقه يعرف قدراته حين ركبه في أحسن صورة

وكان ربه يعرف طاقاته حين ميَّزه بالعقل والنطق وعلمه ما لم يعلم .. وأكرمه فكتب وقرأ .

بل كرمه على الملائكة فحمله الأمانة .



جعل له عينين ولساناً وشفتين .. وهداه النجدين ومع البصر البصيرة .

ومع اللسان والشفتين حبال صوتية فتكلم وترنم .

هذه حقيقة .

وقد وقف « **جون ديوي** » طويلاً عند دور الكلام في صنع الفكر الذي يقوم على المسميات والصفات .

ولأمر ما بدأ الوحي في الإسلام بالآية الكريمة ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ .

كانت **هذه بداية كبرى للإسلام** وكانت فاصلاً بين الجاهلية والإسلام الذي هو علم ومدنية وحضارة .

* * *

كتب الإنسان على ألواح الخشب وكأن الشجرة أفاءت على الإنسان الظل والنور في وقت واحد .

على فنن من الشجرة غرد الطير وأرسل النغم .

بقلم : د . نعمات أحمد فؤاد

وعلى لوح من الشجرة غرد الإنسان وكتب بالقلم .

وبلا شك قبل أن يكتب الإنسان ، تكلم .

لا بد أن يكون الإنسان أحدث أصواتاً حين يفرح .. أو حين يصيح غاصباً مهتاجاً .

ولا بد أن يكون الإنسان ، قد استحدث أصواتاً يقلد بها زفيف الريح أو حفيف الشجر ، أو زفيف النسمة ، أو هسيس الموج على الحصى ، أو خرير النبع ، أو هدير البحر ، أو زقزقة العصفور ، أو هديل الحمام ، أو بغام اليمام أو حتى ثغاء الشاة ومواء القطة .

لا بد أن هذه الأصوات جميعاً لفتته أو أدهشته ، أو فتنته .. فحاكاها .

وسار الزمن .. وسار الإنسان .

الزمن يجدد دورته .. والإنسان يصنع حضارته .. ابتداء بالوسائل وتطوراً إلى الغايات .

وقد زكاها جميعاً الإسلام ودعا الإنسان إلى رعايتها رعاية جامعة **متوازنة يثري** بها ، في شمول ، روحه وجسمه معاً في توفيق دقيق ، وحقيق .

ولكن بين المرحلتين أي الوسائل والغايات ، بون شاسع وبعد بعيد ، **فأرنولد توينبي** يذهب إلى أن أقدم أثر اصطنعه الإنسان في رحلته مع الحياة ، أو قصته مع الحضارة يرجع إلى ثلاثمائة ألف سنة ، وإن كانت آراء أخرى تهبط بهذا الرقم كثيراً لا سيما العهد القديم الذي يحدد عمر البشرية بسبعة آلاف سنة (**النص اللاتيني**) أو ستة آلاف (**النص الإغريقي**) حين جاء **روبرت هوك** ROBERT HOOKE في عصر العلم واستقرأ طبقات الأرض فأكدت الجيولوجيا أن عمر الأرض أضعاف هذا الرقم .

الجيولوجي **الدكتور نصري شكري** في مقاله (**قصة الأرض**) يقول إن لكل وحدة تاريخ شيق . . فالنيل بمعناه الواسع ، تاريخ يربو على خمسين مليوناً من الأعوام انتقلت فيه دلتاه من الفيوم إلى الصحراء الغربية ، إلى مكانها الحالي .

بل إن لكل قطعة من حجر الصوان المنتشر في الصحارى قصة تصل إلى مائة مليون عام .

ولكن أكبر من هذا كله وأشمل وأصدق ، وصف القرآن الكريم لله جل جلاله بأنه ﴿ هو الأول والآخر ﴾ (سورة الحديد ، الآية ٣) .

عمر الأرض مليون سنة أو ألف مليون سنة ، أو غير هذا . . **الله هو الأول والآخر** .

وانعكس هذا على الفن الإسلامي بما يشهد به **غير المسلمين** ، في وفاء للحقيقة هو تجرد وتجريد يرتفع إلى أفقه ، الإنسان ، إزاء الحقائق الساطعة والناصعة . يقول **الدكتور بشر فارس** في كتابه النافذ « **سر الزخرفة الإسلامية** » :

« على المؤمن أن يتوجه بكيانه إلى الله ، فالله مصدر جذبه وغاية سعيه في آن واحد . وفي القرآن الكريم **﴿ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾** (سورة البقرة ، الآية ١١٥) .

وفيه أيضاً **﴿ ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون ﴾** . هذان معنيان لا يفتأ كتاب الإسلام يرددهما .

من هنا لدونة الزخرفة الإسلامية وقد آل بها المطاف بين يدي الإسلام أن عتقت من الواقعية الهلينية ، وخلصت من الصلابة الفارسية . فلا مبتدأ لها ولا منتهى ، وما يجوز لها أن تطمع في أحد منهما ، لأنها تسعى وراء الله الذي **﴿ هو الأول والآخر ﴾** (سورة الحديد ، الآية ٣) . منه تبتدئ الأسباب وإليه تنتهي المسببات .



★ ابن طفيل ★

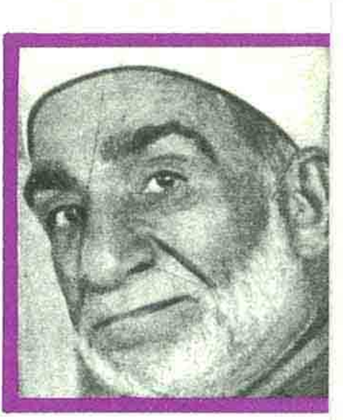
وبفضل اللدونة نرى « الوحدة » في الزخرفة الإسلامية دوارة تارة وتارة متوترة . . وهي ، في أكثر الأحوال ، تلتوي وقلما يدركها البهر . . ووجهتها ، أبداً ، ما لا حد له ، فهي ماضية بلا ملل . . . وهيهات أن تبلغ ما تهدف إليه ، فشأنها شأن إيقاع يترنح منقاداً للصبر » .

وإن كنت أرى مع **الدكتور زكي حسن** أن الوحدة في الزخرفة الإسلامية تتوقف أحياناً عن المضي بعد أن زايلها الشعور بالخوف من الفراغ متأثرة بالفن الصيني .

ولعل **الدكتور بشر فارس** أحس بصعوبة التركيز فجنح إلى التطبيق قائلاً : « إن التفاف العرق بوروده وأوراقه ، كذلك انبساط السطوح ، يقفان فجأة أحياناً ، أو يتكسران حتماً على الحواجز ، عند أطراف الساحة التي تستقبل المنمق . أترى يرضى الالتفاف والانبساط بهذه الهزيمة ؟ كلا ! أما العرق فلا تختتم مداته ، وأما السطح فلا تلتحم أضلاعه . . . بل كل يصل إلى المدى المقدر له وهو في فوران نشاطه : أما عند رأس انثنائه ، وأما في قلب اشتباكه ، كأنما يتأهب لاستئناف الاندفاع ، فيدعوك إلى أن تثب وراءه في الخلاء ، لعلك ، عن طريق التخيل تلاحق جولاناً صدمته قسوة الواقع . . . تلك نشوة مشت في الخط تنبئك أن أفق الغيب المستغلق دون المؤمن مشغلة دائمة لذوقه » .

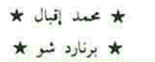
* * *

وهكذا يكون الإسلام مدداً للحضارة ، وسنداً للفنان أي

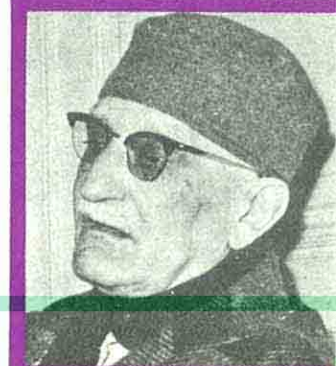


★ الشيخ شلتوت ★

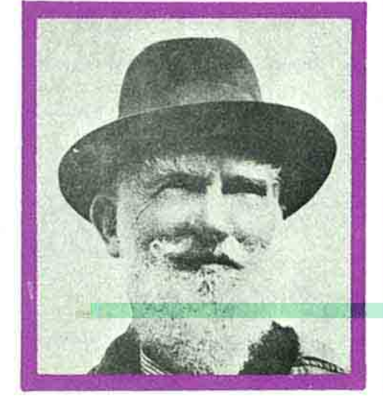




★ محمد إقبال ★



★ عباس العقاد ★



★ برنارد شو ★

الإنسان المتحضر . وإذا كان فن الأدب يفقد الكثير حين الترجمة ، فإن التشكيل له قدرة على الاقناع والامتاع عبر حواجز الجنس والمسافة واللسان .

والقرآن الكريم فيه توجيه لروائع الخلق : ﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ﴾ ، ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله ﴾ .

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رفعت . وإلى الجبال كيف نصبت . وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ .

وفي القرآن الكريم توجيه للنور والظلال : **﴿ والشمس وضحاها . والقمر إذا تلاها . والنهار إذا جلاها . والليل إذا يغشاها . والسماء وما بناها . والأرض وما طحاها . ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ .**

والإبداع الفني لغة عالمية مغروسة في نفس الإنسان . وبعض الإبداع متاح حتى بغير تعلم . . ولكن هناك إبداع مشحون بمجاهدات روحية . وهذا مقصور على من وهب :

- حسن التلقي .
- الرغبة . أي التشوق والتشوف إلى ارتقاء درجات أعلى وأرحب من النمو الروحي للإنسان .

إنها الرؤية القلبية التي يشيد بها القرآن .

﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض ﴾ .

﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ .

﴿ خلق الله السموات والأرض بالحق ﴾ .

﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ (سورة لقمان ، الآية ٢٧) .

كلمات الله .

هذه الكلمات مادة لحياتنا في العلم والفن والدين نصوغ منها بمختلف المواهب صوراً شتى .

فتح من الله وفيض هذه الرؤية القلبية ولهذا يعتبر المتسرع في الحكم على الخلق في الكون أو الفن ، قاتل . . . قاتل للقيمة وقاتل لنفسه حين وكل لسانه بقطع رسائلها عنه . إن الثرثرة وإلقاء الأحكام بلا تثبت ، تزحم السكون بالضوضاء ، فلا يسمع المشاهد الأصوات الدقيقة الهامسة الآتية من أعماق النفس ، متلاقية أو متوازية ولكنها متحابة . **﴿ قم الليل إلا قليلاً ﴾** القيام هنا هو التأمل . . الخلوص من الاهتمامات الصغيرة بالنهار .

يعدد الدارسون الفنون بأنها فن الأدب والرسم والنحت والتصوير والموسيقى . . وننسى فن الرؤية . . فن التلقي . . **فن البصيرة** الذي هو باب من أبواب الحياة .

وهذا الباب فتحه القرآن الكريم على مصراعيه في دعوة دائمة ودائبة للتأمل .

والإسلام المتحضر ، يدعو إلى الجميل في العمل والقول حين زكى الحسنة . والحسنة من الحسن . والحسن هو الجمال . والعمل الجميل هو الذي يرضي (كل) الإنسان أي ذوقه وعقله ومشاعره .

والشيخ شلتوت يقول : **« المعروف ما تعارفت عليه الفطر »** .

ومن هنا جاءت تسمية المنكر .

ولأمر ما تشابهت الحروف أو تماثلت بين الطيب (بفتح الطاء) والطيب (بكسرها) .

والإسلام يطلب إلينا ، فعل الجميل بما فيه من قدرة على **التكامل** ، تضاهي قدرة العلم على **التحليل** .

والإيمان ليس الشهادتين فحسب . إنه عملية صعبة . إنه تجربة كما يقول **« إقبال »** فيلسوف باكستان :

تجربة كالعلم سواء بسواء في محاولة كشف الذات بوصفها فرداً أعمق من نفس الفرد العادي القابلة للوصف التصويري .

الإيمان إحساس بالكون الشامل كما خلقه الله . إنه استجابة (كل) الإنسان (لكل) الحقيقة .

إنه اتحاد بالكون . . .

وكما لم يمل الإسلام الدعوة إلى التأمل ، لم يكف عن الدعوة إلى العمل منبعاً من منابع ثقافة الإنسان ومنبعاً لإيمانه أيضاً .

وحين يقول ﴿ **رب زدني علماً** ﴾ أي قوني على العمل .

والعمل غير أكل العيش .

الوظيفة الأساسية للعمل هي **تشكيل الذات وتحقيقها** والارتفاع بها على المستوى الطفلي الذي ولدت به إلى المستوى الذي دعا إليه القرآن .

العمل الذي يتفتح به القلب على بحر الحياة اللامحدود بتواصله وتوحده معه . . بوعيه بدوره فيه . .

والنفس مشوقة إلى هذا اللقاء لكنها لا تعرف الطريق إلا قليلاً . . .

والطريق أن **تتوحد بالعمل** وإلا أصبحت النفس أشتاتاً متعاركة .

ويعم التطاحن من أجل الوجود . . .

ويصبح الكون عبثاً في عبث **حين تفتقد النفس ، المعنى** .

ومن المؤلم أن هذه سمات العصر ، لانحراف معنى العمل . . أو لغياب العمل الحقيقي فلم يحقق الفرد ذاته في ظل الحشدية . ومن هنا أدان « **برنارد شو** » الحضارة الغربية في كتابه (**دليل المرأة الذكية**) وأدان « **ديوي** » أميركا في كتابه عن الفردية القديمة والحديثة :

في عصرنا يركز الإعلام على **القيمة الاقتصادية** للعمل وينسى دائماً **القيمة الإنسانية للعمل** . العمل المترع ببشرية العامل أي حب صاحبه له ، لا العمل الذي تستطيع الآلة الإليكترونية أن تؤدي أضعافه . . .

إن الحضارة ، قيمة .

والعمل قيمته في **الخلوص له** . . . والخلوص نقطة لا تُرى . . . نقطة تلاقي الكيان الإنساني بمذخوره ، مجمعاً ، في سن القلم أو الريشة عند ملامستها للصفحة أو اللوحة .

هنا يكون العمل **عطاء قلب . . وفيوض روح .**

وهذا تفسير الحديث (**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه**) والعمل الحديث يبدو أنه نسي هذا المعنى . إنه يضفي على الإنسان خيرات مادية لكنه يسلبه إنسانيته . . . أي يحوله إلى آلة .

لا استغناء عن الآلة .

لا عودة إلى الوراء .

ولكن ما نريده هو استئناس وتصحيح الآلة .

لقد قتلنا كما يقول **هكسلي** ، « الكرافت » أي الصنعة اليدوية .

إننا الآن نشبع « الآلية » في الحياة الحديثة ، الحاسب الإليكتروني حين يحرر الإنسان من الأعمال الصغيرة ، مقبول كما حررت المطبعة ، المؤلف ، من النسخ .

ولكن العقل الإليكتروني حين يلغي عمل الإنسان أو يطغى عليه مرفوض . إن العمل إيمان .

والحضارة في عصور زهوها ، **عمل جوده أصحابه** لإيمانهم به وتحقيق ذاتهم من خلاله .

إن أزمة الإنسان المعاصر ، أن التربية الحديثة عنيت بذهنه دون وجدانه ، فعجز عن إيجاد المعادل المعنوي للتقدم العلمي .

إن البحث العلمي الحقيقي تجربة وتجرد . وعصرنا امتاز في الوسائل من تليفون (مسرة) وبرق ، إلخ ولكنه يفتقد القيمة التي تتركز في **الدين والفضيلة** .

والإسلام قيمة كبرى **لعناقه مع الحياة في ود موصول** يطبع حضارته بفنونها وعلومها حتى غدا له **طابعاً** . يقول **م .س . ديماند** في كتابه « **الفنون الإسلامية** » :

« يمتاز الفن الإسلامي بتنوع عظيم أصاب نواحيه وأشكاله وصناعاته وزخرفته وأقاليمه ورجاله ، وهذا التنوع بلغ من الشدة حداً يصعب فيه كثيراً أن نجد فيه تحفتين متماثلتين ومع ذلك يمتاز **بوحدته** » .

الواحد هو الأصل في العدد . . وفي الكون . . والتنوع هو الظاهرة الكبرى في الطبيعة . . والفن الإسلامي لم يعط الصورة إنساناً أو شجراً أو نهراً « **كينونة** » لأنه اعتبرها ظلالا عابرة في طريق تطلعه الدائم إلى ما وراء الطبيعة . إلى الله الواحد .

وحين تمثل الفن الإسلامي هذا المعنى ، خرج خلاصة مقطرة للحيوية والحياة .

إن الإسلام يتجاوز بالتوحيد ، النطق بالشهادتين ، إلى **توحيد الذات** فلا انفصام ولا تشقق ، **وتوحيد المجتمع** فيبرأ من التشيع والتطاحن ، **وتوحيد العالم** نحو القيمة الكبرى أي الله .

وحين كرم الإسلام ، **الإنسان** ، بالحرية والشورى ، وإرادة الاختيار ، ودعوة التأمل والتفكير ، حتى ليقول **الأستاذ العقاد** « **التفكير فريضة إسلامية** » . . كان أكثر من طقوس كان قيماً ومبادئ .

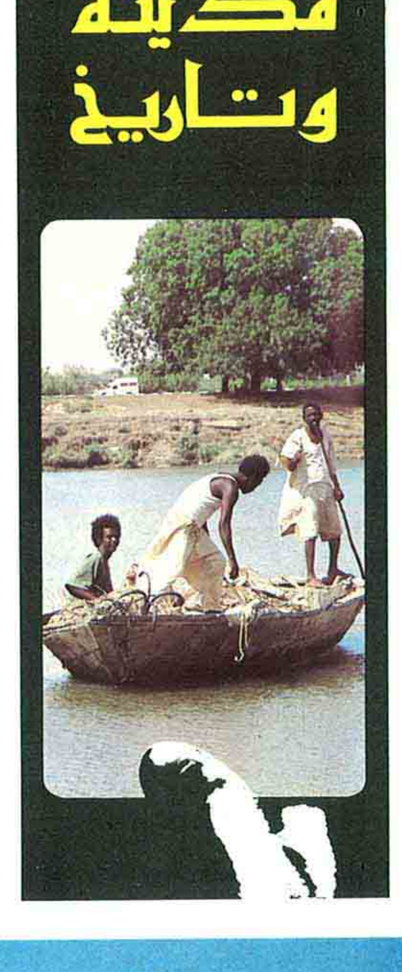
اعتد الإسلام بالثراء الداخلي للإنسان من صفاء الذات ورهافتها وكرامتها .

الإنسان في الإسلام هو نفسه موضوع وشخصية ، **والمجتمع الإسلامي** موضوع وتشريع . .

والعالم في الإسلام ، رؤية جامعة .

وهو بهذه الأبعاد كلها ، حضارة وثقافة وأسلوب رسالة .

مدينة وتاريخ

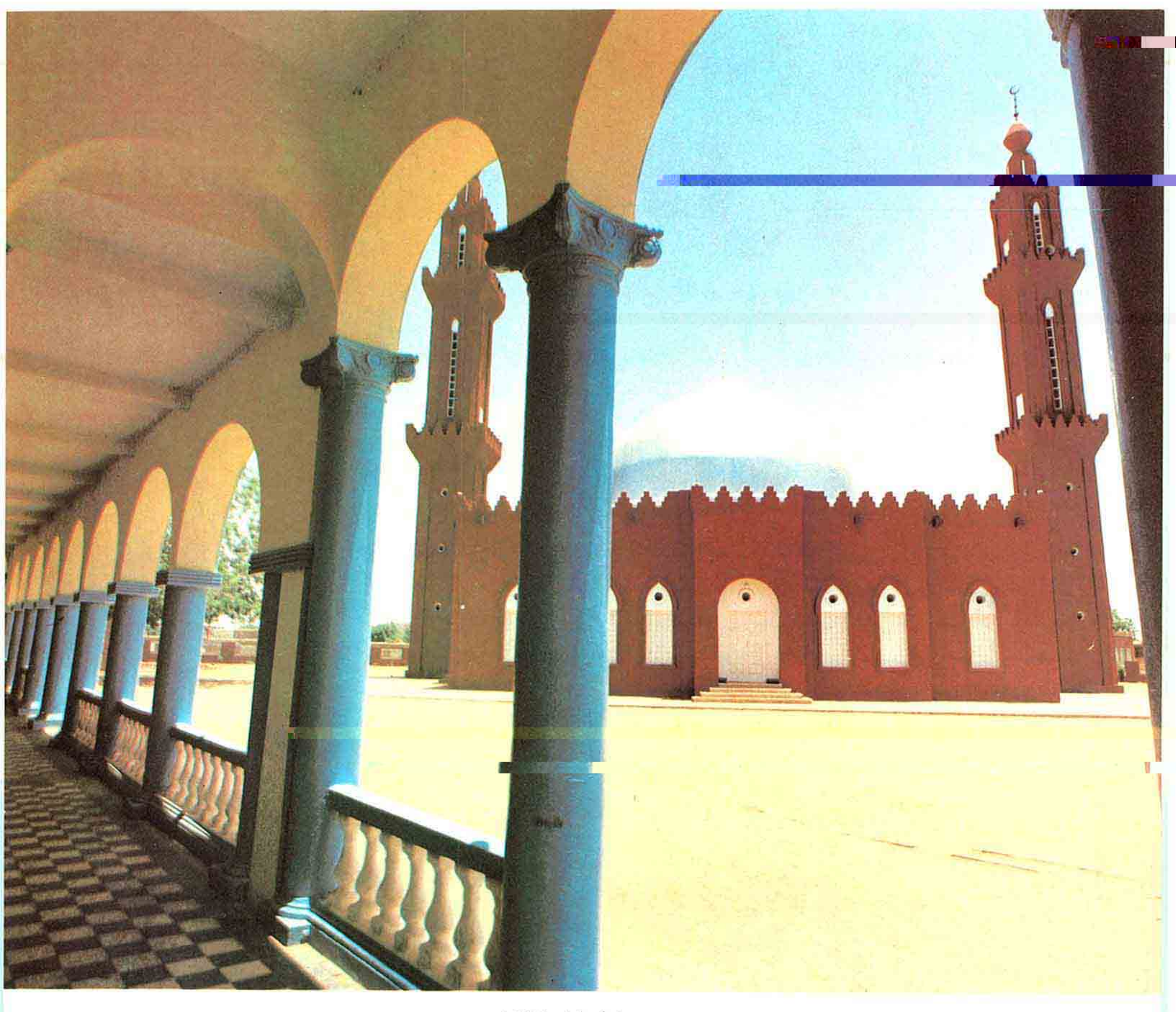


امدرمان
مدينة العلماء

بقلم: د. عباس محجوب

يرى بعض المؤرخين أن مخلفات قديمة أثبتت أن منطقة أم درمان كانت آهلة بالسكان من عصور قديمة، وأنها كانت محطاً للقوافل التجارية القادمة من غربي السودان ومن الشرق العربي والقطر المصري، وأن بطليموس الثاني الذي استولى على مصر عام ٢٨٥ قبل الميلاد قد وصلت بعثاته إلى سواكن شرقي السودان حيث اتخذت مركزاً تجارياً لحاصلات السودان ولتقوية الصلة بين تلك البعثات وتجارة سن الفيل والذهب وريش النعام، فقد حفرت تلك البعثات عدة آبار بين سواكن وبربر وشندي وأم درمان، وقد ورد اسم أم درمان أيضاً في مؤلفات العصر المسيحي في السودان الذي انتهى عام ١٥٠٤م.

★ قاعة المؤتمرات أحد المباني الحديثة في أم درمان ★

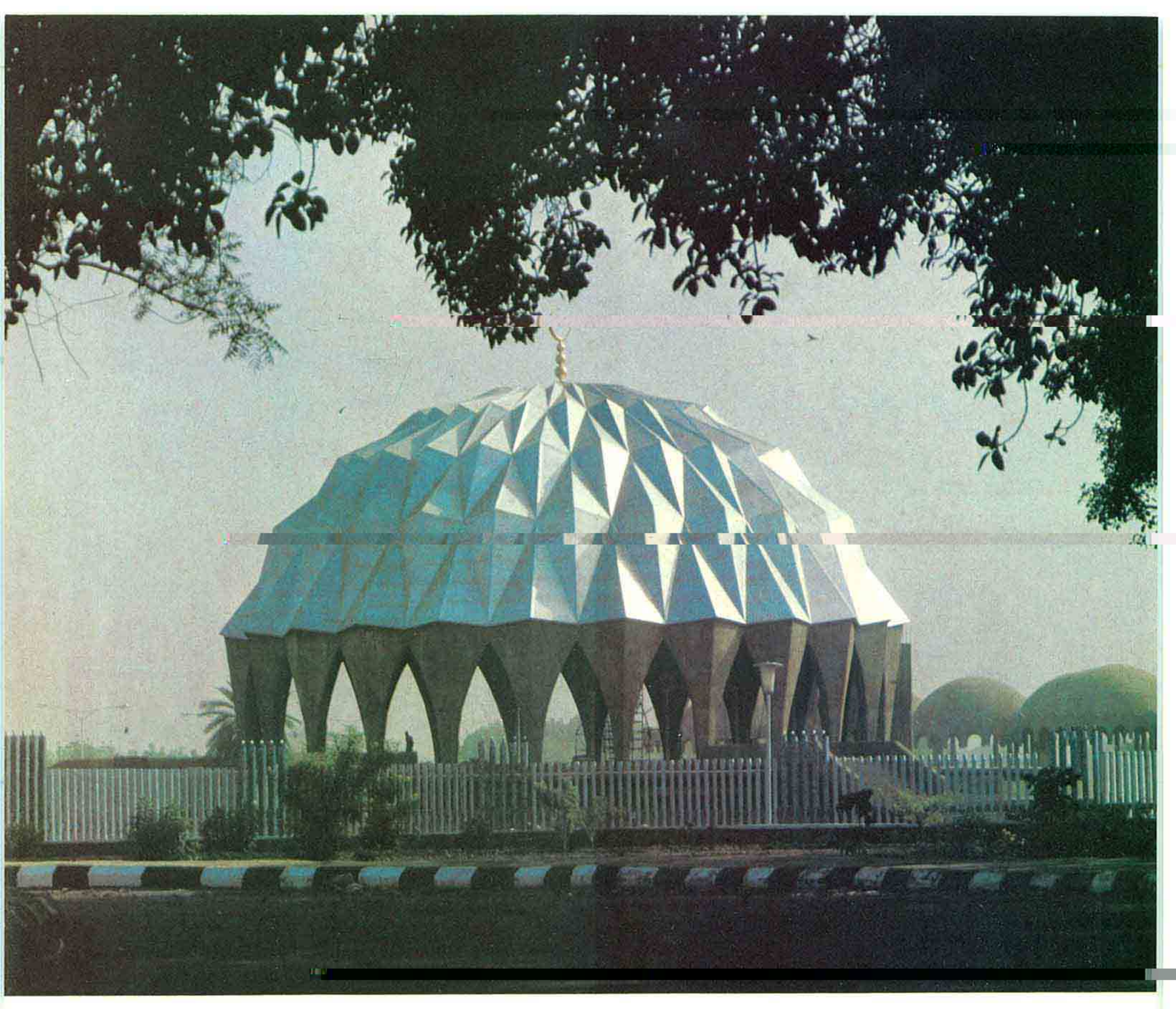


★ أحد المساجد التاريخية ★

ومن المؤرخين السودانيين القدامى الذين أشاروا في كتاباتهم إلى أم درمان **الفقيه محمد نور ود ضيف الله الجعلي** في كتابه (الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان) والمشهور باسم «**طبقات ود ضيف الله**»، وذلك عندما تحدّث عن الشيخ ـ حمد ولد أم مريوم ـ كذلك أشار **الشيخ أحمد بن الحاج**، المعروف بكاتب الشونة، في كتابه عن تاريخ السودان، الذي اعتمد عليه جميع من أرخوا للسودان القديم من أجانب ووطنيين، أشار إلى أم درمان في أحداث عام ١٢٢٠هـ، كما أشار إليها في أحداث عام ١٢٣٦هـ، حين ذكر أن **إسماعيل باشا** قد نزل بأم درمان بالجانب الغربي مقابل **الخرطوم**، كما يشير إلى دخول عثمان بك أم درمان ونزوله بها أياماً عام ١٢٤٠هـ.

أما عن أم درمان في عهد «**الفونج**» ما بين عامي ١٥٠٥ ـ ١٨٢٠م، فإن (**مكمايكل**) يرى أنه ليس هناك ما يدل على وجود قرية أم درمان قبل أيام (**حمد ود أم مريوم**). أما (**سير سفيلد هول**) فيقول: «إن حمد ود أم مريوم، كانت له مساجد و(خلاوي) بما يسمى أم درمان وقد نزل تلك القرية على أثر نزاع مخرب مع رجل اسمه **عبد المحمود أبو شيبة النوفلاي**، واستقر في حلة حمد التي هي الآن جزء من الخرطوم بحري».

أما «**نعوم شقير**» فيذكر أنها كانت حلة صغيرة قائمة في سهل فسيح رملي لا شجر فيه وكانت محطاً لرحال تجار الغرب قبل دخولهم الخرطوم.



★ مسجد النيلين ★

سبب تسميتها بأم درمان

ذكرت تعليلات كثيرة عن سبب تسميتها بأم درمان إلا أن أقربها للقبول أن امرأة كانت تسكن في ذلك المكان ولها ابن يسمى (**درمان**) فكان الناس يقولون : أتينا من محلة أم درمان . ويذكر **المؤرخ المحقق الدكتور إبراهيم أبو سليم** أن هناك من الروايات عن أصل التسمية ما يفيد إلى أنه يرجع إلى **عصر (العَنج)** السابق لعهد (الفونج) وأن المرأة التي أشرنا إلى تسمية المكان باسمها كانت من بنات ملوك (العنج) وكانت تسكن منزلا مبنياً بالحجارة ومحاطاً بسور متين ، وأن آثار هذا المنزل كانت إلى عهد قريب في حي (**بيت المال**) المعروف بأم درمان الآن .

ويغلب على الظن أن (درمان) هذا اختصار لاسم عبد الرحمن لأن كثيراً من قبائل غربي السودان تنطق عبد الرحمن (درمان) اختصاراً .

السكان

لم يتعرض المؤرخون كثيراً للسكان في ذلك العهد إلا أن سائحاً اسمه (**براون**) وصف أم درمان التي زارها عام ١٧٩٨ م ، ووصف سكانها بأنهم مسلمون يتكلمون العربية ، وأنها كانت معبراً للتجارة مع غربي السودان .



★ النيلان الأزرق والأبيض وفي وسطهما تبدو جزيرة توتي ★

الأبنية

ذكر «مكمايكل» في أحداث عام ١٧٨٤ ـ ١٧٨٥ م، أن (تيراب) حاكم (دارفور) قاد جيوشه حتى وصل إلى أم درمان وبنى بها بناءً من الحجر، وقد سبق أن ذكرنا في تسمية أم درمان أن تلك المرأة كانت تسكن بيتاً مبنياً بالحجارة ومحاطاً بسور.

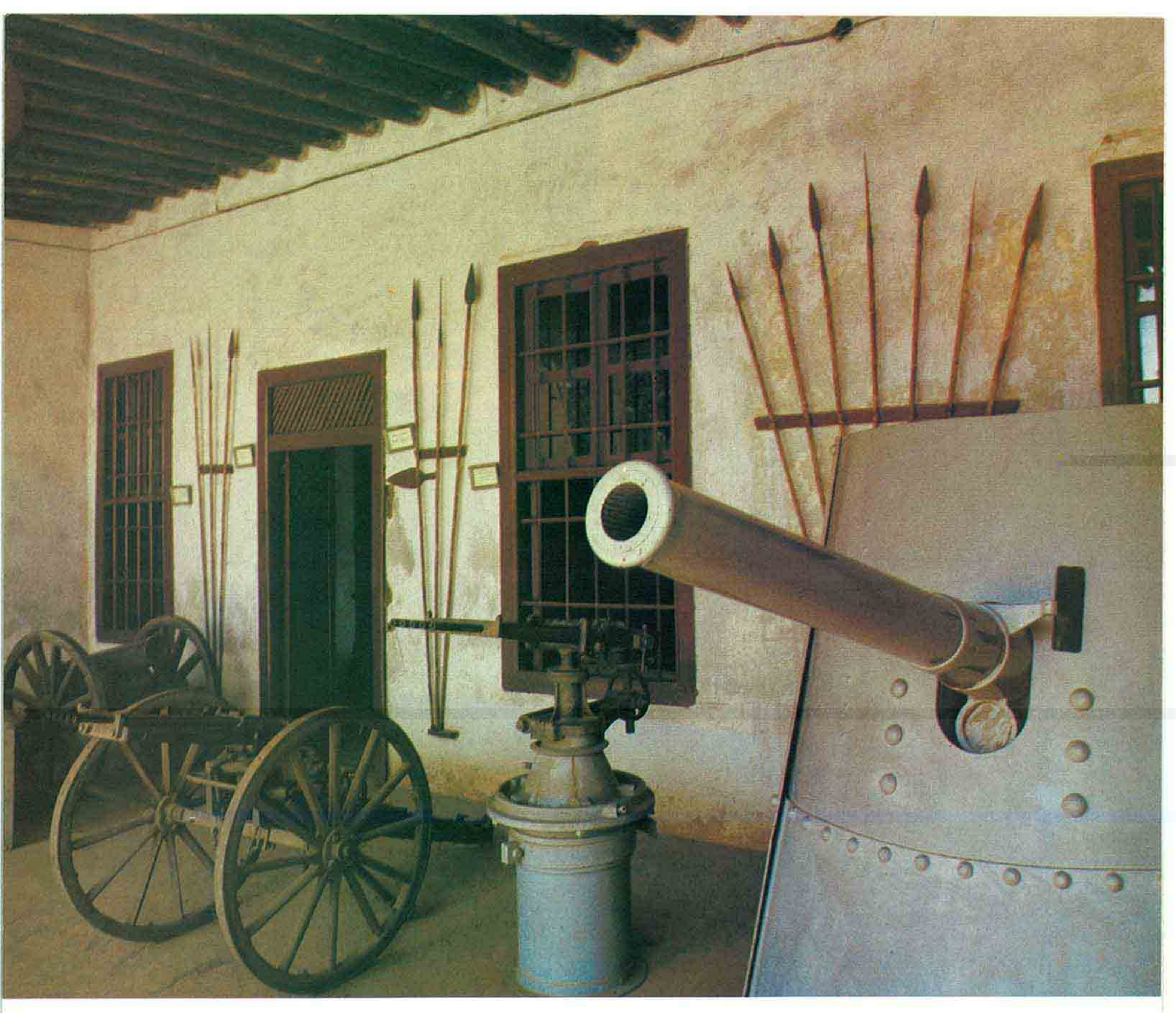
أما بيوت العامة فكانت من القش (والبروش) السعف.

العلم والعلماء

لم تذكر المصادر القديمة شيئاً عن **الحركة العلمية** آنذاك، إلا أن بعض الشخصيات التي ذكرها «ود ضيف الله» عرفت بالعلم مثل الشيخ «حمد ود أم مريوم» الذي ذكر بأن له مساجد و (خلاوي) لتحفيظ القرآن ودراسة علومه، كما ذكر «مكمايكل» أن الشيخ «**كمتور**» الذي تآمر على قتل ملك «الفونج» وقبض عليه في أم درمان كان انقاذه من الموت بواسطة العلماء ورجال الدين مما يدل على أن العلماء كان لهم شأنهم ونفوذهم في أم درمان.

نشأة مدينة أم درمان

يعتبر سقوط مدينة الخرطوم في يد **الإمام محمد أحمد المهدي** في يناير (كانون الثاني) عام ١٨٨٥ م، بداية عهد أم درمان لتكون مدينة ثم



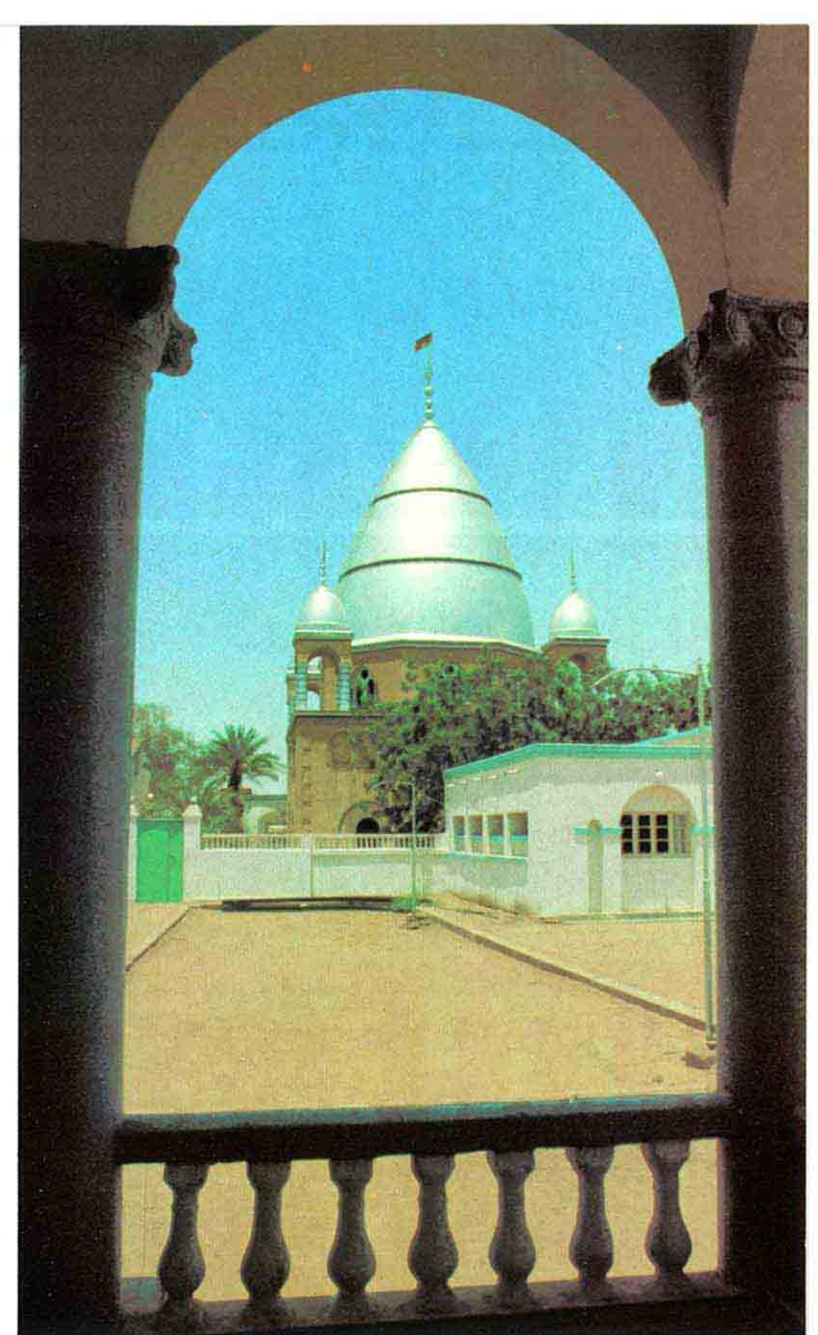
★ من آثار متحف الخليفة في أم درمان ★

عاصمة وطنية ، وقد كان المهدي يعسكر في **قرية أبي سعد** التي تبعد عن أم درمان بنحو عشرة أميال ، وكان المهدي قد أرسل « لفرج باشا » قائد حصن أم درمان يطلب منه التسليم فلم يرد عليه ، فكلّف الأمير « **حمدان أبو عنجة** » بحصار طابية أم درمان ، فعزم ذلك القائد ألا ينزل من فرسه إلا عند مكتب التلغراف بأم درمان ، ليقطع الصلة بينها وبين

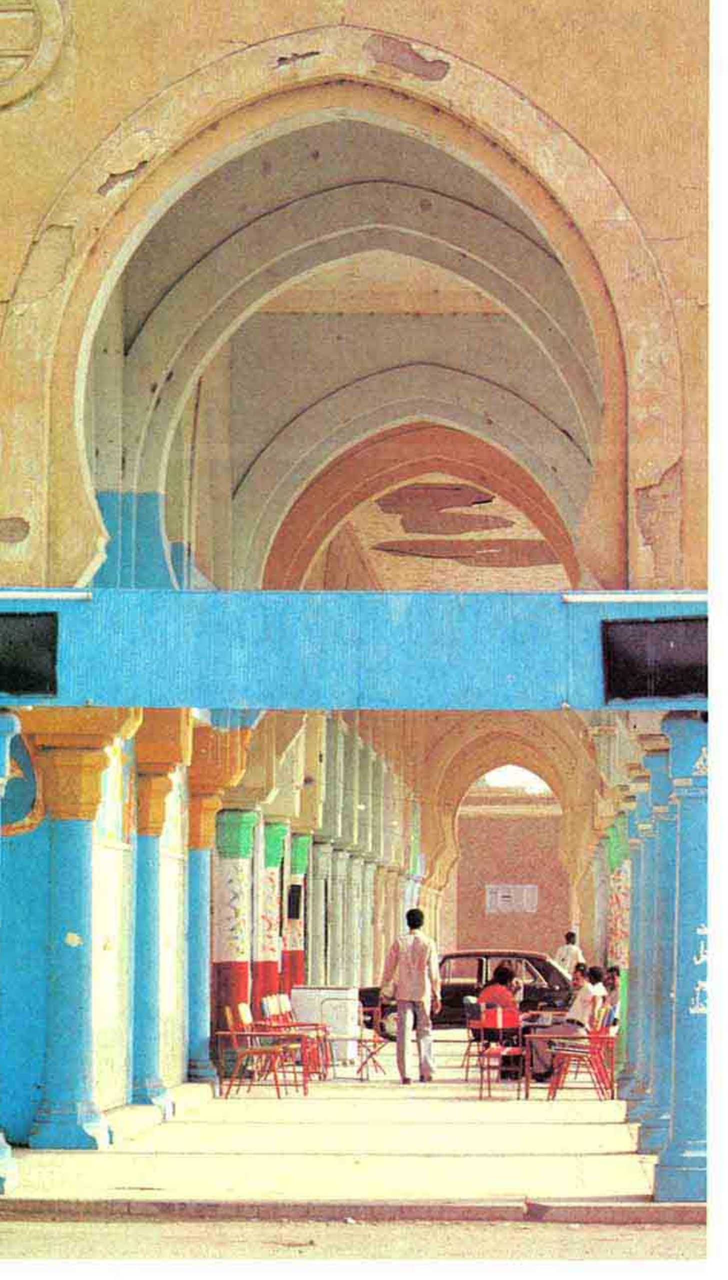
الخرطوم العاصمة ، وكان الأمير يشجع جنوده على اقتحام القوات المعترضة حتى وصل إلى مكتب التلغراف فاحتله بعد استشهاد ما بين ٣٠٠ ـ ٥٠٠ جندي من جيشه ، ثم حاصر جنود المهدي **طابية أم درمان** من منتصف محرم إلى نهاية ربيع الأول عام ١٣٠٢هـ ، حيث استسلمت أم درمان لجيش المهدي .

أما عن أسباب اختيار الإمام المهدي لأم درمان عاصمة بدلا من الخرطوم ، فإن المؤرخين يذكرون أنه لم يرد اتخاذ عاصمة الأتراك عاصمة له ، بل إنه كان يرى في جيشه جيش جهاد وليس جيش استقرار ، فقد ذكر « **رودلف سلاطين باشا** » في كتابه « **السيف والنار** » أن المهدي صرح في المسجد الكبير بأم درمان أنه رأى رؤية تأمره بنقل الخلافة إلى الشام بعد التغلب على مصر وبلاد العرب ، إلا أن موته المبكر قضى على جميع آماله في الحياة .

وقد بنى الأمراء وكبار قادة المهدي منازلهم في الناحيتين الجنوبية والشمالية من مسجد المهدي وحجرته ، بينما بنى مسجده في الناحية الغربية وتبعهم الأنصار حتى أصبح المكان معسكراً ضخماً لجيش المهدي .



★ جامع الخليفة ★



★ جانب من سوق أم درمان ★

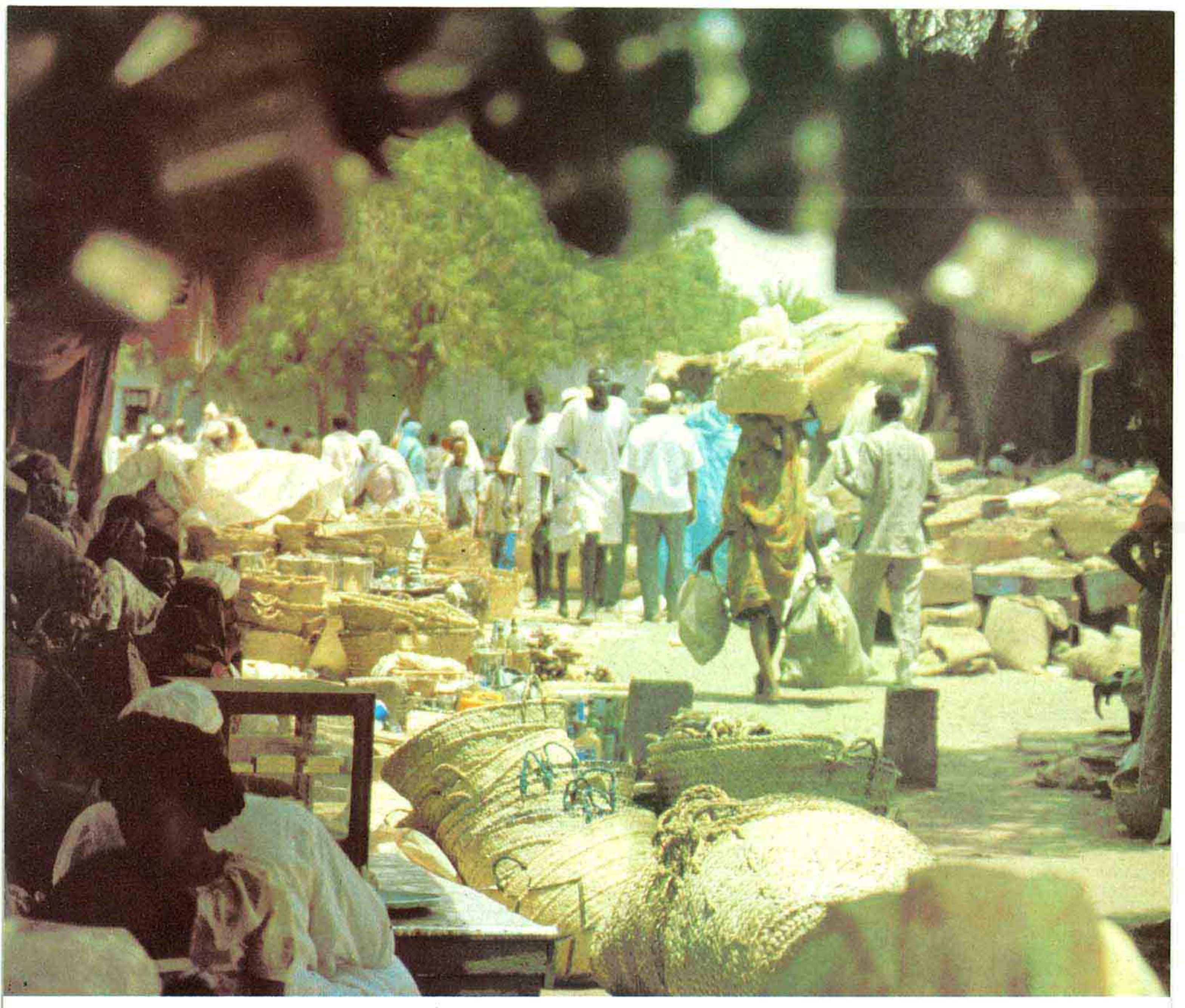
وبعد وفاة الإمام المهدي عام ١٨٨٥ م ، خلفه الخليفة **عبد الله التعايش** الذي أخذ لقب « **خليفة المهدي** » ، وتوسعت المدينة في عهده ، **وانتشرت المنازل المبنية بالطين والطوب** إلى جانب الجلد والسعف ، كما بنى الخليفة « قبة » فوق ضريح المهدي ، وبنى **بيت الأمانة وبيت المال** ، وقدر طول المدينة جنوباً وشمالا بستة أميال ، وعدد السكان عام ١٨٩٥ م ، بأربعمائة ألف نسمة .

أسماء المدينة

أطلقت على مدينة أم درمان عدة أسماء ، فالمهدي أطلق عليها اسم « **البقعة** » أو البقعة المباركة أو الطاهرة ، وأطلق عليها « **دار الهجرة** » وكان أنصار المهدي يصفونها مفتخرين بها فيقولون : « **بقعة أم درمان أمان الخايف ما يأباها غير الخايب** » ، ويقولون : « **أم در أمان** » أي يحظى بالأمان من عاش فيها ، وأطلق أنصار المهدي عليها « **دار الفلاح** » و « **مدينة المهدي** » و « **مركز الإرشاد** » ، **ولكن اسم أم درمان طغى على هذه المسميات ، ولا يذكر الناس منها الآن إلا اسم** « **البقعة** » التي إذا أطلقت مجردة دلت على مدينة أم درمان .

أم درمان الحديثة

أنشئت مدينة الخرطوم على الطراز الأوروبي من حيث التخطيط



★ سوق شعبي ★

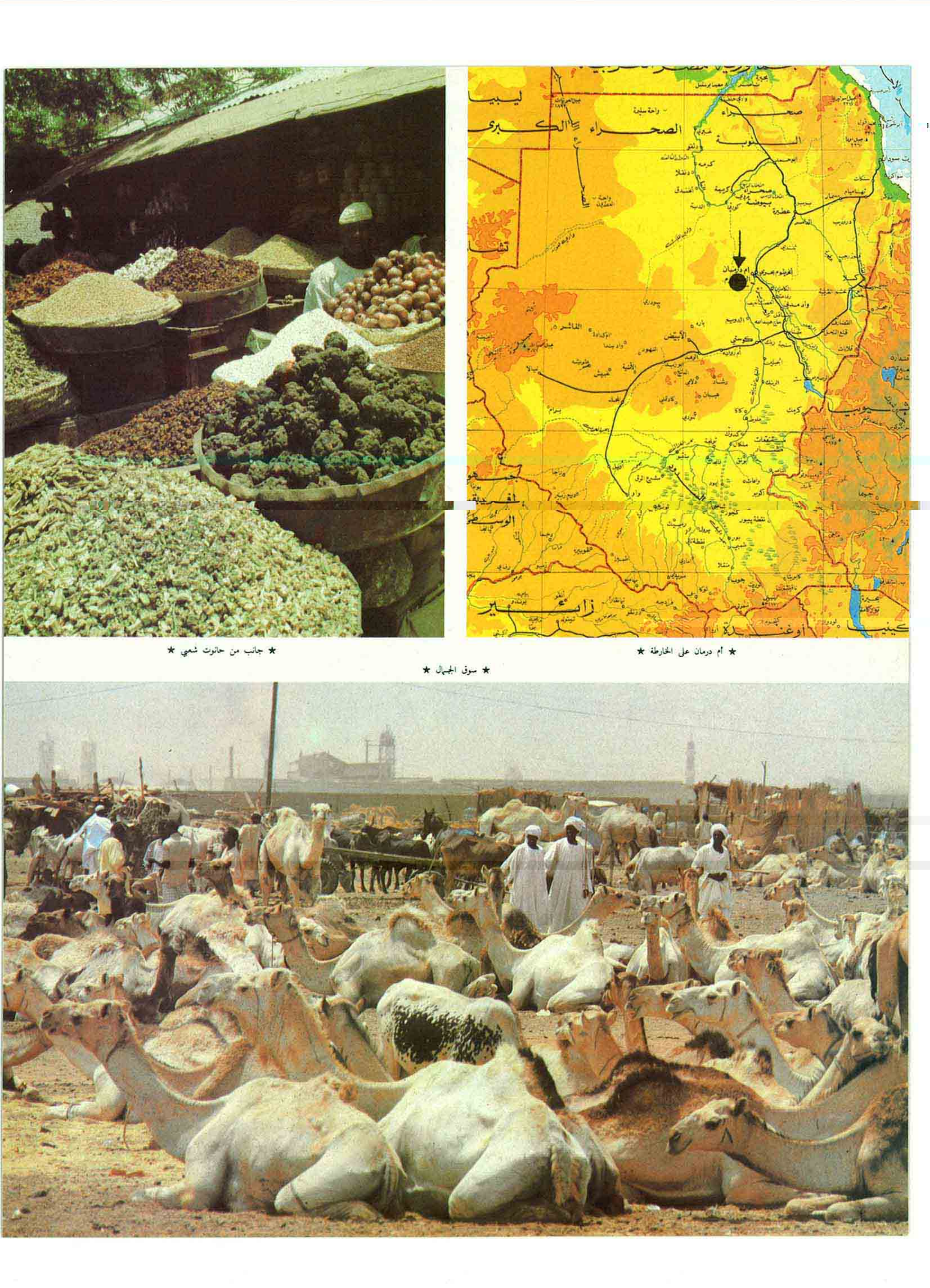
والبناء ، كما أنها كانت سكناً للأجانب ومن على شاكلتهم إلا في أطرافها ، **أما أم درمان فقد نشأت على النمط الإسلامي العربي** باعتبارها العاصمة الوطنية والتي تطورت محتفظة بسمات المدينة متميزة بطابعها الخاص من حيث البناء والتخطيط والسكان .

وقد تقلص سكانها بعد هزيمة المهدية على يد الإنجليز ، وعادت أغلب القبائل إلى أماكنها التي جاءت منها إلى أم درمان نصرة للمهدي وطلباً للجهاد ، وقد أعيد تخطيط المدينة ، وفتحت فيها الشوارع الواسعة ، وتغيرت فيها الأبنية وامتدت شمالا وغرباً وجنوباً ، واستقرت فيها العائلات العريقة من مختلف قبائل السودان .

ولا زالت أم درمان تعتبر العاصمة الوطنية ، لأن جميع مظاهر الصحوة الوطنية واليقظة الفكرية نبعت منها ، فالمقاومة الوطنية للاحتلال الإنجليزي نبعت منها متمثلة في الجمعيات الأدبية والسرية التي تمخض عنها ثورة ١٩٢٤ م ، ثم حركة الخريجين وناديهم المشهور ومراكز الأحزاب السياسية والاحتفالات التاريخية في السودان وقادة الحركة الفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية . أما من حيث النهضة التعليمية ، فإن حركة التعليم الأهلي ازدهرت فيها حيث أنشئت عام ١٩١٢م ، **مدرسة الهداية القرآنية** التي تطورت إلى مدرسة أولية عام ١٩٤١م ، بالإضافة إلى **مدرسة أم درمان** الأهلية أم التعليم الأهلي .

معالم أم درمان التاريخية

●● **جامع الخليفة** : أو المسجد الكبير ، وقد كان المسجد فضاءً



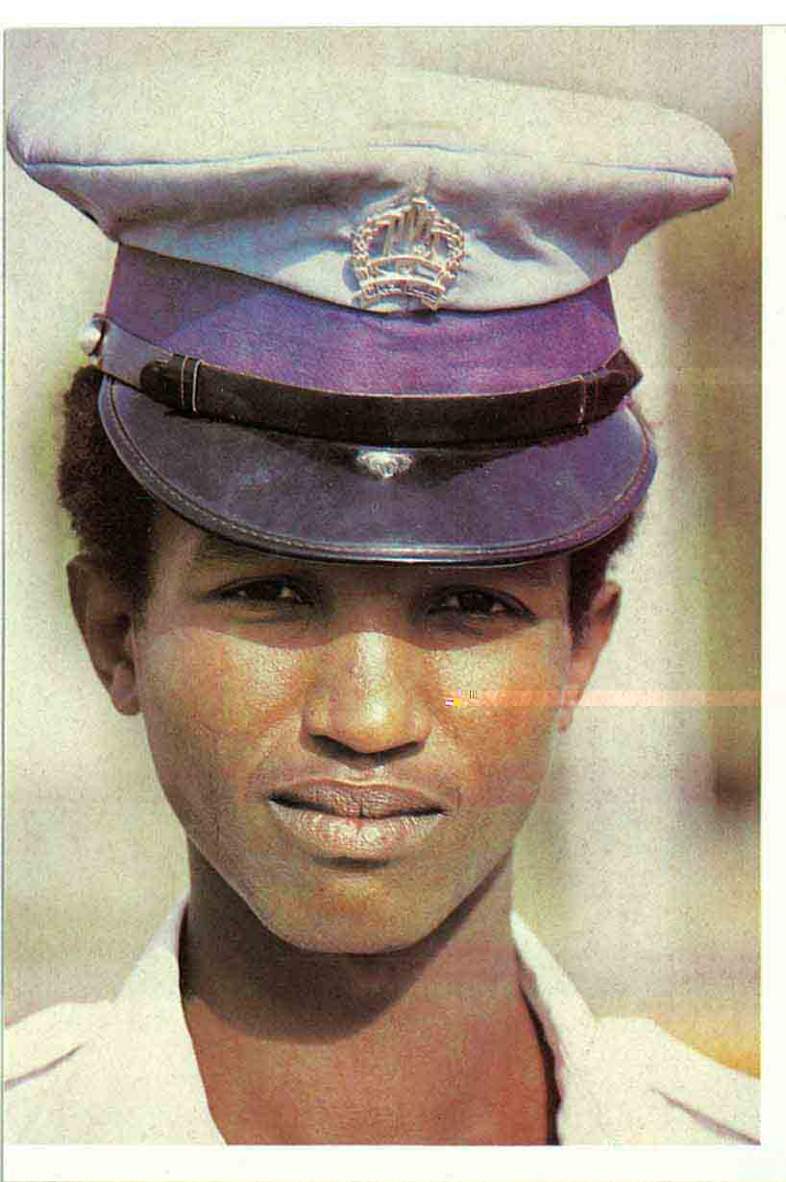
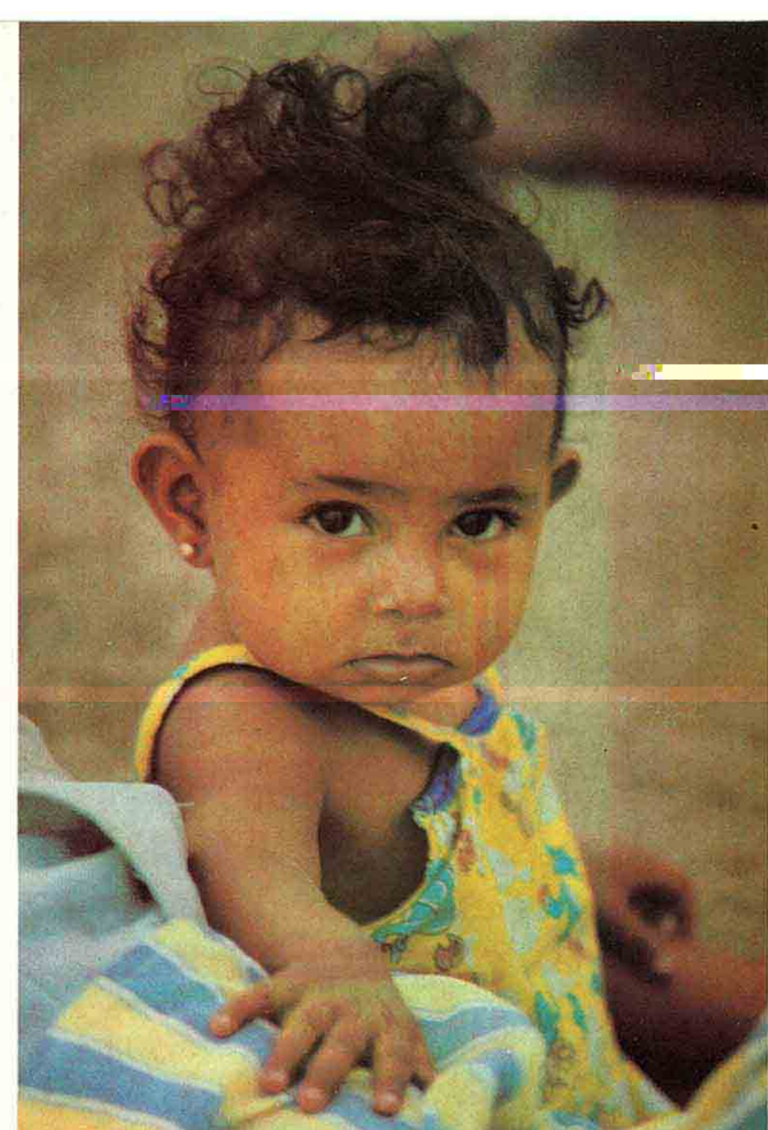
★ أم درمان على الخارطة ★

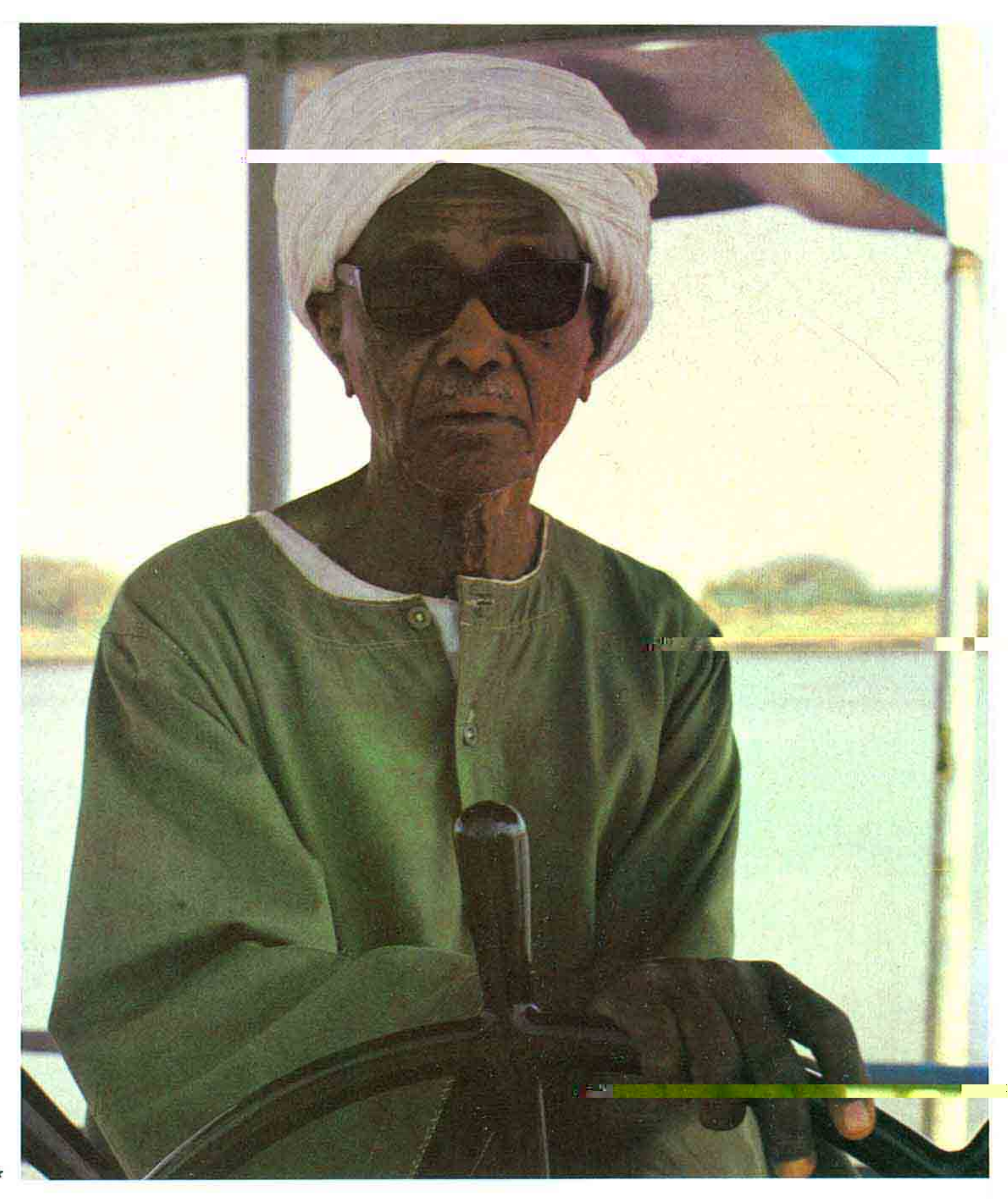
★ جانب من حانوت شعبي ★

★ سوق الجمال ★

▲ ★ سوق الغنم ★

★ سوق البقر ★ ▼



★ وجوه من السودان ★

في عهد المهدي الذي لم يمتد به العمر لبنائه ، غير أن خليفته قام ببناء سور من الطين حوله ثم بناه من الطوب الأحمر الذي جلب من الخرطوم ، وكان العمل فيه تطوعاً وابتغاءً للثواب ، وسعة المسجد عشرة آلاف من المصلين ، وله **ثمانية أبواب** ، في الجانب الشرقي منه **المحراب** الذي يصلي فيه الخليفة ويؤم المصلين وهو خاص به ، أما إذا أناب غيره فكان النائب يؤم المصلين من خارج المحراب ، ولعل الخليفة بالعلاقة بين الإمامة في

الصلاة وفي الحكم في النظام السياسي الإسلامي فإنه كان ينيب العلماء الذين لا علاقة لهم بالعمل العام أو السياسة ، بدلا من إنابة الرجل الذي يليه رتبة حتى لا تكون هناك رابطة بين الخلافة والإمامة . أما الجانب الغربي من المسجد **فبه جناح خاص بالنساء** ، أما الجانب الشرقي ففيه (**جامع الصفيح**) وهو بناء صغير أشبه بالمقصورة أنشئ

للمحافظة على المهدي من انتقال عدوى (الجدري) إليه ، طوله ٢٥ متراً وعرضه ١٥ متراً ، يسع مئتين من المصلين ، وكان خاصاً بالمهدي والأمراء والقضاة والأعيان ، جعله الخليفة بعد وفاته مكاناً لصلاة الجمعة .

قبة المهدي

اهتمام أهل السودان بالقباب واضح من انتشارها على امتداد المدن والقرى ، **وقبه المهدي من أشهر هذه القباب ، بناها الخليفة عبد الله على قبر المهدي** ، ويذكر **الدكتور مكي شبيكة** في كتابه «**السودان عبر القرون**» أن الخليفة قد مشى راجلاً يوم وضع أساسها ووراءه حشد من الأنصار إلى شاطئ النيل حيث التقط حجراً مما أحضرته المراكب للبناء وحمله على كتفه واقتدى به الناس . وقد تفنن المهندسون في



★ يلعبون الطاولة ★

بنائها ، واستخدموا فيها الحديد ومواد البناء الأخرى مثل الطين والطوب والجير والرمل ، وارتفاع القبة ٥٠ ذراعاً يعلوها **هلال يرتفع من وسطه رأس حربة ثم أخذ الهلال وتركت الحربة في مكانها** ، وليس صحيحاً ما جاء في كتابات بعض الإنجليز من أن نية الخليفة كانت جعل القبة مكاناً يستعيض به الناس عن السفر إلى مكة .

بوابة عبد القيوم

وهي أثر من آثار « **الطوابي** » التي شيدها خليفة المهدي للدفاع عن المدينة ، وعبد القيوم كان قائداً للطابية التي سميت البوابة باسمه ، وكانت هذه الطوابي إحدى عشرة طابية هدمتها المدافع وعلى رأس كل واحدة منها قائد معروف .

●● **جبل كرري** : من أهم المعالم التاريخية في أم درمان حيث كانت فيه نهاية دولة المهدية ، وحيث سجل أنصار المهدي أروع مظاهر الشجاعة والبطولة والاستشهاد في سبيل العقيدة بالسلاح الأبيض أمام جيش الإنجليز بأسلحته الفتاكة ، وقد استشهد في تلك المعركة حوالي عشرة آلاف مجاهد غير الجرحى .

أهم أحياء مدينة أم درمان

ترتبط أغلب الأحياء في المدينة بآثار المهدية ومسمياتها ، وأكبر أحياء أم درمان :



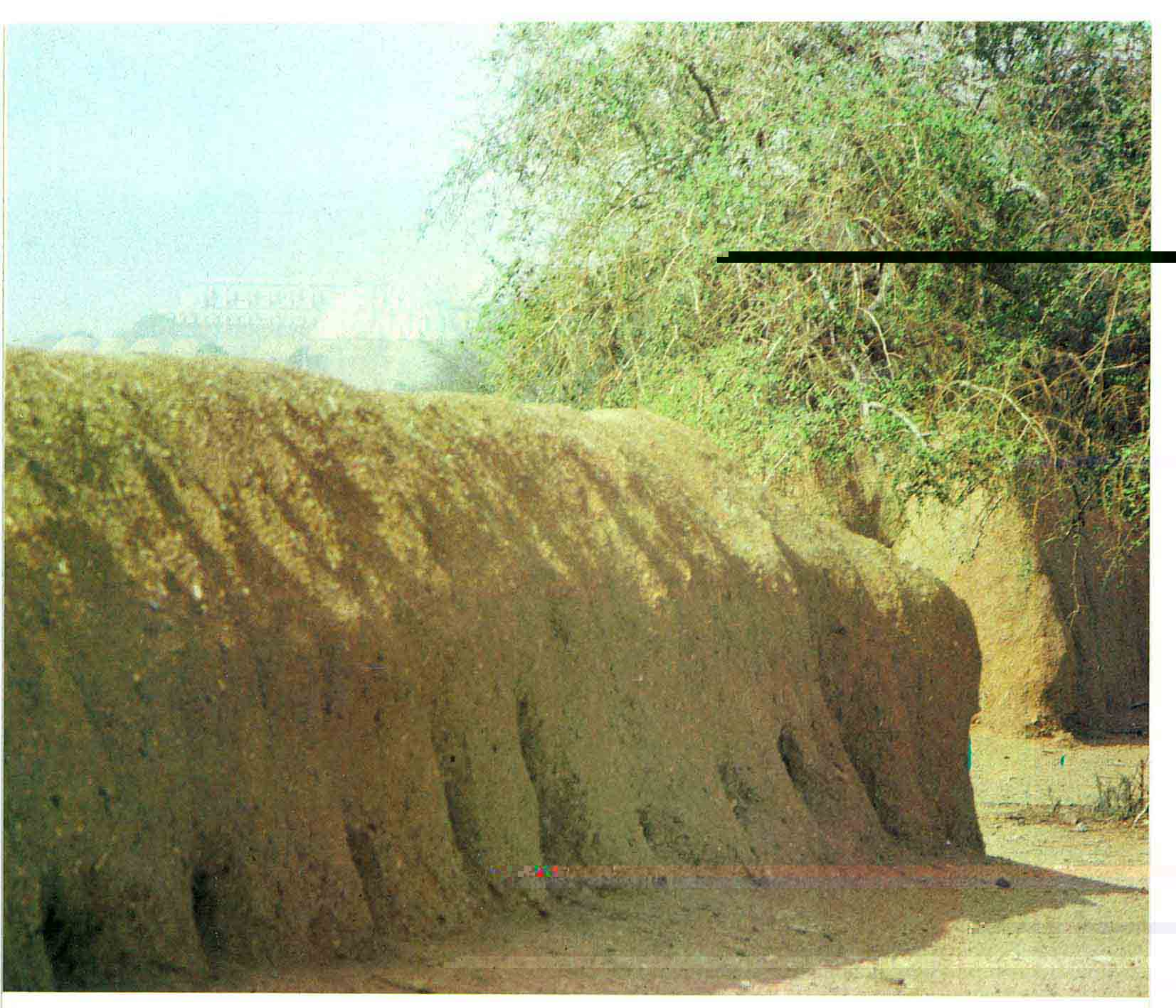
★ قوارب صيد السمك يصنعونها في أم درمان ★

●● **بيت المال** : مكان مالية المهدي ، وكان بيت المال بقرب نهر النيل تيسيراً لنقل البضائع إليه ، وكان يضم في أقسامه مصنع العملة ، ومنازل الكتبة والأمناء ، ويعتبر هذا الحي من أكبر أحياء أم درمان .

●● **بيت الأمانة** : سمي بذلك لأنه كان مخزناً للذخيرة والسلاح حيث لم يكن مسموحاً بحمله إلا في الجهاد أو الاستعراض العسكري ، **وقد اتخذ بيت الأمانة داراً للرياضة** لا زالت الغرف الرياضية تمارس نشاطها فيه ، وإلى جانب بيت المال كان **مصنع الذخيرة والسلاح ، ومكان آخر لرايات الجيش وطبوله** ، وسمي الحي الذي حول هذه الأمكنة بحي بيت الأمانة .

●● **حي العرضة** : قام هذا الحي في الفضاء الذي **خليفة المهدي يستعرض فيه جيوشه يوم الجمعة من كل أسبوع** ، كما كان الفضاء محلاً لتدريب الجيش ، ويقع الحي غربي أم درمان ويقطعه شارع من أكبر شوارع المدينة هو **شارع العرضة** الذي يسير من جامع الخليفة غرباً إلى نهاية المدينة ، ويقع في بدايته **مبنى البلدية** ومن نهايته وبدايته **مدارس الأحفاد للبنين والبنات ، واستاد نادي المريخ الرياضي** .

●● **حي العرب** : وترجع تسمية الحي إلى أن جيش المهدية كان يضم الجهادية السود وأبناء العرب ، وكان عدد الخيالة العرب كبيراً في الجيش ، ولعل أغلبهم كانوا يعسكرون ويسكنون في هذا المكان الذي سمي الحي به .



★ سور الخليفة لصد الهجمات والدفاع عن المدينة ★

●● **حي المسلمانية أو المسالمة** : وهذا الحي كان يضم عدداً كبيراً من « **أقباط** » مصر الذين أسلموا أيام المهدية وأظهروا ولاءهم ثم ارتدوا بعد سقوط المهدية .

●● **حي الهجرة** : ويقع هذا الحي في الجانب الشمالي الشرقي من المدينة ، وقد سمي بهذا الاسم لأن الخليفة كان يقيم فيه عند وداعه للجيوش المتجهة إلى الشمال ، ويسير معها إلى **جبال كرري** ، ولا زال هذا الطريق يسمى « **طريق الهجرة** » .

●● **حي الموردة** : أكبر أحياء أم درمان من الناحية الجنوبية ، وكان هذا المكان هو الميناء الأول للمدينة ولأن المراكب كانت ترد إليها سميت بالموردة ، ويتميز المكان بأن غالبية أهالي غربي السودان الذين جاءوا لنصرة الخليفة عبد الله قد عاشوا فيه ، وهم ينتمون إلى قبائل مختلفة من الغرب مثل **الرزيقات والهبانية والحمر** وغيرهم ، ولا زال أهل هذا الحي يتميزون بطابعهم الدال على أصل قبائلهم ، وقد كان للخليفة عبد الله بيت في هذا الحي بين أهله وذويه وحماته ، ومرتبط بالحي من الناحية الشمالية **حي العباسية** الذي سكنه أبناء الأمراء والوجهاء من رجال المهدية .

●● **حي الملازمين** : وهو من أرقى أحياء المدينة ، وقد سمي بذلك لأنه كان مكان الحرس الخاص بالخليفة ، حيث كان الملازمون تحت إمرة ابن الخليفة مباشرة ، وكانت لهم امتيازاتهم الخاصة .

هذا إلى جانب أحياء كثيرة مثل **ود نوباوي وابو روق والدناقلة** وغيرها ، وقد ظهرت في السنوات الأخيرة أحياء كثيرة تمثل امتداد المدينة حيث التصقت بقرى قديمة مثل **أم بدة والفتيحاب** ، وأهم الأحياء

الجديدة «**حي الثورة**» الذي وصل إلى عشرين حارة، وقد أنشئ في عهد **حكومة إبراهيم عبود ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤م**.

●● **سوق أم درمان**: يعتبر هذا السوق بطابعه الخاص أكبر أسواق السودان ويقع في قلب المدينة، وقد قسم حسب تخصصات التجار والصناعات مثل سوق **الخضار**، وسوق **التمر**، وسوق **الصاغة**، وسوق **العيش**، **والحطب**، **والحريم**، **والقش**، **والصيني**، ثم منطقة **الجزارين**، **والحلاقين**... إلخ.

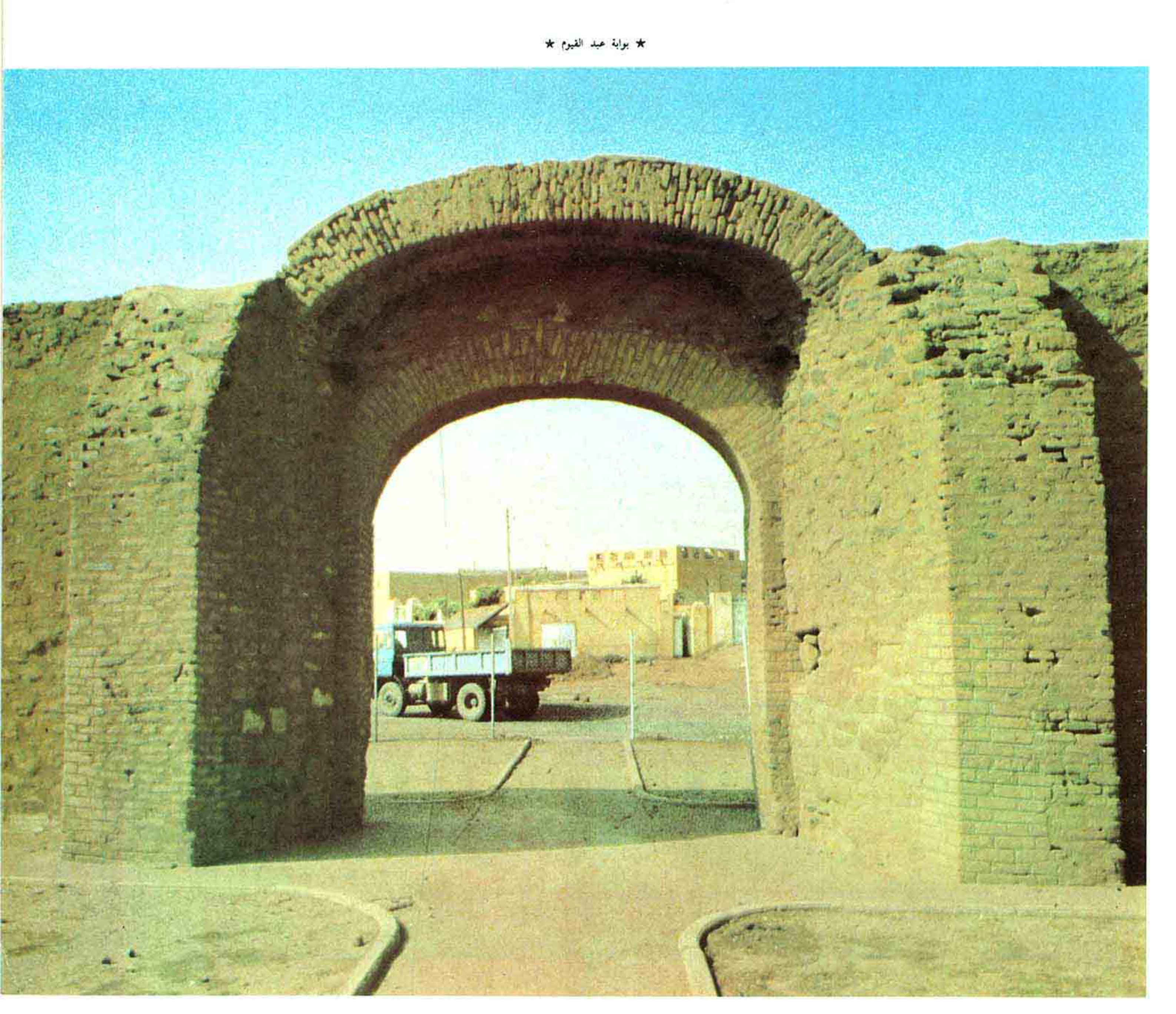
أهم الشوارع الرئيسية

شارع النيل ويسير بمحاذاة النيل، **وشارع الموردة** الذي يبدأ من جسر النيل الأبيض حتى قلب المدينة حيث يبدأ شارع **أبو روق** إلى النيل، **وشارع كرري وشارع الأربعين وشارع العرضة**... إلخ.

أهم المعالم الحديثة

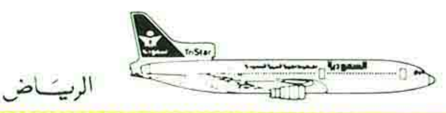
يقع على النيل **مبنى الإذاعة والتلفزيون والمسرح القومي**، **ومبنى مجلس الشعب** الذي يمثل واجهة أم درمان وقد بني في عهد الحكومة الحالية، **وقصر الشباب** الذي تتجه النية إلى جعله مستشفى للأطفال، هذا إلى جانب **الجامعة الإسلامية**، و **كلية التربية التابعة لجامعة الخرطوم**، و **كلية الأحفاد الجامعية**، و **معهد تدريب المعلمات** وعدداً كبيراً من المدارس الثانوية العليا و **جامع أم درمان الكبير**، والمدينة مخضرة بالأشجار الوارفة وفيها يسير النيل إلى الشمال يحمل الخصب والخير والنماء بعد أن اتحد النيلان الأزرق والأبيض في مواجهة أم درمان.

★ بوابة عبد القيوم ★

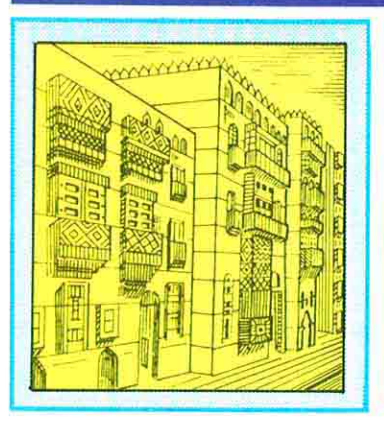


الخط السريع إلى بانكوك.

اعتباراً من أول نوفمبر، السعودية تعلن عن تسيير أولى رحلاتها مباشرة إلى بانكوك، تايلاند بطائراتها الفسيحة.





رحلة رقم SV۱٥۲		رحلة رقم SV۱٥۳	
الاقلاع من جدة	۱۹٥۰	الاقلاع من بانكوك	۱۲۲۰
الوصول إلى الرياض	۲۱۱٥	الوصول الى الرياض	۱٥٤٥
الاقلاع من الرياض	۲۲۳۰	الاقلاع من الرياض	۱۷۱٥
الوصول إلى بانكوك	۸٥۰*	الوصول إلى جدة	۱۸٤۰

*صباح اليوم التالي

مرتين في الاسبوع .. يومي السبت والاربعاء.

السعودية تقدم الراحة القصوى على متن طائرات الترايستار الفسيحة التي تنقلكم بدون توقف إلى بانكوك.

السعودية هي الشركة الوحيدة التي تقدم خدماتها بدون توقف بين الرياض وبانكوك.

كما أن السعودية تنقلكم من بانكوك إلى الرياض وجدة مرتين في الاسبوع يومي الاحد والخميس.

للحجز وتأكيد الحجز الرجاء الاتصال بالأرقام التالية:

جدة هاتف ٦٤۳۳۳۳۳

الرياض هاتف ٤۰۳۳۳۳۳

الظهران هاتف ۸٦٤۲۰۰۰

بانكوك هاتف ۲۳۳۳۸۹۳

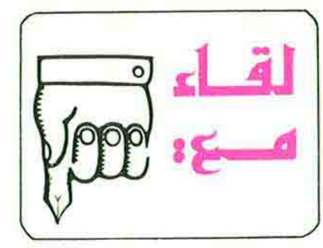
أو الاتصال بأقرب وكيل سفر

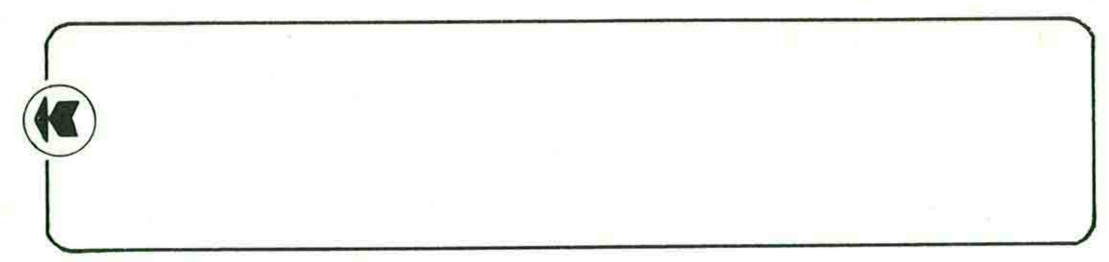


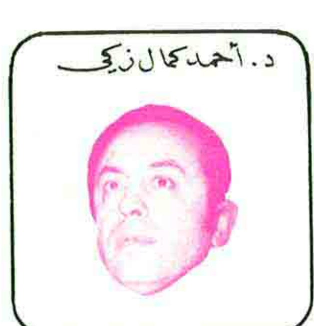
السعودية

الخطوط الجوية العربية السعودية

مفتاحك الى قلب الشرق الاقصى







● **الدكتور أحمد كمال زكي ناقد عرفته الحياة الأدبية ضارباً بقلمه الجاد المثقف في أعماقها ، آخذاً بعنان قلمه في طريق شاق وعر ، رأى لنفسه فيه أن يلتزم بثقافة هي عدة الناقد وعتاده ، وبموضوعية وَحيْدة هي شرف الناقد وسمعته وملامحه في قلوب قرائه .**

كتب في معظم الدوريات التي ظهرت في مصر وبعض الأقطار العربية ، وتناول في دراساته المعاصرة الحركات والظواهر الأدبية الحديثة وأهم أعلامها .

أعد الحوار :
د . يوسف نوفل

النقد .. في العالم العربي

لم يقتصر نشاطه على الحقل الثقافي والأدبي في الصحف والمجلات والإذاعات والندوات والمؤتمرات فحسب ، بل جمع إلى ذلك حقلين مهمين أحدهما : قاعات الدرس بالجامعة حيث عمل أستاذاً ورئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها ، والآخر : صفحات الكتب .

ومن أشهر كتبه : « الأساطير دراسة حضارية مقارنة » وهو من أهم الدراسات التي تناولت الأدب العربي من خلال منظور حضاري تراثي وعصري .

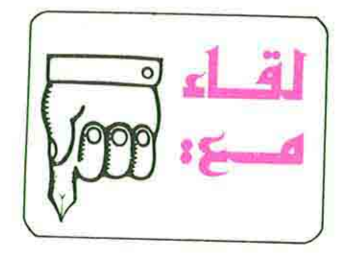
وكتاب « النقد الأدبي الحديث » ، وتبدو خطورة هذا الكتاب في أنه يقدم حركة النقد الأدبي الحديث من خلال ركنين أساسيين : ركن **نظري** يعرض وجهة النظر العالمية للنقد الأدبي الحديث منذ جذوره القديمة حتى تطبيقاته الحديثة .

والركن الثاني **تطبيقي** يصنف النقاد المعاصرين إلى اتجاهات ومدارس على نحو جديد .

ونعتقد أن الكتاب وليد ممارسات مارسها وتجارب خاضها ونقحها في مقالات وبحوث سابقة قد يكون كتابه (**نقد : دراسة وتطبيق**) وجهاً من وجوهها .

ولقد رافق ذلك كله دراسات له حول التراث على رأسها كتاباه : « **الحياة الأدبية في البصرة** » ، و « **وشعر الهذليين** » ، ودراسات حول العناصر الوافدة على أدبنا المعاصر ، كما واكب ذلك كله **موهبته القصصية وموهبته الشعرية** ، حيث تجلت كل منها في مجموعة قصصية وديوان شعري .

ومن هنا يبدو ما نلحّ على تأكيده دائماً من أنه حين يجتمع للناقد



الرؤية الإبداعية كمنشئ، والرؤية النقدية كمفسّر ومقوّم تؤتيان ثمارهما فيما يكتب ويقول، وفي ذلك خير للحركة النقدية بلا جدال.

أزمة النقد الأدبي في العالم العربي

●● ما مهمة الناقد بوجه عام؟

ـ التوجيه.. التوجيه بأي معنى نريد، توجيه الأديب الناشئ إلى الجادة بتوجيه نظره إلى ما يكتب في **نظرية الأدب** وإلى ما يثور من معارك نقدية حول رأي ما أو تعبير محدث أو فكرة مجازية جديدة ونحو ذلك.

ومن ناحية أخرى تبدو قراءة الناقد لأي عمل أدبي ضرورية، بل هي أساسية لا من حيث أنها تقوّم أو تفضي إلى تقرير ما يقوّم ذلك العمل فحسب، وإنما أيضاً للكشف عما في العمل الأدبي نفسه من جديد يظهر كلما عدنا إليه بالقراءة.. بمعنى أن عودة الناقد إلى أي عمل أدبي ـ وهو من غير شك موضوع جمالي ـ يعني الايذان بإثارة تجربة جمالية ربما لم يفطن إليها أحد قط. وهنا تكمن خطورة الناقد، لأنه «يتدخل» بالضرورة في «تفسير» **العمل الأدبي للقارئ**، وربما يحيد به عن طريق في الفهم سار فيه بجهده الذاتي، فيفقد بذلك فعاليته الخاصة ويصبح من ثم عالةً على غيره. ولقد يقال في هذه الحال ـ تخفيفاً لهذه الفاجعة ـ إنما الناقد يحاول إنارة الطريق من داخل العمل الأدبي أمام القارئ، وللقارئ بعد ذلك طاقاته الخاصة وبقدر «ثقافة» تلك الطاقات يكون استقلال صاحبها عن الناقد.

وما دام ذلك كذلك.. أي ما دام هذا دور الناقد ـ وهو دور خطير ـ فإن عليه أن يظل في إطار الأدب، وتصبح مهمته التفسير المقوّم لأي نص قصد به صاحبه إلى تجربة فنية محددة، وكل ما يخرج عن هذه الدائرة ـ كتحليل نفسية مؤلفه أو رصد ظروفه الاجتماعية ـ ينبغي اعتباره شيئاً آخر غير النقد الأدبي، كأن يكون **علم النفس الأدبي** أو **علم الاجتماع الأدبي** أو ما يجري هذا المجرى.



د. أحمد كمال زكي في سطور

★ من مواليد الإسكندرية عام ١٩٢٧م.

★ أستاذ النقد والأدب المقارن بجامعتي عين شمس والرياض.

★ محل الميلاد: الإسكندرية.

★ الجنسية: مصري.

★ المؤهلات: درجة الدكتوراه ـ جامعة القاهرة ـ كلية الآداب.

★ التخصص العلمي: النقد الأدبي.

★ اللغات التي يجيدها: الإنجليزية.

★ الوظائف التي تقلدها: تدريس الأدب والنقد في غانا، وسورية، ومصر، والمملكة العربية السعودية.

المؤلفات:

١ ـ نقد: دراسة وتطبيق.

٢ ـ النقد الأدبي الحديث.. أصوله واتجاهاته.

٣ ـ الأساطير ـ سلسلة المكتبة الثقافية.

٤ ـ الأساطير ـ دراسة حضارية.

٥ ـ مجموعة قصص قصيرة.

٦ ـ محمد في الأدب.

٧ ـ مختار الأغاني.

٨ ـ بحوث ومقالات في دوريات وسلاسل مختلفة أحدثها دراسة عن الصورة في الشعر السعودي.

أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه وناقشها.

ألقى أحاديث أدبية إذاعية وتليفزيونية عديدة.



لقد صدق الشاعر الناقد الإنجليزي **توماس إليوت** ـ وهو الذي بلور قصيدة الشعر المرسل عندنا ـ عندما قال ما معناه : **الحكم على الأدب لا يكون إلا بمعايير أدبية !**

ثقافة الناقد

●● ما ثقافة الناقد المطلوبة ؟

ـ أولا ينبغي ألا نفهم من كلام إليوت أنه يضع حدوداً للناقد ينبغي ألا يجاوزها . . بالعكس ، فقد كان هو موسوعة حضارية متنقلة ، وكان يضمن شعره من أسباب الثقافة ـ وبعضها ضارب في فولكلوريات الشعوب ـ ما يجعله معضلة فكرية موقفية . . غير أنه كان يحرص على ألا يجور بثقافته على القيم الجمالية الراجعة إما إلى **التشكيلات اللغوية** ذات النوعية الخاصة ـ على أساس أنه أمام قصيدة مثلاً أو مسرحية ـ وإما إلى قيمة هذه الجماليات في حملها للمضامين التي يصدر عنها الأديب .

وفي تلك الحالة الثانية ـ وهي ذات مستوى فكري معين ـ **يطلب من الناقد ألا يقحم فكره هو على ما يقرأ** ، وما دام ذلك كذلك **فهو مطالب بالوقوف عندما يعطيه النص بجانب ما يوحي به من طرف خفي .**

ومثل هذا يتطلب من الناقد **الحيدة المطلقة** ولكن لا يعفيه من تحصيل ثقافة إنسانية شاملة . . فهو مطالب مثلاً بأن يقرأ ـ مع الفهم والتمثيل ـ **فرويد ويونج وأدلر** ، كما يقرأ **ابن خلدون وديوي وبرتراند رسل** ، ومن الضروري أن يعرف **اينشتاين ونيوتن وابن الهيثم** معرفته **للآمدي والجرجاني وكوليردج وكروتشه والفارابي وأرسطو .**

وبعبارة أخرى ينبغي أن يتقن أسباب العلوم الإنسانية ويحيط بقدر محترم من نتائج العلوم التجريبية الأخرى . . لا من أجل أن يدل على صاحب النص في تفسيره له وتقويمه ، وإنما من أجل أن يحسن فهمه وتذوقه وتحليله !

مهمة الناقد

●● ما مهمته في الآداب العربية بتعدد بيئاتها ؟

ـ السؤال غامض بعض الشيء ، وإن لم يخطئني الفهم أزعم أن الناقد العربيّ مقصّر بعض الشيء في الإخلاص لمهمته . . لأنه من ناحية ـ باستثناءات محدودة ـ لم يتقن عمله ، أعني أنه لم يتسلح كما ينبغي بأسباب النقد على النحو الذي بيناه . . بل **بعض النقاد تخرّج في « جامعة الصحافة » فقط** ، بمعنى أنه عمل مراجعاً للكتب حيناً ثم انتقل إلى عملية النقد بحكم الصنعة ، تماماً كما يصبح كاتب التقرير الصحفي قصاصاً أو مسرحياً تطبق شهرته الآفاق !

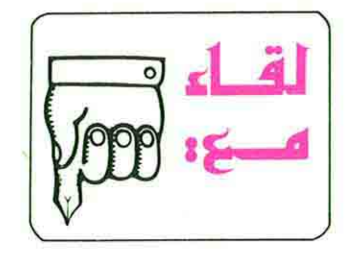
يؤسفني أن أقول إن حياتنا الأدبية مليئة بهذا النوع من النقاد ، وبرغم الجهد المبذول منهم ـ وهم يشكرون عليه لا محالة ـ يقعون في أخطاء قاتلة أهونها تعمية الطريق أمام الناشئة والشداة من الشباب .

أما الناحية الأخرى التي يبدو فيها ناقدنا العربي مقصّراً ، فهو عدم اطلاعه على جميع ما يصدر في الدول العربية كافة . . أو على الأقل لا يتعامل نقدياً إلا مع عدة معينة من الأدباء عرفوا في عدة معينة من الدول العربية ، ومن خلال تجربته تلك المحدودة يصدر الأحكام التي يجعلها تنسحب على كل أديب في كل رقعة من عالمنا العربي ، فمثلا يقول : لقد نجح شعراؤنا المحدثون ـ يعني من يكتب **الشعر المرسل** ـ في استغلال **الأساطير** استغلالا فنياً مكنهم من الإعراب عن مشكلات العصر وعقده ! وقد يضرب المثل ـ زيادة في التأكيد ـ **بعلي أحمد سعيد أو خليل الحاوي وصلاح عبد الصبور .**

وكلنا يعرف أن ذلك محض ادعاء لأن **قلة من الشعراء المحدثين هي التي اجتازت عقبة الأساطير ، وفهمت جمالياتها فهماً مكّنها من أن تُفْضي بجديد مخصب** . . وآية ذلك أننا نجد حشداً هائلاً من الشعراء يتحدثون عن بعل وقلقاميش وباخوس وسيزيف وبروميثيوس وأوديب حديثاً غثاً سقيماً تغلب على المباشرة ويفتقد أسباب العظمة والبراءة .

هذا مجرد مثل ، وغيره كثير يمكن أن نتبين فساده في **قضية الإيقاع** مثلاً في عملية **استخدام المجاز** من حيث هو مكوّن من مكوّنات الشكل إزاء المادة بوجه عام . . ونقابل من ثم بخلط مذهل جريء ، وبإطلاقات غريبة على البنية الجمالية يريد أصحابها أن تعمم على أدباء العرب جميعاً .

وهنا نقول : **رفقاً . . بل مهلاً ، وعليكم أيها السادة النقاد أن تستقرئوا الآثار الأدبية جميعاً ـ في عالمنا العربي ببيئاته المختلفة ـ قبل أن تحللوها وتكتبوا من أجلها تاريخاً نقدياً رصيناً عاماً .**



النقد بين التراثية والعالمية

●● يحار الناقد أحياناً بين سمات محلية وأخرى عالمية .. ما حقيقة ذلك فيما ترون من حركة النقد العربية ؟ .

ـ لعلك تقصد بالسمات المحلية ما يحصله النقاد عادة من تراثنا العربي ، وفي هذه الحال يكون الغالب عليه محصلات « **مفتاح العلوم** » في المعاني والبيان والبديع .. وإن كنت لا أغفل جهد **عبد القاهر الجرجاني** في « النظم » وجهد **الآمدي** في صميم النقد .

وأنا بهذا الفهم لا أنكر جدب ما يبذله النقاد ، **وعندنا ـ للأسف الشديد ـ وبخاصة في المجالات الأكاديمية ، من لايزال يعتبر النقد شروحاً لغوية وتعليقات بلاغية هدفها تعليمي أكثر من أن تنحو نحواً تقييمياً أو نحواً تذوقياً** .. حتى إننا لنعجب من « أحدهم يفسر بيتاً شعرياً أو يحلله فيعمد إلى القول بأنه بليغ ثم يستطرد من ذلك إلى القول بأنه دال لأن البلاغة لمحة دالة ، وبمقتضاها نعرف الفصل من الوصل والايجاز من الاطناب وهكذا .

ولو وقف عند التشبيه بادر إلى أركانه وحدّد ـ بدقة ـ وجه الشبه حتى إذا أعياه الشرح انطلق يقول :

والشعر لمح تكفي إشارته
وليس بالهذر طُوّلت خطبُهُ

ونجد من ناحية أخرى فئة من النقاد تتحدث بما لم يعرفه تراثنا ، واستخدامها للاصطلاحات الأجنبية تبدو من ثم شهادة على وصولها إلى أوروبا وأميريكا ـ وهذا في حد ذاته تقدير ـ حيث تكثر الآراء النقدية وتتعقد وتتنوع بتنوّع البيئات والثقافات والفلسفات المتوزعة بين المثالية والمادية .

ولو فتشنا عن أسلوب النقد عند هذه الفئة فسنجد أمامنا واحداً من عشرة يعرف مهمته ويوازن بين التراثية والعالمية ، بمعنى أنه يأخذ من قديمنا ما يتفق وحاجة العصر ويدعمه بأسباب الجديد الذي يستمده من عظماء النقد عند الغربيين .

وأما الآخرون ، فهم إما عالة على تنظيرات قرأوها معرّبة فلم يحسنوا فهمها ، وراحوا يتشدقون بها مقحمين المصطلح على غير ما وضع له .. وإما مستغربون فتنوا ببضاعة أوروبا وأميريكا فأقحموها على بضاعتنا بلا تمييز حتى لقد اجترأ بعضهم على أخذ آدابنا القديمة ـ كبحث الصورة عند **أبي تمام** ـ بما أخذ به **وليم بليك وتوماس إليوت واديث سينويل** .

وهذا في رأيي تخريب للعملية النقدية ، وأمل الاصلاح معقود على الواحد الفاهم من بين العشرة غير الفاهمين ! .

عيوب الحركة النقدية

●● ما أبرز عيوب الحركة النقدية ؟

ـ ما بيّنْتُه لك عن فوضى استخدام الوافد الغربي وإقحامه على تراثنا .. ويتطلب هذا إعادة النظر في قيمة الناقد نفسه ، فإذا تسلح بأسباب القديم والجديد اجتاز وفاز ، وإلا فهو مدّع على أقل تقدير ! .

النهوض بالنقد

●● كيف ننهض بالنقد الأدبي على المستوى القومي ؟

ـ الإجابة عن هذا السؤال عسيرة ، بل محالة في أغلب الأحيان .. لأن النقد ليس علماً اجتمعت الآراء كلها على صحة قواعده ونتائجه التي وصل إليها ، بمعنى أنه لا يمكن أن نعلم النقد فيكون اتقان تعليمه وسيلة إلى النهوض به .

النقد أولا موهبة وذوق ، وكلاهما ليس موجوداً في الكتب .

الناقد يولد كما يولد الشاعر ، وطالما ثقف الشاعر نفسه صقلت موهبته وأصبح العبقري الذي لا يفري فريه أحد .

وكذلك الناقد يولد ناقداً وبالتعليم والثقافة يلمع وتبدو مواهبه في التعليل والتحليل تماماً كما ظهر كوليردج شاعراً ناقداً ، وكما ظهر صديقه وردز ورث .. وكلاهما اعتمد الموهبة والثقافة فبرز ، حتى بالرغم من أنهما صدرا عن اتجاهين فكريين مختلفين ، فقد عمد أحدهما إلى خلع الغرابة اللغوية على المألوف ومال الآخر إلى جعل الغريب أليفاً .. وقالا الشعر على هذا النحو وكتبا فيه كتابة النقاد المصقولين .. ووراء صقلهما ـ كما أعتقد ـ الإحاطة الكافية بثقافة قومهما .. فإن اعتمدنا المقياس نفسه عندنا قلنا **لا يمكن أن ننهض بالنقد الأدبي على المستوى القومي إلا إذا اعتمد فكرنا وذوقنا وشحذناها بأسباب المعرفة الجديدة التي نستوردها دون أن تبدو مقحمة على**



واقعنا .

النقد .. والجامعة

●● عملتم في جامعات عربية متعددة .. هل تخرج الجامعة ناقداً ؟ .

ـ لا أظن .. فقد سبق أن قلت إن النقد لا يُعلَّم أو إن تعليم النقد لا ينتهي بإيجاد ناقد أو أكثر .. صحيح عمل في الجامعات أساتذة كبار للنقد ـ **كطه حسين** في جامعة القاهرة **ورينيه ديليك** في جامعة ييل ـ إلا أن هؤلاء لم يخرجوا نقاداً على مستواهم بل إن بعضهم أخفق في أن يكون له تلامذة يحسنون مجرد التذوق .. وفي المقابل نجد نقاداً خارج الجامعة يشدون بشخصياتهم ـ كالعقاد وسيد قطب ـ من يحاول النقد حتى يتقنه وبخاصة إذا توفرت عنده ملكة النقد أساساً وأخلص في الفهم .

التأثير في الحركة النقدية

●● ما الذي ينقص حياتنا الأدبية ويؤثر في حركة النقد ؟

ـ ينقصها الكثير ، فنحن ـ كعرب ـ بالرغم من أن حضارتنا لا تزال أدبية متخلفون إلى الحد الذي ما نزال فيه نخلط بين الأدب والدراسة الأدبية ، مع أن **الأدب فن والدراسة الأدبية تحصيل علمي** .. وقد ترتب على ذلك فتح الباب أمام أي حامل للقلم للدخول في زمرة الأدباء ، ونجحت فئة مثقفة في معالجتها للأدب ـ من حيث هو فن ـ معالجة فكرية فوصفت بأوصاف الأديب ، مع أنه يكون من الأجدر حقاً أن يوصف بالفلسفة **كزكي نجيب محمود ومصطفى سويف** .

واختارت فئة أخرى بأن تبدع في مجال القصة ، وعن هذه الطريق فرضت نفسها على عالم الأدب بوجه عام ، وعلى الرغم من إيماني بأن من بين هذه الفئة من وهب ملكة الفن حقيقة ـ كمصطفى محمود ـ فثمة مئات ينقصها أن تعرف أوليات المعرفة عن الأدب ، فضلاً عن جمود طبعها وبعدها عن رهافة الفنان الحقيقي ، وإذا طلب إليها ـ في مجال الامتحان ـ أن تقرأ الشعر وتتذوقه أو تقدره قالت مع الشاعر القديم :

الشعر صعب وطويل سُلّمه

ضاربة بعرض الحائط ما قصد إليه الشاعر حقيقة واكتفت بظاهر البيت ! .

ولا بد أن يفضي ذلك كله إلى سوء فهمنا لطبيعة الأدب ، والاكتفاء بالقول بأنه كل شيء قيد بطبع حتى لو كان من ذلك الفلك أو علم طبقات الأرض طالما شهرت كتبه بتعبيرها الأدبي .

كما ينقص حياتنا الأدبية التنظير الواعي الأصيل وأنا أعترف أن حياتنا الأدبية [illegible] ما طرحت أشكالا متعددة للنقد ، إلا أن هذه تقع في شططين : الأول شطط التغريب حتى كأنما الأدب في نهاية الأمر فعالية أوروبية أو أميريكية ، والثاني شطط الفوضى حتى كأنما الأدب ودراسته وردة من كل بستان أو قطرة من كل بحر ، ومن ثم **لا نزال حتى اليوم لا نعرف قيمة القصيدة المرسلة من حيث هي واقع حضاري ينبغي أن يقوّم وأن يحلل** ، كذلك نجهل الفروق الدقيقة بين الأدب القومي والأدب المقارن ، والفروق الأساسية الأخرى بين هذين والأدب العام .. صحيح لا يزال كثيرون في أوروبا حتى اليوم لا يعترفون إلا « بالأدب فقط» إلا أنهم لم يصلوا إلى هذه النتيجة إلا بعد معالجة تواريخ الآداب بوجه عام .

ويطول بي المقام لو ذهبت أتقصى ما نفتقده في حياتنا الأدبية ، غير أن التنبيه إلى أنه ينقصنا الكتاب الجيد شكلاً ـ بافتراض أن مضمونه مجاز بالضرورة ـ يعني أننا لا نملك أسباب الأدب ووسائله ، ومن هنا يحق علينا أن نطالب بهذا الحق وأن نسترده من أيدي مغتصبيه تجار الفكر وسماسرة المعرفة . وأظن أن الدولة قادرة بإمكاناتها الهائلة على التدخل في تجارة الكتب بإنشاء المطابع وترخيص أسعار الورق وطباعته وإخراج الكتاب على أساس أنه سلعة للاستهلاك وليس سلعة للكسب والامتلاك ! .

●● والسؤال الآن هو بقية لسؤالك أنت .. أعني هل يؤثر ذلك النقص في حركة النقد ؟ .

ـ وماذا غير أن أقول : نعم يؤثر ، بل يدمر .. وللأسف لا يشعر بالتدمير أغلب المشتغلين بالنقد ، لأنهم جزء من المشكلة ، بل لعلهم لبّ المشكلة ولو كانوا صادقين في التحصيل والتأصيل لما سمحوا بنشر ما يصدرون عنه من ناحية ولما جرءوا من ناحية أخرى على تنصيب أدعياء الأدب أدباء .

الرواية من الفنون الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة لدى جمهور عريض من القراء ، ومن السهل على أي قارئ عادي أن يتعرف على هذا الشكل الروائي بين الأشكال الأدبية المتعددة . ومع هذا فإنه يصعب على النقاد والدارسين إيجاد مفهوم محدد أو تعريف شامل لفن الرواية نظراً لتعدد اتجاهاته وتطور أساليبه مع توالي العصور المختلفة . فقد تمكن هذا الفن من استيعاب وهضم أنماط كثيرة من الكتابة مثل المقال والخطابات الشخصية ، والمذكرات ، والدراسات التاريخية ، والوثائق الدينية ، وأدب الرحلات وكتب الاتيكيت واللياقة الأدبية الاجتماعية وأنماط أخرى من الكتابات النثرية .

فن الرواية العالمية

ونظراً لأن الرواية لم تكن تخضع لمواصفات التمثيل المسرحي أمام الجمهور أو حتى القراءة الشفوية التي نجدها في الشعر ، لذلك استطاعت أن تتفادى القيود المفروضة على كل من المسرح والشعر . فالرواية تنهض

على علاقة خاصة بين القارئ والكاتب ، لها إمكانات أشمل من جهة الاندماج المباشر والشخصي في التجربة النفسية التي عادة ما تتم في جو يميل إلى الخلوة والوحدة .

الروائي .. والشكل .. والمضمون

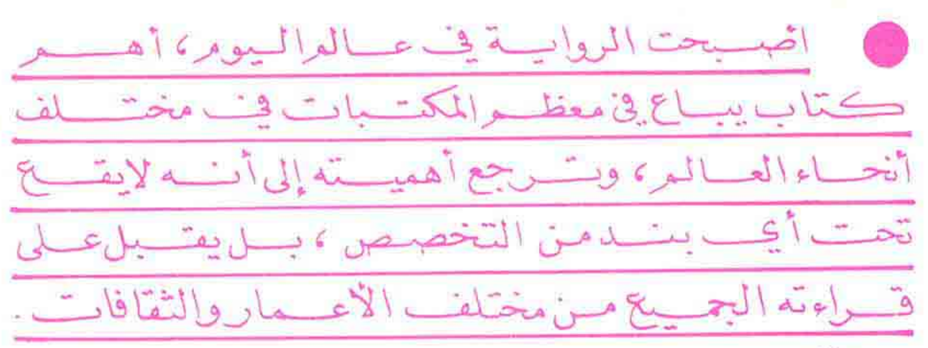
ونتيجة لهذه الظروف الذاتية والنفسية التي تحيط بتأليف الرواية ، فقد زاد عدد الروائيين الذين يهتمون بالمضمون أكثر من تركيزهم على الأداة الفنية القادرة على توصيله إلى القارئ . والقارئ الذي لا يهتم بالقيمة الجمالية الموضوعية غالباً ما ينصب اهتمامه فقط على التجاوب العاطفي الذاتي بينه وبين ما يقرأه في خلوة ، لذلك فالروائي الذي يحرص على الشعبية الرخيصة فقط غالباً ما يبرز كل ما من شأنه دغدغة حواس القارئ ومداعبة غرائزه .

وقد نشأ اتجاه قديم ليس له شكل محدد على مستوى النقد الموضوعي التحليلي . هذا الاتجاه النقدي كان يحلل مضمون الرواية كما لو كانت دراسة اجتماعية أو إنتاجاً مكتوباً لا يمت إلى جماليات الشكل الفني بصلة . **وفي الواقع فإن إمكانية الرواية الواسعة في استيعاب مضامين كثيرة ومتنوعة ، أو تحويلها في بعض الأحيان إلى أداة عملية لتحقيق أغراض معينة ، كل هذا يرجع إلى مرونة الشكل واستعداده لهضم كل المتناقضات** . ومع ذلك نستطيع القول بأن هذه المرونة لا تعني أنه لا يوجد شكل على الإطلاق ، لكنها تعني الحركة العضوية والديناميكية لأي شكل فني حتى لا يتحول إلى قالب جامد .

ويرجع الشكل الروائي إلى أصوله الأولى في العصور الوسطى حين اقتصر في بداية الأمر على صيغة مباشرة لسرد أخبار يشترط فيها أن تكون حقيقية وحديثة الوقوع ، وفي

الوقت نفسه عن شخصيات مهمة مثيرة للاهتمام : أي إنها جمعت في ذلك الوقت بين اللمسات البطولية التي تقترب من الأسطورة وبين الصحافة الحديثة بما تحويه من أخبار وقعت بالفعل . وكانت هناك عوامل

متعددة ساعدت الرواية البدائية على الذيوع والانتشار ، منها اهتمام الشعوب الأوروبية بمحو الأمية في مطالع **عصر النهضة** ، وازدهار فن الطباعة الآلية ، وارتفاع المستوى الاقتصادي للطبقات المتوسطة التي شكلت جمهوراً عريضاً من القراء .





★ فيكتور هوجو ★


★ تولستوي ★



★ جيمس جويس ★


★ ديكنز ★



الرواية .. إلى أين

واليوم أصبحت الرواية أهم كتاب يباع في معظم المكتبات في مختلف أنحاء العالم، وترجع أهميته إلى أنه لا يقع تحت أي بند من التخصص بل يقبل على قراءته الجميع من مختلف الأعمار والثقافات والمجتمعات.

وقد بدأت الرواية البدائية في اتخاذ الشكل الحديث المعروفة به حالياً، حين انفصلت عن سرد الحقائق التي وقعت بالفعل وتحولت إلى تشكيل فني يعتمد على خيال الروائي أساساً. لذلك تعد رواية «**دون كيشوت**» للكاتب الإسباني **سيرفانتس** أول نموذج للرواية الحديثة. فهو يبتعد عن التسجيل الحرفي للأحداث ويجعل من الشكل الروائي محكاً لإبراز حقيقة المثل العليا والفروسية الشهمة التي أغرمت بها الطبقات البورجوازية التي كانت تميل إلى النظرة العملية والنفعية.

وبمرور العصور كانت تبرز دائماً إلى الوجود حقائق جديدة وتطورات فكرية متلاحقة، في حين حرصت الرواية دائماً على مواكبة هذه التطورات واستيعابها ووضعت نفسها في خدمة حركة المجتمع كأداة للتعبير الفني المجسد للحقائق الاجتماعية العامة والمجردة. من هنا كان التطور السريع الذي يطرأ على الأشكال الروائية، ذلك لأن كل جيل من الروائيين لم يكن يقنع بالتقاليد التي أرساها الجيل الذي سبقه حتى لا يجد نفسه سجين قوالب جامدة.

الواقعية في الأدب الروائي

تتضح هذه الظاهرة في روايات **الواقعية الأولى** التي كتبت كصيغة للسخرية من الروايات السابقة أو المعاصرة. في هذا نجد روايات الإنجليزي **هنري فيلدنج** التي سخرت من روايات معاصره **صامويل ريتشاردسون**، وروايات الفرنسي **رابيليه** الساخرة والصاخبة التي ضحكت من الروايات الرومانسية التي تنهض على مغامرات **الملك آرثر** وفرسان المائدة المستديرة، كذلك روايات الإنجليزية **جين أوستن** التي تسخر من الرواية التي انتشرت في العصور الوسطى.

وربما ينحصر مفهوم الواقعية في الأدب الروائي في المجهود المستمر والمتأني الذي يبذله جيل بعد آخر لكي يعدل من الأشكال والأساليب الروائية حتى تواكب حركة الحياة المتطورة دائماً؛ فبعد أن استطاعت الرواية أن تحل محل الملحمة والسيرة الشعبية وسرد الأحداث، تحولت إلى نقد القيم البالية والتقاليد المزيفة، وذلك بوضعها تحت ضوء باهر وساخر بحيث يراها القراء على حقيقتها.

ورواية الكاتب الفرنسي **فورتيير** المعروفة باسم «**حدوتة بورجوازية**» ونظرية **فيلدنج** التي توضح أن الرواية ملحمة كوميدية

مكتوبة بالنثر : أي تتجه اتجاهاً جديداً ، كل هذا يلقي الضوء على التطور الذي حدث للرواية وأبعدها عن الروح الملحمية والرومانسية التي بدأت بها .

ورواية «**معرض الغرور**» للكاتب الإنجليزي **ثاكري** لها عنوان جانبي : «**رواية بدون بطل**» ، وهذا العنوان الجانبي يؤكد الاتجاه الواقعي الذي لا يحيط البطل بهالة رومانسية ومثالية مذهلة ، لأنه ليس من الأهمية بمكان ، بل إن الروائي الواقعي يستغني عنه في كثير من الأحايين ويضع المجتمع مكانه .

ولم تعد الرواية الحديثة تهتم بالمغامرات والأهوال والصراعات الجسدية بقدر اهتمامها بالحياة الرتيبة للأفراد العاديين ، ولذلك تكاد تخلو من الأحداث أو الحوادث بمعنى أدق ، لأن الحادث هو ما يقع للشخصية في حين أن الحدث هو ما يقع داخل الشخصية أو ما يصدر عنها من تصرفات يمكن أن تكون سلوكية ملموسة أو فكرية مجردة .

وقد انصب اهتمام الروائيين المحدثين على الحياة الداخلية للإنسان كنتيجة لاكتشافات **علم النفس** ، وأدى هذا إلى ارتباط الرواية بالمنهج العلمي الدقيق الذي ينأى عن الصدفة كعامل من عوامل **البناء الدرامي** ، وعن الحيل الهزلية التي لا تهتم إلا بإثارة الضحك ، وعن العناصر الميلودرامية التي تهدف إلى إثارة الدهشة والرعب ولا شيء غير ذلك . **لذلك بدأت الحبكة في التراجع إلى الخلف وبرزت أهمية دراسة الشخصية من كل جوانبها السوية وغير السوية على حد سواء .**

الشخصية .. والحدث

ويقول الروائي الأمريكي **هنري جيمس** إن الشخصية ليست سوى التجسيد الحي للحدث في حين أن الحدث ليس سوى الشخصية وهي تتحرك وتحيا . وعندما يتكلم الروائيون المحدثون عن الشخصية فإنهم يقصدون الشخصية الإنسانية بصفة عامة بصرف النظر عن مركزها الاجتماعي وثروتها الاقتصادية ، لذلك نجد **فيكتور هوجو** يمجد بطل روايته «**البؤساء**» وهو مجرد سجين هارب .

بذلك أصبحت الشخصيات البطولية من بين ضحايا المجتمع نفسه ، بحيث يقع اللوم على عاتق المجتمع بسبب قيمه المتغيرة التي تطحن الناس مع دوران عجلتها : أي أن المجتمع أصبح يقوم بدور الشرير في الرواية .

وفي فن الرواية بصفة عامة تبدو الشخصية التجسيد الحي للحبكة التي تربط بين الخلفية والشخصية . وبدون الحبكة يحدث انفصام بين الشخصية والخلفية ولا يستفيد أحدهما درامياً من الآخر . ومنذ القرن الثامن عشر لم تعد الخلفية مجرد وصف لمناظر الطبيعة من جبال وتلال وسهول وغابات وبحار ، بل تحولت إلى التركيز على الصراع الاجتماعي الذي يتبلور بطريقة مكثفة من خلال الصراع النفسي داخل الشخصيات .

ويتراوح الاهتمام بالشخصية أو الخلفية من روائي إلى آخر ، فبعض الروائيين يبدأ من الخلفية وينتهي بالشخصية في حين يضع البعض الآخر



★ ت . س . اليوت ★



★ موبسان ★

الشخصية في خدمة الخلفية التي تتحول بدورها إلى البطل الفعلي الذي يمد ظله لكي يغطي كل المواقف والأحداث . وهذا المنهج يتبعه الروائيون الذين يركزون على الفن الشعبي والملامح المحلية للمجتمع المعاصر ، وعندما ازدهرت المدرسة الطبيعية في القرن التاسع عشر تحولت الشخصيات إلى مجرد ملامح للخلفية العريضة المتحركة خلفها .

ويعتقد الروائي الاسكتلندي **وولتر سكوت** أن الخلفية يمكن أن تكون تاريخية أيضاً : أي مستمدة من التاريخ البعيد ، لكنه ـ مع ذلك ـ لم يكن رومانسياً بالمفهوم التقليدي بل حاول أن يستفيد من الواقعية التقليدية بحشد خلفيته بعامة الناس من فلاحين وأجراء ، كما هي مزدحمة بالملوك والأمراء الذين يقطنون القصور . وهذا ما يسميه **سكوت** بالالتزام التاريخي ، لأن التاريخ يصنعه كل من يعيش في عصر ومكان معينين بصرف النظر عن مركزه الاجتماعي .

لكن مفاهيم **سكوت** المشوشة تمكنت من أن تتبلور عند الواقعيين الفرنسيين الذين تمكنوا من إيجاد منهج أدبي ونقدي لهذا الالتزام البدائي ، فيقوم **ستندال** بتأليف روايته الشهيرة «**يوميات القرن التاسع عشر**» ، ويكتب **بلزاك** «**الكوميديا الإنسانية**» التي يعترف أنه استوحاها من «**روايات ويفرلي**» **لوولتر سكوت** . لكن **ستندال** لم يلتزم بمجرد التسجيل التاريخي بل استفاد من تجارب علم الأحياء وخاصة التي قام بها **جوفري سانت هيلير** ، لذلك يعد من مؤسسي المذهب الطبيعي الذي يربط بين أصل الأنواع وحركة التاريخ الملازمة لعصره .

أما بالنسبة **لبلزاك** فإن «**الكوميديا الإنسانية**» لم تكن مجرد سلسلة متعاقبة من الروايات التي تنتمي إلى نوع واحد ، لكنها بناء روائي متكامل يحاول الاحاطة بكل أنواع العلاقات الإنسانية ، سواء تلك التي بين المدينة والقرية ، أو بين الرجال والنساء ، أو بين الأغنياء والفقراء . فالصراع الدرامي ليس بين طبائع بشرية مختلفة بقدر ما هو خلفيات اجتماعية متعارضة . و **زولا** في تسجيله للتاريخ الطبيعي والاجتماعي لأسرة واحدة عاشت في عصر الإمبراطورية الفرنسية الثانية ، كان أكثر علمية ومنهجية من **بلزاك** . ومع ذلك لم يترك قوانين الوراثة تسيطر على رواياته التجريبية وتحيلها إلى أبحاث علمية جافة ، ففي روايته «**ابنة العم بيتي**» ينهض البناء الدرامي على الآثار المترتبة على الوقوع في الإثم ، لكن الشخصيات تنبض بالحياة ولا تقول إلا ما تحس به فعلاً .



★ بلزاك ★



★ اميلي برونتي ★



ولعل الخطأ الواضح الذي وقع فيه **إميل زولا** كان اهتمامه المبالغ فيه بتسجيل كل تفاصيل الخلفية الاجتماعية لدرجة أنه كثيراً ما كان يترك قلم الروائي ليقوم بمهمة المسح الاجتماعي، مما أثر على البناء الدرامي في رواياته، ومن ثم أثر على استمتاع القراء. **ومع ذلك فقد أصر على نظريته الروائية التي تحدد مفهوم الرواية بأنها نظرة إلى أوسع رقعة ممكنة من الحياة بشرط أن تصل إلى أعمق قرار لها يساعدها في ذلك المنهج العلمي الصارم.**

لكن تلاميذ **زولا** هجروا منهجه عندما بلغوا مرحلة النضج وخاصة التسجيل الحرفي للتجربة المعاشة، والإحصائيات الدقيقة، والمستندات الرسمية، والبانوراما الدقيقة العريضة وغير ذلك من الخصائص التي ميزت المدرسة الطبيعية. فقد فضلوا الاختيار الفني على التصوير الفوتوغرافي لكل شرائح المجتمع، بحيث يتركز الضوء على رقعة ضيقة جداً يمكن أن نرى الإنسانية كلها منها. أو كما قال **جي دي موباسان** إن الروائي يجب أن يتعامل مع شريحة اجتماعية واحدة فقط لأن التركيز هو منهج الأدب بصفة عامة. **من هنا نشأت القصة القصيرة التي استفادت كثيراً من هذا المنهج الذي لم يطبق بنجاح في مجال الرواية نظراً لاتساع رقعة السرد التي لا تقنع بشريحة واحدة.**

الانطباعية

وعندما ضاقت الرقعة التي يهتم الروائي بتجسيدها إلى أقصى حد تحول الاهتمام من المجتمع إلى شخصية الكاتب وأحاسيسه. هنا كانت مرحلة الانتقال من **الطبيعية إلى الانطباعية، ومن المجتمع إلى النفس، ومن الرواية إلى الروائي نفسه** الذي فرض ظله على كل الشخصيات والمواقف بحضوره الدائم في كل جزئيات الرواية. وفي بعض الأحايين كان يقوم بدور البطولة والراوي في آن واحد مثلما فعل **تشارلز ديكنز** في «**ديفيد كوبر فيلد**»، أو أن يوكل السرد إلى شخصية ثانوية يختفي خلفها كما فعلت **إميلي برونتي** في «**مرتفعات وذرنج**» عندما قدمت مدبرة المنزل مسز دين لتتحدث نيابة عنها.

ولا شك فإن استعمال **ضمير المتكلم** في السرد يمنح الروائي حرية في الحركة لكنه قد يقضي على تماسك البناء الذي يجب أن يتميز بالنظرة الموضوعية، وقد يؤثر على رسم الشخصيات بحيث نراها فقط من خلال نظرة البطل. وقد ينسى الروائي في غمرة اهتمامه بنفسه ومشاعره حتميات النظرة الموضوعية بحيث يمكن أن تتحول الرواية إلى مجرد ترجمة ذاتية له.

وقد أدرك **ديكنز** هذه الحقيقة في روايته «**البيت الكئيب**»، بحيث تراوح السرد بين ضمير المتكلم والغائب طبقاً لمتطلبات الموقف الدرامي. فانطباعات البطلة الساذجة وتسجيل مذكراتها اليومية قد كتب بكل برودة وحياد ضمير الغائب، في حين أن ضمير المتكلم كان يومض فقط في الحوار المباشر بين الشخصيات. بهذا تمكن **ديكنز** من الاقتراب والابتعاد عن بطلته حتى يراها من كل الوجوه وتحت كل الأضواء، وبحيث يستطيع استغلال أدوات التهكم والسخرية منها إذا دعت الحاجة إلى هذا.

إن علاقة الروائي ببطله ليست مجرد تعاطف، وهذا ما يؤكده كل من **جين أوستن و هنري جيمس**. فالحياة أعرض وأشمل من حدود الشخصيات التي يربط الروائي نفسه بها، ويجب أن يقوم بهمزة الوصل بينها وبين الحياة، وإلا انقطعت الصلة نهائياً وتحولت الشخصيات إلى دمى متحركة بأصابع الروائي.

وفي أواخر القرن التاسع عشر لم يقنع الروائيون بمجرد وصف الشخصيات، وإبراز وجهة نظرهم المحددة الواعية بل تحولوا إلى إبراز انطباعات الشخصية وإحساساتها الداخلية، وما عرف بعد ذلك **بتيار الشعور** بحيث تبدو الشخصية حية من الخارج والداخل في آن واحد. ولم يهتم الكاتب بمشاعره هو بقدر تجسيده لإحساسات الشخصية، وبذلك تكون الانطباعية لأول مرة قد بلغت مرحلة الموضوعية الفنية بدلا من التركيز على الذاتية الشخصية للأديب. وحتى إذا كانت المشاعر التي تنتاب الشخصية هي مشاعر الأديب نفسه فيجب عليه أن ينفصل عن الشخصية، بحيث تتحول إلى مشاعرها الخاصة بها.

ولكن **مارسيل بروست** لم ينجح كثيراً في روايته: «**البحث عن الزمن الضائع**»، وقد أدرك هو نفسه هذه الحقيقة فكان دائم الاعتذار بطريقة أو بأخرى عن شخصيته الطاغية على موضوعية روايته. وقد حاول **جيمس جويس** تفادي هذا في روايته «**يوليسيس**» عن طريق البانوراما العريضة التي تمتد لتغطي **مدينة دبلن** كلها، وعن طريق الغوص في الأعماق المظلمة لبطله بحيث لم نر إلا البطل في حين اختفى الروائي تماماً وراء ظله العريض والعميق.

وقد أساء جمهور عريض من القراء فهم هذا المنهج الروائي بحيث تصوروا أن الرواية ليست سوى تسجيل لحياة الروائي ومغامراته. من هنا كان انكبابهم على تتبع الحياة الخاصة للكاتب، ولم يلق الأديب الموضوعي سوى الاهمال والاعراض عن أعماله لأنه يجسد الجزئيات والخلايا بعيداً عن ذاته. عانى من ذلك **فلوبير وميرديث وترولوب**، لأن جمهور القراء لم يستطع التفريق بين الأصالة الأدبية الرائعة والنجاح التجاري المؤقت. وقد ساعد على عدم التفريق هذا الناقد الفرنسي **سانت بيف** الذي أكد أن الرواية مجرد حرفة تستغل الفن للوصول إلى الجمهور، وعلى الروائي أن يعرض بضاعته بالأسلوب الذي يروق للزبون بحيث يرغبه في الشراء أو الاطلاع.

لكن الزمن أوضح أن **الأدب التجاري يخضع لقانون العرض**

والطلب ، وهو القانون الـذي لا يمكن أن تخضع لـه روح الإنسان التي يتعامل معها الأدب . والأدب التجاري بطبيعته لا يهدف إلى الأصالة أو المعاناة لأن هدفه هو الرواج ، لذلك ارتبط دائماً باصطناع عالم وهمي جميل تهرب إليه جموع القراء من وطأة الواقع الجاثم . وغالباً ما يزخر هذا العالم بالجنس والوهم بحيث يمكن أن يتحول إلى إدمان عند القراء مما يعجزهم عن مواجهة حياتهم ، وهذا ليس من وظيفة الأدب في شيء .

ومن الظواهر التي ارتبطت بفن الرواية أنه كان أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بحركة المجتمع المعاصر ، فعندما تطور مجتمع الطبقة الوسطى الذي اقتنع بالواقعية كمرآة لذاته ، أصبحت الواقعية ـ مع التطور ـ غير قادرة على سد الاحتياجات الروحية والفكرية والوجدانية للمجتمع ، بحيث أصبحت الحاجة ملحة إلى ابتكار أنماط روائية جديدة من حيث الشكل بحكم أن المضمون قد تغير وتطور . لكننا لا نستطيع التنبؤ بالأشكال الجديدة ، مثل الجنين في بطن أمه لا يستطيع أحد التنبؤ بملامحه برغم أننا نعلم جيداً أنه سيولد ويخرج إلى الوجود .

الرمزية والمثالية

ويقول **توماس مان** إنه لو حدث تحول من الواقعية والذاتية فلا بد أن يكون تجاه المثالية والموضوعية ، لأن الحياة نفسها تقع بين هذين النقيضين ولا ثالث لهما . وفي المثالية والموضوعية يلجأ الأديب إلى **الرمز والصورة** بدلا من الشرح والتحليل . وهذا ما حدث في الأنواع الأولى البدائية للأدب العالمي بصفة عامة ، فقد بدأت بالأسطورة ورموز الخير والشر ، حتى الأدب الأميركي ـ أحدث الآداب العالمية ـ نجده يبدأ من نفس النقطة . وروايات **هوثورن وملفيل** أكبر دليل على ذلك .

وليس من العجيب ـ في أواخر القرن العشرين ـ أن يعود الأدب إلى الرمزية والمثالية الموجودتين في الأساطير القديمة والملاحم الموغلة في تاريخ الأدب لكي يستلهم منها الأشكال التي تناسب المضامين المعاصرة .

مستقبل الرواية

أما عن مستقبل الرواية فنحن لا نستطيع التنبؤ بشيء ، لأن هذا في حد ذاته لا يهم كثيراً ، لكن الذي يهم أن فن الرواية استطاع أن يشكل ركناً هاماً في الحضارة الإنسانية التي عاصرها ، لأن إمكاناته كانت أشمل وأوسع من إمكانات الأنواع الأدبية الأخرى . فقد استطاع أن يشمل الحياة الإنسانية كلها بكل تناقضاتها التي تتراوح بين أعلى قمم العظمة وأعمق سفوح التفاهة ، كما استطاع هذا الفن أيضاً أن يستوعب أنواعاً متعددة من الأدب ، وأنماطاً مختلفة من التطور الاجتماعي ، بحيث جمع بين الفن الجميل بموضوعيته وأصالته وبين التسجيل التاريخي والاجتماعي بفائدته الجمة للدارسين والباحثين .

لذلك يمكن الحكم النقدي على الرواية من ناحيتين : **الأولى** من ناحية **علم الجمال** واصراره على القيمة الفنية للشكل وعلاقته العضوية



★ اميل زولا ★

★ ستندال ★

بالمضمون وتجسيد الحياة المعاشة في كل متكامل ، والناحية **الثانية** من جهة **العلوم الإنسانية** وأيمانها بعمق النظرة واتساع الأفق والالتصاق بالحياة .

وعلى سبيل المثال فقد تجسدت هذه الخصائص في رواية « **الحرب والسلام** » **لتولستوي** ، إذ إنها جمعت بين التسجيل والفن في وحدة لا تقبل الانفصام ، وحدة جسد فيها تولستوي العلاقة بين حياة الأفراد والمصير العام المتربص بهم ، وكذلك العلاقة بين حركة التاريخ والطبيعة البشرية . ومن خلال هذا كله تبلورت الحياة بكل صراعاتها ومتناقضاتها .

أنواع الرواية

وبصفة عامة فإن الرواية تنقسم إلى أنواع رئيسية هي الرواية **الاجتماعية والتاريخية والبوليسية والسيكولوجية والدرامية والسياسية والدعائية والفولكلورية** . ولا يعني هذا أنه لا توجد أنواع أخرى ولكن هذه هي الملامح الرئيسية للفن الروائي .

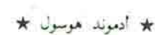
وتدرس الرواية الاجتماعية أثر الوضع الاقتصادي والاجتماعي في فترة ومكان معينين على السلوك الإنساني . وكان **بلزاك** أول من أوضح أهمية المال وحيازته على كيان الإنسان ، وتبعه بعد ذلك **كينجزلي** في رواية « **الخميرة** » ، **ومسز جاسكل** في رواية « **ماري بارتون** » ، **وديزرائيلي** في رواية « **سيبل** » ، **وديكنز** في « **الأوقات العصيبة** » . ونظراً لارتباط هذه الروايات بالقضايا الاجتماعية المعاصرة ، فقد فقدت معظم جدتها بمرور الوقت ، وأصبحت قيمتها تاريخية ليس إلا .

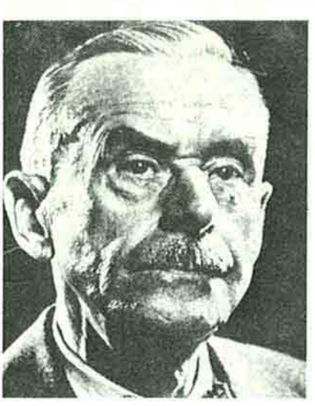
أما القيمة الجمالية فلم تساعد الرواية على الاحتفاظ برونقها لأنها لم تكن كافية ، لذلك تنضوي هذه الرواية تحت بند روايات القضايا الاجتماعية التي تدور حول الطلاق أو الضياع أو التفرقة العنصرية . وإذا زادت حماسة الروائي أكثر من اللازم وقام بمساندة مبدأ ضد آخر فإنه يدخل في نطاق **الرواية الدعائية** الصريحة وبذلك يقضي تماماً على القيمة الفنية لروايته .

أما **الرواية التاريخية** فتهتم بتسجيل الأحداث الفعلية للتاريخ ، لذلك فإن الوقائع والشخصيات والخلفية تستمد كلها من الماضي .

وتنقسم الرواية التاريخية بدورها الى أنماط ثلاثة :







★ توماس مان ★

النمط الأول : رواية الحقبة التي تقدم بانوراما عريضة لفترة تاريخية معينة بكل تفاصيلها وأحداثها وشخصياتها التي غالباً ما يقتصر دورها على مجرد تمثيل الخطوط العريضة للحقبة . ومن الروايات الأولى في هذا المضمار رواية **بارثيليمي** « **اناكرسيس في اليونان** » عام ١٧٨٨ م ، ورواية **سترات** « **بلاط الملكة** » عام ١٨٠٨ م .

والنمط الثاني : رواية المزج التاريخي بالخيال وفيها يهرب الروائي من وطأة الواقع المعاصر إلى أمجاد التاريخ السالف ومغامرات أبطاله الصناديد كما نجد في أعمال **ديماس وليتون** وبعض أعمال **سكوت** ، وكلها ذات نزعة رومانسية هروبية .

أما النمط الثالث : من الرواية التاريخية ، فهو رواية التاريخ الاجتماعي ، وفيها يعكس الروائي أحداث التاريخ الماضي على أحوال مجتمعه المعاصر بحيث تبدو الحياة نابضة ومستمرة من الماضي إلى الحاضر . وقد اتبع **ثاكري** هذا المنهج في رواية « **هنري ايزموند** » **وجورج إليوت** في رواية « **رومولا** » . فهي روايات لا تهرب من الواقع بقدر ما تساعد القارئ على الرؤية الصحيحة والشاملة . لذلك تبدو فيها العلاقة الحية بين التاريخ والمجتمع ، أو بين الزمان والمكان . فهي ترتبط بالحياة العامة الشاملة ولا تقتصر على حقبة تاريخية معينة ، والروائي في هذا ليس على استعداد للانحياز سواء إلى الماضي أو إلى الحاضر على حساب الآخر . ويقول الناقد **بيرنباوم** في كتابه « **المرشد إلى الحركة الرومانسية** » إن رواية « **الحرب والسلام** » استغلت التاريخ لبلورة الإنسان وليس العكس . فقد كتبها **تولستوي** بعد مرور أكثر من جيل على وقوع أحداثها ، واستطاع أن يحيل أقاصيص وذكريات الطفولة إلى قوة إبداعية في الدفع الدرامي للأحداث .

ويتفق إدوين موير في كتابه « **بناء الرواية** » مع كل من **ا . م . فورستر** في كتابه « **ملامح الرواية** » ، **وهنري جيمس** في كتابه « **فن الرواية** » على أن البناء الدرامي للرواية هو العامل الأساسي والوحيد الذي استطاع أن يصطنع منها فناً قائماً بذاته وله شخصيته المميزة ، لذلك يجب أن نفرق بين نوعين من الشكل الفني للرواية : **النوع الأول** وهو **الرواية الملحمية أو البانورامية** ، **والثاني** وهو **الرواية الدرامية التشكيلية** التي تهدف إلى الإبداع الفني أولا وأخيراً .

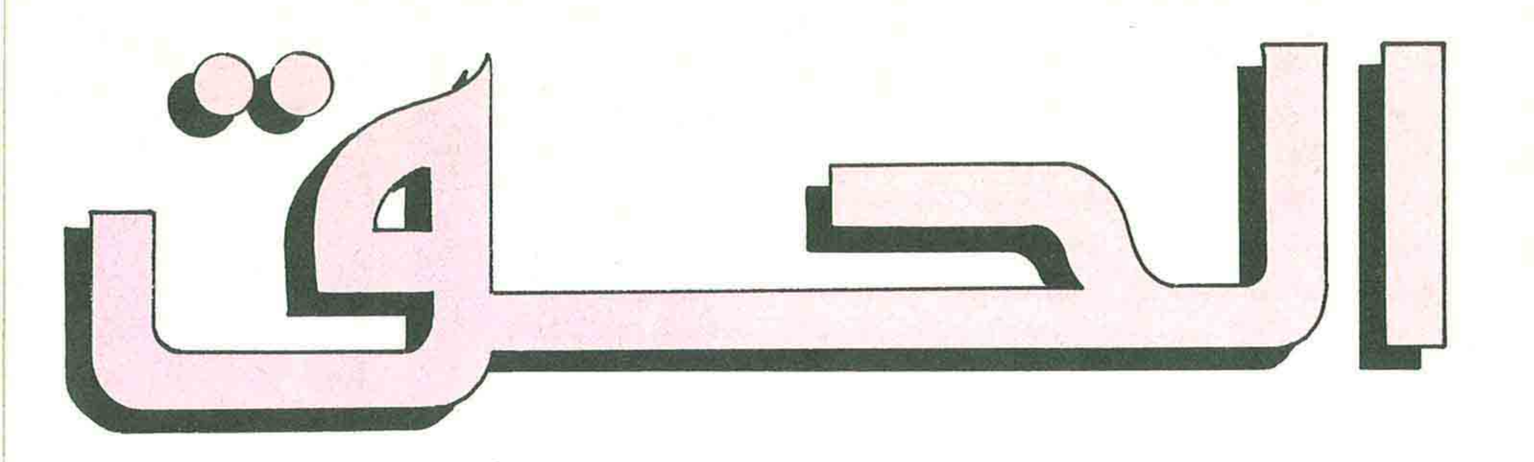
والرواية البانورامية ذات حبكة هزيلة ومفككة ولا ترتكز على حجر زاوية واحد ، فالأحداث تعتمد في تسلسلها على عامل الصدفة ومزاج الكاتب الشخصي . وغالباً ما تأتي النهاية مفتعلة لأن الروائي يعجز عن وضع الخاتمة الطبيعية لأن الأحداث تكون قد صرفته بعيداً عن الخط الأساسي ولذلك يضطر إلى قطعها وبترها بأي شكل ، لأنه فقد سيطرته الدرامية على الشخصيات المتعددة التي لا تمثل نفسها بقدر تمثيلها لظواهر طبيعية واجتماعية ، ومن ثم فإنها غالباً ما تعجز عن شد انتباهنا وإثارة تعاطفنا .

أما **الرواية الدرامية** فتركز الانتباه على خط أساسي واحد يعتمد على التسلسل المنطقي والتدفق الطبيعي للأحداث من أول موقف في الرواية تتكشف فيه طبائع الشخصيات وتفكيرها وسلوكها الذي يجب ألا يتغير إلا بناء على احتكاك فعلي وحاسم بالمواقف وليس لمجرد التدخل الشخصي للكاتب . وهذا واضح في رواية « **الكبرياء والتعصب** » **لجين أوستن** ، ورواية « **النرجسي** » **لجورج ميرديث** حيث لا يحدث أي تطور في الشخصيات إلا عن طريق احتكاكها بالشخصيات الأخرى داخل مواقف محكمة التصوير . لذلك يصعب علينا الفصل بين الشخصية والموقف .

وقد نظر **صامويل ريتشاردسون** بعين الاحتقار إلى الوصف العابر لطبائع الشخصيات وانعكاساتها ، لأن الرواية الدرامية تتعدى الوصف السطحي للأشياء إلى التوتر الكامن في النفس البشرية . وعلى هذا التوتر يقوم الصراع الدرامي لأية رواية . ويجب أن يهدف الروائي إلى التكثيف والتركيز وليس إلى التوضيح والتحليل . **فالرواية هي بؤرة العدسة التي يرى فيها الإنسان حياته في ومضات حادة وسريعة .**

وإذا كان الكاتب المسرحي يلزم نفسه أحياناً بالوحدات الثلاث : **الحدث والزمان والمكان** فليس أقل من أن يلتزم الروائي بوحدة الحدث حتى لا تفقد الرواية حدتها وكثافتها ، وعظمة رواية مثل « **مرتفعات وذرنج** » تكمن في هذا . ومنهج الرواية الدرامية هو الحذف والاختيار وليس الإضافة والاحتواء ، حذف المسح الشامل للمجتمع واختيار قطاع صغير للتركيز عليه ، بحيث يتيح للروائي التعمق وارساء الأساس المتين لإقامة بنائه الدرامي الشامخ وليس مجرد العرض الفوتوغرافي لأكبر مساحة مسطحة ممكنة كما تفعل الرواية البانورامية أو الرواية الملحمية .

وفي المستقبل قد توجد أشكال روائية جديدة لا يمكن التنبؤ بها ، لكننا سنتمكن من التعرف عليها في حينها وربطها بالتراث الروائي العالمي ، لأن هذا الفن العظيم قادر على استيعاب الحياة وبلورتها ، ولذلك يجدد نفسه باستمرار عن طريق تطوير أشكاله وتوليدها حتى يواكب تيار الحياة المتدفق والمتجدد دوماً . حتى آخر **صيحات اللارواية والرواية الضد** توضح لنا أن هذا النوع الرافض لكل الأشكال التقليدية للرواية أكثر حرصاً على تجديد الشكل الروائي وتطويره من الذين يساندون الشكل التقليدي حتى لا يتجمد ويتحول إلى قالب يذهب بالرواية بعيداً عن موكب الحياة .





كتب البروفسور السويسري فريثيوف شون Frithiof Schuon ، أستاذ علم الدين المقارن ، بحثاً عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشخصيته ومكانته في الإسلام ، ضمن كتابه « فهم الإسلام » الذي أراد له أن يكون بمثابة مدخل إلى عالم الحقيقة الإسلامية !

ولقد وجدت فيما كتب « شون » حقائق كثيرة تمثل جوانب وضاءة في حياة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، ولمست في بحثه نبرة موضوعية قلما يجدها المرء فيما يكتب الغربيون عن النبي والإسلام .

لكنني وجدت أيضاً أخطاء كثيرة ! ووراء هذه الأخطاء منهج خاطئ ، ومنطلق خاطئ ! وأرجو أن أوفق إلى وضع يد القارئ على كل ذلك ، وأن نبلغ معاً شيئاً من النفع من وراء بيان الحقائق والأخطاء على السواء !

ومن أجل التزام الموضوعية ، سوف أتجنب منهج بتر النصوص على نحو « لا تقربوا الصلاة » الذي يفضي لا محالة إلى تطويع الحقائق لأهواء الناقدين ، ويقصيهم عن إدراك حقيقة آراء الكاتب ؛ وسوف أفسح المجال لاقتباسات مطولة من كلام « **شون** » ، بحيث يتمكن القارئ من المشاركة في النقد والتقويم لحساب نفسه ، بصرف النظر عما أفهمه أو أنتهي إليه !

صفات النبي الخلقية عند « شون »

ولنبدأ بالعناصر التي يرى الرجل أنها بارزة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول الأستاذ : « إن المرء حين يألف حياة محمد ألفةً حقيقية كما تصورها المصادر التقليدية تبرز له ثلاثة عناصر يمكننا التعبير عنها مبدئياً بالمصطلحات الآتية : **التقوى ، والجهاد ، والشهامة** . ومعنى التقوى هو الاتصال القلبي الكامل بالله ، والإحساس بالآخرة ، والإخلاص المطلق لله ، ومن ثم كانت التقوى سمة في الأولياء ، وفي رسل الله على نحو أبلغ » .

« وفضلاً عن هذا ، لقد كانت في حياته حروب وغزوات ، وكانت فيها عظمة تفوق عظمة البشر ، لم تتأسس على مبادئ العنف ؛ وكانت فيها زيجات ، ومن خلال هذه الزيجات ولج النبي ـ بحكمة ـ في حياة الناس الدنيوية الاجتماعية ، ولا نقول الحياة الأرضية الدنسة ؛ »

ولكن ما التقوى التي هي جانب بارز في حياة الرسول ؟

التقوى هي : « حالة العبودية بأسمى معانيها ، وهي تشمل الفقر التام ، والفناء أمام الله ، وهذا المعنى ليس مبتوت الصلة بالنعت « أمي » الذي يوصف به النبي . إن التقوى هي الصلة التي تصلنا بالله ؛ وفي الإسلام هذه التقوى ـ قبل أي شيء آخر ـ فهم عميق للإله الواحد المتجلي بأقصى ما يسع البشر ؛ لأن الإنسان المكلف يجب أن يدرك هذا الجلاء المباشر ، وهنا لا نجد تفرقة حادة بين « **الإيمان** » و « **المعرفة** » .

ثم إن هذا الإدراك هو إدراك للواحد ، وهو إدراك يتخطى حدود فهمنا ذي الطابع الراهن والجانبي ، والذي هو جهل إذا نظرنا إليه في ضوء المعرفة التامة : ولا يوجد ولي من أولياء الله ليس عارفاً بالله . **وهذا هو ما يفسر لنا لماذا كانت للتقوى في الإسلام** ـ ومن باب أولى للورع الذي هو ثمرة لها ـ **هذه المسحة من الإخلاص** ؛ إنها نوع من التقوى يفضي بالتقي ، بحكم ماهيته ، إلى عالم التأمل والعلم » .

ولقد كانت تتجسد في النبي فضائل الإخلاص والكرم والقوة أيضاً :

« والقوة هي التي توطد دين الله الحق ، وربما تنقلب إلى قوة قتالية حين تمس الحاجة إلى القتال ؛ القوة توطد دين الله الحق في الروح وفي العالم معاً ، وهنا يتمثل التميز الذي أقامه الإسلام بين ضربي الجهاد

والباطل في نظرية "شون"

بقلم : د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم

المقدس ــ الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر ، أو الجهاد الباطني والجهاد الخارجي ــ . **والكرم** هو الذي يعوض عن الجانب العدواني في القوة ، **فهو إحسان وعفو** ؛ وهاتان الفضيلتان المتكاملتان تبلغان الذروة ــ أو تفنيان بمعنى ما ــ في فضيلة ثالثة هي **الإخلاص الذي هو بمثابة انعتاق من العالم ومن « الأنا » ، وفناء أمام الله ، وعلم به ، واتحاد معه وبه »** .

ويمضي « **شون** » في بيانه لصفات النبي الخلقية فيقول :

« وإن النعوت التي يوصف بها النبي لأيات على فضائله الروحية التي أهمها : **الفقر** ، (الذي هو صفة للعبد) ، ثم **الكرم** (الذي هو صفة للرسول) ، وأخيراً الصدق أو الإخلاص (الذي هو صفة للنبي الأمي) . **والفقر تركيز روحي** ، أو هو بالأحرى الناحية السكونية في التركيز الروحي ، **وهو قطع الأمل** non-expansion ، وتبعاً لهذا هو **التواضع** ، بمعنى كظم الغيظ (حسب لفظ الترمزي) ؛ **أما الكرم** فهو مثل الشرف قضاء على الأثرة ، والقضاء على الأثرة ينطوي ضمناً على بر الجار بمعنى تجاوز التفرقة الوجدانية بين « الأنا » والآخر . **وأخيراً يأتي الصدق ، وهو الصبغة الفكرية للعقل ؛ والصدق على المستوى العقلي هو المنطق أو هو التجرد ، أو هو في عبارة موجزة : حب الحق »** .

الفضائل الإسلامية كما نعرفها

وهنا لا بد من كلمة لنصحح ما ذهب إليه الأستاذ في تعريفاته للفضائل الإسلامية .

فالإخلاص في الإسلام يعني أن يكون باعث العمل وهدفه واحداً بعينه ، **وهو مرضاة الله ؛ وهو نقيض الرياء** الذي عده الرسول صلوات الله عليه شركاً أصغر . ووصف الإخلاص بأنه انعتاق من العالم صحيح ، لكنه مجازي وغامض ؛ وأما وصفه بأنه فناء أمام الله واتحاد به ، فلغة صوفية شعرية لا تفيد علماً ، وتنطوي على إشكالات عويصة بسبب اختلاف الصوفية أنفسهم بشأن مفاهيم الفناء والعلم والاتحاد !

وأما التواضع فهو في الإسلام تقويم موضوعي للنفس وللآخرين ، وحب للحق واحتفال به : وعلامات التقويم الموضوعي للنفس وللآخرين هي حب الحق والانصياع لمنطقه ، بصرف النظر عن مصدره ؛ يضاف إلى ذلك إقبال المسلم بنفس راضية على الأعمال النافعة البسيطة التي يقوم بها عادة صغار العمال أو الخدم ؛ وربطه بالفقر أو قطع الأمل لا سند له من القرآن والسنَّة .

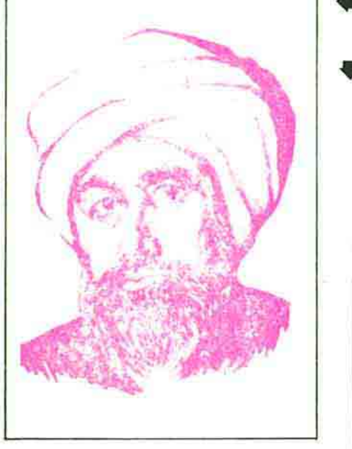
والصدق ــ أخيراً ــ ليس مجرد حب للحق ، ولكنه أيضاً : قول الحق ، والدفاع عنه ، وإذاعته . ومناجزة الباطل ودحضه وحرب أهله ؛ وهذا يتطلب تضحيات جساماً ربما تبلغ الشهادة في كثير من الأحيان !

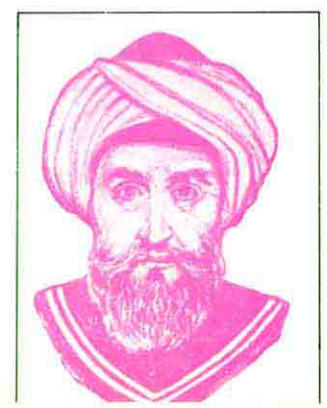
الاقتداء بالنبي .. ماذا يعني ؟

والمسلمون مطالبون بالاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي هذا يقول « شون » : « الاقتداء يتضمن ــ أولاً ــ القوة ، أي قوة المرء (المسلم) مع نفسه : **ويتضمن ــ ثانياً ــ الكرم إزاء الآخرين ؛ ويتضمن ــ ثالثاً ــ الإخلاص في الله وبالله** .

★ ابن الرومي ★

★ ابن عربي ★





وبوسعنا أن نقول أيضاً إن الاقتداء بالنبي هو : الإخلاص من خلال التقوى ، وبأعمق معاني هذه الكلمة » .

« ويتضمن الاقتداء بالنبي ــ فضلاً عن هذا ــ أولا : الاعتدال بالنظر إلى العالم والحياة ؛ وثانياً : النبل داخل نفوسنا ، وداخل وجودنا ؛ وثالثاً : الصدق بالله وفي الله » .

ثم يضيف بعد ذلك بقليل : « **والاقتداء بالنبي يعني تحقيق التوازن بين ميولنا السوية** ، أو إن شئت المزيد من الدقة ، تحقيق التوازن بين فضائلنا المتكاملة ؛ وتبعاً لهذا ، وقبل كل شيء ، كان هذا الاقتداء فناءً في الإله الواحد ، على أساس هذا التناسق أو التناغم » .

ويلحظ القارئ هنا **نبرة صوفية واضحة** في عبارات « **شون** » . ونحن ندعها الآن جانباً لأننا سنناقش ميوله ومنطلقاته الصوفية فيما يلي من هذا المقال .

إن نبي الإسلام هو المثل الأعلى للمسلم ؛ والاقتداء به عليه السلام فرض ؛ والتأسي بخلقه العظيم واجب . قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٢١) .

وهذا هو السبب في الحب العظيم الذي يكنه كل مسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

« **حب النبي يشكل عنصراً أساسياً في الحياة الروحية الإسلامية** » .

« وحب النبي ينبثق في قلوب المسلمين لأنهم يرون في النبي الأنموذج الأول والمثل الأعلى للفضائل التي تصنع الجانب الإلهي في الإنسان كما تصنع الجمال والتوازن في الكون ، وهي بمثابة المفاتيح أو المسالك التي تهديهم إلى الإله الواحد الذي يملك النجاة ؛ إنهم يحبونه ويقتدون به حتى في أهون تفاصيل الحياة اليومية . **فالنبي ، مثل الإسلام ككل ، وعاء سماوي ــ إن جاز التعبير ــ أعد لتلقي دفقات عقل المؤمن وإرادته** ؛ النبي وعاء سماوي فيه يصبح العناء نفسه راحة تفوق الراحة الطبيعية » .

« شون » وموقفه من الإلحاد والمادية

هذه هي أهم الحقائق التي تضمنها بحث البروفسور **شون** عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وهي التي أغرتني بترجمته ودراسته .

ولكن صورة فكر الرجل لن تكتمل في ذهن القارئ إلا إذا علم أن « **شون** » **واحد من المدافعين عن الدين ضد الإلحاد والمادية** ؛ إنه لم يكشف عن حقيقة الدين الذي هو عليه ، ولكنه وقف من الإلحاد والمادية موقفاً عدائياً حاسماً ، وصوب سهامه البارعة القاتلة إلى مبادئهما الزائفة التي تنكر الروح ووجودها ، وترفض كل معرفة غير حسية ! وهذا يتضمن تكذيب الكتب السماوية ، وإنكار الدين جملة وتفصيلاً !

« ... إن الدين ، وكل صور الحكمة التي تسمو على العقل ، إنما تنتسب إلى نظام غير عقلاني ، نلحظ حضوره في كل مكان حولنا ، إلا أن يكون قد أعمانا عن ملاحظة ذلك حكم خاطئ مسبق لواحد من علماء الرياضيات ؛ وإن معالجة الوجود بوصفه واقعاً رياضياً وفيزيائياً بحتاً إنما تعني تزييفه بالنسبة لأنفسنا ، وفي داخل أنفسنا ، ولا بد في النهاية من أن ينسف نسفاً » .

ومعنى هذا الكلام أن **من المحتم الاعتراف بالوحي كضرب من المعرفة المستقلة عن العقل البشري والتجربة الحسية** ؛ فالإنسان السوي الفطرة يدرك دون عناء أن هذا الوجود الشاسع لا يمكن أن يوجد بمجرد صدفة (كما يدعي الماديون !!) ، وأن خالق هذا الوجود جل شأنه لا بد أن يرعاه ويوجهه ، ومن هنا بعث الله عز وجل أنبياءه بالرسالات والكتب التي هي حكمة بالغة تسمو على كل حكمة عقلية . وأما الزعم بأن العالم أو الوجود مجرد مادة محسوسة وأنه لا وجود لشيء سوى المادة المحسوسة ، فزعم زائف لا سند له من العلم أو العقل ، وتضليل يبعد الإنسان عن حقيقة الوجود وعن حقيقة نفسه .

وإذا انساق الإنسان وراء هذه المبادئ المضللة الزائفة « فلن يظل إنساناً » . والحضارة الإنسانية الحقة هي الحضارة التي تعرف للدين مكانته وقيمته ؛ **وليس ثمة حضارة لها قيمتها دون دين ؛ لأن الدين هو جوهر روح الإنسان** . وإعادة صياغة الإنسان المعاصر تعني إعادة توثيق روابطه بالله .

إن « **شون** » **يرفض الفلسفة المادية** ومواقفها من : الوجود ، والمعرفة ، والأخلاق ، والحضارة ؛ ويتبنى وجهة نظر دينية تؤمن بوجود الله ، والروح ، وبصدق المعرفة الدينية ، وتؤكد على ضرورة تشييد الحضارة الإنسانية على أساس من هذه الحقائق . ولعل هذا هو ما يفسر موقفه الإيجابي من الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم .

الجوانب السلبية في دراسة « شون »

لقد انصرفت اهتمامات البروفسور الكبير إلى دراسة البوذية ، فضلاً عن المسيحية والإسلام ، بحكم تخصصه في علم الدين المقارن ..

ومن هنا جاءت كل الأخطاء !

فهو يبدو مصمماً وعازماً كل العزم على اكتشاف تماثلات وتشابهات بين : **المسيح** ، (عليه السلام) ، **وبوذا** ، **ومحمد** صلى الله عليه وسلم ؛ وكذلك بين : المسيحية ، والبوذية ، والإسلام !

ولكن كيف يتمكن من ذلك ؟

إن اتخاذ وجهات صوفية متطرفة هو السبيل الوحيدة التي تمكنه من ذلك ! ومن هنا بدأ الرجل شديد الإعجاب بابن عربي **وجلال الدين الرومي** ، وبالتفسيرات الصوفية للإسلام عامة ، وبمكانة رسول الله وطبيعته .

إغفاله المنهج العلمي

إن مما يؤسف له بحق أن ينسى الباحث الغربي أوليات البحث

العلمي، تلك التي صاغها «**رينيه ديكارت**» ضمن قواعد منهجه الشهير، **فيتناول موضوع بحثه وهو عازم على بلوغ نتائج محددة ومعينة** تتفق مع مجموعة من الآراء والاعتقادات التي يؤمن بها سلفاً!

وأخطر الأخطاء التي انساق إليها «شون» نتيجة لإغفال المنهج العلمي هو: تذبذبه وتشككه في بشرية النبي صلى الله عليه وسلم، وميله الواضح إلى فهم طبيعته على أنها طبيعة إله حل في إنسان، كما فهم النصارى طبيعة المسيح!!!

وإليك كلام الرجل نفسه، حتى لا نظلمه أو نظلم أنفسنا؛ قال:

«... وسبب ذلك هو أن حياته (النبي صلى الله عليه وسلم) الروحية الواقعية ـ بخلاف **المسيح وبوذا** ـ تنسدل عليها حجب بشرية وأرضية خاصة؛ ومرد ذلك إلى وظيفته كمشرع لهذه الدنيا. وهكذا كان (النبي) على مثال الأنبياء الساميين العظام: **إبراهيم وموسى وداوود وسليمان** أيضاً».

فهو هنا يدرك جانباً من الاختلافات بين **المسيح وبوذا ورسول الله** صلى الله عليه وسلم.

لكنه في الفقرة التالية يبدي ميله الغلاب إلى تصديق تفسيره الخاطئ بأن **محمداً** إله حل في إنسان!!!

يقول: «لقد أشرنا فيما سبق إلى طبيعة محمد التجسدية، وهي الطبيعة التي يمكن الاعتراض على إثباتها بالقول إنه في نظر الإسلام (وبتعبير آخر يؤدي المعنى نفسه)، إنه في اعتقاد **محمد** ذاته، لم يكن **محمداً** وما كان يمكن أن يكون تجسيداً لإله Avatara. لكن ليست هذه هي المشكلة في الحقيقة، لأن من الجلي أن الإسلام ليس الهندوسية، وأنه يتنافى مع أية فكرة حلول incarnation.

ونحن نجيب على مثل هذا الاعتراض بمنتهى البساطة مستعملين المصطلح الهندوسي ـ وهو مصطلح مباشر أكثر من غيره ـ كما أنه أبعد المصطلحات كفاية، نجيب قائلين بأن مكوناً إلهياً معيناً اتخذ ـ في ظروف دورية خاصة ـ شكلاً أرضياً معيناً، وهذا الشكل يتفق كلية مع ما شهد به **رسول الله** بخصوص طبيعته الخاصة؛ **فهو قد قال: «من رآني فقد رأى الله»**؛ [الحق]؛ و«أنا هو، وهو أنا..»؛ و«كنت نبياً وآدم بين الطين والماء».

ويقول: «وعلى أية حال، إذا كانت نسبة الألوهية إلى شخصية تاريخية أمر مناقض للإسلام، فذلك لأن فكرة الإسلام تركز على «المطلق» من حيث هو كذلك».

وفي مكان آخر يقول إن الصلاة على النبي: «تشير إلى الإلهام النبوي، وإلى خاصية التفرد النسبي، والمركزية، في ذلك الإنسان الذي تجسد فيه الله، Avatara».

وفي نهاية البحث يقرر أن نبي الله محمداً: «لا يجسد الله مطلقاً. ولا يتجسد فيه الله مطلقاً».

وفي آخر سطر من بحثه يقول إن طبيعة النبي نصفها إلهي أو سماوي ونصفها الآخر أرضي!

فالرجل يدرك بوضوح أن عقيدة «حلول الله في إنسان» منافية ومناقضة لمبادئ الإسلام، ومع ذلك يسوغ لنفسه الزعم بأن السنَّة الشريفة تنص على أن مكوناً ألهياً حل في إنسان، أو اتخذ شكلاً أرضياً ـ حسب تعبيره ـ وأن ذلك المكون الإلهي حل في أنبياء الله الواحد بعد الآخر، وليس في أحدهم دون الآخرين!

والسنَّة الشريفة بريئة كل البراءة من كل مذاهب الحلول!

تحريفه للحديث: «من رآني فقد رأى الحق»

ولا بد أن نقف هنا وقفة طويلة لنحسم هذا الضلال المبين!

فبالنسبة للحديث الأول: «من رآني فقد رأى الله»، نلاحظ أن «شون» حرف النص لكي يساير هواه! إن النص كما جاء في **البخاري** هو: **«من رآني فقد رأى الحق»**. (انظر: فتح الباري؛ باب ١٠ ـ ص١٢ / ٣٨٣ ـ طبعة المكتبة السلفية)؛ فهو قد استعمل كلمة «God» (= الله) في صلب النص، وهذا هو التحريف! ثم وضع كلمة «الحق» ونظيرتها الإنجليزية «The Truth»، مستعملاً الحرف الكبير في أولها لكي يبين أنه يريد بها اسم علم، أي أحد أسماء الله الحسنى.

لقد فسر «شون» الحديث كما يحلو له، ثم ترجم هذا التفسير!

وليس ثمة من علماء السنَّة من فسر كلمة «الحق» في هذا الحديث الشريف بمعنى «الله»، أو على أنها دالة على أحد أسماء الله، كما أراد الكاتب السويسري المرموق!

أجل، إن الحق من أسماء الله الحسنى؛ لكنه في هذا الحديث لم يستعمل بهذا المعنى على الإطلاق. ولقد تجد في كتب السنة تفسيرات وتأويلات كثيرة لهذا الحديث الشريف، لكنك لن تجد فيها أي تفسير أو تأويل يشابه تحريف الأستاذ «**شون**»!!

ولو أراد الأستاذ وجه الحق لأخذ ببقية الحديث كما وردت في الرواية الأخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه! ففي هذه الرواية جاء قوله عليه

★ أرسطو ★

★ كانط ★



السلام : « **من رآني فقد رأى الحق ، فإن الشيطان لا يتكوني** » .

وجاء في شرحه أن من رآه صلى الله عليه وسلم في النوم رأى حقيقته ، كمن رآه في اليقظة سواء . وقال آخرون إنّ من رآه رآه على صورته التي كان عليها ؛ ويلزم من هذا أن من رآه على غير صفته أن تكون رؤياه من الأضغاث . وقيل إن معناه **أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم « في كل حالة ليست باطلة ، ولا أضغاثاً ، بل هي حق في نفسها** ؛ ولو رؤي على غير صورته فتصور تلك الصورة ليس من الشيطان ، بل هو من قبل الله » . (المصدر نفسه ؛ ٣٨٤)

هذه هي تفسيرات علماء المسلمين التي تغافل عنها « **شون** » !

فهل علم الدين المقارن يجوز ذلك ؟ هل يجوز « العلم ! » إغفال علماء الدين من أجل تبني نص محرف ، أو تحريف الترجمة ، ثم بناء نظرية كاملة على أساس من هذا التحريف ؟

وإذا كان الحديث الأول محرفاً ، فإن الثاني محض افتراء ، ولا أصل له في معجم ألفاظ السنَّة ، ولا في أي واحد من الصحاح أو المسانيد ، بل ولا في كتب « الموضوعات » ، أي الأقوال المنسوبة زوراً إلى رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام !

ولعل هذا هو السبب في أن « شون » أورد الحديث دون إثبات مصدره ، كما فعل بالنسبة للحديثين الآخرين أيضاً ! وواضح أن هذا ليس من قبيل التقصير أو الإهمال أو الجهل بأصول البحث العلمي ، **وإنما هو أمر مقصود ، لهدف مرصود !**

وأما الحديث الثالث : « **كنت نبياً وآدم بين الطين والماء** » فقد قيل فيه الكثير !

قال السخاوي : « لم أقف عليه بهذا اللفظ ، فضلاً عن زيادة : وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين » .

وقال الزركشي : « لا أصل له بهذا اللفظ » .

وقال ابن تيمية : « لا أصل له ، لا من نقل ولا من عقل ! فإن أحداً من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل ، فإن **آدم** عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط ، فإن الطين ماء وتراب ، وإنما كان بين الروح والجسد ، ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن **النبي** صلى الله عليه وسلم كان



★ راسل ★

★ ديكارت ★



حينئذ موجوداً ، وأن ذاته خلقت قبل الذوات ، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة ، مثل حديث أنه كان نوراً حول العرش ، فقال : « **يا جبريل** ! أنا كنت ذلك النور . . » ؛ وقد أورد **السيوطي** هذا الحديث في « ذيل الموضوعات » صفحة ٢٠٣ ، وأقره **ابن تيمية** » . (انظر : الأسرار المرفوعة ؛ ٢٧١ ـ ٢٧٢) .

فما نقول في هذا أيها القارئ العزيز ؟ أليس هذا بعينه هو الضلال المبين ؟

لقد أراد البروفسور الكبير أن يصور نبي الإسلام في صورة مماثلة لصورة المسيح وبوذا !! ولهذا كان لا بد من التحريف ، والتزوير ، وتبني الأحاديث الزائفة الموضوعة ، والاعتداد بها ، مع إغفال الحقائق الثابتة التي تتنافى معها !

حقيقة النبي والنبوة

إن من المؤكد أن الكاتب الكبير قد قرأ القرآن الكريم ، وعرف حقيقة النبي والنبوة كما حددتها آياته الواضحة ؛ لكن أغلب الظن أنها لم ترق له ، لأنها تناقض اعتقاده السابق الذي كان يتحتم أن يتجرد منه . ولا بد أن نتساءل ، بالمناسبة ، ما حقيقة النبي والنبوة في القرآن الكريم ؟

يقول عز وجل : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٤٤)

ويقول تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٤٠)

ويقول تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ (سورة الفتح ، الآية ٢٩)

ويقول تعالى : ﴿ **يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ (سورة الأحزاب ، الآيتان ٤٥ ـ ٤٦)

فمحمد صلى الله عليه وسلم : رسول الله ، وخاتم النبيين ، وشاهد ومبشر ونذير ، وداع إلى الله بإذنه ، وسراج منير .

فهل في هذه الصفات ما يستدعي حلول الله في النبي ؟! هل فيها ما يحتم أن يكون النبي إلهاً أو رباً تجسد في إنسان ؟!

القرآن الكريم يجيبنا في وضوح وحسم ! قال تعالى : ﴿ **ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون** ﴾ (سورة آل عمران ، الآيتان ٧٩ ـ ٨٠) .

هذه هي باقتضاب حقيقة النبي والنبوة كما جاءت في كتاب الله ، المصدر الأول لكل حقائق الإسلام .

وهذا هو موقف القرآن الكريم من أكذوبة الحلول !

وكان ينبغي أن يتخذه « **شون** » وأن يقف عند حدوده ؛ فالقرآن

الكريم هو المصدر الأول للحقائق الدينية الإسلامية ؛ وكان ينبغي إغفال أي تفسير يناقض آيات القرآن البينات الحاسمات .

لم يفعل الرجل ما ينبغي ، وراح يجري وراء التفسيرات الصوفية المتطرفة !

فهل من تفسير لهذا المنهج العجيب غير الاستسلام للأحكام المسبقة ؟!

إن الغربيين يحتمون الرجوع إلى **أرسطو** على كل من يريد أن يكتب عنه ، والرجوع إلى « **كانت** » على كل من أراد الحكم على فلسفته ، والاستشهاد بأقوال **برتراند رسل** على كل من تصدى لتقويم فكره ؛ فكيف يجوز لمن يكتب عن نبي الإسلام أن يغفل كتاب الإسلام الأول وسنَّة رسوله الصحيحة ؟!

لقد أجاز **شون** لنفسه ذلك ! ولا تفسير لهذا الخطأ المنهجي الفظيع إلا التسليم بأنه **خضع لسطوة عقائده السابقة** ، وتناول بحثه بقصد الوصول إلى نتائج محددة سلفاً !

والتغافل عن الحقائق القرآنية من أجل الجري وراء التفسيرات الصوفية المتطرفة إنما جاء نتيجة حتمية لذلك الخطأ المنهجي الشنيع !

أمثلة لتفسيراته الصوفية المتطرفة

وإليك أمثلة قليلة لتلك التفسيرات الصوفية المتطرفة كي تتأكد من صحة ما ذهبنا إليه .

يقول الرجل : « والنبي ، منظوراً إليه بالمعنى الباطن (أي الصوفي) والشامل للكلمة ، هو ــ على هذا ــ الكل الذي نحن شذرة منه ؛ ولكن هذا الكل يتجلى فينا أيضاً ، وعلى نحو مباشر ؛ إنه مركز الروح ، أي عين القلب ، وكرسي القوة التي لم تخلق ، القوة السماوية أو الإلهية التي يعتبر الأنا بالنسبة لها المحيط الكوني الصغير ؛ وهكذا نقع نحن على المحيط بالنسبة للروح ، ونكون جزءً بالنسبة للخلق » .

ويفسر « **شون** » قوله تعالى : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً** ﴾ (سورة الأحزاب ، الآية ٥٦) تفسيراً صوفياً ، فيقول إن الله في هذه الآية هو المبدأ غير المتجلي ؛ والملائكة هم الكائنات المتجلية ، ولكنها فائقة للطبيعة ؛ والجن والإنس هم الكائنات المتجلية ، وهم الذين يحتاجون إلى هداية النبي لكي يكونوا من الذين آمنوا . والروح الكونية هي قلب هذا التجلي ! وعلى هذا : « فالمسلم الذي يصلي على النبي يصلي ضمناً على العالم وعلى الروح الكلية ، وعلى الكون والعقل ، وعلى الكل والقلب معاً ، بحيث ترتد الصلاة ــ وقد ضوعفت عشر مرات ــ من كل فرد من تجليات المبدأ ، ترتد على المسلم الذي صلى على النبي مستحضراً قلبه » .

ثم يضيف : « إن التجلي الذي تعبر عنه كلمة صلاة ــ حسب رأي الشيخ **أحمد العلوي** ــ يشبه البرق ، فهو من نوع لحظي ، وينطوي ــ إلى حد ما ــ على فناء الوعاء البشري المتلقي له ، بينما التجلي الذي يعبر عنه بكلمة « سلّم » ينشر الحضور الإلهي في أعطاف الفرد نفسه ؛ ويقول الشيخ إن هذا هو السبب في أن الفقير (أي الصوفي) ينبغي دائماً أن ينشد السلام الذي يستحق « السلام » كتحية من الله ، وذلك حتى لا يختفي الوحي أو الحدس كومضات البرق الخاطف ، ومن أجل أن يثبت في روحه » .

ويقول أيضاً : « إن الصوفي الذي يقتدي بالنبي كمثل أعلى له لا ينبغي أن يكون الله !! (هكذا !!!) ولا أن يكون شيئاً آخر غير الله » !!!

يقول هذا ومثله وأكثر منه دون أدنى سند من القرآن الكريم أو السنَّة الصحيحة !

ولقد وددت أن أنقل أمثلة أخرى ؛ لكني أتوقف لإحساسي بأن القارئ المسلم ، السليم الحس ، والسديد الإدراك ، لا بد أن يكون قد بدأ يضيق ذرعاً بهذه التعبيرات الغامضة الملتوية المضللة التي لا تفيد شيئاً !

وربما ظن البعض أنه كان علي أن أشرح هذا الكلام الغامض . والحق أن أقوال الصوفية لا يمكن أن تشرح ! والسبب معروف وواضح تماماً ، وهو أنها لم تكتب لتفهم أصلاً !! هذا هو ما يقرر الصوفية أنفسهم ، باعتبارهم أهل ذوق وتذوق لا أهل فهم ومنطق !

عقائد « الحلول » ضد التوحيد

ولعل من الواجب أن نضيف حقيقة أخرى ، هي أن « **شون** » شديد الإعجاب بغلاة الصوفية ، **وبابن عربي** خاصة ، بوصفه صاحب عقيدة حلول ، ولأنه كان يؤمن بصحة جميع الأديان بما في ذلك الوثنية !

بهذا نعرف مدى سطوة النزعة الصوفية المتطرفة على الأستاذ السويسري الكبير ! تلك السطوة التي أناخ لها « **شون** » قلبه وعقله ؛ فإنها هي التي وافقت أهواءه ، وكانت سبيله إلى بلوغ مآربه !

لكن الحقيقة تبقى شامخة ووطيدة !

الحقيقة التي تؤكد أن كل عقائد « الحلول » تناقض الإسلام ومبادئه وعقائده ؛ وكل من يؤمن بشيء منها فالإسلام بريء منه ، باعتبار « الحلول » ضد التوحيد الإسلامي المطلق وطبيعة ومكانة نبي الإسلام هي تلك التي حددها القرآن ، لا غلاة الصوفية . وعلى من يبتغ الحقيقة من الغرب أو الشرق أن يصغي إلى إملاء القرآن ، وصحيح سنَّة رسول الإسلام .

وأما هواة الباطل فليس أمامهم إلا التحريف ، والافتراء ، والأحاديث الزائفة .

وإنني لأشعر بأن « **شون** » لم يكن يريد الإساءة إلى رسول الإسلام ، ولا هو أراد الحط من قدر ديننا العظيم . . . ولعل هدفه كله لا يعدو سبقاً علمياً أو كشفاً مثيراً في مجال علم الدين المقارن !!

ومع ذلك فالنتيجة هي هي . . . تحريف ، وتزييف ، وضلال بعيد . . . !

ومنهج خاطئ ، ومنطلق خاطئ ، ونتائج أبعد خطأ . . . !!

معركة العام والخاص

قال إميل بوترو بحق عام ١٩٠٧م ، وقد أحس بما تنطوي عليه الفيزياء الحديثة من نتائج لا تقدر : «يظهر أن العقل يسير من الكلي إلى الجزئي !» . فلم يكن هذا الكلام آنذاك أي صدى إذ كان سابقاً لأوانه . لكن العلم ما فتئ يغذ السير ، فإذا بنتائجه اليوم تسبق إلى هذا السؤال : أيهما هو موضوع المعرفة اليوم : الكلي أم الجزئي ، العام أم الخاص ؟

إن هذا السؤال يفجع بدون شك رجال الفلسفة التصورية القديمة ، والقسط الأكبر من العلماء في الوقت الحاضر من أصحاب المدرسة التقليدية التي تؤكد ألا علم إلا للعام ، للقانون ، للكلي ، وأما الخاص ، وأما الجزئي فلا أهمية له ولا وزن إلا بقدر ما يدل على الكلي ويأخذ بأيدينا إليه . **فالمعلوم منذ عهد سقراط أن العلم إنما هو العلم الكلي ، وأن الوقائع الجزئية لا قيمة منطقية لها إلا بمقدار ما تنضوي تحت تصور عام وقانون كلي تجتمع فيه خواصها المشتركة كلها .**

لا جرم أن هذا الرأي التقليدي الذي بدأت تظهر عليه أعراض الشيخوخة اليوم لا يخلو من فائدة . فهو خير معوان لنا على تصنيف المعلومات وتوحيد المعارف ، ولكن ذلك إنما كان على حساب الجزئي ، لأن فيه تضحية بالأحوال العينية للواقعة المحسوسة واغفالا لما يجعلها هي هي ويحققها في الزمان والمكان .

الجزئي في نظر العلماء.. حدث عارض

لقد كانت الحماسة لتقنين الظواهر الطبيعية واخضاعها للمفهوم الكلي (أو القانون) كبير جداً . وتسلح العلم بالرياضة ــ وهي العلم الكلي الوحيد الذي ظل يحتفظ بقيمته من تراث اليونان ــ فاكتسح شيئاً فشيئاً جميع ميادين الفيزياء والكيمياء ، واتجه صوب العالم الحي يمنّي النفس باخضاعه لهذه الحتمية الكلية الصارمة ، بل لقد امتد إلى سلوك الإنسان يريد غزوه بهذه الحتمية واقتناصه بها .

ويستوي في ذلك جميع الفلاسفة تقريباً ، منذ عهد اليونان حتى العصور الحديثة . **وكان العلماء أحرص من الفلاسفة على توكيد هذا الأمر ، فالجزئي في نظرهم إنما هو حدث عارض ومرحلة من مراحل وضع الكلي ، لأن القانون وحده يمكنه التعبير عن الحتمية التي يقال إن العلم لا يتحقق إلا بها ، وهكذا شطبت الحتمية اسم الجزئي من سجل الوجود ، مع أنه لا وجود إلا بالجزئي .**

ولكن هذه الحال لم تدم طويلاً . فقد وقعت أزمة في بعض العلوم أدخلت الشك في صحة المبادئ الأساسية للعلم وبدأت تعيد الاعتبار إلى الوجود العيني للأشياء ، أي وجودها الجزئي المتحقق في الزمان والمكان .

وجاءت إشارة الخطر من النظرية الحركية للغازات . فلقد ظهر أن القانون بمعناه الحقيقي المطلق لا ينطبق انطباقاً تاماً على ضغط الغازات : فمن الصعب ضبط النظام في عالم لا تعرف أجزاؤه النظام . ومع هذا فقد ظن المتزمتون أن الشذوذ محصور في الغازات وحدها وأن من الممكن التغلب يوماً ما على هذا اللامعقول ، إذا أردنا استعمال تعبير **مايرسون .**

والقانون مجرد ظاهرة إحصائية

وجاءت الضربة الثانية من العالم على صعيده الأدنى Subatomique, microphysique فالظواهر في هذا العالم تتمرد على القانون وتأبى الخضوع له حتى لقد قيل مراراً إن القانون اختراع أكاديمي أكثر منه تفسير عن طبيعة الأشياء . وإذا كان هذا التمرد لا يمكن الشعور به في العالم على صعيده الأعلى macrophysique أي عالمنا نحن ، عالم الحواس ، عالم الأعداد الكبيرة الهائلة ، **فهي** مع ذلك تدخل نوعاً من الشذوذ والاختلال في هذا العالم ، مما حدا **بإميل بوترو** وغيره من أقطاب الرياضة والفيزياء وفلاسفة العلم في الوقت الحاضر إلى القول **بأن القانون الطبيعي ليس له غير درجة عالية من الاحتمال ، وأن من الممكن باستمرار وجود فرق طفيف بين ما يقرر القانون وما يقع بالفعل** . ولذلك فقد نظر إلى القانون على أنه **مجرد ظاهرة إحصائية** ، ظاهرة معدلات بين أعداد كبيرة ، ونتيجة لوقائع فردية لا

في العلوم الحديثة

حصر لها . **إنه لا يحكم الظواهر ، بل هو مشروط بها ومجرد خط بياني لأفاعيلها ومساراتها .**

ويأتي « **هيزنبرغ** » عام ١٩٢٥ م ، فيثبت أن مسار الإلكترون لا يمكن تتبعه وملاحظته . فمن المستحيل أن نحدد في وقت واحد حالته الديناميكية وحيزه في المكان : فإما أن نحدد هذا أو تلك ، لأن تحديد كل واحد منهما يكون على حساب الآخر . **وهذا يؤذن من جديد بانهيار الحتمية الكلية التي لا تقيم وزناً للفرد أو الجزء ، والتي تقوم على إمكانية التنبؤ بظواهر الطبيعة وتزعم أن التنبؤ إنما هو مسألة حسابية محض** . فالفرد أو الجزء هنا قد أفلت من عقال الحتمية ولم يعد من الممكن حشره في القانون .

ولا يرجع عدم إمكان تحديد الأمرين معاً (الحالة الدينامية للإلكترون وحيزه) إلى عجز الأجهزة العلمية ، كما كان يعتقد كثير من المتزمتين المتعنتين الذين لا يخلو منهم زمان ومكان ، وإنما هو نتيجة حتمية لطبيعة الأشياء . ذلك بأن (الإضاءة) التي يمكن بها تحديد موقع الإلكترون إما أن تكون طاقة فوتوناتها قوية ، فتبلبل بذلك الحركة الدينامية للإلكترون ، وإما أن تكون طاقتها ضعيفة ، فيستحيل عندئذ تعيين موقعه . وهكذا فإن كل كسب في دقة الحالة الدينامية للإلكترون إنما يتم على حساب معرفة حيزه في المكان . والعكس صحيح أيضاً .

فكل هذه الوقائع وكثير غيرها تظهر لنا أهمية الجزئي أو الموجود العيني التي تزداد يوماً عن يوم ، وترينا كيف كان العلم الحتمي الكلي يعمل في عالم المجردات ، وكيف أن الجزء ، أي الموجود الحقيقي ، لم يكن له من وزن ، مع أنه لا وجود إلا له .

وإذا كان ذلك شأن القانون في ميدان الفيزياء ، وكان الجزء يصعب ضبطه والتحكم به فيه ، فأحرى أن يكون ذلك أشد صعوبة في ميدان علم الحياة ، حيث التعقيد أعظم والتنظيم أكبر . فشخصية الجزء هنا أشد ظهوراً منها في الفيزياء ، وعلم الكلي أكثر تقلصاً .

ويمكننا أن نوغل في هذا المعنى ونؤكد أهمية الكائن العيني الحقيقي من زاوية أخرى . **فالمعلوم أن الحتمية تعتمد على العلية (السببية) الخارجية . ومؤداها أن ظاهرة ما تكون علة لأخرى إذا سبقتها في الزمان** . فهي مظنة أن تنقل إلى المعلول قوة

بقلم : د . محمد عبد الرحمن مرحبا

خفية من شأنها أن تحدث فيه تغييراً . إن عملية (النقل) هذه لا يزال أمرها مستغلقاً حتى في أبسط حالاتها : ظاهرة التصادم . فالعلماء يجهلون مثلاً كيف أن حركة الجسم الصادم تنتقل إلى حركة الجسم المصدوم ، ومع هذا فيؤكدون أن الأولى علة للثانية .

ولقد اقترح الفيلسوف البولندي المعاصر **جاكو بزياك** أن يحل محل هذا التصور البراني للعلية تصور جواني immanent مؤداه أن سبب الحركة وسبب كل تغير في أي جسم إنما كان يجب البحث عنه وطلبه لا خارج هذا الجسم ، بل في باطنه ، في طبيعته الخاصة . **فالجسم نفسه ينطوي في تضاعيفه على جميع علل وجوده وكل أسباب حركته . فكل علة إنما تنبع من باطن الجزء ولا ترد إليه من خارج . فلا نتكلم بعد اليوم على الحتمية الصارمة التي تنكر الحرية ، ولا على اللاحتمية الفوضوية ، بل لنتكلم على الحتمية الذاتية التي تنبع من صميم الأشياء .**

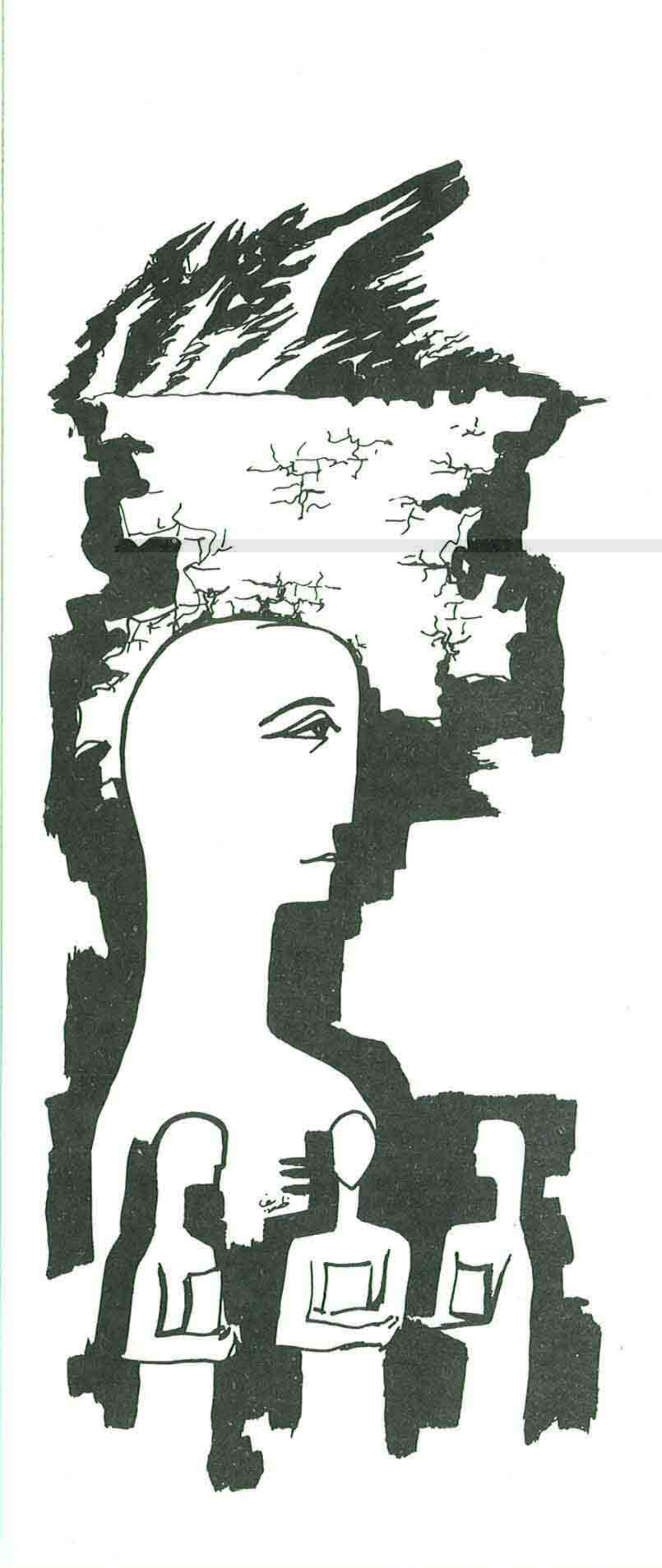
ولئن كان هذا التصور الجديد للعلية لا يزال يرتطم ببعض الصعوبات في العالم الفيزيائي فهو بادي الظهور في العالم الحي . فالخلية الحية أكثر تعقيداً من الذرة ، والخلاف بينهما في الدرجة لا في النوع . ومن يدري؟ فقد يمكن صنعها في يوم من الأيام .

فإذا كانت غاية العلماء هي معرفة الواقع الحقيقي فيجب أن يتخلوا عن الحكمة القديمة القائلة **بألا علم إلا للعام والكلي** . فالكلي يصدق بالجملة ، ولكنه عاجز عن تفسير الخاص تفسيراً أميناً .

نحن لا ننكر أهمية معرفة العام والكلي في جميع القوانين ، ولكننا ننكر أن يستأثر وحده بتفسير الحقيقة . فالعام والخاص ، والكلي والجزئي ، لا بد من تعاونهما معاً ، على ألا يكون العام سيداً . فالعام لما كان طابعه التجريد ، فهو بطبيعته عاجز عن اقتناص الجزئي من حيث هو جزئي وتفسيره ، فهو يمكنه توجيه الأبحاث ورسم الخطى ، ولكن ما يقوم الجزء ويجعله هو هو لا يقع في قبضته أبداً ، مع أن هذا الجزء هو الحقيقي وهو وحده الذي يتمتع بالوجود .

وا.. قلماه

شعر : محمد مهران السيد



يفجؤني النخاس ، فأنفر كالخيل الوحشيه
أنشر معرفتي كالصوت الصارخ في البريه
أصهل ..
حتى تتداخل أحجار الأبنية الورديه

●

أرتاع ، ولكن ..
.. لا أملك إلا أن أتقدم
إنسان ما ..
مكتوب ، أن يرتجف الآن ..
.. وأن يتألم

●

واقلماه ..
هذا علم مسيلمة الكذاب
يتقدم جيش الرده
فأعدوا.. محبرة ، من دمع لا ينفد
وصحافاً ، لم تعرف مرق الضأن ، ولا لبن الشاه
وبيوت الشعر المجتاحة .. في كل فلاه
وتعالوا ..
.. يا أسباط الجوع ، وسقط متاع الأزمنة الممتده
وليتدرع كل .. بكتاب
يا ورثة ألواح .. الصاحب ،
والمختار ..
.. وأسفار الأشعث .. والمقتول
هذا عام ، أسوأ من عام الفيل
« فصبراً في مجال الموت صبرا
فما نيل الخلود .. بمستطاع »



رولان بارت
رائد المدرسة البنيوية

بقلم : د . سامية أحمد أسعد

وُلد رولان بـارت R. BARTHES ، رائـد **المدرسـة البنيـوية في النقد** ، في «بايون» عام ١٩١٥م ؛ وعنـدما بلـغ العـاشرة انتقـل إلى **باريس** ، حيث أتم دراسته الثانوية والجامعية . لكنه انقطع عن الـدراسة عندما أصيب بـالسلّ (١٩٣٣م) ثم اتجـه إلى دراسـة الأدب عـام ١٩٤١م . لكنه أصيب بنكسة أعقبتها فترة طويلة من العلاج انتهت عام ١٩٤٦م . **وعمل بارت في مجال التدريس بصفة خاصة ، في بوخارست والإسكندرية** على سبيل المثال ، وانتدب للعمل بـإدارة العلاقات الثقافية من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٢م . ثم حصل على منحة من **المركز القومي للبحوث** لكي يقوم بـأبحاث في مجال علم **المعاجم** والدلالات والرموز الاجتماعية . ولعل أهم رحلتين قام بهما إحداهما إلى **الولايات المتحدة** (١٩٥٨م) ، والأخرى إلى **الصين** . وتُوّجت حياة بارت الأدبية بدخوله «**الكوليج دي فرانس**» ، الجامعة الحرة التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر . **وفي نهاية مارس (آذار) ١٩٨٠م ، صدمته سيارة وهو سائر على قدميه في أحد شوارع باريس ، وتوفي بعد الحادث بثلاثة أيام عن ثلاثة وستين عاماً .**

أعماله الأدبية

بارت واحد من ألمع النقّاد الجدد في فرنسا، وأكثرهم إحساساً. وتدل مؤلفاته على فهم عميق لقضايا النقد والأدب الذي لعب دوراً هاماً في تطورهما. ولربما كان الوحيد بين نقّاد عصره الذي اعترف بمحاسن النقد القديم والجديد ومساوئهما أيضاً. وكثيراً ما تميّزت آراؤه بالصحة والعمق والطابع الشخصي المبتكر.

صدر أول كتاب لبارت عام ١٩٥٤م، وكان عن **المؤرخ «ميشليه»**، وفي عام ١٩٥٧م، صدر كتابه الثاني **«أساطير»** الذي جمع فيه مقالات سبق أن نشرها في إحدى الصحف اليومية. وعام ١٩٦٣م، نشر أهم كتبه، وهو عن **الكاتب المسرحي «راسين»**. وأثار هذا الكتاب جدلا عنيفاً طويلاً بين ممثلي النقد القديم والحديث. ونشر **«مقالات في النقد»** عام ١٩٦٤م، و **«درجة الصفر في الكتابة»** عام ١٩٦٥م، و **«نقد وحقيقة»** عام ١٩٦٦م، و **«نظام الموضة»** عام ١٩٦٧م، أما **«إمبراطورية الدلالات»** الذي يتحدث فيه بارت عن **الفن التشكيلي**، فنُشر عام ١٩٧٠م. وكان آخر كتاب هام ظهر لبارت هو **«متعة النص»** (١٩٧٣م)، والمقصود بالنص هنا النص الأدبي بطبيعة الحال.

يتضح، من هذه العناوين، أن لرولان بارت اهتمامات شملت مجالات متعددة، وإن ظلت دائماً على علاقة وثيقة بالأدب، والنقد، وعملية الكتابة ذاتها. لذا، يصعب الحديث عنها جميعاً في نطاق مقال واحد. ومن ثم، كانت ضرورة الاختيار. ولعل كتابه «مقالات في النقد» (١٩٦٤م) من أهم الكتب التي جمع فيها آراء متفرقة حول هذه الموضوعات، من خلال قراءته لبعض النصوص ورده على بعض الأسئلة التي وجهها إليه النقّاد والصحفيون.

قراءة.. وقارئ

ونتوقّف لحظة عند كلمة **قراءة وقارئ** اللتان تلخصان الوظائف التي قام بها بارت في إطار نشاط الطليعة النظرية، منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً. ونستخدم **كلمة قارئ** هنا للدلالة على الشخص الذي يقرأ لحسابه الخاص، وكذلك الشخص الذي يقرأ بصوت عال أمام مستمع واحد أو عدة مستمعين. ونستخدمها أيضاً بمعناها التكنيكي الحديث، للدلالة على الأدوات التي تستخدم في نقل الأصوات المسجّلة، كالأسطوانة وشريط التسجيل. وأثناء عملية النقل هذه، ينتقل القارئ من مجموعة من **الدلالات** Signe إلى مجموعة أخرى. ذلك لأن القراءة تعيد تشكيل المادة الأولى المراد توصيلها. ويعني هذا أن القضية الأساسية، بالنسبة لبارت، كانت، وظلت دائماً، **قضية المعنى**. ومن خلال بحثه الدائم في هذا المجال يتضح أمران: **الأول** أن من يقرأ بارت يشعر بوجوده ككاتب دائماً. ذلك الوجود الذي يلمسه من صور البحث المتتالية. **والثاني** أنه يجد في كتابات بارت تسلسل المناقشات النظرية التي تميّز بها العصر: **النقد الجديد، الرواية الجديدة، البنيوية، علم الدلالات**، الخ...

علاقة الأدب بالكلام

من بين الموضوعات التي يتطرق إليها بارت في «مقالات في النقد» **علاقة الأدب بالكلام** Langage. فيقول إن الأدب يحتل وضعاً خاصاً لأن مادته هي الكلام، أي مادة لها معنى سابق للحظة التي يتناولها فيها الأدب. هكذا يدخل الأدب نظاماً لا يملكه، وإن كان يسعى إلى ذات الهدف الذي يسعى إليه الكلام، وهو **التواصل** Communication. يترتب على ذلك تداخل الأدب والكلام تداخلاً تتكون منه **كينونة الأدب**، بطريقة ما. من الناحية البنيوية، الأدب شيء طفيلي بالنسبة للكلام. لكن، لا بد من هذا الشيء الطفيلي لكي نفهم المجموعة المكونة منه ومن الكلام. بعبارة أخرى، هذا الشيء هو الذي يمثل الواقع. وقلب الوظائف على هذا النحو يفسر إلى حد ما الغموض الذي يكتنف **الحديث الأدبي** discours litteraire. فهو حديث يصدقه القارئ ولا يصدقه في نفس الوقت. وهذا ما يميّز الأدب عن سائر الفنون الأخرى.

فإذا أخذنا جملة من حوار روائي، وأخرجناها من سياقها، لاحظنا أنه لا يوجد شيء يمكن أن يفرّق بينها وبين الكلام العادي، أي أن هناك مطابقة تامة بين هذه الجملة والواقع الذي نُقلت عنه. ولا نجد شيئاً كهذا في مجال الرسم، حيث المسافة دائمة بين اللوحة و «**الموديل**». في مجال الأدب، المطابقة تامة بين مادة الأدب، أي الكلام، والكلام، لكنها تنعدم بين الواقع ورؤياه الأدبية. هكذا نرى **أن الأدب لا واقعي حتماً، لأنه لا يستطيع أن يذكر الواقع إلا من خلال الكلام، وعلاقة هذا الكلام بالواقع ليست طبيعية**. وبهذه المناسبة، يعقد بارت مقارنة بين الأدب **والشاعر الأسطوري «أورفيوس»** الذي هبط إلى الجحيم لإنقاذ زوجته: «كلما سار إلى الأمام، كلما اتجه الواقع الذي يسير خلفه إلى وضوح المعنى؛ لكن، إذا ما التفت وراءه، وجد أنه لم يتبق بين يديه سوى معنى سبقت تسميته، أي معنى ميت».

الناقد .. واللغة

ويشير بارت في مقام آخر إلى العلاقة بين الناقد واللغة التي يستخدمها، وهي علاقة شخصية لا يمكن أن ينكرها أحد. عندما يختار الناقد لغة بعينها، لا يختارها لأنها ضرورية، لأنه يتمتع إزاءها بحرية مطلقة. لكنها تصبح ضرورية في اللحظة التي يختارها فيها. صحيح أن عملية النقد يمكن أن تنصبّ على أي شيء. لكن، حرية الناقد المبدئية هذه تخضع لشرطين: أن تكون اللغة التي يختارها لغة متجانسة، متماسكة من الناحية البنيوية؛ والثاني أن تقول كل شيء عما تتحدث عنه. هكذا، يكون النقد حراً، لكن حريته ترتبط في النهاية بحدود المادة التي يختارها.

وعندما يتساءل بارت عن ماهية النقد، يقول إنه شيء آخر غير قول الحق باسم مبادئ حقيقية. يفترض أغلب النقاد وجود صلة عميقة بين العمل الأدبي والمؤلف اللذان يدرسانها. وبالتالي، لا يمكن أن تنعدم هذه الصلة أو تختفي إذا تعلّق الأمر بعمل الناقد ذاته. فالنقد، في كلامه عن العمل الأدبي، يشتمل على كلام ضمني عن نفسه. وهو نقد للعمل الأدبي ونقد لذاته. أي أنه بمثابة معرفة للذات ومعرفة للآخر. بعبارة أخرى النقد ليس مجموعة من النتائج أو الأحكام، بل نشاط، أي سلسلة من الأفعال الذهنية. فهل يمكن وصف مثل هذا النشاط بأنه حقيقي؟ بالطبع لا، لأن النشاط يخضع لمتطلبات أخرى. **فالكاتب الروائي، أو الشاعر، يتحدث من حيث المبدأ، أياً كان مسار النظرية الأدبية، عن أشياء وظواهر خارجة عن نطاق الكلام وسابقة له. فالعالم موجود، والكاتب يتحدث عنه. ذلك هو الأدب**. أما مادة ذلك الأدب، فمختلفة كل الاختلاف. فهي ليست العالم، بل حديث عنه. هكذا يتضح أن **مادة النقد كلام ثانٍ عن كلام أول**. ونتيجة لذلك، يحسب النشاط النقدي حساب نوعين من العلاقات: علاقة كلام الناقد بكلام المؤلف الذي يتحدث عنه، وعلاقة كلام المؤلف بالعالم. واحتكاك هذين النوعين من الكلام هو الذي يعرّف النقد، ويجعله شديد الشبه بالمنطق، وهو نوع آخر من النشاط الذهني.

وإذا كان النقد كلاماً ثانياً فحسب، فهذا يعني أن مهمته ليست بحال من الأحوال اكتشاف الحقائق، بل اكتشاف ما هو صحيح سليم فقط. فالكلام في حد ذاته ليس حقيقياً أم لا، بل صحيحاً أم لا، بمعنى أنه يكون مجموعة متماسكة من الدلالات والقواعد التي تخضع لها اللغة الأدبية لا تتعلّق بمطابقة هذا الكلام للواقع، وإنما تتعلّق فقط بخضوعه لمجموعة الدلالات التي حددها المؤلف لنفسه.

ويرى بارت أن مهمة النقد شكلية بحتة. فالنقد لا يسعى إلى اكتشاف شيء سري عميق في العمل الأدبي أو لدى الكاتب الذي يتناوله، بل يسعى إلى بيان مدى مطابقة اللغة التي يقدمها له عصره بالمجموعة الشكلية التي صاغها المؤلف وفقاً لمتطلبات العصر الذي عاش فيه هذا الأخير. يتعلّق الأمر إذن بنشاط «شكلي»، أساساً، بالمعنى المنطقي لهذه الكلمة. **يمكن إذن أن نقول إن غاية النقد لا ينبغي أن تكون تفسير معنى العمل الأدبي موضع الدراسة، وإنما إعادة تكوين القواعد التي أدت إلى وجود ذلك المعنى. هذا بشرط التسليم بأن العمل الأدبي لا يخلو من المعنى أبداً، ولا يتسم بالوضوح التام أيضاً**. ويفسر هذا الوضع أمران: من ناحية، يطرح العمل الأدبي بقوة بعض الأسئلة على العالم، ولا يرد عليها أبداً. ومن ناحية أخرى، ندرك أنه قابل للتفسير إلى ما لا نهاية. على سبيل المثال، **ما الذي يمكن أن يمنع النقاد من دراسة شكسبير في يوم من الأيام**؟.

وإذا اعترف النقد بأنه مجرد كلام، استطاع أن يكون ذاتياً وموضوعياً في آن واحد. فاللغة التي يختار الناقد التحدث بها هي إحدى اللغات الممكنة التي يقدمها له عصره. وهي، من الناحية الموضوعية، نتيجة نضج تاريخي للمعرفة، والأفكار، الخ.. أي أنها ضرورية ويختار الناقد هذه اللغة الضرورية وفقاً لموقف وجودي معيّن، نظراً لأنها ممارسة ذهنية خاصة، يضع فيها أفكاره، ومتعته، واختياره، الخ.. ومن ثم، يبدأ، داخل عملية النقد، حوار بين قصتين ذاتيتين: قصة المؤلف، وقصة الناقد.

النقد الجامعي .. والنقد التفسيري

وفي مقال يرجع إلى عام ١٩٦٣م، تحدث بارت عن نوعين من النقد يسيران في خطين متوازيين: نقداً يسميه **نقداً جامعياً** لسهولة العرض، وهو يتبع، أساساً، منهجاً وضعياً موروثاً عن «**لانسون**»، **ونقداً تفسيرياً** يمثله نقاد مختلفون، وإن جمع بينهم قاسم مشترك واحد، هو نقدهم للعمل الأدبي نقداً يصفه بارت بأنه أيديولوجي، للتفرقة بينه وبين النقد الجامعي سالف الذكر. ويرى بارت أن هناك علاقة بين هذين النوعين من النقد، ومع هذا فإن الفصل بينهما أمر ضروري.

وإذا كان النقد الجامعي مجرد بحث دقيق عن الوقائع البيوغرافية (أي المتعلقة بحياة المؤلف)، أو الأدبية، تساءلنا حقاً: هل يمكن أن يوجد أدنى قدر من التوتر بينه وبين النقد الأيديولوجي؟ لا يمكن أن ينكر أحد أهمية البحث عن المصادر، خاصة التاريخي منها، ومزايا التحليل الدقيق للظروف المحيطة بنشأة العمل الأدبي، وكلها منجزات سجلها النقد

الجامعي . لا يوجد إذن ، لأول وهلة ، أي مبرر يمنع النقدين من التعاون ، ما دام النقد الجامعي الوضعي يعمد إلى اكتشاف الوقائع ، تاركاً للنقد الأيديولوجي حرية تفسيرها ، أو بعبارة أدق ، إعطائها معنى معيّناً بالرجوع إلى نظام أيديولوجي معيّن . لكن ، مثل هذا التقارب بين النقدين يظل وهماً ، لأن العلاقة بينهما ، في الواقع ، علاقة تنافس ، لا تضامن .

عندما يقصر النقد الجامعي بحثه على **الظروف** التي أدت إلى نشأة العمل الأدبي وبلورته ، يعبر عن فكرة منحازة عن الأدب . وعندما يرفض التساؤل عن **ماهية الأدب** ، يكرس الفكرة القائلة بأن الأدب شيء « طبيعي » خالد . لكن ، **ما هو الأدب ؟ لماذا يكتب الأديب ؟ وهل يكتب أديب مدفوعاً بنفس الأسباب التي تدفع أديباً آخر إلى الكتابة ؟** .

عندما يرفض النقد الجامعي طرح هذه الأسئلة ، يرد عليها بطريقة غير مباشرة ، ويتبنى الفكرة التقليدية التي تقول إن الأديب يكتب ليعبّر عن نفسه ، بكل بساطة ، وأن ماهية الأدب تكمن في ترجمة بعض المشاعر والأحاسيس . معنى هذا أن النقد الجامعي يرفض التاريخ ، في حين يقول لنا ذلك التاريخ إن الأدب يعني التطور في الأشكال ، والوظائف ، والمعاني ، والدوافع ، إلخ . . وكلها أمور نسبية .

من ناحية أخرى ، يعمد النقد الجامعي ــ كما قلنا ــ إلى البحث عن **المصادر** ، أي الربط بين العمل الأدبي موضع الدراسة وشيء آخر ، قد يكون عملاً سابقاً ، أو ظرفاً معيّناً في حياة الكاتب ، أو عاطفة أحس بها هذا الأخير وعبّر عنها في مؤلفاته . وإذ يركز النقد الجامعي على التفاصيل الأدبية ، يتعرض للابتعاد عن معنى العمل الأدبي الوظيفي ، أي عن حقيقته . ولا ينبغي أن يتجه البحث عن هذه الحقيقة اتجاهاً رأسياً ، بل يجب أن يسير في اتجاه أفقي . وإذا كانت هناك علاقة ــ ولا شك أنها موجودة ــ بين الكاتب وعمله ، فإن هذه العلاقة لا تتمثل في جمع أوجه الشبه الجزئية العميقة ، بل في العلاقة بين المؤلف ككل وعمله ككل .

ويلاحظ بارت أن النقد الجامعي ليس نقداً متخلّفاً أو بالياً ، لأنه قادر على التكيّف مع الجديد . لقد اعترف ، مثلاً ، بالنقد القائم على التحليل النفسي . لماذا ؟ يرد بارت قائلاً : لأن هذا النقد ما زال دراسة نفسية ، تفترض وجود مكان آخر يرتبط به العمل الفني ، ألا وهو طفولة الكاتب . باختصار ، **النقد الجامعي على استعداد لأن يقبل النقد التفسيري من حيث المبدأ ، لكنه يرفض أن تتم عملية التفسير داخل العمل الأدبي ذاته** . بعبارة أخرى ، النقد الجامعي مستعد أن يقبل أي شيء ، بشرط الربط بين العمل الأدبي وشيء آخر مختلف عن الأدب . ولا يقبل الربط بين العالم والعمل الأدبي ، بعد وصف هذا الأخير وصفاً كاملاً من الداخل ، أي وصف بنيته . ويعني هذا رفض كافة أشكال النقد الجديدة ، وفي مقدمتها **النقد البنيوي** الذي ينظر إلى العمل الأدبي ، على أنه مجموعة منتظمة من الوظائف .

ويقسم بارت النقد التفسيري أو الأيديولوجي إلى مجموعتين متميزتين :

(١) نقد يرسم خطوطاً محددة لمدلول Sign Fie العمل الأدبي لأنه يسميه ، وقد يكون هذا المدلول موقفاً حقيقياً تتخذه جماعة معيّنة ، أو موقف يتخذه الكاتب ، في فترة الطفولة مثلاً . والتأكيد على المدلول ينمّي ، أقل مما يُظن بكثير ، **الطابع الدال Signi Fiant** للعمل الأدبي . لكن التناقض هنا ظاهري فقط ، خاصة إذا تذكرنا أن قوة الدلالة Signe تتوقف على علاقتها بجيرانها . بعبارة أخرى ، الاهتمام بالدال وكيفية انتظام مجموعاته هو الأساس الحقيقي للمعنى ، أكثر من اكتشاف المدلول وعلاقته بما يدل عليه .

(٢) نقد « التيمات » أو الموضوعات الذي يركز على تقطيع العمل الأدبي وانتظامه في مجموعات واسعة من الأشكال الدالة . ويعترف هذا النقد بأن للعمل الأدبي مدلول ضمني ، لكنه لا يسميه . ولا يظهر هذا المدلول إلا من خلال تقطيع الأشكال سالفة الذكر . باختصار ، يُعتبر هذا النقد ، أساساً ، نقداً للدال ، لا نقداً للمدلول . هكذا نرى أن المدلول ، وهو محور النقاش كله ، يتلاشى تدريجياً ، حتى من خلال النقد التفسيري ، في حين يظل الدال ماثلاً دائماً .

ماهية البنيوية

وعن **البنيوية** ، **يقول بارت إنها ليست مدرسة أو حتى حركة بعينها ، لأن أغلب المؤلفين الذين يمثلونها غير متضامنين فيما بينهم ، من حيث النظرية أو الفكر . بل إن كلمة « بنية » Structure ذاتها أصبحت قديمة بالية ، لأن كافة العلوم الاجتماعية أكثرت من استخدامها** . ويرى بارت ضرورة العودة إلى الثنائي **« دال ــ مدلول »** و **« الدراسة الزمنية ــ الدراسة الآنيّة »** للّغة ، للاقتراب مما يميّز البنيوية عما عداها من أساليب فكرية . فالثنائي الأول يرجع بنا إلى **النموذج اللساني** Linguistique ، واللسانيات أصبحت ، إلى جانب الاقتصار علم البنية ذاته . والثنائي الثاني يفترض إعادة النظر في مفهوم التاريخ ، بالقدر الذي تقرّ به الدراسة الزمنية ثبات الزمان ، بينما تميل فكرة الدراسة الآنية إلى

تصوير العملية التاريخيّة على أنها تتابع صرف من الأشكال .

ويوضح بارت أن البنيوية ، في نظر من يستخدمون هذه الكلمة ، هي ، أساساً ، نشاط ، أي تتابع منتظم لعدد من العمليات الذهنية . ويمكن الحديث عن **النشاط البنيوي** كما سبق الحديث عن **النشاط السيريالي** مثلاً . أما **الهدف الذي يسعى إليه النشاط البنيوي فهو إعادة تكوين شيء ما بحيث تظهر في عملية إعادة التكوين هذه القواعد التي تحكم وظائف ذلك الشيء . البنية إذن صورة أو ظل لهذا الشيء ، لكنها صورة موجَّهة** ، لأن الشيء المُقلَّد يظهر شيئاً كان خافياً أو غير مفهوم في الشيء الأول . أي أن **النشاط البنيوي يأخذ الواقع ، ويفككه ، ثم يعيد تركيبه . لذا ، يمكن القول بأن البنيوية نشاط يحاكي الواقع** . من هذه الناحية ، لا يوجد أي فرق فني بين **بنيوية العلوم وبنيوية الأدب خاصة ، والفن عامة** . من ناحية أخرى ، تعتمد هذه البنيوية وتلك على المحاكاة القائمة ، لا على تشابه المواد ، بل على تشابه الوظائف .

هذا ولا يُعرِّف الفن بطبيعة الشيء المُقلَّد ، وإنما بما يضيفه الإنسان إلى ذلك الشيء عندما يعيد بناءه . والطريقة التي يُعاد بها هذا البناء هي الإبداع ذاته . أياً كان المجال إذن ، ترتبط غاية النشاط البنيوي إرتباطاً وثيقاً بتكنيك معيّن ، مما يجعل للبنيوية وجوداً متميّزاً بالنسبة لطرق التحليل والإبداع الأخرى . فهي تعيد تكوين الشيء لكي تبرز بعض الوظائف . **ويتمثل النشاط البنيوي في عمليتين متميزتين : « التقطيع » ، و « التركيب »** .

العملية الأولى تقطع الشيء ، وتجد فيه أجزاء متحركة تختلف موقعها ، وينتج عن اختلاف موقعها هذا معنى معيناً . فالجزئية لا معنى لها في حد ذاتها ، لكن أي تغيير يطرأ عليها يترتب عليه تغيير في المجموع . تنتج عن هذه العَملية إذن حالة أولى ، مبعثرة ، للصورة أو الظل .

أما العملية الثانية ، فتكتشف وتحدد القوانين التي تترابط بمقتضاها هذه الوحدات ، وهذا هو النشاط التركيبي . في هذه المرحلة الثانية ، تدور معركة ضد الصُدْفة . لذا ، يكتسب تكرار الوحدات قيمة شبه إبداعية . فعودة الوحدات بانتظام ، وترابطها ، يبني العمل الأدبي ، ويُكسبه معنى معيّناً .

وعندما تُبْنى الصورة ، أو الظل ، على هذا النحو ، لا تعكس العالم كما هو . وهنا تكمن أهمية البنيوية . فهي تظهر صورة جديدة للشيء ، صورة لا واقعية ، ولا عقلانية ، وإنما وظيفية . كما أنها توضح العملية الإنسانية البحتة التي يعطي بمقتضاها البشر معنى للأشياء لكن ، هل هذا شيء جديد ؟ يرد بارت قائلاً : إلى حد ما . فالعالم ظل ، وما زال يبحث عن معنى ما يُعطى له وما ينتجه . أما الجديد ، فهو الفكر الذي يبحث ، لا عن المعنى الكامل للأشياء التي يكتشفها ، وإنما عن السُبل والطريقة التي تجعل المعنى ممكناً .

الأدب .. والموضة

وفي مقال بعنوان « **الأدب ، اليوم** » ، (١٩٦١ م) ، يرد بارت على بعض الأسئلة التي وجهتها إليه إحدى المجلات الأدبية ، ويتحدث عن مفهومه الخاص للأدب قائلاً : « لقد اهتممت دائماً بما يمكن أن يسمى **مسؤولية الشكل** . لكني ، في نهاية كتابي « أساطير » فقط ، فكرت في ضرورة طرح هذه القضية بالنسبة **للمعنى** Signi Fication . ومنذ ذلك الحين ، أصبح المعنى شغلي الشاغل . **وأقصد بالمعنى اتحاد الدال والمدلول** ، أي ، لا الأشكال ولا المضامين ، وإنما الانتقال من هؤلاء إلى أولئك . بعبارة أخرى ، أصبحت الأفكار ، والتيمات لا تهمني بالقدر الذي تهمني به الطريقة التي يستولي بها المجتمع عليها ، لكي يجعل منها مادة لعدد من الأنظمة الدالة . وأقصد بقولي هذا الإمساك بها ، والحكم عليها ، وجعلها مادة للتفكير الفلسفي أو الاجتماعي ، بدون وصف مسبق أو فهم للمعنى الذي تعتبر طرفاً منه . ولأن هذه الأنظمة شكلية ، وجدتُ نفسي داخل سلسلة من التحليلات البنيوية التي تهدف جميعاً إلى تحديد عدد معين من أنواع الكلام الخارجة عن نطاق اللغة » . ومن بين هذه الأنظمة الدالة ، يذكر بارت الطعام ، والأزياء ، والصور ، والسينما ، والأدب ، والموضة .

وتختلف البنية من نظام إلى آخر ، بطبيعة الحال . بل إن أهم الأنظمة وأكثرها تعقيداً مشتق من أمثلة دالة أخرى . هذا هو حال **الأدب** مثلاً . فهو مشتق من الكلام . وهذا حال **الموضة** أيضاً ، على الأقل كما تبدو من خلال حديث مجلات الأزياء عنها . ويوضح بارت أنه في « **نظام الموضة** » ، لم يتحدث عن الأدب مباشرة ، بل عمد إلى وصف الأزياء النسائية في فترة معينة . وكلمة « وصف » التي يستخدمها تدل على أنه بدأ يتحدث عن الأدب من خلال حديثه عن الموضة . « فالموضة المكتوبة » ، على حد قوله ، ليست سوى نوعاً خاصاً من الأدب . لكنه نوع مثالي ، لأن وصفه للزي يعطي هذا الأخير معنى مختلفاً عن المعنى الحرفي للجملة . ومن ثم ، يتساءل الكاتب : أو ليس هذا الأدب بعينه ؟ ولا يقف **التشابه بين الموضة والأدب** عند هذا الحد . فوظيفة كل منها ليست توصيل مدلول موضوعي ، خارجي ، وإنما ايجاد معنى متحرك . فالموضة ليست سوى ما يقال عنها ، وربما كان المعنى الثاني

للنص الأدبي « خاوياً » ، وإن اعْتُبر النص دالا على هذا المعنى الخاوي . يعني هذا أن **كينونة الأدب والموضة** تكمن في معنَيْها ، لا مدلولاتها . وما دام الأمر كذلك ، فلا بد من إعادة النظر في فكرتنا عن **تاريخ الموضة وتاريخ الأدب** . فمادة كل منها تتغير بصفة دورية ، ومع هذا يظل اسمها هو هو ، دائماً . ومن ثم ، يمكن القول بأن كينونة كل منها تكمن في الشكل ، لا الوظيفة أو المضمون . ويلاحظ بارت أن تاريخ الأدب ، من وجهة النظر هذه ، أي كنظام دال ، لم يُكتب أبداً ، حتى الآن . كتب الكثير عن الأجناس الأدبية ، وما زال هذا المنهج هو المتبع ، حتى في اللوحات التي تُرسم عن الأدب المعاصر ، ثم بدأت هنا وهناك ، محاولات للكتابة عن تاريخ المدلولات الأدبية . أما الذي يجب أن يُكتب **فهو تاريخ المعاني** ، أي تاريخ التكنيك الذي يفرض الأدب بمقتضاه معنى معيّناً على ما يقوله .

لغة العمل الأدبي

وإذا نظرنا إلى المقالات الأخرى التي تضمنها كتاب « مقالات في النقد » ، رأينا أن بارت ، بعكس غالبية النقاد الجدد ، لا يتحدث كثيراً عن منهجه ونظريته ، **ويميل أكثر إلى الدراسة التطبيقية عن مؤلفات وموضوعات بعينها** . لكن كتابه « نقد وحقيقة » (١٩٦٦ م) يشتمل ، في جزئه الثاني ، على حديث عن **لغة العمل الأدبي** ، وما يتفرع عنها من موضوعات تهم النقد والأدب ، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بما سبق أن قاله المؤلف عن هذين الموضوعين .

يقرر بارت أن تغييراً كبيراً قد طرأ على عالم الأدب . فالكتّاب تحولوا إلى نقاد . وبحركة مكملة لهذه ، تحول النقاد أنفسهم إلى كتّاب . ووُجدت كتابات في النقد تُقْرأ كالمؤلفات الأدبية تماماً . ولم تبق سوى الكتابة ؛ وأصبحت مشكلة الكتّاب الكبرى هي اللغة .

وأصبح للعمل الأدبي معانٍ عدة . وتحوّل المعنى الأوحد إلى معانٍ متعددة ، والعمل المغلق إلى عمل مفتوح . ونشأ تعدد المعنى عن قابلية العمل الأدبي للانفتاح . وجدير بالذكر أن هذه المعاني العدة تنتج عن بناء العمل ، لا عن عجز الذين يقرأونه . وهنا تكمن رمزيته . **والرمز ، كما يعرّفه بارت ، تعدد في المعنى . والرمز دائم . أما الذي يتغيّر فوعي المجتمع به** . والعمل الأدبي لا يفرض معنى واحداً على أناس مختلفين ، بل يوحي بمعانٍ مختلفة إلى إنسان واحد . ويتكلم نفس اللغة الرمزية على مر الزمان . لكن ، **هل توجد قاعدة تقول لنا ما المعنى الذي يجب أن نعطيه للعمل الأدبي؟** .

وإذا كان للكلام معانٍ متعددة ، فهو يفضي إذن إلى نوعين من الحديث : قد يسعى إلى كافة المعاني الذي يغطيها ، وقد يسعى إلى واحد منها فقط . ويرى بارت عدم الخلط بين الحديثين ، ويقترح أن يُسمى الأول علم الأدب أو الكتابة ، والثاني النقد الأدبي . تضاف إلى ذلك ضرورة الفصل بين قراءة العمل الأدبي ونقده . فالعملية الأولى مباشرة ، في حين يلعب الكلام ، في العملية الثانية ، دور الوسيط . علم ، ونقد وقراءة ، تلك هي العبارات الثلاث التي تنسج حول العمل الأدبي هالة من الكلام .

ويطرح علم الأدب المنشود سؤالا هاماً : **كيف يمكن أن يتحدث العلم عن مؤلَّف معيّن** ؟ ذلك لأنه لا يمكن أن ينسبه إلا إلى الأسطورة ، وهي ليست مِلكاً لأحد . في حين نلمس اليوم اتجاهاً إلى اعتبار الكاتب إنسان له حق المطالبة شرعاً بمعنى معيّن لعمله . ومن ثم ، كانت الأسئلة التي يوجهها الناقد إلى الكتّاب الذين رحلوا ، وآثارهم ، وحياتهم . بل إن هذا الناقد ينتظر أحياناً موت الكاتب لكي يتحدث عن مؤلفاته حديثاً موضوعياً . لا بد إذن من إعادة النظر في علم الأدب الحديث ، بحيث يصبح العمل الأدبي ومؤلفه نقطة انطلاق لتحليل تتمثل ذروته في الكلام . ونتيجة لذلك ، يفسح النص الأدبي المجال لتحليلات أكيدة .

وإذا كان بارت يرى أن الحديث عن علم الأدب أمر ممكن ، فهو يرفض اعتبار النقد علماً . فعلم الأدب يعالج المعاني . أما النقد فينتجها ، بمعنى أنه يحتل مكاناً وسطاً بين علم الأدب والقراءة .

والعلاقة بين النقد والعمل الأدبي علاقة شكل بمعنى . لا يمكن أن يزعم الناقد ترجمة العمل الأدبي . كل ما يستطيعه هو ايجاد معنى معيّن ، مشتق من شكل معين هو شكل العمل ذاته . أي أن الناقد يمنح العمل الأدبي تماسكاً في الدلالات . ويُقاس حديث الناقد بدقته وصحته . لا بد من أن يبحث الرمز عن الرمز ، وأن تتحدث اللغة بلغة أخرى . هكذا تُحْترم حَرفية العمل الأدبي ، ويُردّ النقد إلى الأدب رداً نافعاً مجدياً .

ولا يمكن أن يحل الناقد محل القارئ بأي حال من الأحوال . حتى عندما نقول إن الناقد قارئ يكتب ، نقصد أن القارئ يلتقي بأداة وسيطة هي الكتابة . الناقد مجرد معلّق ينقل ويوصل مادة أصبحت مِلكاً للماضي ، ويعيد توزيع عناصر العمل . ويختلف الناقد عن القارئ في نقطة أخرى : في حين نجهل كيف يتحدث القارئ مع الكتاب ، يضطر الناقد إلى الحديث بلهجة معينة .

تلك بعض الأفكار التي ضمنها بارت صفحات من مؤلفاته . ومن الواضح أنها أفكار جديدة مبتكرة ، تنم عن فهم دقيق لطبيعة النقد والأدب ، وتستفيد من التغييرات العميقة التي طرأت على حقل الثقافة عامة ، وفن الأدب خاصة .



غزليات أبي تمام

بقلم : محمد ابراهيم أبو سنة

● أبو تمام واحد من أبرز ثلاثة شعراء عرفهم العصر العباسي، والآخران هما : البحتري والمتنبي .

● صاحب مذهب شعري، جدد به ديباجة القصيدة العباسية، وأصبح علماً على منهج تفرد به .

● شعر أبي تمام زاخر بما يدل على أنه انقض على معارف عصره انقضاضاً، فتمثلها تمثلاً دقيقاً، وخاصة التاريخ وعلم الكلام، وما يتصل به من الفلسفة والمنطق .

ـ ١ ـ

يا لابساً ثوب الملاحةِ أبله
فلأنتَ أولى لابسيه بلبسه
لم يعطكَ اللهُ الذي أعطاكه
حتى استخف ببدره وبشمسه
رشأ إذا ما كاد يطلق نفسه
في فتكه أمر الحياء بحبسه
وأنا الذي أعطيته محض الهوى
وصميمه وأخذت عذرة أنسه
دنف يجود بنفسه حتى لقد
أمسى ضعيفاً أن يجود بنفسه

ـ ٢ ـ

بنفسي حبيب سوف يثكلني نفسي
ويجعل جسمي تحفة اللحد والرمس
جحدت الهوى إن كنت مذ جعل الهوى
محاسنه شمسي نظرت إلى الشمس
لقد ضاقت الدنيا عليَّ بأسرها
بهجرانه حتى كأني في حبس
أسكن قلباً هائماً فيه مأتم
من الشوق إلا أن عيني في عرس
وإني لأخشى إن تراقت أموره
به أن يثور الجن فيه على الأنس

- ٣ -

معتدل لم يعتدل عدله
في عاشق طال به خبله
أطرفه أحسن أم ظرفه
أو وجهه أحسن أم عقله
أنظرْ فيما عاينت في غيره
من حسن فهو له كله
لو قيل للحسن تمنى المنى
إذن تمنى إنه مثله
أي خصال حازها سيدي
لو لم يكد رصفوها مطله

- ٤ -

استزارته فكرتي في المنام
فأتاني في خفية واكتتام
الليالي أحفى بقلبي إذا ما
جرحته النوى من الأيام
يا لها لذة تنزهت الأرو
اح، فيها سراً من الأجسام
مجلس لم يكن لنا فيه عيب
غير أنا في دعوة الأحلام

- ٥ -

الهوى ظالم وأنت ظلوم
كيف يقوى عليكما المظلوم
للهوى جرأة ومنك صدود
ليس لي منكما محب رحيم
قد يراني الهوى ودله عقلي
حل بي منكما البلاء العظيم
إنما يعرف السهاد طول اللي
ل من، حبل وصله مصروم

- ٦ -

رقادك يا طرفي عليك حرام
فخل دموعاً فيضهن سجام
ففي الدمع إطفاء لنار صبابة
لها بين أثناء الضلوع ضرام
ويا كبدي الحرى التي قد تصدعت،
من الوجد ذوبي ما عليك ملام
قضيت ذماماً للهوى كان واجباً
عليَّ ولي أيضاً عليه ذمام
ويا وجه من ذلت وجوه أعزة
له وسطاً عزاً فليس يرام
أجر مستجيراً في الهوى بك باسطاً
إليك يديه والعيون نيام

- ٧ -

الحسن جزء من وجهك الحسن
يا قمراً موفياً على غصن
إن كنت في الحسن واحداً فأنا
يا واحد الحُسن واحد الحزن
كل سقام تراه في أحد
فذاك فرع والأصل في بدني
كوامن الحب قبل كونك في
أفئدة العاشقين لم تكن

- ٨ -

لا تصدي فالصد أمر عظيم
وارحمي فالمحب بر رحيم
أمن العدل أن قلبك سال
والهوى ثابت بقلبي مقيم
ثم ألحقت بي الإساءة والظلم
وغيري هو المسيء الظلوم
ما اجترمنا إليك جرماً ولكن
حب هذا الزمان ليس يدوم

* * *

شاعر هذه الغزليات هو **أبو تمام حبيب بن أوس الطائي** واحد من أبرز ثلاثة شعراء عرفهم العصر العباسي كما يقول صاحب الوسيط في الأدب العربي والآخران هما **البحتري والمتنبي .. وأبو تمام صاحب**

مذهب شعري جدد به ديباجة القصيدة العباسية وأصبح علماً على منهج تفرد به . ولد عام ١٩٠ هـ ، **بقرية جاسم قرب دمشق** ورحل إلى **مصر** صغيراً وكان يعمل سقاء بجامع **عمرو بن العاص** . وتأثر بعلماء المسجد وأدبائه ، فتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ في قوله ، ثم خرج إلى **بغداد** حيث دبج المدائح في **المعتصم** ووجد عنده حظوة عظيمة وأكثر من مدائح الكتّاب والوزراء والعمال والولاة وتقرب إلى كبار المسؤولين حتى ولاه **سيد الحسن بن ذهب** بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات عام ٢٣١ هـ ، يقول عنه صاحب الأغاني : « **شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني غواص على ما يستصعب منها ويفسر متناوله على غيره وله مذهب في المطابق هو كالسابق إليه جميع الشعراء وإن كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه فإن له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه والسليم من شعره النادر شيء لا يتعلق به أحد . وله أشياء متوسطة ورديئة رذلة جداً وفي عصرنا من يتعصب له فيفرط حتى يفضله على كل سالف وخالف وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فينشرونه ويطوون محاسنه ويستعملون القحة والمكابرة في ذلك** » .

ولقد أفرط أبو تمام في **المدائح** حتى حصد بها مغانم غيره من الشعراء وأخملهم حتى أنهم يقولون بأنه لم يترك شيئاً من الجوائز لشاعر غيره لجودة شعره ، فلما مات قسمت الجوائز التي كان يأخذها على باقي الشعراء . ولعل فنه الجديد الذي يقوم على الخيال المركب وتوليد الصور الشعرية الغريبة ونبذ المألوف من المعاني والصياغة القوية غير المألوفة لشعراء ذلك العصر هي التي أدهشت الأمراء وحببتهم في شعره . وقد كان أبو تمام لمعرفته بمستوى شعره وطمعه أيضاً انتقاماً لأيام الفقر الأولى في حياته حيث كان أبواه فقيرين ، يترفع عن الجوائز التافهة ولا يرضيه إلا المال الغزير ، ويروي صاحب الأغاني لما شخص أبو تمام إلى **عبد الله بن طاهر** وهو **بخراسان** أقبل الشتاء وهو هناك فاستثقل البلد وكان عبد الله وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده ترفعاً عنها فأغضبه وقال : يحتقر فعلي ويترفع علي . فكان يبعث إليه بعض الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام :

لم يبق للصيف لارسم ولا طلل
ولا تشيب فيستكسي ولا سمل
عدل من الدمع أن يبكي المصيف كما
يبكي الشباب ويبكي اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت
يسراه وهي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر **لعبد الله بن طاهر** فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله بن طاهر . وعاتبه على ما عتب عليه من أجله . وتضمن له ما يحبه ثم دخل إلى عبد الله ، فقال : أيها الأمير أتتهاون بمثل أبي تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن له ما له من النباهة في قدر - والإحسان في شعر - والشائع من ذكره لكان الخوف من شره والتوقي من دمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن وفراقه السكن وقد قصدك عاقداً بك أمله معملاً إليك ركابه متعباً فيك فكره وجسمه وفي ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ولو لم يأت بفائدة ولا سمع فيك منه ما سمع إلا قوله :

تقول في قومي صحبي وقد أخذت
منا السرعة وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا
فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله : لقد نبهت فأحسنت وشفعت فلطفت وعاتبت فأوجعت ولك ولأبي تمام العتبى أدعه يا غلام فدعاه فنادمه يوماً وأمر له بألفي دينار وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه وأمر بحراسته إلى آخر عمله . ولم يكن **المدح** هو الفن الأوحد الذي برز فيه أبو تمام بل إن **مراثيه** وفي مقدمتها مرثيته الشهيرة في **محمد بن حميد الطوسي** تؤكد أنه كان شاعراً يجيد الرثاء إجادة تضعه في قمة شعراء هذا الغرض القديم ، وكان تصويره للطبيعة جديداً في أدائه فقد أبدع في هذا الجانب الهام الذي يكاد الشعر العربي يبدو فيه فقيراً بجانب الأغراض الأخرى ولا شك أن شعره الغزلي قد ارتوى من خبرته الفنية الطويلة فجاء هو الآخر ناضجاً رفيقاً بالغ العذوبة رصيناً جذل العبارة نضير الصورة . ولقد تأثر أبو تمام في شعره وحياته بثقافة عصره ، هذه الثقافة التي شاعت فيها روح الترجمات من الآداب الأجنبية خاصة الآداب اليونانية والهندية وظهرت في شعره هذه التأملات الفلسفية والأقيسة المنطقية التي تؤكد أن عقله وروحه قد انغمسا بقوة في هذه الثقافات الجديدة النشيطة والتي ذاعت وأثرت لا في علماء الكلام والفقهاء وحدهم وإنما تمثلها الشعراء أيضاً .

يقول **الدكتور شوقي ضيف** : « وشعر أبي تمام زاخر بما يدل على أنه انقض على معارف عصره انقضاضاً . تمثلها تمثلاً دقيقاً وخاصة التاريخ وعلم الكلام وما يتصل به من الفلسفة والمنطق . أما التاريخ فيتضح في كثير من جوانب مديحه ، وخاصة حين يعرض لقبيلة الممدوح ووقائعها وأمجادها في الجاهلية والإسلام على نحو ما يلقانا في قصائده **لخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ومالك بن طوق التغلبي** وكذلك حين يقرن وقائع بعض الأبطال ودويها في الخافقين إلى وقائع جاهلية وإسلامية مشهورة » ، ثم يقول **الدكتور ضيف** : « **وجعلته صلته بالمنطق**

والفلسفة يكثر من استخدام الأدلة المنطقية وهي عنده تستمد من نفس إحساسه العميق بتشابك حقائق الكون فإذا بعضها يرى من خلال بعض بل إذا بعضها يتخذ دليلاً وحجة على بعض ، ويتسع التأثر بالفلسفة عنده حتى ليشيع الغموض في كثير من أبياته وهو غموض بهيج كغموض الطبيعة في الصباح والغروب إذ يجلله دائماً شفق يأخذ بالألباب . ونعجب إذ نجد القدماء يحملون عليه من أجله كما حملوا على اكثاره من اللفظ الغريب ومن التصاوير وألوان البديع حتى قالوا إنه أفسد الشعر وهو لم يفسده بل هيأ له ازدهاراً رائعاً تسنده فيه ثقافة واسعة بالفلسفة والمنطق وبالشعر العربي قديمه وحديثه كما تسنده قوة ملكاته التي جعلته بعد بحق حامل لواء الشعر العربي في عصره . بل جعلته صاحب مذهب مستقل بخصائص العقلية والزخرفية » .

يستقيم لنا من قراءة شعر أبي تمام في مراثيه ومدائحه ووصفه للطبيعة منهج شعري متميز تتضح خصائصه في **غرابة صوره** هذه الغرابة الناشئة عن تجاوز العلاقات الفنية داخل هذه الصور لحدود البلاغة القديمة وغموض معانيه لجموح خياله وشططه الفلسفي **وكثرة الأقيسة العقلية والمنطقية في شعره ، وانتقاء الغريب من الألفاظ** استجابة للمبالغة الخيالية والنفسية التي كانت من أهم سماته . **فهل ينطبق هنا المنهج الشعري عند أبي تمام على غزلياته التي نتعرض لها الآن ؟**

الغزلية الأولى

إذا تأملنا **الغزلية الأولى** وجدناها حافلة برزت لنا على الفور الصورة العقلية المنطقية وراء صورها . فها هو يأمر حبيبته باستهلاك ثوب الحسن ، ومعنى هذا الاستهلاك هو التمتع به ، فهو ينصحه بالتمتع بهذا الجمال الذي هو أولى به وها هو المنطق يبرز في هذه المقارنة بين توافق جماله الساحق وبين بهاء الشمس والقمر ، فالبيت كله يعكس قياساً منطقياً ونظرة عقلية . . وها هي المطابقة في البيت الثالث بين الاطلاق والحبس ، وها هو يرى أن ما جناه من غرسه كان منطقياً ، ثم تخف قبضة الصور العقلية ليظهر التقسيم البلاغي ورد العجز على الصدر حين يقول :

دنف يجود بنفسه حتى لقد
أمسى ضعيفاً أن يجود بنفسه

إن اللغة في هذه الغزلية واضحة لا غموض فيها وربما كان الدافع إلى ذلك هو إلحاحه على توضيح موقفه من هذا الحبيب الذي يضن عليه بجماله وهو يحاول أن يقنعه بأنه إنما يعاني من أجله في يومه بسبب صبابات أمسه ، وينصحه بالتمتع معه بهذا الحسن الباهر الذي يجاوز بهاء الشمس والقمر . **ولا نملك إلا الاعجاب بهذه الصور البارعة التي تتحرك في إطار مألوف من قيود البلاغة القديمة والمحسنات البديعية المعروفة ولكن تظل هذه الصور وهذه الغزلية أكثر إثارة لموقف العقل من موقف الحس .**

الغزلية الثانية

فإذا انتقلنا إلى **الغزلية الثانية** . وجدنا الشاعر ما زال يشكو من هجران حبيب ، هذا الهجران الذي تركه في الغزلية الأولى على حدود المرض ولكنه في الغزلية الثانية يقترب من الموت نفسه . بل إن هذا الحبيب القاسي سوف يقدم حبيبه تحفة للحد والقبر . وها هو الشاعر يلجأ إلى براعته وذكائه في استحالة قلب حبيبه ، هذا التودد الذي يصعد به إلى المبالغة . وهو مرة أخرى يضع حبيبه فوق مرتبة الشمس المضيئة فهو يعلن جحوده للهوى إن كان منذ اتخذ محاسن الهوى شمساً له قد نظر إلى هذه الشمس الحقيقية . وأي تعبير جميل غير مباشر يتضمنه هذا البيت أنه يبدو كما لو كان بيتاً تقريرياً مباشراً ولكنه في الواقع بيت شديد التركيب غني بالمعاني الكثيرة فهو في بدايته يتهم نفسه بجحود الهوى ، وهذا التقديم للجحود يعني أنه يراه فادحاً وجليلاً وغير محتمل وهو يمزج بين الحب والمحبوب حين يتحدث عن المحاسن فهو قد اتخذ هذه الرائعة شمساً له . والشمس هنا أعظم وأجل قدر من القمر . فهو يرى بها قوة الحياة ذاتها . النور والدفء وقوة النماء وحقيقة بدفع الهجران الشاعر إلى إعلان اضيق الدنيا به وضيقه بالدنيا كأنه في سجن بسبب الهجر ، إلا أنه يقفز إلى بيت جميل تلعب فيه المقابلة دوراً درامياً بديعاً . فها هي كلمة ـ أسكن ـ تحمل الكثير من الدلالات الموحية بالهياج والجزع والقلق واللوعة والهجر ، كل هذا في كلمة واحدة وكأنه يمسك بجواد جامح يريد أن يطير ويركض ثم تأتي المقابلة بين القلب الجاثم في مأتم الأحزان والعين المبتهجة بالعرس الذي أوجده جمالها . فقلبه حزين لعدم طمأنينته وخوفه وفزعه وعينه سعيدة كأنها في عرس . المقابلة بين المأتم والعرس ليست وحدها التي حلقت جمال الصورة وإنما الفصل اللامنطقي بين القلب وبين مدركات الحواس . **هذا الايهام الشعري الذي يهدف إلى بيان حالين متناقضين بل ويهدف إلى تجاوزهما إلى تصوير قوة الهجر وجمال المحبوب لتكون اللوعة تامة التصوير . ثم يأتي إلى بيت تفسده المبالغة حتى تقتله حين يرى أن الجن ستثور على الأنس**

لسببه . هي مبالغة فاترة لأنها تأتي من خارج تجربة الشاعر وعناصرها الذاتية .

الغـزليـة الثـالثـة

وفي الغزلية الثالثة نجد الشاعر وقد فرغ من بث لواعجه إلى تصوير أحوال المحبوب ، وهو تصوير تلعب فيه المحسنات البديعية والتلاعب بالألفاظ دوراً أساسياً ، فها هو المحبوب : معتدل لم يعتدل عدله ، ورغم كثرة الجناس فالبيت لا يفقد جماله فالمعتدل الأول هو اعتدال القوام . ولم يعتدل عدله تعبير عن ظلمه في حبه وفي حكمه على هذا العاشق الذي طال به الجنون ثم يتجه الشاعر إلى التقسيم أطرفه أحسن أم ظرفه . أو وجهه أحسن أم عقله . يريده تاماً كاملاً في الحسن والظرف والعقل . **وما يكون الكمال البشري إذا لم يعبر عن جمال الهيئة والطبع وصحة العقل ؟** إنه في هذا البيت الراقص يعطي انطباعاً بمعنى تام مؤكد ، وإذا كانت المبالغة قاتلة لبعض الأبيات مثل ثورة الجن على الأنس فإنها هنا في البيت الذي يقول فيه :

لـو قيـل للحسـن تمـنى المنى
إذن تمنى أنه مثله

هي هنا مبالغة مقبولة تشع فتنة ورقة . إن أبا تمام يستخدم البلاغة التقليدية ببراعة المكتشف الأول **لقد كان واحداً من مؤسسي علم البديع** بحيله الشعرية ، ولكن الشعراء الذين أفسدوا هذه المحسنات كانوا لا يملكون عبقرية هذا الشاعر الفذ .

الغـزليـة الـرابـعـة

ثم ننتقل إلى **الغزلية الرابعة** فإذا تعبيره عن الحلم يأخذ شكلاً متوسطاً ليس فيه براعة التجربة الحسية ذلك لأنها تأمل عقلي خالص .

الغـزليـة الـخـامـسـة

أما الغزلية الخامسة ، فهي تمضي في نفس منهج أبي تمام الشعري . فها هو يواجهنا من البداية بهذه الحجة العقلية القوية بالهوى ظالم بطبعه والحبيبة أشد ظلماً من الهوى . **ولذا يتساءل الشاعر تساؤلا انكارياً يائساً باطلاً كيف ينجو المظلوم من بطش ظالمين . الهوى يدفعه إلى الإقدام والإلحاح وهي هاجرة تصده فكأنه مدفوع بقوة قاهرة هي الهوى لا يملك لنفسه فكاكاً منها وهي ممتنعة لا تنصفه فيخف حزنه وألمه ، ثم يشكو سقمه وبلاءه وسهر الليالي ،** والسهاد .

الغـزليـة الـسـادسـة

أما **الغزلية السادسة** ، فهي أشد هذه الغزليات لوعة وحزناً وهماً هو فيها لا يتجلد . بل يدعو عينه إلى ترك النوم وانهيار الدموع فقد يطفىء الدمع نار الهوى المتأجج ، فها هي نار الحب مشتعلة في جوانح نفسه وبين ثنايا الضلوع وها هو يقول لكبده التي تصدعت ذوبي ، ما عليك ملام هو يدرك ما في كبده من حرارة الحب وعنائه فلا لوم على هذه الكبد بعد أن تصدعت من أن تذوب فالعبء ثقيل والهم لا يطاق . وكأن الشاعر قد انتهى إلى يأس لا شفاء منه بعد أن قضى ما عليه من واجبات وأعباء تجاه هذا الهوى وانتظر الجواب فلم يجد الآخرين يرعون ذمامه كما رعاه لهم . **هل هي غزلية أم شكوى أليمة من الهجر** . إن هذه المقطوعة تبتعد عن المحسنات البديعية والصور العقلية لأن قوة الإحساس والانفعال بها قد صاغتها بعيداً عن ترف العقل وأقيسته وتأملاته ، فدموعه المنهمرة لم تترك له فرصة لاختيار المنطق .

الغـزليـة الـسـابـعـة

ويعود في الغزلية السابعة إلى لعبته المفضلة ، إلى صوره العقلية ومقابلاته . وهذه الغزلية تعكس رؤية فلسفية واضحة . هو هنا يقيم مقارنة متصلة بين الحسن الكلي والحسن الجزئي ، بين وجه الحبيب الذي يمثل الكلي وبين معنى الحسن الذي يمثل الجزئي ، فها هو الجمال بعض هذا الوجه الجميل ، وها هو الشاعر يقارع واحد الحسن بواحد الحزن يعني نفسه ويقدم للحبيب سقامه برهاناً على حبه . هذا الحب الذي لم يكن موجوداً قبل حصول هذا المحبوب في أفئدة العاشقين ، فكأنه ينفي أن ثمة حباً سابقاً على حب هذا المحبوب الزائد الحسن . أما الغزلية الأخيرة ، فهي نصيحة رقيقة من عاشق يرى الظلم قد حاق به دون ذنب جناه . يتوسل الشاعر بالمنطق والحجج العقلية مرة أخرى في محاولة لاقناع المحبوب بالعدول عن صده ويدعوه إلى الرحمة به ، فليس من العدل أن يكون قلب المحبوب خالياً سالياً وقلبه ثابت على المودة ولماذا وهو لم يذنب ولم يسىء . . أي جرم أتى به الشاعر حتى يلقى كل هذه الإساءة والصدود وكأنه في الختام يحذر المحبوب من أن الحب في هذا الزمان عابر لا دوام له فهو تحذير يتضمن دعوة للاستمتاع بمباهج هذا الحب ونعيمه .

إن أبا تمام يظل في كل شعره محتفظاً بخصائصه التي تميز بها وصار بها مقدماً بين شعراء عصره وأعطانا صوتاً جديداً فريداً في الشعر العربي كله .

المقعد الخالي..

شعر: جليلة رضا

«كان زوجي الصحفي الراحل محمد السوادي دائم الجلوس عليه..»

يا لهذا المقعد الخالي.. وكم يبدو حزينا
إنه ما زال للأمس وفيا.. وأمينا
لم يزل يهفو إلى من كان يسترخي عليهِ
للذي.. عشرين عاماً.. عاشها بين يديهِ
إنه يطوى لمن غاب اشتياقاً.. وحنينا

★ ★ ★

ذلك المقعد يبدو.. ساهماً جهماً.. ملولا
مذ نأيناه بعيداً.. صار منبوذاً ذليلا
..غير أن المقعد المحزون يستهوي شجوني
فأناغيه على لمس وهمس.. وأنين
ويناجيني طويلاً.. وطويلاً.. وطويلا

★ ★ ★

كم هنا استنجد يوماً بجناحيك وحلّقْ
ورأى الظلمة نوراً ورأى المغرب مشرق..!
مستحماً في أثير من شذا الأوهام.. بكر
راكباً صهوة خيل، عابراً أقواس نصر
ثم أخفق في حناياك فؤاداً.. يتمزق!

★ ★ ★

ذلك الجسم الذي كان هنا.. أين توارى؟
أين ولّى وتلاشى تاركاً كوناً.. ودارا؟
يا لسخرية عيشي! يا تفاهات وجودي!
أوَ يُمسي الفرد منا.. مضغةً في حلق دود؟!
والجهاد الصلب باق.. يتحدّانا جهارا..

★ ★ ★

ذلك الطيف الذي كان هنا.. فوق الحشايا
لم تزل منه على الظهر.. بقايا
فجوات وندوب في حنايا المسند

أيها الأحياء مهلاً..! فجراح المقعد
إنها منكم ومني.. فهي آثار الضحايا!

★ ★ ★

مخزن الذكرى!.. ويا من شارك الراحل زادهْ
كان في حضنك قلباً نابضاً يهوى بلاده
كان في حضنك شيخاً فيلسوفاً وحكيما
كان في حضنك ضيفاً قلق الروح سقيما
ثم ولّى عنك يوماً.. قاصداً حضن «سواده»[1]!

الهوامش

(١) اسم البلدة التي ولد ودفن بها.





EDUCATIONAL PLANNING
AND
HUMAN RESOURCE
DEVELOPMENT

Fredrick Harbison

كتاب

التخطيط التربوي وتنمية الموارد البشرية

تأليف :
فريدريك هاربسن

عرض وتقديم :
د. عمر الأسعد

تشمل هذه المقالة عرضاً لكتيب في سلسلة مبادئ التخطيط التربوي ، من نشرات المعهد الدولي للتخطيط التربوي التابع لليونسكو . أما الكتيب فهو **التخطيط التربوي وتنمية الموارد البشرية :** Educational Planning and human resource development . **لفريدريك هاربسن** Fredrick Harbison .

وأما العرض فحرصت فيه رغم اختصاره ، على المحافظة على أفكار المؤلف الرئيسية وابرازها بالصورة التي أرادها . وقبل الشروع في مناقشة هذه الأفكار ، أذكر أن سلسلة مبادئ التخطيط التربوي أعدت لفئتين من الناس : للقائمين بشؤون التخطيط ، أو الذين يعدون في ميدانه في البلدان النامية على الخصوص ، ولغير الاختصاصيين من الموظفين والمتطلعين إلى فهم التخطيط التربوي ومساهمته في التنمية .

وبالرغم من أن هناك مبادئ للتخطيط أساسية متفقاً عليها ، فإن هذه السلسلة تهدف إلى شرح وجهات النظر المختلفة المتصلة بالمفهوم الحديث للتخطيط التربوي . ويشكل مجموع وجهات النظر تلك ، مساهمة فريدة في ضرب من ضروب المعرفة ، قام بها نفر من رواد هذا العلم ، ساهموا بوضع حلول لمشاكل مشتركة ، وقاموا بعرض التجارب والأفكار المتصلة بأوجه مختارة للتخطيط التربوي .

ولم تتجنب هذه السلسلة عرض وجهات النظر المختلفة لكتّابها ، أو تناقضات آرائهم في بعض الأحوال ، لتوفر القناعة في أن جميع تلك الآراء تجد مكاناً في سوق الفكر .

لا يختلف ما في كتاب هاريسن الذي نحن بصدده ، عما جاء في بعض كتابه الآخر المعروف « **التعليم والقوى البشرية والنمو الاقتصادي** » . وقد جعل بحثه في مقالتين ، تناول في أولاهما الحديث عن **تنمية الموارد البشرية** ، من خلال بيان أنواع التخطيط التربوي ، وتفصيل مجالات الاصطفاء والأولويات ، ثم عرض **متطلبات القوة العاملة مطبقة على بلد وهمي** ، ومصنفة في جدول حسب الأهمية . وربط بهذه المتطلبات الأولويات التربوية كما يراها لذاك البلد ، ثم درس ذلك الجدول دراسة تحليلية في ضوء الحاجة والطلب وإمكانات التأهيل .

ورسم في المقالة الثانية منهجاً في تطوير القوى العاملة استناداً لمبدأ **تحليل النظم** ، فبسط الكلام على المشاكل الرئيسية للقوى العاملة في المجتمعات المتطورة ، ولخصها بأنها زيادة عدد السكان ، والسيطرة على البطالة ، وسوء الاستخدام في القطاعات الحديثة والتقليدية ، ونقص القوى العاملة ، وشدة الحاجة للمجددين والمبتكرين ، وتوفير الحوافز المادية والمعنوية لتوجيه القوى العاملة في المسالك المطلوبة .

المقالة الأولى

التخطيط واستراتيجية البناء :

في الكلام على التخطيط التربوي نميز ثلاثة أنواع منه :

● **النوع الأول** : ما يبنى على حقائق واضحة ويستند إلى إحصائيات دقيقة شاملة ، وهو أكثر أنواع التخطيط رغبة فيه ، وأقلها إمكانية للتحقيق ، لعدم توافر الحقائق والمعلومات الكافية .

● **والنوع الثاني** : هو ما يطلق عليه « **التخطيط بدون حقائق** » ، وهو أسلوب واقعي في التخطيط لأنه لا يمكن التأكد دوماً من جميع الحقائق الضرورية للتخطيط المثالي .

● **والنوع الثالث** : هو **التخطيط دون هدف أو التخطيط من أجل التخطيط**. ويستخدم الأساليب الغامضة للرياضيات النظرية . وهو لسوء الحظ ، اللون السائد من ألوان التخطيط .

إن بناء الاستراتيجية هو الأساس في عملية التخطيط ، بغض النظر عن نوع التخطيط المستخدم واستناده إلى الحقائق أو عدمه . **ويتضمن بناء الخطة التربوية عنصرين :**

أولهما : تحديد الأهداف ، والمقصود به إصدار التعليمات التي تتحكم بالمراحل التالية للخطة ، فضلاً عن وضع الاحتمالات والتقديرات ، علماً بأن تعديل تلك الأهداف ممكن من وقت لآخر ، بناء على الخبرات المكتسبة أثناء عملية التخطيط .

والعنصر الثاني : تحقيق الأهداف ، وهو أمر يتطلب خطة ومنهاجاً مستنداً إلى اختيار الأولويات . والتأكيد هنا على تبني الأولويات منبثق من أن أي دولة لا تستطيع تحقيق جميع رغباتها التربوية الضرورية . لذا يتعين تقديم البرامج الأهم ، وهي عملية صعبة مبنية على الافتراضات في كثير من الأحيان ومستندة إلى الاصطفاء أو الاختيار ، ومعنى اختيارنا هدفاً ما إهمال أهداف أخرى أضأل أهمية .

ومجالات الاختيار في حقل التطوير التربوي في نظر المؤلف ستة ، ذكرها دون الإشارة إلى وجوب تقديم أي منها ، لأن ذلك مرتبط بظروف البلد وبيئته الخاصة .

وهذه هي مجالات الاختيار الستة :

أولا : الاختيار بين المراحل التربوية

أي مرحلة تربوية من المراحل الثلاث ، الابتدائية والثانوية والعالية ، تميّز على الأخرى ؟ هل نقدم المرحلة الابتدائية ونسعى إلى تعميمها تعمياً مطلقاً والزامياً ، أم نكتفي منها بقدر ونوجه الجهود إلى توسيع المرحلة الثانوية ونوليها الأولوية ؟ بل هل نفتح أبواب الجامعات على مصاريعها أمام الراغبين في ولوجها على حساب المرحلتين الأخريين ؟ .

كل أولئك أسئلة تطرح نفسها ما دمنا لا نستطيع منح المرتبة الأولى للمراحل الثلاث في الوقت نفسه ، وما دمنا في سبيل وضع خطة تربوية تلح بضرورة الاصطفاء .

ثانياً : الاختيار بين الكم والكيف

يواجهنا هذا الاختيار عبر مراحل النظام التربوي جميعاً . ولنأخذ التعليم الابتدائي مثلاً في تجسيم الاختيار بين **المستوى والكم** . فلو أخذنا **بفكرة الكم** ، والانتقال الآلي من صف إلى صف ، لزم التضحية بالمعلمين المؤهلين ونوعية التعليم . ولو أخذنا بفكرة **التركيز** على مستوى المعلم المؤهل والتعليم الجيد ، لزم التضحية بالكم في سبيل ذلك . وإذاً فهناك فرق بين التربية ومجرد الدخول في المدرسة .

والمشكلة نفسها قائمة في مرحلة التعليم العالي . يذكر المؤلف أن **جامعات أميريكا اللاتينية** لا تهتم بتفرغ الأساتذة والطلاب ، ولا بإغناء المكتبات والمخابر ، ولكنها في المقابل تؤمن تعلياً رخيصاً لأعداد كبيرة من الطلاب . ففي أحد البلاد النامية مئة ألف طالب جامعي ، وهو عدد

يفوق نسبياً أعداد الجامعيين في **المملكة المتحدة** .

ثالثاً : الاختيار بين العلوم والتقنية وبين الفنون الحرة

يمكن أن يرد هذا الاختيار إلى الاختيار بين الكم والكيف ، إذا ما نظر إليه في مرحلة التعليم العالي ، من زاوية انخفاض المستوى العلمي في الكليات النظرية وارتفاعه في الكليات العملية . ويتصل بهذا الاختيار ، الموازنة بين عدد طلاب الكليات في كلا النوعين ، ونسبة هؤلاء إلى أولئك . لقد بلغت **النسبة خارج أوروبا الشرقية** ٢٥ ٪ وتراوحت في **داخلها** بين ٤٠ و ٥٠ ٪ أما في **أمريكا اللاتينية** فلم تتجاوز ١٥ ٪ .

إن أي اختيار يجب أن ينظر إليه على ضوء الحاجات العملية للبلد ، لا في ضوء قيمة تلك العلوم وأهميتها . وعلى المخطط التربوي الذي يقرر الموازنة بين التعليم العملي والنظري ، أن يتذكر تلك الأرقام ، وأن يتذكر أيضاً أن التعليم العملي يكلف أربعة أضعاف التعليم النظري ، وما يترتب على تفضيل الأول من مشكلات سياسية واجتماعية .

رابعاً : الاختيار بين التعليم النظامي والتدريب غير النظامي

تتجلى هذه المشكلة على **الصعيد المهني** . لقد ثبت أن التدريب المهني في المدارس الثانوية في كثير من البلدان أمر غير مجد ، مما ولد رأياً يقول بتزويد العمال بتعليم ثانوي عام ، ثم تطوير مهاراتهم المهنية أثناء العمل . والقاء عبء التدريب على عاتق أرباب العمل يزيد من الاعتمادات المتوفرة للتعليم العام . ومهما يكن فإن الاختيار بين التعليم المهني قبل العمل أو بعده أمر صعب ويحل على نماذج مختلفة . ففي **كولومبيا والبرازيل وفنزويلا** ، هناك نظام لتدريب المستخدمين تموله ضرائب مفروضة على المؤسسات التي تستخدم عشرة موظفين أو أكثر ، وتخصص الاعتمادات لمؤسسة مستقلة عن وزارة التربية تتولى تدريب الموظفين ومن هم على وشك التوظيف .

خامساً : اختيار الحافز

يكفي في بيان أهمية **إيجاد الحافز** أن نذكر أن نسبة الأطباء للممرضات في إيران هي (١٠) إلى (١) ، في حين يجب أن تكون (١) إلى (١٠) . وسبب ذلك راتب الممرضة ووضعها الاجتماعي الذي يحول بين الناس والإقدام على هذا العمل . وينطبق ذلك على المساعدين الفنيين والعمال المهرة في كثير من البلدان .

إن دراسة الحوافز تقضي ببذل مبالغ ضخمة ، ستذهب هدراً إن لم يكن الاختيار وليد تفكير دقيق . ودراسة الحوافز جزء أساسي على غاية الأهمية في التخطيط التربوي .

سادساً : هدف التربية

هل تقصد التربية إلى تحقيق حاجات الفرد أم أهداف الدولة ؟ .

هذا سؤال لا يمكن تجنبه . ففي **ملاوي** ، مثلاً ، هناك ثلاثون وظيفة للمواطنين للعمل في المؤسسات الدولية التابعة **لمنظمة الأمم المتحدة** ، وثلاثون طالباً آخر في الجامعات الأجنبية ، في حين يوجد (٧٢٠) وظيفة للجامعيين ، وفي حين بلغ عدد ذوي المستوى العلمي الرفيع سنة ١٩٦٥ م ، خمسة وأربعين شخصاً .

فهل الخير الذي يصيب هؤلاء الأفراد هو خير للدولة ، وهل هجرة الأطباء والعلماء والمهندسين من أمريكا اللاتينية وحتى من المملكة المتحدة إلى الدول المتطورة ، هجرة مستحبة تراعى فيها مصلحة الفرد أم مصلحة البلد ؟

والآن ما هي الحاجات التربوية الضرورية التي نواجهها في بلد ما ؟

لنشرع في اختيار الأولويات التربوية في بلد وهمي ، حيث نلاحظ الحاجة إلى توسيع التعليم الثانوي المجاني بسبب قلة الأماكن فيه وارتفاع أجوره ، ولاتاحة الفرصة للانطلاق نحو التعليم العالي . ثم تعطى الأولوية للمساعدين الفنيين والتعليم الفني ، ثم لإعداد المعلمين ، ثم لتوسيع الدراسات العملية العليا في الهندسة والعلوم الطبيعية ، ثم لتعليم الكبار الذين فشت فيهم الأمية ، ثم للتعليم الابتدائي ، ثم للتعليم الطبي العالي ، وأخيراً للمدارس المهنية .

وإنما حرم التعليم المهني من الأولوية ، لأن دراسة القوى العاملة أكدت أهمية التدريب أثناء العمل ، وأن الإعداد في أمكنة العمل أفضل ضروب الإعداد ، بالإضافة إلى أن التقدم العلمي المطرد ، يجعل المهارات القديمة غير ذات جدوى ، ويدعو إلى برنامج مستمر لإعادة التدريب ، فضلاً عن أن ذلك التدريب ييسر للعاملين الطرق التي تمكنهم من استمرار تنمية أنفسهم .

ولنقم الآن باختيار أولويات متطلبات القوى العاملة ، وذلك بعد إجراء تقدير كمي وكيفي للبلد ، واقرار إعطاء الأولوية لزيادة عدد الكفاءات المهنية .

تأتي في **المرتبة الأولى** الحاجة لزيادة عدد المساعدين الفنيين لمواجهة التطور الصناعي ، وزيادة عدد المرشدين الزراعيين لتطوير المزارع ، وزيادة عدد الممرضات والمساعدين الطبيين لتطوير الخدمات الصحية .

وتأتي في **المرتبة الثانية** ، الحاجة لزيادة أعداد المعلمين على كافة المستويات ، ومعلمي الرياضيات والعلوم بخاصة .

وفي **المرتبة الثالثة** يُهتم بتخريج المهندسين والعلماء ، سواء مهندسي الميكانيك والمهندسين الزراعيين أو علماء الاقتصاد والاجتماع ، لمعالجة نمو الصناعة والزراعة ، ولمواجهة مشاكل التطور الاجتماعية والاقتصادية .

وتبرز في **المرتبة الرابعة** ، الحاجة للمديرين ومسؤولي التنفيذ ، باعتبار أن الجامعات لا تدرب مثل هؤلاء ، وأن النقص القائم يسد بتحول بعض الفنيين من المهندسين والأطباء إلى مديرين . ويتصل بأعداد هؤلاء الحاجة إلى الكتبة وأمناء السر .

وفي **المرتبة الخامسة** يأتي العمال الفنيون الذين يفضل تأمينهم عن طريق التدرب داخل العمل ، لا عن طريق افتتاح مراكز التدريب المهني ، كما سبقت الإشارة لذلك .

ويلي هؤلاء في **المرحلة السادسة الأطباء** ، وإنما جاء دورهم في آخر القائمة لا بسبب عدم الحاجة إليهم ، بل بسبب عدم إحسان الاستفادة من الموجودين منهم ، بسبب قلة عدد **الممرضات** والمساعدين ، وضخامة رواتبهم وعلو مراكزهم .

ويأتي **المحامون** في آخر القائمة ، لكثرة عددهم وعدم وجود أعمال كافية لهم ، ويمكن تجريد الأنواع السابقة كلها في جدول تحليلي لاستعراض الحاجات والعرض والطلب وإمكانات التأهيل .

الوظيفة	الحاجة	الطلب	إمكانات التأهيل	ملاحظات
● المساعدون الفنيون	كبيرة جداً	قليل جداً	قليلة جداً	الراتب ضئيل والمستوى منخفض وفرص الترقية قليلة .
● المعلمون	كبيرة جداً	قليل	قليلة	الراتب ضئيل والمستوى منخفض .
● العلماء والمهندسون	كبيرة	كثير	قليلة	الراتب مرتفع والمستوى عال ، ولكن نفقات التعليم باهظة .
● المديرون والمشرفون				
● الكتبة وأمناء السر	كبيرة	كثير	قليلة	الهرب من البطالة بالنسبة للنساء .
● الحرفيون	كبيرة			
● الأطباء	قليلة	كثير جداً	كثيرة جداً	الراتب مرتفع والمركز عال .
● المحامون	قليلة جداً	كثير جداً	كثيرة جداً	المركز مرتفع واستيعاب الفائضين عن الكليات الأخرى .

قبل دراسة هذا الجدول يجب أن نعرّف الحاجة والطلب في مفهوم دراسات القوى العاملة والتربية :

تتقرر الحاجة بناء على تقويم القوى العاملة للبلد والمتطلبات التربوية لبلوغ الأهداف المرسومة . ويمثل الطلب الرغبات الضرورية في مهن وأساليب تربوية معينة . وهناك بالضرورة فرق شاسع بين الاثنين .

في البند الأول تبدو الحاجة للمساعدين الفنيين كبيرة جداً ، ويبدو الطلب قليلاً وإمكانات التأهيل بالتالي كذلك . وسبب عدم نمو إنشاء المراكز المهنية عزوف الناس عن هذا النوع من التدريب لسبب مادي في الغالب . ويضرب المؤلف مثلاً لذلك **إنشاء مراكز للإرشاد الزراعي في نيجريا** ، لم يمكن ملء أكثر من ربع مقاعدها ، لفقدان الحافز للتأهيل لهذا النوع من الوظائف .

وفي **البند الثاني** تكثر الحاجة **للمعلمين** وتقل إمكانات التأهيل ، ويقل الطلب لأسباب مادية أيضاً ، تستدرك باكساب مهنة التدريس ميزات جديدة .

ومع ازدياد الحاجة للعلماء والمهندسين يكثر الطلب ، ولكن تنقص إمكانات التأهيل بسبب ارتفاع التكاليف . والحل زيادة الأمكنة وتحمل تكاليف التأهيل الباهظة بقدر الحاجة للعلماء والمهندسين .

أما المديرون والمشرفون فلا تقع مسؤولية إعدادهم على المخطط التربوي ، لأن المدارس لا تخرّج مثل هؤلاء ، ولأن التدريب قبل العمل لا يناسب البلدان النامية كما ذكر قبل .

وينعكس الحال حين يغدو الطلب والحاجة للكتبة وأمناء السر كبيرين ، وإمكانات التدريب محدودة ، فيغدو التوسع في التعليم الثانوي التجاري أمراً لا مفر منه . لأن التمرين أثناء العمل لا يناسب هذه الفئة من الموظفين .

ويشبه الحرفيون الفنيون والمديرون في جدوى تدريبهم أثناء العمل . وبالنسبة للطب يزداد ضغط الطلب ازدياداً كبيراً . وتقليل فرص التأهيل يثير مشكلات سياسية ، كما حصل في بعض بلدان أميركا اللاتينية ،

والمخطط التربوي إزاء ذلك مضطر إلى عدم التوسع في **المعاهد الطبية** ، ليوجد نوعاً من التوازن الواقعي بالنسبة للأعداد الكبيرة من الأطباء المتخرجين .

أما المحامون وطلاب الكليات النظرية ، فالحاجة إليهم ضئيلة ، والإمكانات تسمح بأن يكون الإقبال على كليات الحقوق والآداب غير محدود ، والحد من الكليات النظرية يبرز وقوع المشاكل السياسية أكثر مما تبرزه مشكلة الأطباء . فقد أدى اقتراح لاختصار كليات الحقوق في أميركا اللاتينية إلى النصف ، الى إضراب جميع طلاب الجامعات . وربما كان الحل في تطوير حوافز جديدة ، وهو حل ليس ميسوراً دائماً .

خاتمة

مما تقدم يستنتج المؤلف الاستنتاجات التالية :

١ ـ ليس فقدان الإحصاءات عذراً في عدم مواجهة المشاكل وتحديدها . وعلى المخطط التربوي ألا ينتظر الانتهاء من دراسات القوى العاملة ، ليبدأ التعرف على المشاكل ، بل عليه الاعتماد على الإحصاءات القليلة المتوفرة لضبط المشاكل الهامة المتعلقة بتنمية الموارد البشرية .

٢ ـ يمكن حل بعض المشاكل التربوية الهامة بزيادة طاقة المؤسسات التربوية عن طريق رعاية بعض القطاعات كالتعليم الثانوي المجاني .

٣ ـ يمكن بذلك إمكان حل بعض المشاكل التربوية بعيداً عن **وزارة التربية** وذلك بنقل عبء التدريب قبل الوظيفة إلى مؤسسات الاستخدام .

٤ ـ على المخطط التربوي مراعاة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية السائدة ، قبل الاعتماد على الإحصائيات التي تشير إلى الحاجة لنوع معين من الفنيين . **وهذا يعني أن بعض مشاكل القوى العاملة ، يتطلب تغييرات جذرية في بنية الحوافز تسبق التطبيقات العملية .**

أخيراً ليس التصدي للتخطيط التربوي عملية يقدر عليها أي أحد . فمن مؤهلات المخطط التربوي الاحاطة بأساليب التخطيط الاجتماعي والاقتصادي ، والقدرة على تسخيرها لخدمة تطوير القوى العاملة ، والأخذ بزمام المبادرة في تقرير حاجات البلاد المتصلة بالقوة العاملة والحاجات التربوية من [illegible]

المقالة الثانية

منهج في تطوير القوى العاملة ، استناداً إلى مبدأ تحليل النظم

دارت نقاشات بين **رجال التربية والاقتصاد** حول **اعتبار دراسة القوى العاملة مدخلاً للتخطيط التربوي** ، خاصة وأن تحليل القوى العاملة من حيث [illegible]

اعتبار النقاط الأساسية الهامة التالية :

● لا يجب أن تقتصر دراسة القوى العاملة على إحصائيات عددية عن الوظائف وأصنافها ، بل يجب أن تتنبأ بتنمية التعليم وأهدافه ومراميه .

● يجب عدم استخلاص حاجات القوى العاملة من متطلبات التنمية الاقتصادية فحسب ، بل من التطلعات الواسعة نحو التطور . وبعبارة أخرى يجب أن تتعلق دراسة القوى العاملة بالتطور الوطني بما تشمله الكلمة من نمو اقتصادي وثقافي واجتماعي وسياسي .

ويستند مبدأ تحليل النظم ، إلى نظرتنا للعناصر المختلفة المقومة لنمو الموارد البشرية ، نظرتنا إلى نظام متكامل متآخذ ، على غرار نظام لتوليد الطاقة الكهربائية وتوزيعها . وإذا اتخذنا هذا الأساس منطلقاً ، أمكن اعتبار الجامعات والمدارس ومؤسسات الاستخدام والتدريب مراكز لتوليد المهارات ، واعتبار العلاقة بين هذه المراكز خطوطاً للانتقال ، وتشبيه مشاكل القوى العاملة كنقص الفنيين وزيادة العمال ، بانقطاع الطاقة في بعض مراكز التوليد ، أو بخلل في خطوط الانتقال ، مما ينتج عنه إخفاق الأجهزة في حمل القدرة المتوقعة .

وعلى ذلك يلزم أن يكون نظام توليد القوى العاملة ، معادلا لنظام توليد الطاقة الكهربائية في قيامه بنقل قدرات مختلفة ، وأن تكون له مرونة ذاتية لمواجهة التغييرات . وعندما نبدأ بتحليل الأنظمة نميز المشاكل الرئيسية التي تقود إلى بحث العلاقات بين برامج القوى العاملة والتربية .

ما هي هذه المشاكل الرئيسية للموارد البشرية في المجتمعات المتطورة ؟

هي :

١ ـ تزايد عدد السكان .

٢ ـ ارتفاع عدد العاطلين في قطاع الصناعة ، وقلة العمال في قطاع الزراعة ، وسوء الاستخدام في القطاعات الحديثة والتقليدية .

٣ ـ قلة عدد الفنيين القادرين على تطوير الاقتصاد القومي .

٤ ـ ضآلة عدد المؤسسات التي تقوم باستغلال القوى العاملة .

٥ ـ انعدام الحوافز لبعض المهن .

١ ـ السكان : المهم في **المعلومات السكانية** معرفة معدل زيادة السكان السنوي . وهو يتراوح بين ٢ و ٣٪ ، ومعرفة فئات العمر المختلفة ومن هم دون الرابعة عشرة خاصة ، وتبلغ نسبتهم خمس عدد السكان وهم خارج قوة العمل بطبيعة الحال . ومن المهم أيضاً معرفة النتائج المباشرة لتحديد النسل ، الذي يرى فيه المؤلف عاملاً في زيادة الإنتاج . وفي تحليل القوى العاملة يجب معرفة الحجم التقريبي للقوى العاملة في القطاعين الصناعي والزراعي حاضراً ومستقبلاً .

٢ ـ العطالة عن العمل وسوء الاستخدام : وبالنسبة للعاطلين عن العمل ، فإن عددهم يزداد في القطاع الصناعي حتى في الدول المتقدمة [illegible]

في هذا القطاع والتي تجذب الناس من المناطق الريفية الزراعية مما يشكل نقصاً في العمال الزراعيين .

ومن المعروف أن زيادة القوى العاملة في القطاع الصناعي تتجاوز معدل زيادة عدد السكان . ففي حين يزيد السكان بمعدل ٢,٥ ٪ سنوياً ، تزيد القوى العاملة في الصناعة بمعدل ٣,٥ ٪ إلى ٤ ٪ . وكذا فإن معدل زيادة الوظائف الجديدة لا يتجاوز نصف زيادة الدخل القومي . وفي معظم البلدان زيادة في الدخل القومي دون توسع في التوظيف للقطاع الصناعي .

ومما يزيد في البطالة وفي عدد العمال العاطلين ، زيادة الاستثمارات وقيام صناعات حديثة في المدن . فهل تحل مشكلة هؤلاء في حشرهم في المصانع والدوائر دون الحاجة إليهم ؟ أم يبقون في المناطق الزراعية التي يهرب منها كل من تلقى أي قسط من التعليم . والغريب أن البطالة في البلدان المتطورة وليدة التصنيع وانتشار التعليم . ولعل المخطط التربوي يرغب في أن تمحي هذه المشكلة ، ولكنه لا يتخلى عن مسؤوليته في إيجاد الوسائل المؤدية إلى امتصاص القوى العاملة الفائضة .

وهناك مفهومان متباينان يهتم بهما المحلل عند تحديد أهداف برامج التعليم والتدريب ، وهما الحاجة والامتصاص . وتعبِّر الحاجة للقوى العاملة ، عن الحد الأدنى للأشخاص الذين يمكن استخدامهم ، أما قدرة الامتصاص فتعبِّر عن أكبر عدد من الأشخاص يمكن استخدامهم دون مواجهة مشكلة عدم الاستفادة من مهاراتهم .

وعندما تزيد الحاجة عن قدرة الامتصاص ، يختل النظام التربوي ويقصر عن تحقيق متطلبات التطور الاقتصادي ، كأن تخرج **الجامعات** أعداداً أكبر من قدرة امتصاص المتخرجين في العمل . وتبني أسلوب تحليل النظم في هذا المجال ، يكشف مواقع الخلل ويقدم وسائل الاصلاح . والدراسة التحليلية للأنظمة أيضاً توجه الأنظار إلى زيادة الارتباط بين المدارس والجامعات ومؤسسات الاستخدام .

٣ ـ الاخفاق في التنظيم وقلة عدد الفنيين والمؤسسات :

والاخفاق في التنظيم هو إحدى المشكلات الكبرى التي تواجه **البلدان المتطورة** ، ويعود سبب الاخفاق إلى قلة عدد المجددين ، وإلى أن تحليل القوى العاملة أهمل في الماضي مشكلة هامة ، هي بناء المنظمات الحكومية والمؤسسات الخاصة ومراكز الأبحاث والجمعيات التعاونية للإنتاج والاستهلاك . وفي قمة بنية التنظيم يتربع نخبة من القادة الناجحين لهذه المؤسسات ، تكرس نفسها للتقدم والتطوير وتنظم مسيرة الجموع .

وهؤلاء القادة المجددون هم رجل الأعمال المبتكر ، ومدير الإدارة المبدع ، والعلماء الباحثون عن الأساليب الجديدة ، والأطباء ، والمهندسون الذين يصممون للمستقبل ، والمساعدون الفنيون الذين يضعون أفكارهم موضع التنفيذ ، ثم المدرسون ومديرو المؤسسات التربوية وهم البذرة التي تنمو منها الأجيال الفتية من القوى العاملة .

وإذن فالمجددون فئتان : الأولى تصمم وتبتكر وتقترح ، **والثانية** تنفذ وتستخدم . وكلهم يتحلون بالمعرفة والطموح ويؤمنون بالتغيير ، ويجب أن نستبدل هؤلاء بأرباب المراكز العالية من المحافظين الذين لا يشجعون على التغيير .

٤ ـ الحوافز : وهي المشكلة الأخيرة في حقل تطوير الموارد البشرية . إن دفع الناس لشغل الوظائف التي يحتاج إليها التطور القومي يختلف عن تقرير الحاجة للقوى العاملة في القطاعات المختلفة . **ويرى المؤلف من الخطأ الافتراض أن المرتب والمركز يعكسان قيمة مساهمة الفرد في التطور** ، فرواتب المعلمين ضئيلة ، ورواتب المهندسين قليلة بالمقارنة برواتب المديرين في وزارات الدولة . وواجب المخطط التربوي إيجاد الوسائل المؤثرة في توزع القوى العاملة والأولويات التربوية .

خاتمة

لا يلغي منهج «**تحليل النظم**» الدراسات التقليدية للقوى العاملة ، بل يرى تقديمها في معرفة الحاجات التقريبية للقوى العاملة ، وبعدئذ يقوم المنهج المقترح بفحص العلاقات العملية بين العوامل المتعددة [illegible] شاملة للتخطيط التربوي ، ودراسة علاقته بالتدريب أثناء العمل ، ويؤكد على اكتشاف الأخطاء والعلل في مراكز توليد المهارات البشرية . وخلاصة هذا المنهج بكلمة ، أنه أسلوب للنظر إلى العناصر المختلفة كوحدة متكاملة في نظام واحد ، ومحاولة لتطبيق نظام النمو المتجانس في حقل تطوير الموارد البشرية .

وبمناسبة استخدام هذه الطريقة في هذا البحث نذكر في الختام بعض المفاهيم المستخدمة في الماضي :

١ ـ القول بزيادة الاعتمادات المخصصة للتربية في البلدان المتطورة . ومن محاذيره أن ليس هناك علاقة محددة بين الأموال المستثمرة في التربية والتطور القومي ، وأن التوسع الخاطئ في التربية يمنع النمو أحياناً .

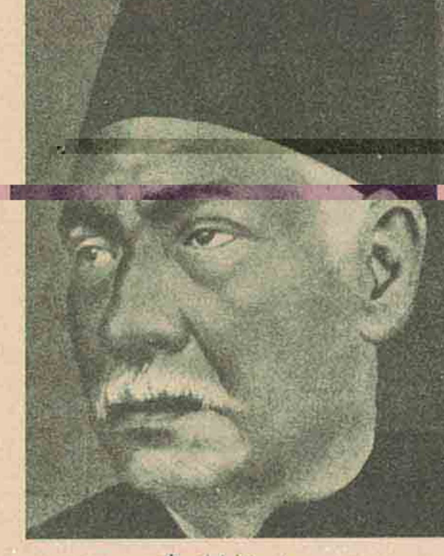
٢ ـ الحاق التخطيط التربوي بالتخطيط الاقتصادي . ومن المنطق أن يكون البدء بالتخطيط لتنمية القوى العاملة واستغلالها ، موازياً للبدء في زيادة الدخل القومي .

٣ ـ يمكن القول أن مساعدة البلدان المتطورة في حقل الاستفادة من تطوير الموارد البشرية ، نافعة دائماً .

وما دامت الحاجة ماسة في حقل الموارد البشرية إلى تخطيط يعتمد على دراسة العناصر المختلفة ، فإن منهج التحليل يمكن أن يساهم في ذلك مساهمة فعالة .



★ عزيز أباظة ★



★ حافظ إبراهيم ★



★ علي الجندي ★

غنيم خليفة حافظ

بقلم : عبد الفتاح أبو مدين

كنت حريصاً أن أراه ، فأستمع إليه ، وأتحدث معه ، وقد جاء .. قبل خمس سنوات .. حاجاً ، وما أسرع مر السنين ، ونزل في فندق «قريش» ، بجدة ، وعلمت بنبأه .. بعد مغادرته ، **ومحمود غنيم** رحمه الله ، شاعر .. بعيد الصوت ، وقد لقبوه بخليفة **حافظ إبراهيم** ، وغنيم أديب بارز ، مجيد .

وشاعرنا من رعيل الرواد في مصر ، ولد في إحدى قرى **المنوفية** ، في الريف عام ١٩٠٢ م . وعمر سبعين خريفاً . وقضى فترة طويلة من حياته مدرساً في القرى ، ثم تحول إلى **القاهرة** مدرساً كذلك ، وبعدها .. التحق بالسلك الوظيفي في **وزارة المعارف** ، ثم عضواً في لجنة الشعر .. بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، **ونال جائزة الشعر التشجيعية** على ديوانه الثاني .

أما ديوانه الأول «**صرخة في واد**» .. فقد نال به .. جائزة الشعر الأولى .. في مسابقة مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٧ م .

إن شعر غنيم .. يتميز بالرصانة ، والقوة ، وجزالة اللفظ ، وحلاوة الموسيق ، وهو شعر عمودي كله .

وقد عرفت شاعرنا ، بما كنت أقرأ له .. في مجلة «**الرسالة**» المصرية ، وانتقال الشاعر .. إلى حاضرة مصر ، وتركه الريف ، فتح له آفاق المعرفة ، في أنديتها الأدبية ، ومحافلها ، والاحتكاك بالرواد ، ووفرة الاطلاع ، ومعايشة المناقشات ، في مناخ ، كان في أوائل الثلاثينات ، إلى أواخر الأربعينات .. موقداً ، فكراً ، ثم خمدت هذه الجذوة ، بل سمها إن شئت ماتت .. ولا أدري متى تبعث من جديد ، في أرض الكنانة .

إن استعداد نفس شاعرنا ، وموهبته ، وتعايشه .. في جو الثقافة العريضة ، وتخصصه في تدريس اللغة العربية ، أخرجت منه شاعراً مجيداً ، يكفي .. أن سموه بخليفة حافظ . ونحن نعلم مكانة حافظ إبراهيم ، وشاعريته .. بين شعراء العصر ، بل إن من الناس ، من يفضله .. على الشاعر **أحمد شوقي** .

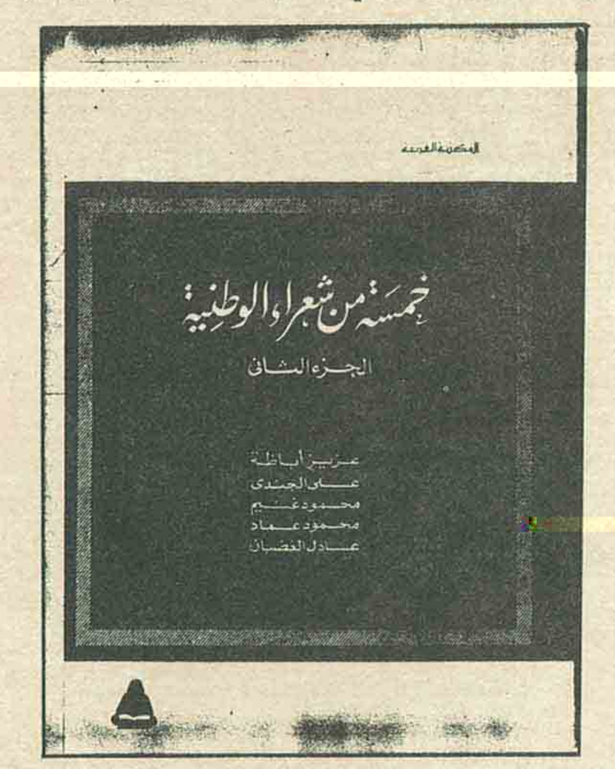
ما زلت أذكر قصيدة المرحوم محمود غنيم في «**مناجاة الهلال**» نظمها في أثناء الحرب العالمية الثانية ، وهي من عيون الشعر ، ومن العجيب ، أن بعض من كتب عن غنيم ، كما سنرى ... ذكر الكثير من قصائده ، ولم يُذكر هذه الرائعة بحق ، ولم يستمعوا إلى الشاعر ، مناجياً الهلال ، وهي قصيدة طويلة :

ماذا وراءك مرحبا بك عاما
رحماك إن الكون في الدم عاما
ما بال ظهرك يا هلال مقوسا
أحملت أعباء السنين جساما
هم شبهوك بمنجل من فضة
ماذا حصدت، أتحصد الأياما
يا ابن الدجى حدث أعرك مسا
معي فلأنت أصدق من «حذام» كلاما

طبع للشاعر ديوانان في حياته ، أما ديوانه الثالث ، فما يزال مخطوطاً ، وآمل أن نقرأه مطبوعاً ، لنعلم ماذا قال في «**أرض النبوة ، وحمائم الحرم**» وهما القصيدتان اللتان نظمهما ، يوم جاء حاجاً .. قبل سنين خمس ، كما أشرت .

وغنيم .. من أشد الناس محافظة على **لغة القرآن** ، وقد خدم أمته ، ولغته عمره كله ، وظل في هذا العمر ، يمد الصحافة الأدبية ... بفيض قريحته ، ويشارك في ندوات الشعر والأدب ، ويثري هذه الأندية ، بزاده العريض من الثقافة العربية ، ذلك .. أن الرجل .. درس في **الأزهر ودار العلوم** ، فتكونت فيه هذه الثقافة بعمقها وقوتها ، وصفائها ، حين وجدت نفساً عطشى ، متفتحة على تراثها ، تحفل به ، وتهضمه ، ثم ترسله .. في صياغة جديدة ، وأسلوب جديد ، وإضافات جديدة .

وصدر .. عن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، والعلوم الاجتماعية ، في العام الماضي .. الجزء الثاني ، عن شعراء وطنيين ، ويضم كلاً من .. **عزيز أباظة ، وعلي الجندي ، ومحمود غنيم ، ومحمود**



عماد ، وعادل الغضبان ، ولا أدري ، كيف وجدت نفسي مسوقاً .. إلى الوقوف عند محمود غنيم وحده ، ربما .. لأن هناك ما يشبه الصلة ، من أصداء قصيده ، الذي كنت أقرأه في الرسالة .

ونفس الصلة ، كانت مع عادل الغضبان ، أيام كان رئيس تحرير مجلة «**الكتاب**» التي كانت تصدر منذ عام ١٩٤٥م وحتى ١٩٥٣م على ما أذكر . وعرفته كشاعر عاطفي وجداني ، لا سيما قصيده .. في **الاسكندرية** .

وشغلت الدراسة .. التي جمعت في كتاب خمسة من شعراء الوطنية ، ثلاثاً وخمسين صفحة ، فيها نتيجة وافية عن الشاعر محمود غنيم وحياته ، والوقوف على بعض شعره .

ولمحمود غنيم مسرحيات شعرية ، هي «**النصر لمصر**» ، «**يومان للنعمان**» ، «**غرام يزيد**» ، «**المروءة المقنعة**» ، و «**الجاه المستعار**» .

وله كتاب اسمه «**حديقة التلاميذ**» . ودراسة عن **حفني ناصف** ، ظهر في سلسلة أعلام العرب ، وحقق مع آخرين .. الجزء الحادي والعشرين من كتاب **الأغاني للأصفهاني** ، وقدم دراسة عن **أحمد الكاشف** في كتاب «**خمسة من شعراء الوطنية**» الجزء الأول .. الذي صدر في عام ١٩٧٤م .

هذا هو الشاعر الرائد الذي عاش حياة الحرمان ، فالأيام لم تبتسم له ، فهو طوال عمره موظفاً ، يتناول في آخر كل شهر فتاتاً من فضلة ، هي زاد المضطر الأبي ، والذي يرفعه شموخ نفسه .. فوق التدني ، الذي ينال منه ما يريد .. لو أراد ، ولكنه ، سلك منهج الإباء ، في نفسية الشاعر .. الكبير النفس .. والهمة ، فمد اليد للأخذ .. يضعف النفس ويكسر فيها القوة ، والإرادة والصلابة ، والترفع في شمم ، يقوي فيها الصبر ، وتحمل المكاره ، واحتمال الأذى ، وبناءها من الداخل بالتزام القناعة باليسير المقسم ، في سلامة طوية ، عن الكثير الزائل ، في ذل التلقي ، والمن ، والتسويف ، وانكسار تقسي الآخذ ، بالقياس إلى الذين يحسون بفداحة الاستجداء ، وثقله عليهم ، لأنه ذل ، والذي يمنع ويعطي ، ويمن ، هو القادر الواحد ، الله .

هكذا عاش شاعرنا ، فقيراً ، ومات فقيراً .. من المال ، أما نفسه ، فهي طموح ، شامخة كالطود لم تنحن له هامة ، شأن الفحول من لداته .. الذين أثروا عزة النفس ، عن إذلالها ، فكانوا رواداً ، وعمالقة ، وأمجاداً ، وأعلاماً ، وكباراً .

ولعل الاخلاص ، هو المسلك .. إلى منحنى هذه الرفعة ، في هذا الترفع ، وهو ليس كبرياء على أحد ، بل إن نفوس هؤلاء الأدباء كنفس الطفل وداعة في مسلك الأخوة .. والحب ، والصفاء ، والصداقة .

رحم الله الشاعر .. الذي ترجم مشاعر أمته ، عبر نصف قرن من الزمن .. إلى أن مضى ، وختم عمله بالحج للبيت العتيق ، الذي عاشت قداسته في نفسه المؤمنة حتى جاءه ، وأنشد فيه شعره بعنوان «في أرض النبوّة ، وحمائم الحرم» .. وقد نرى ذلك منشوراً ، إن شاء الله فيما بعد .





الدماغ البشري

بقلم
عبدالرحمن حريتاني

● الوردة الحمراء التي نراها بأم أعيننا في حقل ربيعي .. هل هي حقيقة وردة ..؟

ثم .. هل هذا الكناري المغرد .. أو تلك الشجرة الباسقة الوارفة .. أو ذاك الفيل الضخم .. أو تلكم الجبال الشاهقة .. أو ذلك النجم المضيء اللامع البعيد .. هل كل هذه المكونات والموجودات الأرضية والسماوية .. هي حقيقة كما تبدو لنا وتتراءى بكياناتها وصيرورتها .. أم أنها ظل تصور .. ونسج أخيلة .. وتركيبُ مركب ..؟

الله (جل جلاله) يقول في عظيم كتابه ﴿ **فلا أقسم بما تبصرون . وما لا تبصرون** ﴾ (سورة الحاقة ، الآيتان ٣٨ ـ ٣٩) .

وبعض الحقيقة تخبرنا عياناً وتجربة أن تلكم الوردة كشيء كلي مجمل مكون مجموع ـ هي فعلاً ـ كما تعلمنا أن نسميها (وردة) .

ولو ابتعدنا عن سطحية العلم قليلاً لقلنا إن الوردة ما هي إلا عبارة عن نماذج مختلفة لرسائل عصبية متنوعة وكثيرة :

رسائل عصبية بصرية ضوئية توصلها الأعين وأجهزتها إلى **المراكز البصرية** ـ في الفص المؤخري ـ في المخ .

ورسائل عصبية سمعية موجية توصلها الآذان وأجهزتها إلى **المراكز السمعية** ـ في الفص الصدغي ـ في المخ .

ورسائل عصبية شمية كيماوية يوصلها الأنف وأجهزته إلى **المراكز الشمية** ـ في المنطقة الشمية ـ في المخ .

ورسائل عصبية حسية لمسية توصلها جسيمات حسية جلدية منوعة إلى **المراكز الحسية** في القشرة المخية .

ورسائل عصبية فكرية ونفسية ـ ذاكرة وتذكر ـ لورود كثيرة مختلفة شوهدت في الماضي وتسترجع الآن لتقارن وتحاكى بما يُرى الآن .

وأخيراً . . عقل واع مجمع رابط منسق . . مترجم الأحاسيس المختلفة ومكون من الأشباه صوراً وموجودات . . تؤلف وتنسج من تداخل هذه الجزئيات والنبضات العصبية غير المنظورة ــ شيء ــ أطلقنا عليه اسم وردة ــ . فالأعين هي العياء ، وهي الحجاب على الحقيقة ، وما وضعت في هذا الجسد الحجب إلا لتحجب الحقائق عن أفهامنا ، وتغطيها بظلام قاتم كثيف . . ويلزم لمن يريد كشف وتبديد هذا الظلام أن يخرق الحجب ويكشف السدول والستائر بنور آخر مشرق باهر هو نور البصيرة .

إذ إن العيون لا ترى إلا ما يُرى لها ، وبالتالي فهي تضيعنا في متاهات الغلط وعتامة الجهل ، وتجعلنا نحسب أننا قد بلغنا شأواً في العلم عال . . نفهم ونحيط بكل شيء . . وما أحطنا بشيء . . ولا بمقدار من هذا العلم الموصوف بالقليل .

ثم . . هذا الظلام . . ما ماهيته . . ولماذا الأعين لا تخرق سدله وترى فيه . . إن كانت هي التي تبصر بينا كثير من الحيوانات ترى فيه وتبصر؟

إذن ، المسألة نسبية . . وبحاجة لشرح وتبصر . . إن لم نقل أن الأمر جهل بعلم مجهول لم يُعلم .

وصدق الله العظيم إذ يقول (جل جلاله) في سورة (ق) : ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد . وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾ (سورة ق ، الآيات ١٩ ــ ٢٢) .

آلية عمل الدماغ

تفاعلات كيميائية معقدة **وشحنات كهربية** بسيطة ، تنتقل بسرعة في **ألياف الأعصاب Axons** فيها الكفاية لبدء سير **الرسالة العصبية** ــ السيالة Influx ــ ، ثم تتلوها رسالة عصبية أخرى عن طريق تنبيه آخر . . وهكذا . . ملايين وراء ملايين من هذه النبضات العصبية الكهربية تنطلق كل ثانية من حياة الإنسان الفرد الواعية واللاواعية ، تتجه إلى الدماغ والعضلات والغدد .

ونتيجة لتوافق وربط الملايين من هذه الرسائل العصبية الكهربية في **القشرة المخية** Cerebral Cortex تنشأ المشاعر والعواطف الإنسانية المختلفة ــ سعادة . حزن . فرح . خوف . غضب . لذة . يأس . أمل . . . ــ

ملايين الملايين . . فيض هائل من المعلومات والمعارف ــ مليون . بليون معلومة ــ تصل إلى المخ وتتكدس على شكل رسائل عصبية منوعة من أجهزة الحس واللمس والتفكير .

يصفي المخ وينقي من ذاك الشتات الوارد ما يصلح لحال اللحظة والوقت ، ويرجئ الباقي للحظات تالية . . أو يهمل ما هو غير لازم . . ويخزن ما يلزم لمستقبل الزمان .

فلنلق نظرة مطولة . . ومسح شامل يلم بجوانب أنبل وأعظم جهاز بشري كونه الله لسيد مخلوقاته ــ الإنسان ــ فبالعقل ولا غيره . . ساد الإنسان الكون ، وفضل على سائر المخلوقات ، وأسجدت له الملائكة ــ حين تعلم الأسماء ــ . . تعال قارئي الكريم نتوغل في هذا الدغل العصبي ــ عشرة آلاف مليون خلية عصبية Nevron ــ . . علنا نكشف بعض أسرار الخلق والإبداع الإلهي المعجز **شكل** (٢) .

الخلية العصبية The Nevron

هذا الدماغ البشري المعجزة . . وهذا المعمل الكيميائي المعقد غاية التعقيد . . وهذه الكتلة الرخوة اللينة الملساء كأنها عجينة لزجة . . مم تتكون ؟ وما السر في إعجازها وصنع بدعها وأدائها المتقن .

عشرة آلاف مليون خلية عصبية Nevron كهروكيميائية تتشابك وتترابط بمحاور وزوائد تعد بمليارات المليارات في نسق واتساق قل أن وجد له مثيل أو نظير **شكل** (٣) .

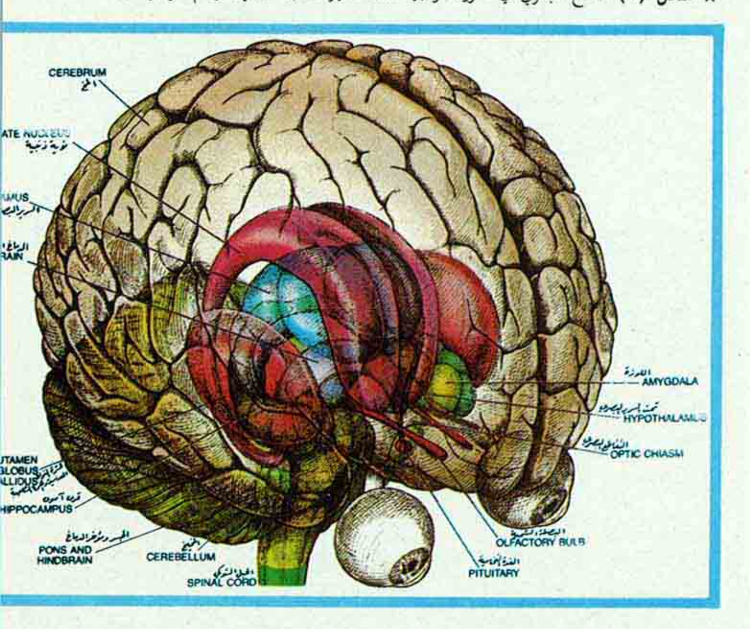
هذه المليارات من الخلايا تنسج مادة الحياة الإنسانية فكراً وذكاءً وذاكرة . . وهي التي تحبك لهذا الإنسان الراقي شعوره وآراءه وأفعاله وانفعالاته وقدراته . . لتقدمها كشرائح ممثلة بخطوط كهربية موجية بيانية ترتفع وتهبط مخلفة وراءها رسومات عرفنا معنى أقل القليل منها ــ وما زلنا نبحث وننقب لنفهم بعضاً من هذا الكثير المتبقي . . علنا بفهمنا لما تقول نستطيع تفسير مستقبل ومصير . . أو آمال وطموحات وأحلام هذا الإنسان الحائر . . إنها أجمل وأبدع الخلايا رونقاً وأبهة وسحراً وجمالا وتوزع أعمال واختصاص . . وهي بالتالي أعجب الخلايا وأعقدها وأعوصها على الفهم . . ولعل الجمال إن لم يرافقه تعب وبحث فلا متعة فيه ولا لذة .

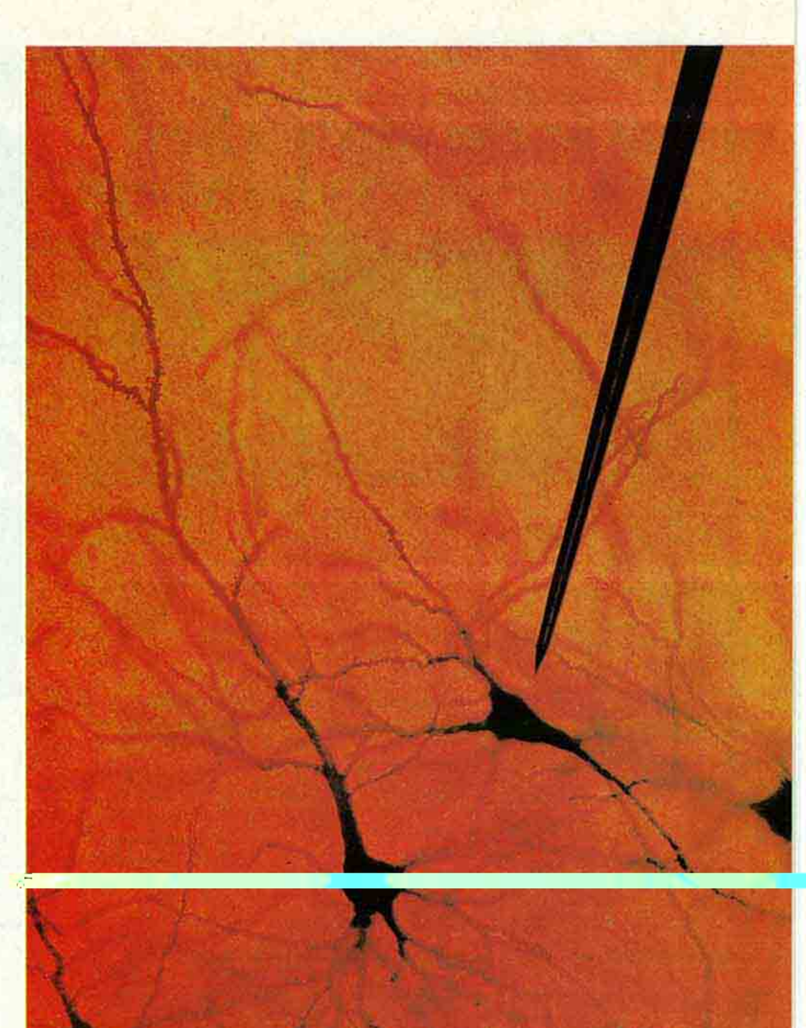
من مميزات الكائن الحي تميزه بالحس والحركة ، والحس في أبسط المخلوقات هو نوع من التنبيه يحدث بعده ارتكاس الخلية الذي يفضي إلى تبدل في شكلها العام ــ الحس البدني ــ . . أما التنبيه الشامل فهو الذي يفضي إلى تنبيه عضو أو جزء معين ــ الحس الموضعي ــ .

للخلية العصبية نوعان من الاستطالات : استطالات هيولية قصيرة متعددة Dendrites ، ومهمتها نقل التنبيه ــ السيالة العصبية Influx ــ إلى الخلايا الأخرى . . واستطالة طويلة مفردة هي المحور الأسطواني الممتد أو **الليف العصبي** Axon والذي ينقل التنبيه الخلوي لمجمل الخلية .

هذه الخلية كثيرة الاستطالات والتشعب ، ولها نواة ممطوطة كأنها نجم ، لا تنقسم ولا تتكاثر كباقي الخلايا ، وتوجد مع الشخص بعدد ثابت منذ ولادته ، وتعيش معه طالما عاش ، لا تستبدل إذا نفدت إمكاناتها ولا تصلح ، ولا يمكن الاستعاضة عنها إذا أتلفت .

★ **شكل (٢)** الدماغ البشري في صورة نموذجية كاملة تظهر تلافيفه الكثيرة وأهم مراكزه ★





★ **شكل (٣)** ثلاث خلايا عصبية Neurons من نسيج عصبي رقيق من المنطقة القشرية البصرية لقرد . . ويلاحظ قطب كهربي صغير Microelectrode برأسه إبرة جراحية صغيرة لتوازن الدفع الكهربي المولد من إحداها ★

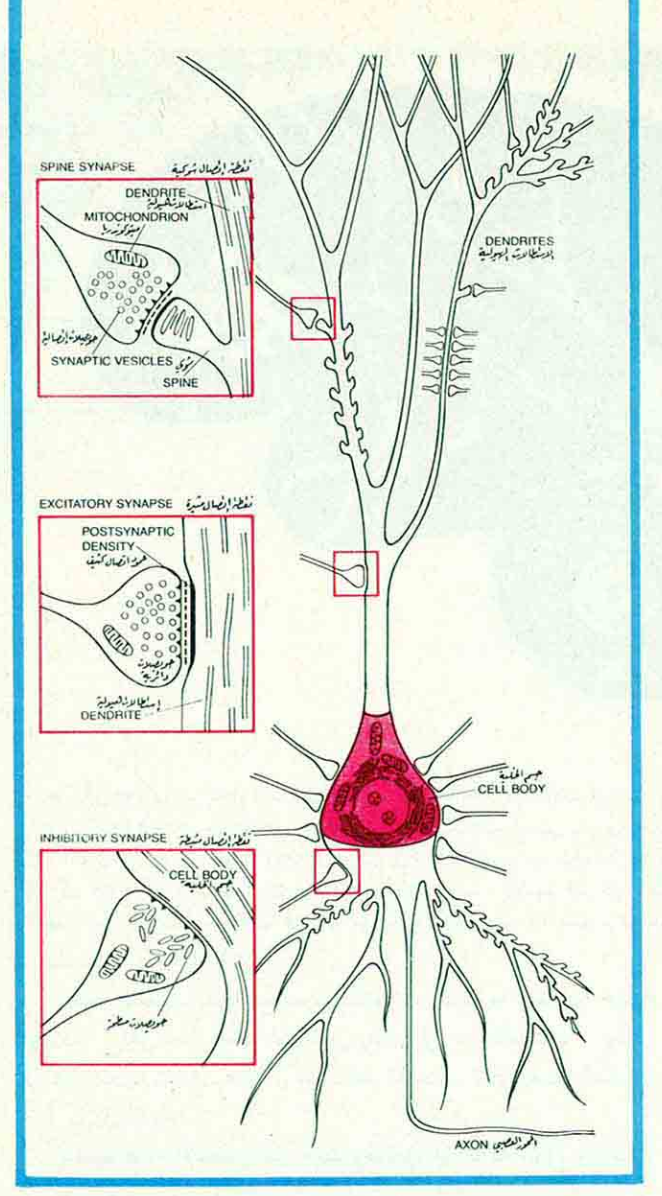
لذا فهي أثمن وأغلى ما يملكه الإنسان الفرد ، لأنها تحتفظ بين تشعباتها وثناياها بخبراته وتجاربه وذكرياته ، وعلومه ومعارفه وقدراته . . وأسراره .

وتكفي استثارة عصبية كهربية تنتج عن استرجاع فكر لتزود صاحبها بمقدار من العلوم والمعارف يريده . . أو لتنبئه بحوادث سبق ومرت ولم تنس . . ولمسة من يد جراح عصبي غرس قطب كهربي صغير ــ الكترود ــ تكفي لتفضح أسراراً خبأها صاحبها وهو يظن أن لا أحداً سواه يعلم .

الأعصاب The Nerves

سيل متدفق من الإشارات والرسائل العصبية تنقل إلى المخ ليل نهار . . وأوامر قيادية متنوعة تنقل من المخ إلى جميع أجزاء الجسم . . والوسيط في الحالتين هي ــ **الأعصاب** Nerves ــ **شكل (٦)**

وقد ذكرنا فيما سبق أن للخلية العصبية استطالات هيولية كثيرة متشعبة Dendrites ، واستطالة مفردة طويلة ــ قد تبلغ المتر طولا ــ هي المحور ــ **الليف العصبي** Axon ــ . . والعصب هو اجتماع حزم من هذه المحاور الذي لا يتجاوز



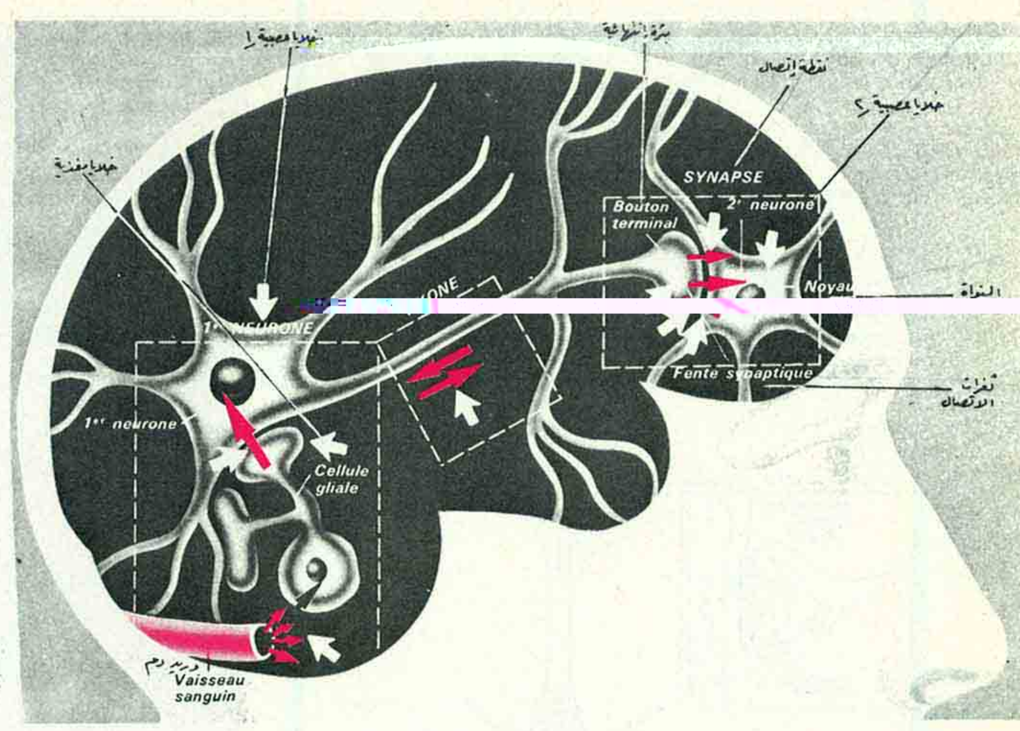
★ **شكل (٤)** Synapses . . نقاط الاتصال ــ الاشتباك ــ العصبي . . /١٠٠/ ألف مليون نقطة اتصال عصبية على الأقل تتشابك وتترابط لتجمع الأحداث وتنتج الفكر . ★

عرض الواحد منها (٢ ــ ٢٠) جزء من الألف من الملم .

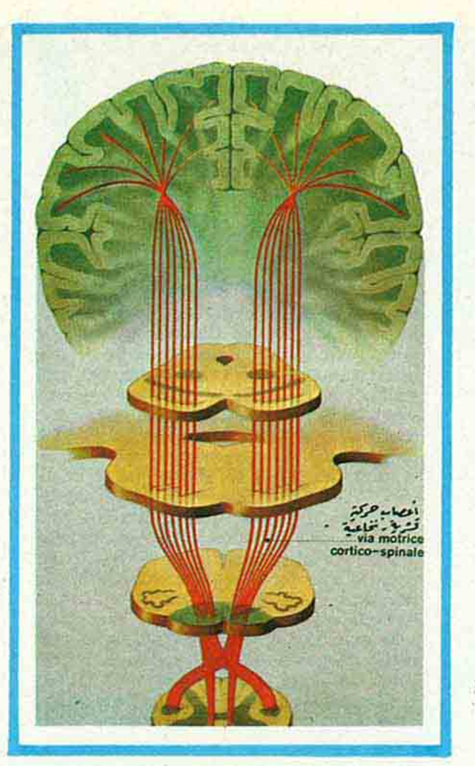
فأما **الاستطالات الهيولية** فتتصل وتترابط بالمحاور العصبية المجاورة للخلايا الأخرى تنقل منها وتعطيها ما يلزم أداءه ، وأما **المحاور العصبية** فتشكل مجتمعة الأعصاب التي تقوم بنقل الرسائل العصبية صعوداً إلى المخ ونزولا إلى أعضاء الجسم ، وكلما اقترينا من المخ كثرت الروابط بين **الاكسون والدندريتات** بحيث أن بعض الخلايا يتصل ويترابط بأكثر من (١٨٠٠) خلية أخرى ، وألياف الاستقبال تتصل مع ألياف أكثر من (٥٠) خلية أخرى . **شكل (٤)**

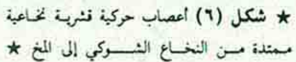
ولنا أن نتصور التشابك والترابط لـ (١٠) آلاف مليون خلية عصبية دماغية . . لنقدر تناسق واتقان وإبداع عمل آلة الفكر العجيبة هذه . . ولنتبين هذا العمل الفذ والمدهش لهذه الخلايا السميعة البصيرة الناطقة المفكرة الذكية .

هذه الشبكة العصبية البالغة التعقيد وما يجري فيها من تفاعلات كيميائية . . هي الأساس الطبيعي للعقل والإحساس والانفعال ، إذ تستجيب هذه الأعصاب لأدق الهمسات واللمسات والإشارات والأحاسيس من أعضاء الحس المختلفة ــ الجلد . العينان . الأذنان . الأنف . أجهزة التذوق ــ وتنقلها إلى المخ ، ثم تنقل من المخ إلى العضلات والغدد جميع الأوامر الصادرة . . طريق مزدوج من المواصلات



★ شكل (٥) آلية عمل الخلايا العصبية ونقل السيالة العصبية Influx . . /١٠/ آلاف مليون خلية عصبية تقدم نسيج العقل البشري . . ويلاحظ في الشكل خلية عصبية ـ١ـ تصطنع المرسلات حسب التنبيه العصبي ـ حس . حرارة . ألم . فكرة . . ـ الوارد إليها . . فتنطلق على طول المحور العصبي Axon إلى أن تصل إلى البثرة الانتهائية ـ عقد متوضعة في نهاية كل تفرع للأكسون ـ لتوصل السيالة إلى الخلية العصبية ـ٢ـ دون أن تلامسها ، فبينها ـ ثغرة اتصال ـ . . والأسهم الحمر تمثل المرسلات العصبية Transmitter والأسهم البيض تشير إلى عمليات كيماوية مختلفة قد تمنع المرسلات العصبية من أداء عملها أو قد تنشطها ★




★ شكل (٦) أعصاب حركية قشرية نخاعية ممتدة من النخاع الشوكي إلى المخ ★

ـ صاعد نازل ـ **شكل (٧)**

ويغلف الأعصاب أغماداً تمنع تسرب الانبعاثات الكهربية العصبية خارج العصب . . ولكل عصب وظيفة تختلف عن وظائف غيره من الأعصاب . . وتنقل الرسائل العصبية بسرعات مختلفة ـ حسب قطر العصب ـ (من بضعة أمتار إلى ١٠٠ متر في الثانية) .

تنقسم هذه الأعصاب من حيث وظائفها إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

١ ـ أعصاب حسية Sensory Nerves : حزم من المحاور العصبية تنقل الأحاسيس المختلفة من أعضاء الحس إلى مراكزها الخاصة في المخ والمخيخ .

٢ ـ أعصاب حركية Motor Nerves : حزم من المحاور العصبية تنقل الإشارات والتنبيهات إلى عضلات الجسم المختلفة .

٣ ـ أعصاب مختلطة Sensorimotor Nerves : حزم من المحاور العصبية تقوم بالعملين السابقين ـ أكثر الأعصاب انتشاراً ـ والأعصاب الرئيسية في جسم الإنسان (٤٣) زوجاً ، يتجه كل منها بعد أن يتفرع إلى فروع كثيرة ودقيقة إلى أجزاء عضو معين في الجسم . . من هذه الأعصاب (١٢) زوجاً تشكل ـ **الأعصاب المخية** ـ و (٣١) زوجاً تخرج من المادة الرمادية من النخاع الشوكي ـ **الأعصاب الشوكية** ـ .

والأعصاب المخية هي :

(١) العصب الشمي ـ الأول ـ Olfactory Nerve : عصب حسي ينقل أحاسيس الشم من الأنف .

(٢) العصب البصري ـ الثاني ـ Optic Nerve : عصب حسي ينقل أحاسيس الرؤية من العيون إلى الفص القفوي في المخ ـ مراكز البصر ـ نصف مليون محور تقريباً ـ .

(٣) العصب المحرك لمقلة العين ـ الثالث ـ Oculomotor Nerve : يسيطر على حركات العيون .

(٤) العصب البكري ـ الرابع ـ Trochlear Nerve : أصغر الأعصاب المخية . يسيطر على حركات العيون .

(٥) العصب التوءمي الثلاثي ـ الخامس ـ Trigeminal Nerve : عصب مختلط . يتحكم في عضلات المضغ وينقل الحس من الوجه والفكين العلوي والسفلي .

(٦) العصب المبعد ـ السادس ـ Abducens Nerve : عصب حركي . يسيطر على حركات العيون ـ العصب العيني الثالث ـ .

(٧) العصب الوجهي ـ السابع ـ Facial Nerve : عصب مختلط . المحاور الحركية فيه تسيطر على عضلات التعبير في الوجه ، (٤٦) عضلة ـ فرح . حزن . ضحك . عبوس . . . ـ وعضلات الرقبة . . أما المحاور الحسية فتنقل أحاسيس التذوق من اللسان .

(٨) العصب السمعي ـ الثامن ـ Accoustic Nerve : عصب حسي . ينقل أحاسيس السمع ووضعية حركات الرأس واتزانه .

(٩) العصب اللساني ـ البلعومي ـ التاسع ـ Glosso-pharyngeal Nerve : عصب مختلط . المحور الحركي ـ واحد ـ يتحكم في عضلة الرقبة ، والمحاور الحسية تنقل أحاسيس مؤخرة اللسان والبلعوم .

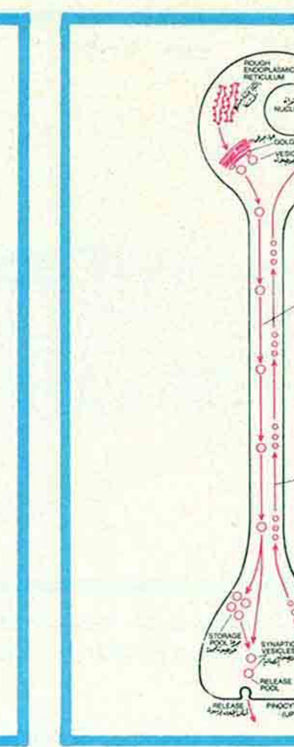
(١٠) العصب الحائر ـ العاشر ـ Vagus Nerve : عصب مختلط . يتحكم في عضلات الحنجرة . القلب . الرئتين . الأمعاء . البانكرياس ـ .

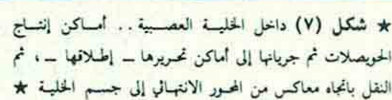
(١١) العصب التابع ـ الحادي عشر ـ Accessory Nerve : عصب حركي . يتحكم في عضلات الرقبة وانعطافاتها .

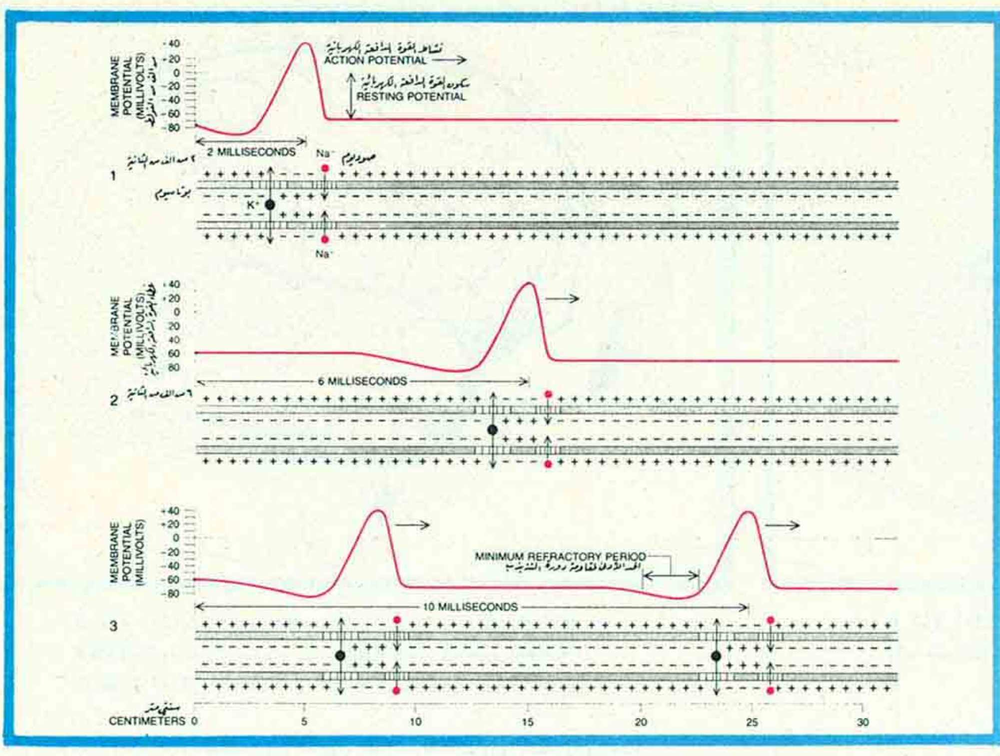
(١٢) العصب تحت اللساني ـ الثاني عشر ـ Hypoglossi Nerve : عصب حركي . يتحكم في حركات عضلات اللسان ـ ١٧ ـ عضلة .

السيالة العصبية Influx

ظاهرة فيزيائية كيميائية ، وانبعاثات عصبية كهربية تسيل كتيار كهربي خفيف في




★ شكل (٧) داخل الخلية العصبية .. أماكن إنتاج الحويصلات ثم جريانها إلى أماكن تحريرها ـ إطلاقها ـ، ثم النقل باتجاه معاكس من المحور الانتهائي إلى جسم الخلية ★



★ شكل (٨) Propagation of Nerve Impulse ـ انتشار الدافع العصبي ★

الأعصاب (٥ ـ ٥٠) جزء من المليون من الفولت.

الخلية العصبية ـ كباقي الخلايا ـ تكون **مستقطبة** Electrolonus ، أي أن سطحها يحمل **شحنات كهربائية موجبة (+)**، وداخلها ذو **شحنة سالبة (-)**، وقابلية النقل في الخلية تزداد عند **القطب السالب (-)** وتنقص عند **القطب الموجب (+)** ـ الأنود ـ.

وهذا التوزيع في الشحنات الكهربية المتضادة يوجد فرق **جهد كهربي** Voltage على جانبي **الغشاء الخلوي** Membrane ، وكل إثارة أوتنبيه لهذا الغشاء سواء كانت آلية ـ ضغط . صدمة . وخز ـ ، أو كيميائية ـ حموض . أسس . أملاح ـ ، أو حرورية ـ تبدل درجات الحرارة حرق ـ ، أو كهربية ـ منبهات ـ تؤدي إلى تعديل توزيع الشحنات الكهربية ، وبالتالي تتم توليد الظواهر الكهربية في منشأ السيال العصبي. **شكل (٨)**

هذه العملية تسمى بـ ـ **التبادل الأيوني ـ والأيون** Ion **جزء صغير من المادة يحمل شحنة كهربية سالبة أو موجبة**. وينتج عن عملية التبادل هذه تحرر كمية من الإلكترونات ـ جسيمات ذات شحنة كهربية سالبة ـ تنطلق لتكون هذه الانبعاثات العصبية ، وينتشر السيال العصبي عن طريق هذه التيارات المحلية الصغيرة ، وينتقل من خلية إلى أخرى **في مواضع الاتصال** Synapse ـ ثغرات ـ في المحاور العصبية. **شكل (٥)**

فالمحاور العصبية تتصل ببعض عن طريق تشابك نهايات Terminal الزوائد الدقيقة المتفرعة في نقط اتصال ، وهناك ثغرة اتصال بينها قطرها لا يتجاوز الـ ١/١٠٠٠ من الملم.

وعندما يصل الانبعاث الكهربي في المحور العصبي إلى ثغرة الاتصال هذه تتكون عند نهايته مادة ـ **الأسيتيل كولين** Acetylcholine ـ التي تعبر ثغرة الاتصال لتتصل بنهاية المحور العصبي الآخر ، فينتقل الانبعاث العصبي من محور إلى محور عن طريق هذه الثغرات ، حتى يصل إلى العضلة أو الجزء المخصص له بنهايات تطلق بعض المواد الكيماوية الخاصة ـ **النواقل الكيماوية** ـ Mediators - chemical.

وهذا الناقل الكيماوي ـ الأسيتيل كولين ـ يبطئ القلب ويوسع الأوعية ويزيد الحرارة ، وتبطل مفعوله ـ خميرة الكولينستراز ـ المتوفرة في كافة الأنسجة ـ وخاصة القلب ـ فتقوم هذه الخميرة بتفكيك الأسيتيل كولين إلى ـ حمض خليك وكولين ـ مرة ثانية ، فيعود التفاعل من جديد .. ليعود **عدم الاستقطاب** Depolarization ، وهكذا . . . وهذه العملية تستغرق من الزمن مليون / ١ من الثانية.

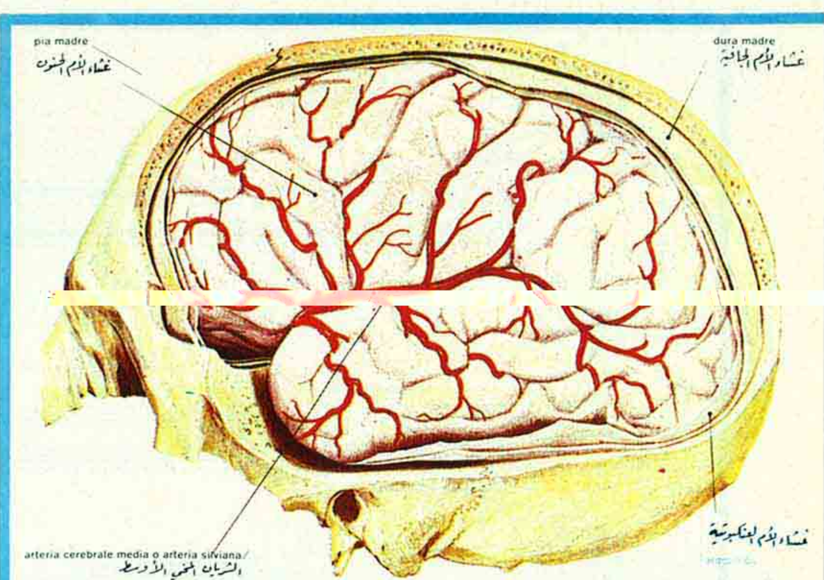
م يتكون الدماغ؟

الجمجمة : The Cramium : يلف آلة الدماغ عظام صلبة ومتينة ، تتحمل هي وجلدة الرأس والشعر الكثيف مؤونة رد أقوى الصدمات عن هذه الآلة الفكرية الهشة التي بلغت ذروة الكمال خلقاً ووظيفة .. كما يحمي **العمود الفقري** Vertebrate column **النخاع الشوكي** Spinal Cord.

تتركب الجمجمة من درع صلب من الصفائح العظمية متصلة وثابتة ـ عدا عظمة الفك السفلي المتحركة ـ. هذه العظام هي : **العظم الجبهي . العظم الصدغي . العظم الجداري . العظم الوجني . عظم الفك العلوي . عظم الفك السفلي . العظم الأنفي . عظم النتوء الحلمي**. تتشابك هذه العظام مع بعضها على شكل أسنان التروس.

أساسيات هذه الجمجمة طبقتان عظميتان بينهما طبقة مسامية بها تجاويف دموية عازلة ، مما يجعلها خفيفة الوزن وقوية ودائمة الاحتفاظ بدرجة حرارة ثابتة لا تتغير بتغير حالة الجو برداً أو حراً.

من الداخل .. غلفت الجمجمة بثلاثة أغشية لتحمي المخ ، تدرجت هذه الأغشية من الأصلب إلى الألين والأنعم . أولها الغشاء الخارجي المسمى بـ ـ **الأم الجافية** Dura Mater ـ وهو غشاء ليفي غليظ متين يبطن السطح الداخلي لعظام الجمجمة ، وثانيها : ـ **غشاء الأم العنكبوتية** Arachnoidal ـ وهو نسيج



★ شكل (٩) أغشية الجمجمة الثلاثة من الأصلب إلى الألين ـ غشاء الأم الجافية Dura Mater وغشاء الأم العنكبوتية Arachnoidal وغشاء الأم الحنون Pia Mater كما يظهر في الشكل الشريان المخي الأوسط Arterial Cerebral Media ★

لين ، ثم ثالثاً وأخيراً : ـ **غشاء الأم الحنون** Pia Mater ـ وهو غشاء رقيق جداً أبيض ولزج يلاصق المخ برفق ويتلامس معه بنعومة ويمده بالأوعية الدموية المحملة بالغذاء والأكسجين ـ وهذا من ألطاف صنع الله وحفظه (جل وعلا) لهذا الجهاز الحيوي المؤثر ـ . **شكل (٩ و ١٠)**

علاوة على ذلك . فإن كلاً من الدماغ والحبل الشوكي محاط بسائل رائق هو سائل النخاع الشوكي Cerebrospinal - fluid الذي يشارك في رد الصدمات ومنع الاحتكاك .

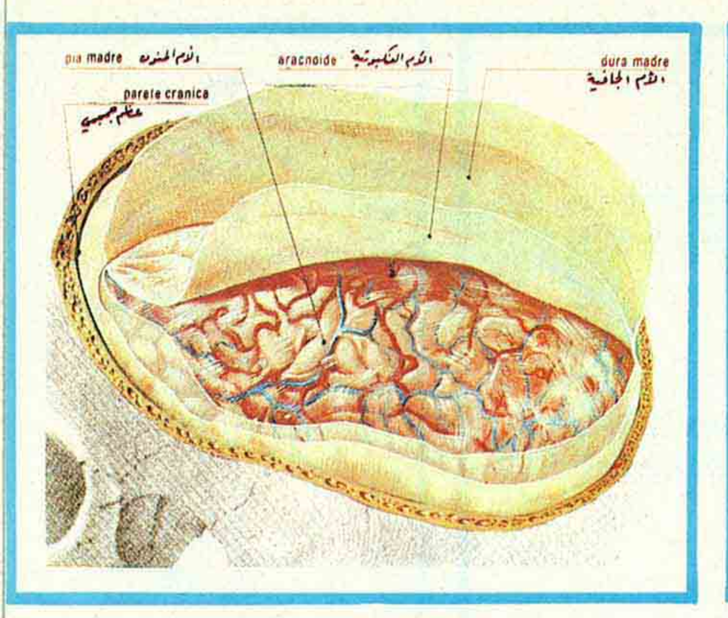
المخ The Brain :

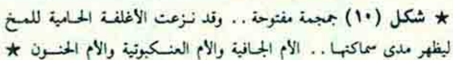
(١٠) آلاف مليون **خلية عصبية** Neurone أو Nerve cells تشكل طبقة خارجية رمادية اللون Gray هي **القشرة المخية** Cerebral Cortex لعضو رخو سنجابي متخدد في مثل حجم جوزة الهند وشكلها ـ هو **المخ** Cerebrum ـ هذه القشرة العجيبة مملوءة بالتلافيف والأخاديد والتعرجات والثنايا ، وتتراكب من ست طبقات خلوية تتراكم فوق بعضها البعض على التوالي : **١ ـ الطبقة الذرية ، ٢ ـ الطبقة الجيبية الظاهرة ، ٣ ـ طبقة الخلايا الهرمية ، ٤ ـ الطبقة الجيبية الباطنة ، ٥ ـ خلايا بتز الهرمية ، ٦ ـ طبقة الخلايا كثيرة الأشكال .**

تغلف هذه القشرة طبقة داخلية سنجابية بيضاء مكونة من **الخيوط العصبية ـ المحاور** Axons ـ التي تخرج من أجسام الخلايا لتحمل الدفعات العصبية .

يخترق المخ بتشعب مجموعة منخفضات متباينة العمق . يقسم بعضها المخ إلى فصوص . . فالشق الطولي الرئيسي العميق Scissurd Intermisfericd يقسم المخ إلى نصفين متماثلين ـ **نصف الكرة المخية اليمنى** Right Hemisphere **ونصف الكرة المخية اليسرى** Left Hemisphere ـ والنصف المخي الأيمن يتحكم ويهيمن في الجانب الأيسر من الجسم والنصف المخي الأيسر يتحكم ويهيمن في الجانب الأيمن من الجسم . **شكل (١١)**

ويصل ما بين كرتي نصفي المخ اليمنى واليسرى قنطرة متينة توصلهما مع بعض برابط هو ـ **الجسم الجاسئ** Corpsy callosum ويقسم ـ **شق رولاندو** Rolando Fissure ـ **وشق سيلفياس** Sylvian Fissure كل من نصفي كرة المخ إلى أقسام سميت بالفصوص :




★ شكل (١٠) جمجمة مفتوحة . . وقد نزعت الأغلفة الحامية للمخ ليظهر مدى سماكتها . . الأم الجافية والأم العنكبوتية والأم الحنون ★

- الفص الجبهي Frontal Lobe (في الأمام)
- الفص الخلفي Occipital Lobe (في المؤخرة)
- الفص الجداري Parietal Lobe (في الجانب)
- الفص الصدغي Temporal Lobe (في الجانب) **شكل (١٢)**

واعتبرت القشرة المخية Cerebral Cortex الجزء المتعقل والمدرك من المخ ، حيث تنبع منها جميع عمليات التفكير المبدع ، إضافة إلى أنها مركز تحديد كافة **الظواهر النفسية المدركة** (الإرادة . الشخصية . التفكير . النشاطات الذهنية الراقية) . ولتعقيدها البالغ والمحير ، وتشابكها وإعجاز وغرابة ما تقوم به من عمليات ذاكرية ونبوغية . قسمت وقسم المخ على أساس توزع خصائصها وأعمالها إلى مناطق ثابتة . هي :

- **المناطق الحركية** Motor Cortex .
- **المناطق الحسية** Sensory Cortex .
- **المناطق البصرية** Primary Visual Aria .
- **المناطق السمعية** Primary Auditory Aria .
- **مناطق الحواس الخاصة** Somatic sensory Cortex .
- **مناطق التفكير والإدراك والكلام والتعبير** Speaking A written word.
- **المناطق النفسية** Centres of psyche ـ النوم . اللذة . الخوف . الجوع . الشبع . الحركة . الهرب . الدوافع الجنسية ـ . **شكل (١٢ و١٦ و١٩)**

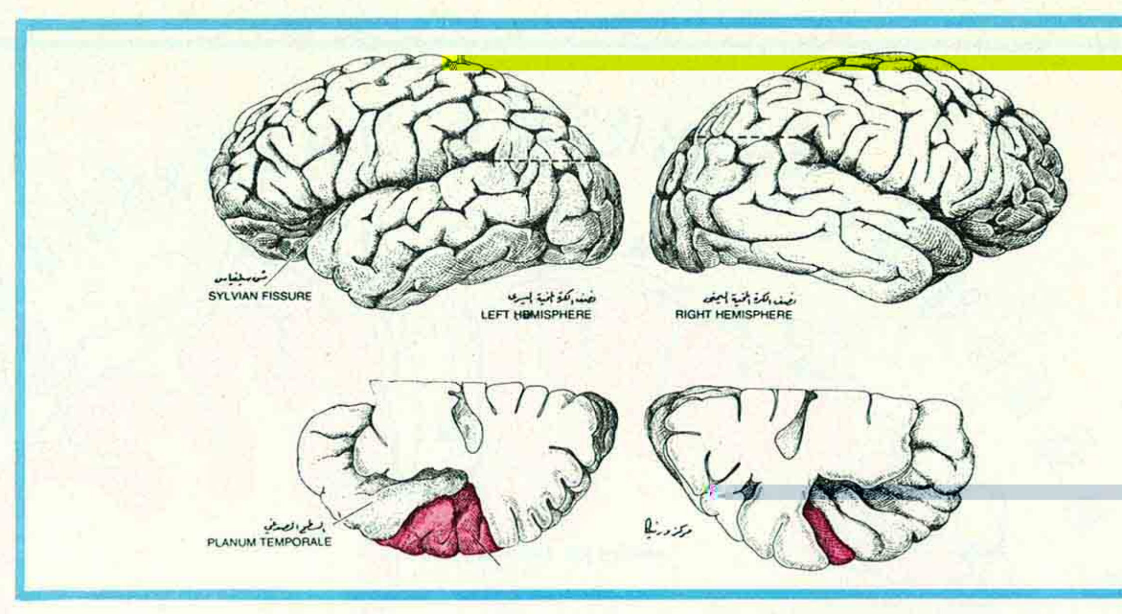
المناطق الحركية Motor Cortex :

هذه المنطقة تسيطر على جميع عضلات وأعضاء الجسم من القدم إلى سقف الحلق ، وتقع على طول **أخدود رولاندو** Rolando Fissure من الأمام .

ما يميز هذه المناطق :

١ ـ **المنطقة الحركية في كرة نصف المخ الأيمن** تسيطر على جميع حركات العضلات في النصف الأيسر من الجسم . والعكس صحيح .

٢ ـ **الخلايا العصبية** Nevrons التي تتحكم في عضلات أصابع القدم مكانها قمة المنطقة الحركية ، والخلايا العصبية التي تتحكم في عضلات الجسم العليا



★ شكل (١١) Anatomical Asymmetry ـ عدم التماثل التشريحي لنصفي الكرة المخية .
الاختصاص الوظيفي لنصفي الكرة المخية يظهر عدم تماثل واضح شكلاً ووظيفة . . فأخدود سيلفياس يبدو في حافته العلوية أشد انحداراً في نصف الكرة المخية اليمنى Right Hemisphere عند الفص الصدغي Temporal Lobe . . وفي الصورتين السفليتين يشاهد التمايز بصورة أكبر حيث السطح الصدغي ومركز ورنيكا اليساري أكبر من مثيلها في نصف الكرة المخية اليمنى . . وهذا يؤكد السيطرة اللغوية للنصف الأيسر ★

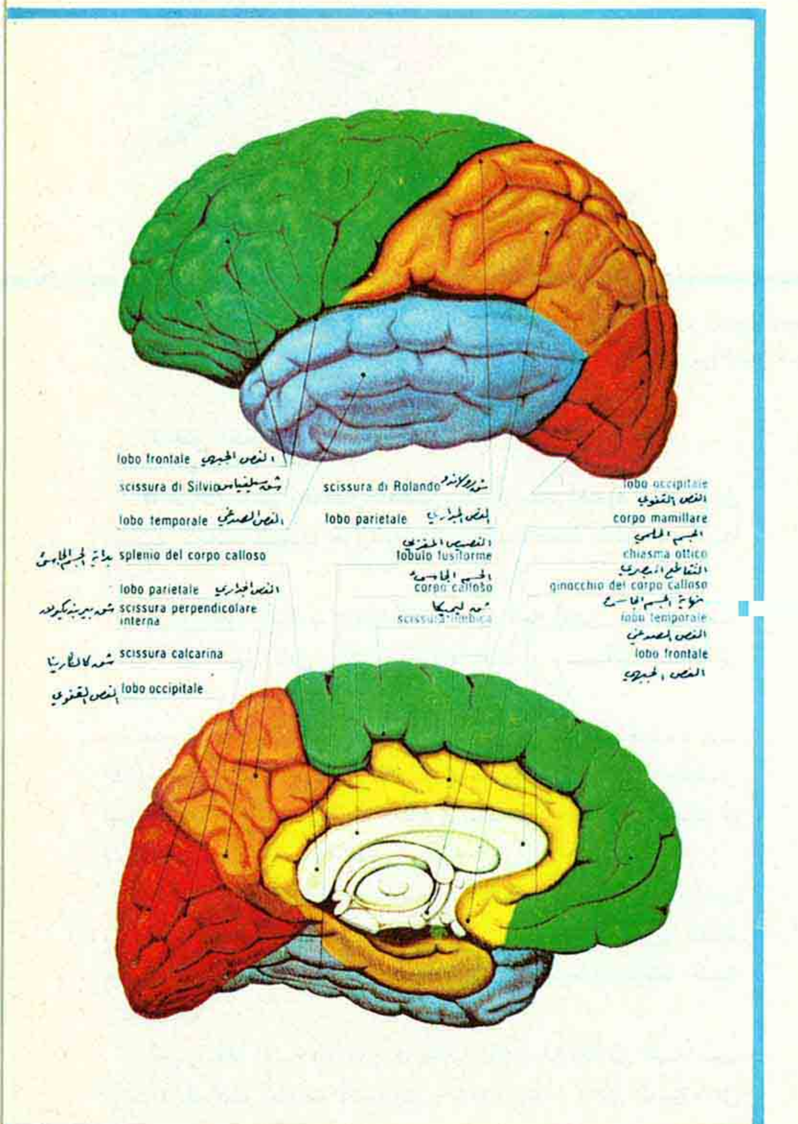
ـ مثل الفم واللسان ـ مكانها أسفل هذه المنطقة . أي أن الوضع بالمقلوب ومتدرج من الأسفل إلى الأعلى ـ القدم . الساق . الفخذ . البطن . الصدر . الكتف . الذراع . اليد . الإبهام . الوجه . الفك . الحنجرة . الأصابع . الرقبة . اللسان . سقف الحلق ـ **شكل (١٣ و ١٤ و ١٥)**

٣ ـ تخصص لعضلات أعضاء الجسم الدقيقة ، التي يتطلب عملها المهارة والاتقان والدقة ، مجموعات خلايا عصبية كثيرة ، بينما **عضلات أعضاء الجسم الكبيرة** حجماً والتي لا يتطلب عملها الدقة والمهارة يخصص لها مجموعات خلايا عصبية أقل . تتحكم الخلايا العصبية في المناطق الحركية في أداء جميع عضلات الجسم ، من الحركات الدقيقة والبسيطة : بسط الذراع . إغلاق اليد . الكتابة . حركة الأصابع على البيانو . . . إلى الحركات الكبيرة : المشي . القفز . حركات الفخذ والساق والأقدام . وكل خلية عصبية من الخلايا الهرمية تتحكم بواسطة محاورها العصبية Axons الممتدة في جزء خاص من عضلة إرادية معينة في الجسم .

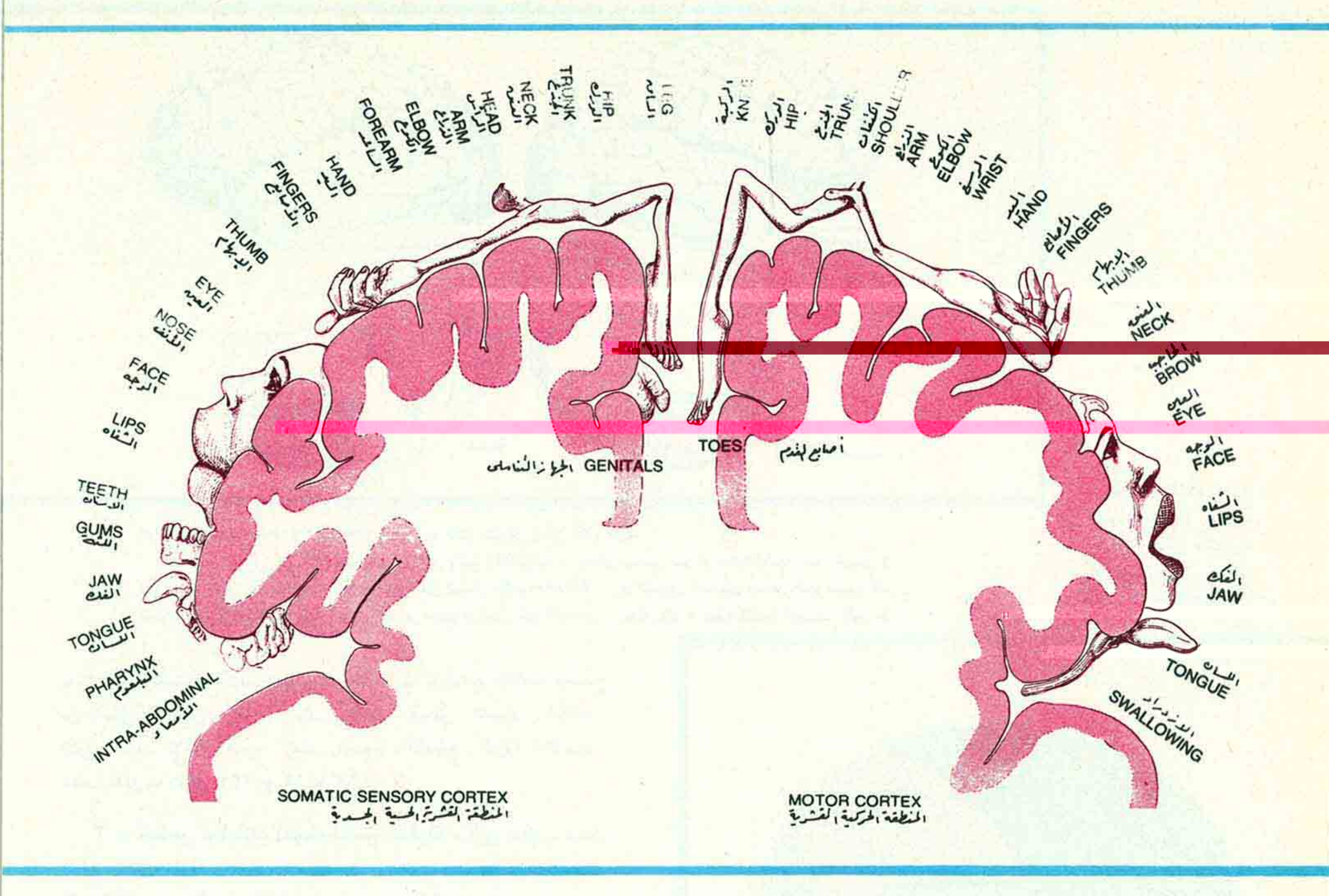
وأي تخريب بسيط في خلايا الجزء المخصص لعضو معين يشل حركة العضلة التي تسيطر عليها . فتخريب خلايا الجزء الذي يسيطر على عضلات اليد يشل حركة اليد . . وكذا القدم أو الذراع أو اللسان .

وتنبيه هذه المناطق بواسطة **قطب كهربائي ـ الكترود** Electrode ـ يمر فيه تيار كهربي خفيف يجعل العضلات على الناحية المقابلة من الجسم تنقبض وترتخي ، والتنبيه الشديد يؤدي لحالة تشبه ـ الصرع ـ الذي يتميز بانقباض عضلي قوي واختلاجات عنيفة شديدة .

ولوحظ في طفل صغير حرم من المخ بكامله ـ وعاش لمدة أربع سنوات ـ أنه كان في سكون تام وعاجز عن الاتيان بأي حركة عضوية ، إضافة إلى أنه أصم وأعمى . . وهذا دليل فقد أي أثر لعمل المناطق الحركية . ويتبع المنطقة الحركية **المناطق الحركية النفسية** Psycho - Motor Ared التي تنظم وترتب وتنسق الحركات المادية البحتة ، بحيث يظهر الانسجام الحركي الكامل في الحركة الذاتية للفرد في الكلام والكتابة وحركات الرأس والعينين ، وتنبيه مراكز التوافق في التلفيفين الجبهيين يحرك الرأس والعيون نحو الجهة المقابلة .



★ **شكل (١٢)** الدماغ البشري في صورتين . علوية تظهر الفصوص الرئيسية والأخاديد الرئيسية . وسفلية تظهر مراكز المخ الداخلية ★



★ شكل (١٣) المنطقة الحركية Motor Cortex والمنطقة الحسية الجسدية Somatic Sensory Cortex وكيف تتوزع أعضاء الجسد على أجزائها بالترتيب العكسي ★

المناطق الحسية Sensory Cortex :

● **مراكز الحس والملمس العضلي** : تقع في منطقة **أخدود رولاندو** إلى الخلف ، إذ تتطابق المنطقتان الحركية والحسية وإن كانت المنطقة الحسية تشغل حيزاً أكبر .

وتقسم المنطقة الحسية ـ كالمنطقة الحركية ـ إلى أقسام تختص بأطراف الجسم بدءاً من الأسفل وإلى الأعلى : القدم . الساق . الفخذ . . . ـ بالمقلوب ـ **شكل (١٣)**

بمعنى أن الأحاسيس الواردة من القدم تصل إلى أعلى المنطقة الحسية ، يليها القسم الخاص باستقبال أحاسيس الساق ثم الفخذ وهكذا . . . حتى أحاسيس سقف الحلق . . وكذلك فإن المنطقة الحسية في نصف الكرة المخية اليمنى تتحكم في النصف الأيسر من الجسم ، والعكس صحيح .

وتصل الأحاسيس المختلفة لمنطقة الحس من مستقبلات اللمس في أعضاء الحس والتذوق والألم والحرارة والبرودة والضغط على شكل رسائل عصبية كهربية منقولة بواسطة المحاور العصبية من امتداد الجلد والعضلات إلى مراكزها في المنطقة الحسية بالقشرة المخية .

وتلعب المنطقة الحسية دوراً مؤثراً في إمكانية القدرة الدقيقة على التمييز بين الأشياء ، وفي تحسس ماهيات الأشياء وزناً وحرارة ونوعاً . . وحتى التعرف على الأشياء دون رؤيتها ـ كالعميان ـ .

وثبت بالتجربة أن لحس الألم علاقة مباشرة بالمنطقة الحسية ـ وإن كان لمركز **المهاد البصري** Hypothalamus في المناطق السفلى من المخ والنخاع الشوكي علاقة ما ـ .

وأي تخريب في المناطق الحسية يؤدي إلى فقد أو تناقص في حس الألم مختلف الأمد ، وتنبيه هذه المنطقة كهربياً يؤدي إلى ألم في مختلف أطراف الجسم ـ بالشكل العكسي ـ وازدياد التنبيه يفضي لحالة تشبه **الصرع** Epilepsy .

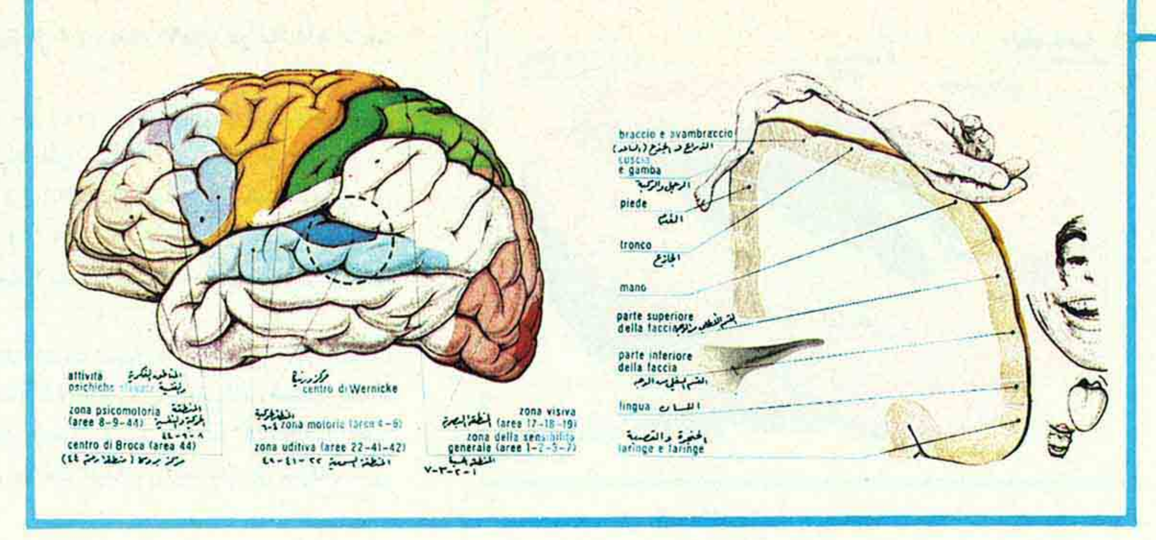
مناطق الحواس الخاصة

Sensorium Commune - Proprioceptive:

أعضاء هذه الحواس هي : العينان الآذان . الأنف . البراعم التذوقية في اللسان .

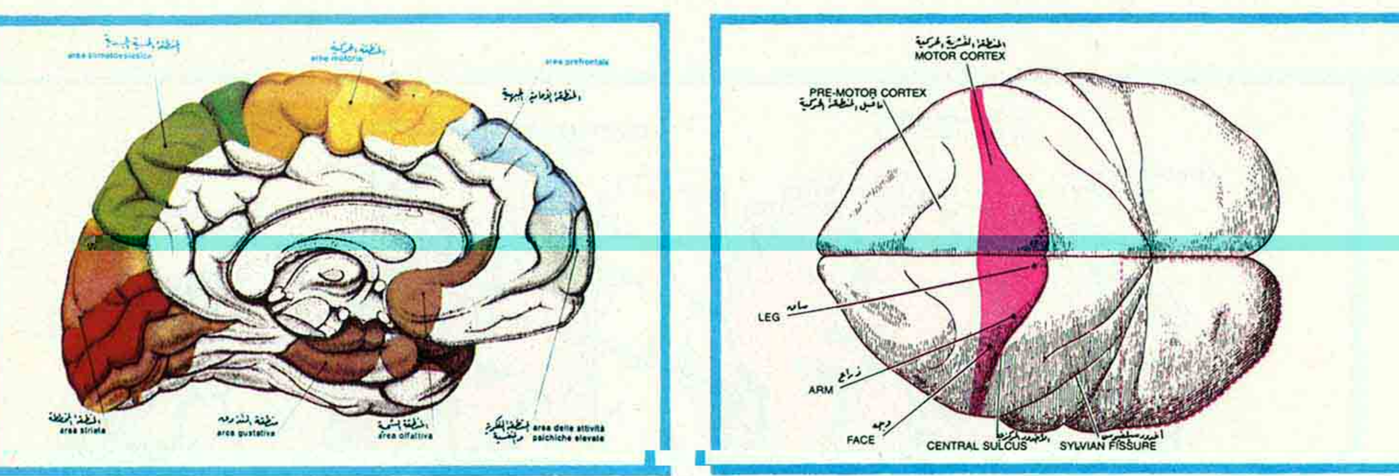
هذه الأعضاء تنقل مختلف الأحاسيس البصرية والسمعية والشمية والتذوقية بواسطة الأعصاب المخية ، وكل عصب يوصل رسائله ـ كيميائية أو كهربية أو موجية أو ضوئية ـ إلى منطقته المخصصة في القشرة المخية Cortex لتقوم هذه بترجمتها والتعبير عنها ـ بصورة ما زالت مجهولة ـ إلى صور وتهيئات وأشكال مختلفة .

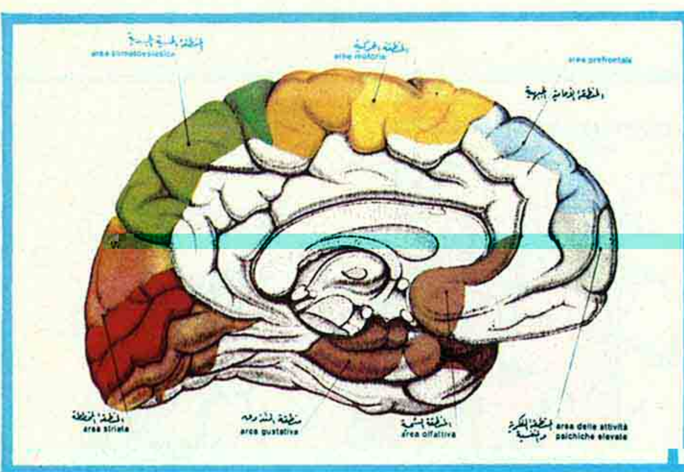
فرائحة وردة نستقبلها عن طريق أجهزة الشم في الأنف يترجمها المخ إلى تهيآت عامة لشكل وردة معينة حمراء أو بيضاء ، وحركة موجية لصوت معين تستقبله أجهزة الصوت في الأذن يترجمها المخ إلى تهيئ اقتراح لصوت كلب أو قط .



★ شكل (١٤) المناطق المخية الرئيسية ومركز ورنيكا ومركز بروكا.. ونلاحظ الأرقام التي تحدد بدقة وإحكام خاصية أجزاء كل منطقة ـ يقسم العلماء كل منطقة إلى أجزاء عديدة تخصصية ـ.

وعلى اليمين تقسيم المنطقة الحركية إلى أجزائها المختصة بالجسد بكامله ★.





★ شكل (١٥) Brain of the Macaque Monkey، شريحة ملونة لقسم من مخ القرد الآسيوي ـ المكّاك ـ والقسم الملون يظهر جزء من المنطقة الحركية Motor Cortex المختص بالساق والذراع والوجه ★

★ شكل (١٦) نصف كرة مخية وتظهر عليها المناطق الرئيسية ★

مراكز البصر Primary Visual Aria :

مكانها القسم الخلفي من الفص المؤخري ـ القفوي ـ Occipital Lobe وتجاورها **المناطق البصرية النفسية** Visual Psycke **ومراكز المعرفة البصرية** Visual knowledge.

يتألف جهاز البصر من العينين ومجموعة من العضلات تساعد على توجيه الكرة العينية وتثبيتها في أوضاع مختلفة وجهاز للوقاية مؤلف من الأجفان وجهاز الدمع.

الشعاع الضوئي الوارد على شكل جزيئات ـ **فوتونات** Photon ـ تستقبله الخلايا المخروطية Cone (٧ ملايين خلية) والخلايا العصوية (١٣٠ مليون خلية) في كل شبكية عين Retind، فتتنبه العصيات لرؤية الضوء الخافت والمخاريط للرؤية الدقيقة والملونة.

وفي شبكية العين الحساسة تتحول الفوتونات الضوئية إلى سيالة عصبية تنقلها المحاور العصبية التي تشكل **العصب البصري** Optic Nerve إلى المراكز البصرية في الفص القفوي في القشرة المخية. **شكل (٢٢ و ٢٣)**

وفي مراكز التحليل والإدراك في هذه القشرة تترجم وتعبر هذه المرئيات إلى صور وأشكال معروفة محسوسة.

وتخريب أجزاء بسيطة من هذه المراكز تجعل الشخص الناظر يفقد التمييز بين المرئيات، كما أن تخريب المراكز البصرية بالكامل يؤدي إلى العمى الكامل ـ وإن كانت العيون سليمة ـ.

وتخريب الفص البصري الواحد يؤدي إلى انعدام البصر في ثلث العين الموافقة الاتجاه وثلثي العين المخالفة الاتجاه. وتنبيه هذه المراكز كهربياً يؤدي إلى إبصار رؤى عادية ـ ورؤى ملونة ـ إن نبهت الأقسام المحيطة ـ رغم عدم وجود مرئيات ـ واستمرار التنبيه الدقيق يثير تخيلات ومشاهد لحوادث سابقة ماضية ـ أي يصير الماضي حاضراً ـ.

وتخريب المراكز النفسية والروحية البصرية يفضي إلى فقد المعرفة البصرية ـ فقد التحليل ـ فيرى الشخص الأشياء والمبصرات ولكنه لا يدرك ماهيتها، أو يفقد القدرة على تحديد المسافة والاتجاه والبعد، أو أن يفقد التمييز بين الأشكال الهندسية ـ حتى وإن كان مختصاً بها ـ، أو قد يصاب بالعمى الكلامي الذي يجعله لا يفقه معنى الحروف والكلمات ـ وإن كان يجيد الكتابة ـ.. وإصابة أكثر من جزء في المراكز البصرية يصيب الشخص بما يعرف بالهلس البصري.

مراكز السمع Primary Auditory Aria :

مكانها الفص الصدغي Temporal Lobe ـ تحت الساحة الحسية ـ مباشرة. تستقبل الأذنان ـ عضوا السمع ـ الأصوات المختلفة على شكل أمواج صوتية ذات ذبذبات وترددات مختلفة ـ

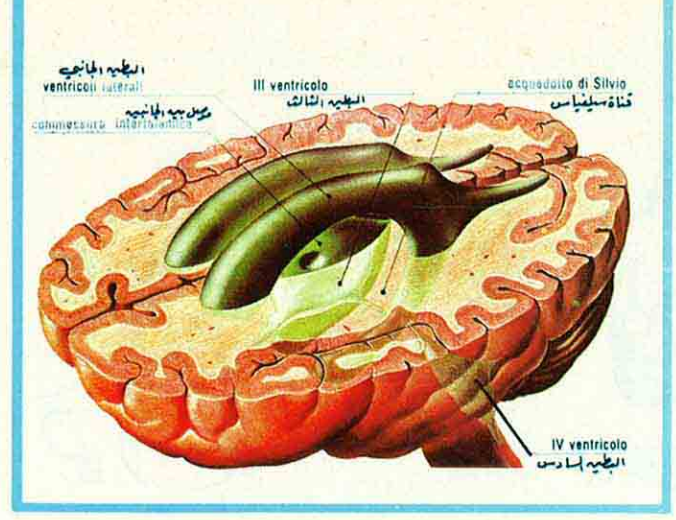
وأذن الإنسان الطبيعية تلتقط الصوت الذي مقدار اهتزازه يتراوح ما بين (١٦

ــ ٢٠,٠٠٠) هزة في الثانية ، وإذا قل أو زاد مقدار الاهتزاز عن هذا التردد لم تعد تسمع شيئاً .

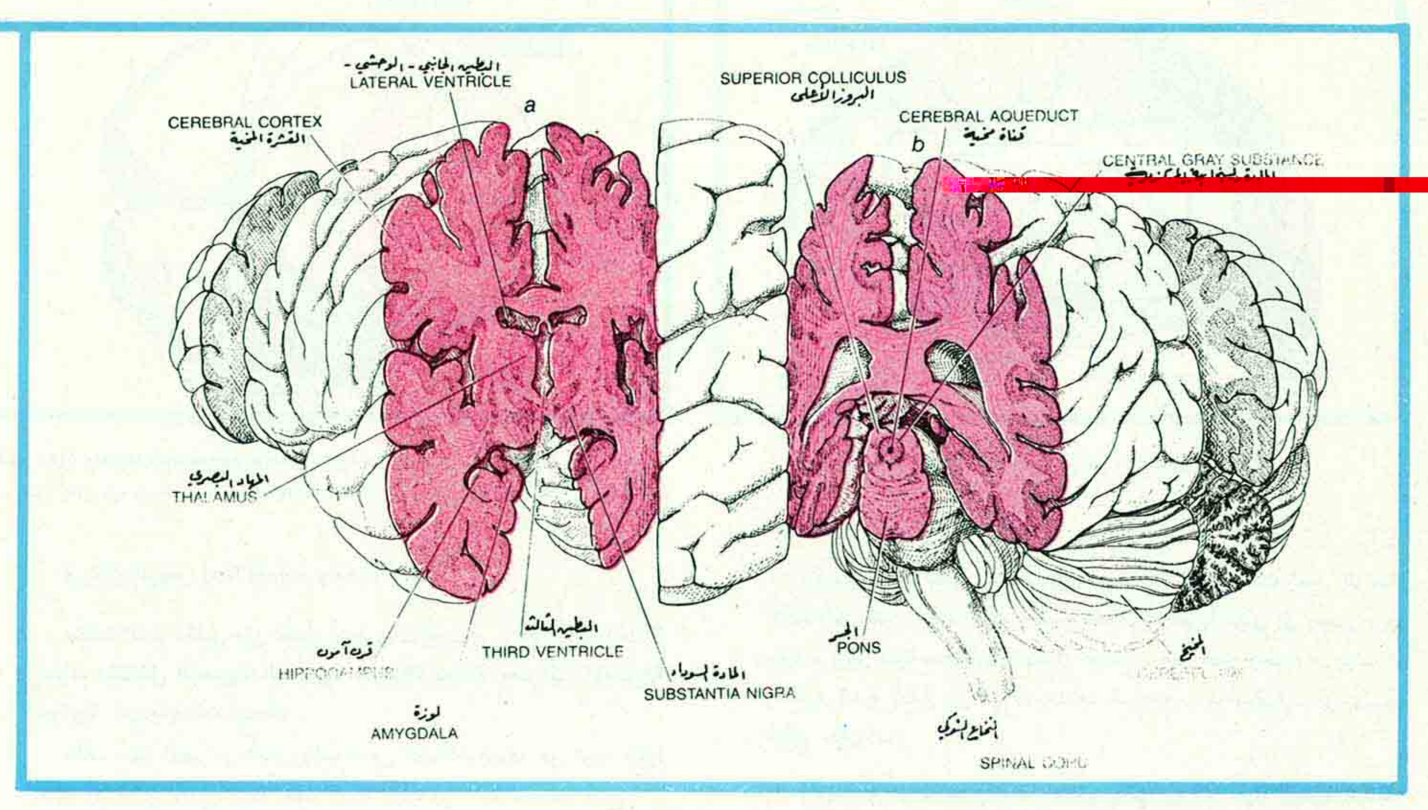
بينما أذن **الكلب** مثلاً تلتقط حتى (٣٠,٠٠٠) ذبذبة في الثانية ، **والهر** حتى (٤٠,٠٠٠) ذبذبة في الثانية **والخفاش** حتى (٦٠,٠٠٠) ذبذبة في الثانية .

والأذن حساسة جداً وتلتقط فرق ثلاثة تواترات ــ حتى حفيف الأصبع على الورق ــ وتميز الأذن بين أكثر من (٢٥) ألف لحن مختلف .. وجميع هذه الأصوات يحتفظ بها في مراكز الذاكرة السمعية لاستيعادها وقت الحاجة إليها وتذكر أصوات أصحابها وأشيائها .

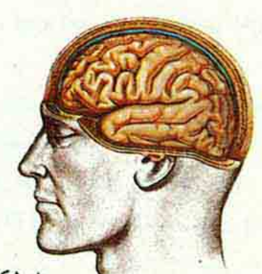
هذه الموجات العديدة باختلاف ذبذباتها تتحول داخل أجهزة الأذن وخلال مرورها **بالعصب السمعي** Auditory Nerve إلى انبعاثات عصبية تأخذ مسارات معقدة ومتشعبة حتى تصل إلى مراكز السمع في القسم المتوسط من الفص الصدغي في أسفل المخ .. حيث تعبر هذه الموجات وتترجم وتميز إلى مدركات أمور

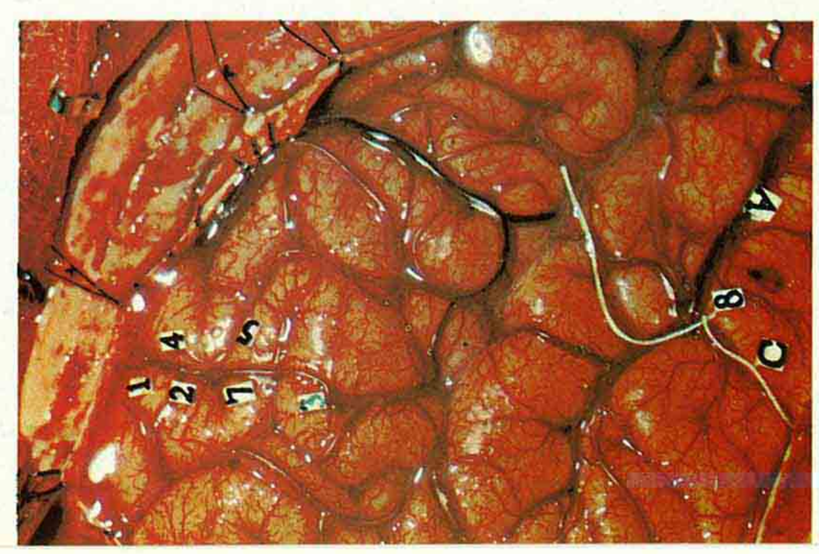


★ شكل (١٧) مقطع في المخ يظهر بطيناته الرئيسية ★

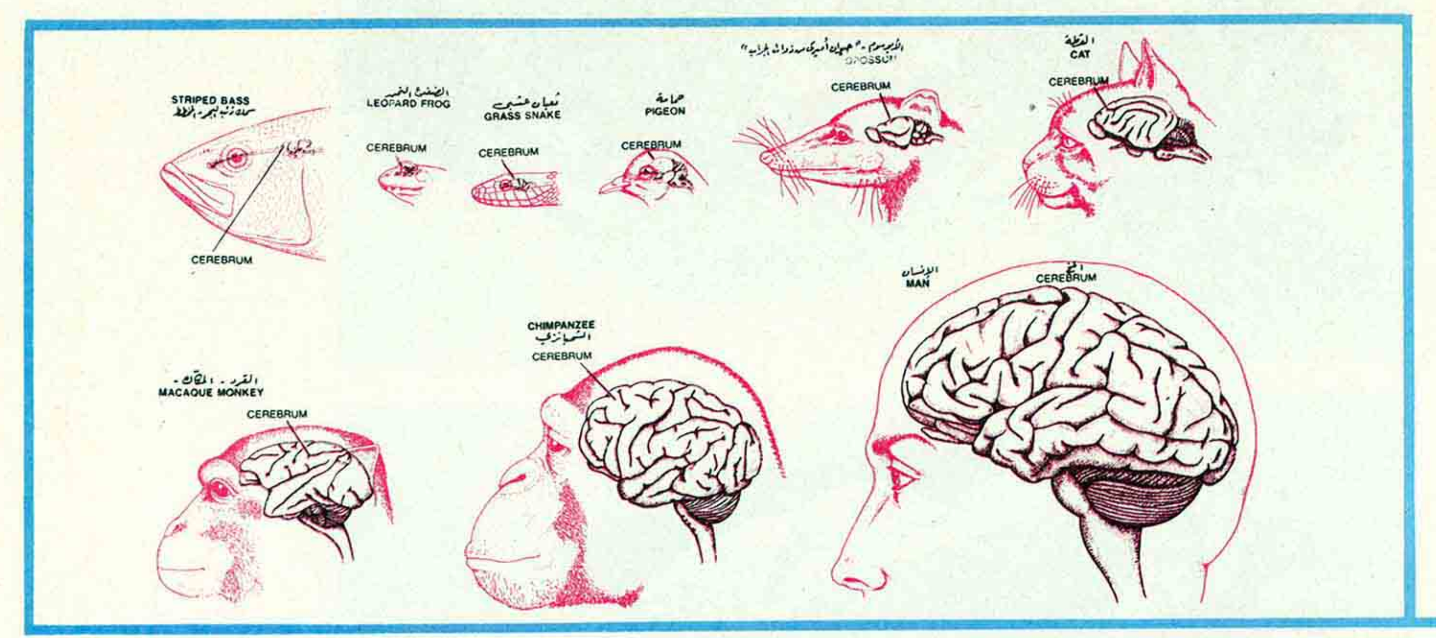


★ شكل (١٨) مقطعان مختلفان في المخ يظهران بعض مراكزه الداخلية الحساسة ★





★ شكل (١٩) صورة حية لقسم من دماغ بشري وقد عينت عليه بعض المناطق ، كما رقمت أجزاء هذه المناطق لحساسيتها البالغة .. وعلى اليسار مكان الجزء المصور من المخ ★



★ شكل (٢٠) Progressive Increase ـ التدرج في النمو.
أمخاخ بعض الفقاريات Vertebrates ـ الثدييات Mammals ـ والملاحظ أن مخ
الإنسان هو أكبر حجماً من جميع الحيوانات ـ بالتناسب مع حجم الجسم ـ ★

وأشياء محسوسة.

واعتبرت قشرة الفص الصدغي المحيطة بالمنطقة السمعية ـ **المراكز السمعية النفسية** Psycho - Auditory Ared وتخريب أي قسم فيها يؤدي إلى آفات ـ الصمم النفسي والصمم الكلامي ـ.

وتنبيه هذه المراكز كهربياً يثير مشاعر وأحاسيس سمعية مختلفة، ويؤدي إلى سماع أصوات من الماضي.. وتخريبها يؤدي إلى دوران الرأس والهلس السمعي.

مراكز الشم Olfactory Centres :

مكانها النهاية الأمامية من تلفيف **حصان البحر** Hippocampe وتعتبر **البصلة الشمية** Olfactory Bulb والشريط الشمي بمثابة فص دماغي خاص يسمى (الدماغ الشمي).

وكما أن استجابة حاسة السمع تكون لمؤثر فيزيائي موجي صوتي، واستجابة حاسة البصر لمؤثر فوتوني ضوئي، فإن حواس الشم والتذوق استجابتهما مؤثر كيميائي محض ـ ولذا فهما من الحواس الكيميائية ـ.

فعندما تلامس جزيئات رائحة المادة المنتشرة في الهواء الخلايا الشمية داخل الأنف، تصدر هذه الخلايا انبعاثات عصبية توصلها محاور العصب الشمي بعد مسيرة طويلة إلى ـ مراكز الشم في المخ ـ ولكل رائحة مادة خلايا استقبال هندسية خاصة تناسبها ـ دائرية. متطاولة. بيضوية ـ حيث تقوم القشرة المخية بتحليلها وترجمتها فكراً إلى أصولها وماهياتها. والروائح الأساسية سبع، وبقية الروائح مزيج من هذه الأصول.. وقدرة حاسة الشم تبلغ درجة فائقة الحساسية حتى لو بلغت نسبة تركيزها في الهواء ٣٠/ ١ ألف مليون جزء.

وقوة الشم عند بعض الحيوانات أقوى بكثير مما لدى الإنسان.. فإناث الفراش مثلاً تفرز مادة كيماوية لجذب الذكر يستنشقها الذكر من بعد أكثر من كيلومتر، والنحل يتعرف على خلاياه ورفاقه بواسطة حاسة الشم، والكلاب تستطيع التمييز بين رائحة إنسان وإنسان.. ولذا فإن القشر الشمي في هذه الحيوانات نام جداً ويشكل قسماً كبيراً من أمخاخها.

مراكز التذوق Gustation centres :

مكانها القسم السفلي من **الفص الجداري** Parietal Lobe، حول منطقة اللسان في المراكز الحسية. الطعوم الرئيسية الأربعة هي ـ المر والحلو والحامض والمالح ـ. وهناك الطعم المعدني والطعم القلوي، ويشتق من مزج هذه الطعوم طعوم كثيرة منوعة.. ويميز اللسان ـ عضو التذوق ـ بواسطة حليماته وبراعمه التذوقية المتخصصة بين مختلف هذه الأطعمة.

والبراعم التذوقية ـ مراكز استقبال التذوق ـ تنتشر على سطح الحليمات بطول اللسان، والقسم الأمامي من اللسان تختص براعمه باستقبال الطعم الحلو، والجوانب تستقبل الطعم المالح والحامض، بينما القسم الخلفي ـ القاعدة ـ تستقبل الطعم المر الشديد الحساسية ـ القيء ـ.

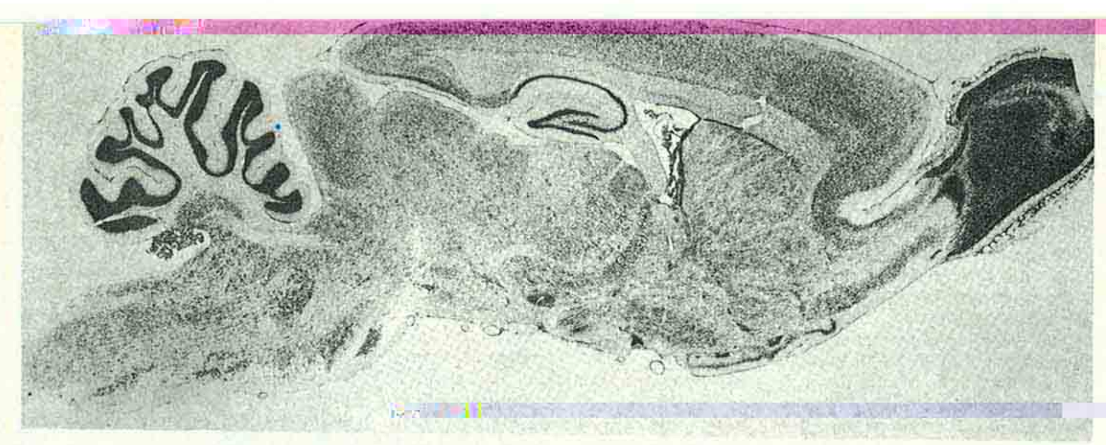
وعندما نتذوق أحد هذه الطعوم، تنحل جزيئاته في الفم، فتستقبلها براعم التذوق لتوصلها إلى الخلايا الذوقية التي ترسل بدورها انبعاثاتها العصبية، حيث توصلها المحاور العصبية المتصلة بقواعد البراعم إلى مراكز التذوق بالقشرة المخية ـ قرب منطقة اللسان ـ عبر المهاد البصري.

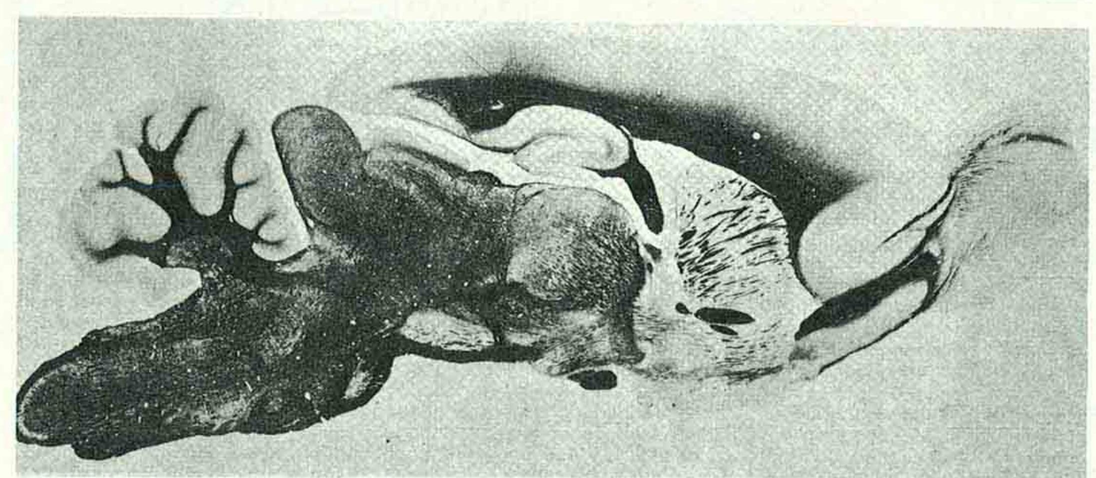
وتخريب القسم السفلي من الفص الصدغي يفقد الشخص المصاب حس التذوق، فلا يعد يستذوق الحلو من المر ويصير الكل عنده سواء.

مراكز الحس والألم Sensory - pain centres :

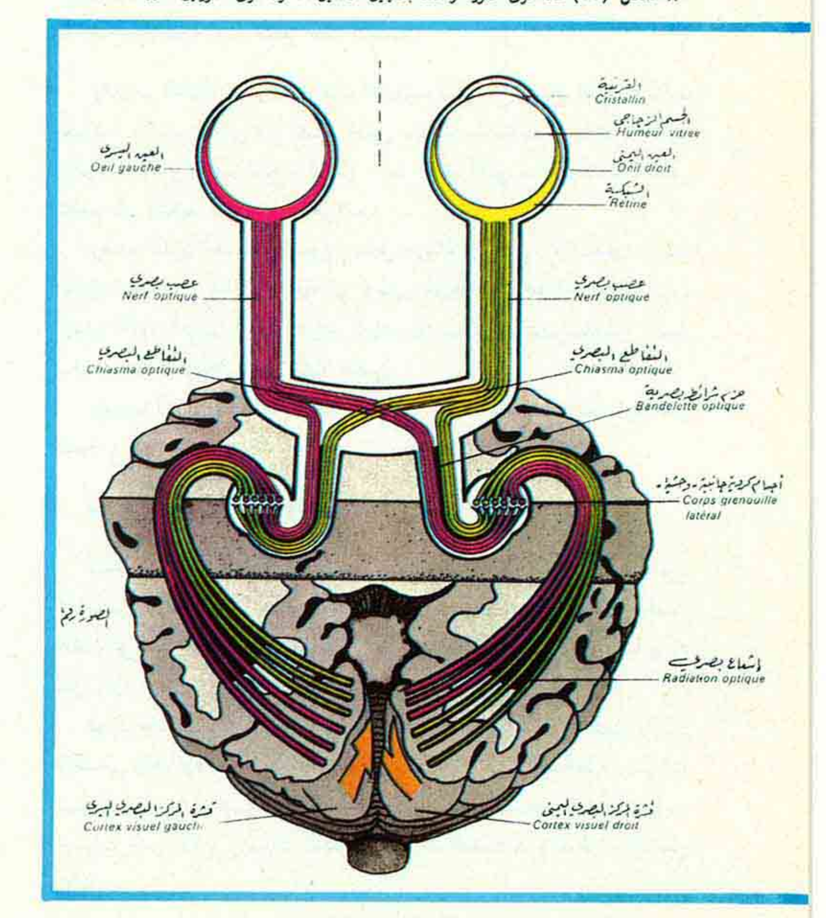
تنتشر على سطح الجلد مراكز استقبال حسية جلدية منوعة، تنقل جميع أنواع الأحاسيس من العالم الخارجي المحيط، بواسطة الأعصاب Nerves المنتشرة تحت الجلد والتي تنتهي محاورها الكثيرة والمتعددة بجسيمات متخصصة، كل نوع منها يقوم بنقل إثارة حس معين وخاص.

فهناك جسيمات تستقبل وتنقل الإحساس **بالبرودة**، وجسيمات تستقبل وتنقل الإحساس **بالحرارة**، وجسيمات تستقبل وتنقل الإحساس **بالضغط**، وجسيمات تستقبل وتنقل الإحساس **باللمس الخفيف**، وجسيمات للحس العضلي، وجسيمات لحس الألم، وجسيمات للحس العميق ـ العضلات والعظام والمفاصل والأوتار ـ.





★ شـكل (٢١) مـخ أرنـب ـ القسم العلوي ـ والقسم السفلي وقد صبغ لتظهر ملامحه . . وبلاحظ عـدم التخصص وقلـة التـلافيف والأخـاديد والتجعدات ★



★ شكل (٢٢) لماذا نرى صورة واحدة بالعينين الاثنتين . . ولا نرى صورتين . ★

وتختلف هذه الجسيمات شكلاً ـ دائرية . متطاولة . شـكل سـلال ـ وتعـد بالملايين . فجسيمات الألم تعـد مـن (٣ ـ ٥) مـلايين ، وجسيمات الحـرارة (٢٠٠,٠٠٠) ، وجسيمات اللمس والضغط (٥٠٠,٠٠٠) . . ينقلها جميعاً (٧٦ عصباً رئيسياً) تسيطر على جميع مساحات الإحساس في الجسم البشري .

تقع هذه الجسيمات على مسافات مختلفة تفصل بينها فواصل خالية من الحس ، وتكثر مراكز استقبال اللمس في مناطق أنامل الأصابع واللسان وبقية الأماكن التي يكثر استعمالها في الكشف .

ترسل جسيمات الحس انبعاثاتها العصبية على شكل رسائل حسية عن طريق الأعصاب إلى المخ تعلمه بالحالة الطارئة وتخبره بنوعية الإثارة ليتصرف التصرف المناسب .

إحساس الألم Sensibility of the pain :

عمل هذه الجسيمات الناقلة غريب ومعقد ، فهي تنقل الألم العميق والمؤثر وتوصله عن طريق الأعصاب إلى مراكز الألم في القشرة المخية Cortex .

فهي تنقل أوضاع حالات العضلات والعظام والمفاصل والأوتار والأعضاء الداخلية ـ المعدة . الكبد . الأمعاء . الطحال ـ وقت الراحة ووقت الخطر الشديد الذي يستتبعه ألم قوي ومؤثر .

والألم العميق له ثلاثة ترتيبات تصاعدية :

- **الألم الجلدي** : نتيجة تعرض الجلد لمسببات ألم مختلفة .
- **الألم العميق** : نتيجة كسر عظم أو إصابة الأنسجة الداخلية .
- **الألم الأحشائي** : نتيجة إصابة الأعضاء الداخلية .

المراكز النفسية Psycho Centres :

اعتبر المخ عضو الذكاء والمعرفة والذاكرة والعواطف . . وثبت أن لكل فعل

نفسي منها كان بدنيا وقتُ معيّن يتطلب زمنا . . سُمي هذا الزمن **بزمن الارتكاس** ، ويبلغ في الإنسان كحد وسطي (٠,١٤) من الثانية لحس اللمس ، و (٠,١٥) من الثانية لحس السمع ، و (٠,١٩) لحس البصر .

ويطول أمده في الطفل إلى (٠,٣٠ ـ ٠,٤٠) من الثانية ، والشيوخ إلى (٠,٤٠) من الثانية ، ونصف هذا الزمن الضائع يذهب لتكوين الفعل النفسي ، والنصف الآخر لنقل **السيالة العصبية** Influx إلى المراكز المختصة .

مراكز الكلام والتفكير والكتابة

Speaking – Written – Thinking Centres

هذه المراكز من أكثر الملكات النفسية غموضاً وتعقيداً ، فهي مراكز التظاهرات الفكرية جميعاً ، بالإضافة إلى أنها مراكز المهارات البالغة التعقيد ، ومكامن التخيل وإدراك النفس . . وهي بالتالي مراكز تقدير ووزن الأمور والتصرف بما يستقضيه الحال ـ أي أنها مراكز تحديد شخص الإنسان ومكانته ودرجته ـ .

مكان هذه المراكز ـ الفص الجبهي (الأمامي Frontal lobe) ـ في الجانب الأيسر حيث **مركز بروكا** Broca's Aria ، **ومركز ورنيكا** Wernicke's Aria . **شكل (٢٤)**

ويقتصر وجود هذه المراكز على الإنسان ، وهي غير موجودة في أي مخلوق آخر ـ ولا حتى القردة والشمبانزي ـ ولذا فإن جميع الحيوانات لا تتفاهم بالكلام ، وتستعمل لغات مادتها الأساسية الإشارات والحركات والصياح ، والإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يتفاهم مع بني جنسه باللغات والكلام .

تتعاون مراكز البصر التي تنقل صور الحروف والكلمات وتحدد مسمياتها ، والمناطق السمعية التي تنقل موجات الصوت لتصيغها كلمات ، والمراكز اللمسية ـ المشاعر ـ التي تنقل نوع الحس للشكل . . تتعاون هذه المراكز جميعاً مع مركزي ورنيكا وبروكا لتكونا في قشر المخ عدداً من الصور المختلفة .

ثم وبالتنسيق والربط بين هذه المراكز جميعاً يستطيع الإنسان أن يفكر ويعبر وينطق ويكتب ، ويقوم مركز بروكا بتنسيق حركات العضلات اللازمة للكتابة والكلام ـ **شكل (٢٦)** وضبطها بمقاييس دقيقة ومحددة .

ويرسل مركز بروكا تعليماته إلى المناطق الحركية في القشرة المخية التي تمررها بدورها كسيالات عصبية إلى عضلات الحنجرة والشفة واللسان واليد ـ يمنى أو يسرى ـ فتتحرك هذه الأجهزة حسب المطلوب لفظه أو خطه ـ **شكل (٢٦)** .

كيف نسمع الكلمة . . ثم كيف نكتبها ؟

لكتابة كلمة قرأت أو سمعت . . تشترك المراكز العصبية لترديد الكلام والمراكز العصبية لكتابة الكلام والمراكز العصبية السمعية والمراكز العصبية البصرية ومركز ورنيكا ومركز بروكا والمنطقة الحركية . . تشترك جميع هذه المراكز لاخراج صورة الحرف والكلمة إلى حيز الاستعمال والوجود .

وآلية عمل هذه المراكز تكون كالتالي : تصل المشاعر الآتية من المحيط إلى المراكز العصبية ـ البصرية والسمعية ـ عبر **ألياف العصب البصري** Optic Nerve **والعصب السمعي** Auditory Nerve . . لتنقلها هذه إلى المراكز القشرية النفسية البصرية والسمعية .

وتقوم المراكز النفسية السمعية والبصرية بربطها مع مراكز الاشتراك لحركات الكلام والكتابة ، وتتكون في قشر المخ ـ مراكز اشتراكية ـ للحركات المشتركة لمختلف العضلات الحركية التي تتداخل في عملية الكلام والكتابة ، وهذه تنبه المراكز الحركية القشرية المجاورة التي تنبه عضلات اللسان والشفتان والحنجرة واليد ـ يمنى أو يسرى ـ لتتحرك حسب ما يملى عليها وتنطق وتخط المطلوب . **شكل (٢٥) وشكل (٢٦)** .

كيف نفهم الأشياء ؟

الطفل الذي يبدأ في إدراك المحسوسات ليتعلم كنه الأشياء ، يجمع المشاعر الواردة إلى منطقة ـ مركز بروكا ـ في قشرة المخ في صور متكاملة تعطي المعنى المراد للصور الممثلة . . أو حتى فكرة هذه الأشياء .

فلمعرفة الهر مثلاً . . تتثبت المشاعر البصرية أولا ـ شكل الهر ولونه وتقاطيعه الرئيسية وعلامة مميزة إن وجدت ـ في المخ على شكل صور بصرية . . وتتثبت المشاعر السمعية ـ نغمة الصوت والتردد ـ في المخ على شكل صور سمعية . . وتتثبت المشاعر الحسية اللمسية ـ لمس الحيوان أو حتى الألم من عضة ـ في المخ على شكل صور ملموسة أو ألمية .

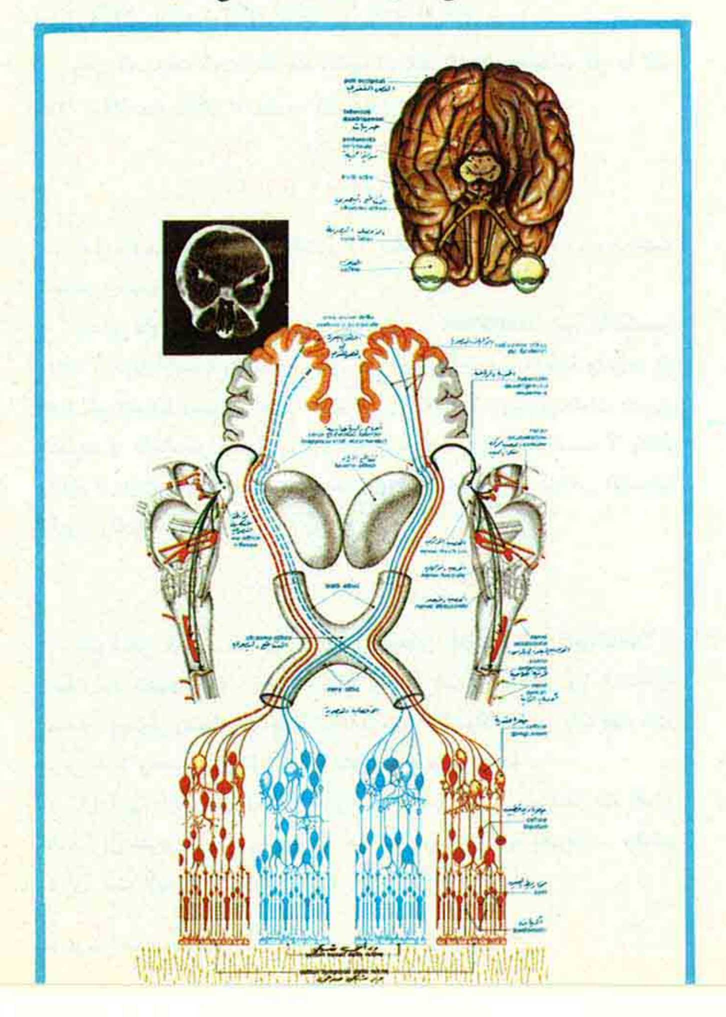
جميع هذه المشاعر تترابط في مراكزها الثابتة ، وتشكل نسيج معرفة واحد ، ولابراز الشيء المراد ـ بعد التفكير به ـ كأن يكون صورة شخص أو حيوان أو شيء آخر .

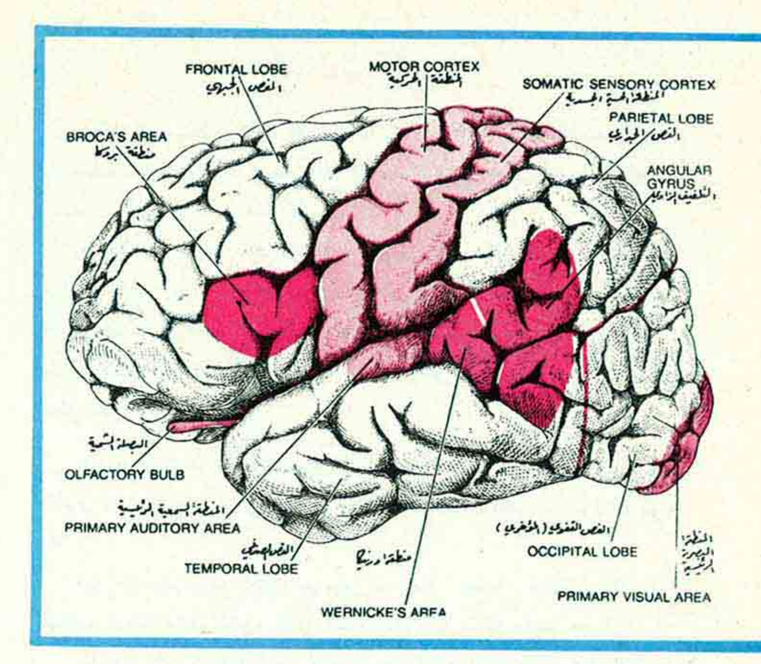
ينبه أحد هذه المراكز المرتبطة مع بعض ـ سمعية . بصرية . حسية ـ فتظهر على مخيلات إدراكنا صورة الشيء الذي تمثلناه وفكرنا به ـ كما ارتسم من قبل ـ .

ولذا فإن كلمة ما تطرق سمعنا تخرج إلى حيز التنفيذ صورة معنى هذه الكلمة ـ فنراها عياناً ـ دون وجود حاضر لها ـ وإنما يكفي ما سبق ورسمنا لها من صور في أخيلتنا ـ .

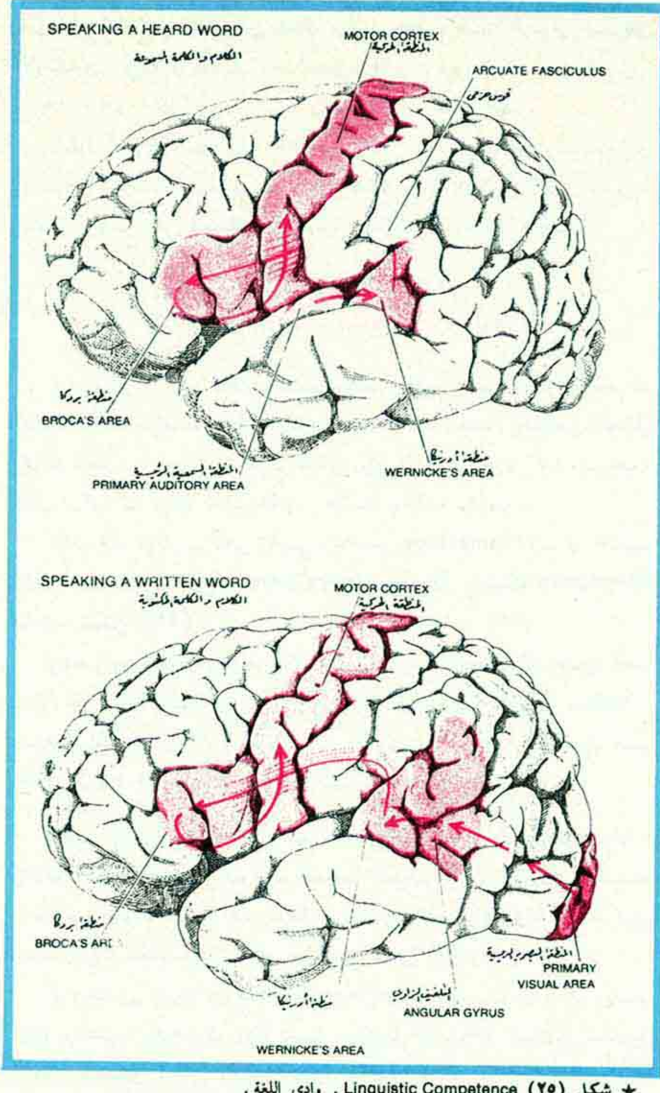
وعلى العكس . . لن نستطيع مهما أغرقنا في التفكير وتلمس الجبين أن نبرز في أخيلتنا صورة أو حتى خيال لشيء لم نره أو نسمع به أو نتلمسه ـ حيوان مجهول . فاكهة غير معروفة . إنسان غير مألوف ـ .

★ **شكل (٢٣)** التقاطع البصري كما يرى مفصلاً ـ الشرح السابق ـ ★

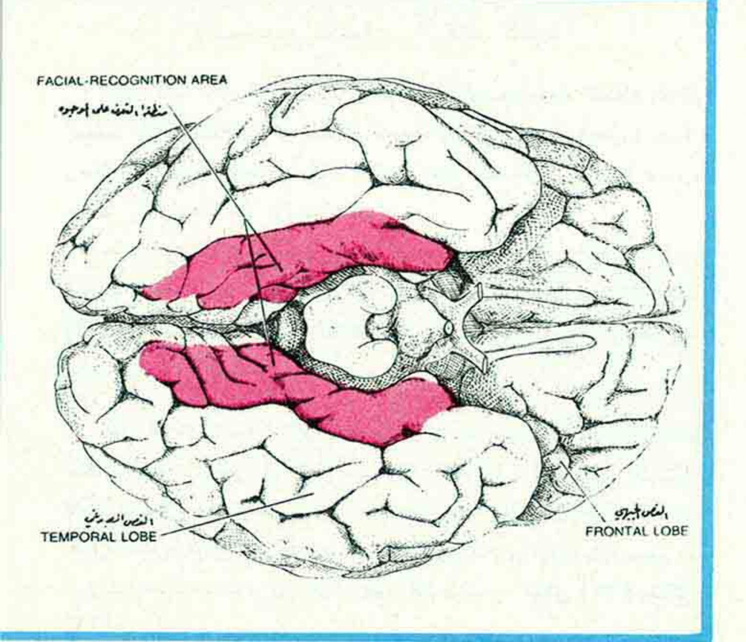




★ شكل (٢٤) Map fIf the humancortex ـ خريطة قشرة المخ الإنساني.
عدا عن المناطق الرئيسية ـ الحركية. الحسية. البصرية. السمعية. الشمية ـ هناك مراكز دقيقة لها اختصاصات مميزة تطورت وارتقت ـ منطقة مركز بروكا Broca's Ared ومنطقة مركز ورنيكا Wernicke's Ared ـ ويظهران في الصورة بألوان داكنة. ★



★ شكل (٢٥) Linguistic Competence. وادي اللغة.
لكي تسمع الكلمة وتكتب ـ بعد أن تدرك ـ يحتاج الأمر إلى تعاون واشتراك عدة مراكز عصبية هامة. فعند سم الكلمة بواسطة الأذن تنقل إلى المنطقة السمعية الرئيسية ـ Primary Auditory Arid ـ الصورة العلوية ـ، ولك يفهم معنى الكلمة والمراد منها تنقل إلى منطقة مركز ورنيكا ـ السهم الأحمر ـ وتمثل الكلمة فكرياً تنقل إلى مركز برو ـ خلال حزم ألياف عصبية وعمليات مسلسلة متنوعة في القوس العصبي المبين في الصورة ـ..



تخريب هذه المراكز أو حتى اصابتها تؤدي إلى عاهات مختلفة، منها ـ العمى النفسي والصمم النفسي ـ وفقد ذكرى الصور البصرية والسمعية والحسية.

والشخص المصاب بالعمى الكلامي يرى الكتابة ويستطيع تقليدها، ولكنه لا يفقه معنى لها، ورؤية الكلام المكتوب أمامه لا يثير لديه أية أفكار.. وعلى ذلك فالمصاب أيضاً بالصمم الكلامي ـ نتيجة تخريب أو اصابة في الفص الصدغي ـ يسمع الكلام ويردده ـ ولكنه كالببغاء لا يدرك له معنى ـ.

وحتى الصدمات النفسية المفاجئة والقوية قد تفقد الشخص المصاب كل ما كان يعرفه ـ فلا يعد يتذكر ما يرى ـ وإن كانت هذه الحالة لا تدوم.

المهاد.. وتحت المهاد البصري
Thalamus .. Hypothalamus

أهم وأعجب مراكز الدماغ البشري.. مكانها أسفل الدماغ.. وحجمها كحجم الحمصة.

يستقبل المهاد البصري ـ **السرير البصري** ـ Thalamus جميع الأحاسيس الهادئة والعنيفة الجسمية والنفسية، فينتقي العواطف والأحاسيس اللطيفة ويمررها إلى قشرة المخ لتحللها وتبت في أمرها.. بينما يتولى المهاد بنفسه وبشكل تلقائي وفوري التصرف في الأحاسيس العنيفة والانفعالات الشديدة ـ ولذا كان الغضب لا ينتظر والنزق لا يتريث ـ. ولذا اعتبر المهاد مركز استقبال وتقرير لأهم النواحي الإنسانية الحيوية والمعقدة والحساسة.

تحت المهاد البصري Hypothalamus

يقع أسفل المهاد ـ يفصلهما عن بعض **البطين الثالث** Third ventricle ـ ومهامه جد عظيمة وهامة. فهو يشارك في معظم العمليات الحيوية الداخلية البدنية، ويسيطر ويتحكم في أغلب النزعات والعواطف والأهواء.. ولذا فقد اعتبر مركز الحياة والتعبير الانفعالي وصنو المشاعر النفسية والروحية.

إليه تنتهي جميع المحاور العصبية الواردة من مختلف الحواس، وتصدر عنه المحاور الذاهبة إلى قشرة المخ والجسم المخطط، حيث القرارات النهائية الملزمة.. وتقسيم مناطق تحت المهاد يوافق تقسيم القشرة المخية تشريحياً ووظيفياً.

PAROLA PENSATA

PAROLA PENSATA E TRADOTTA IN SIMBOLI VERBALI ALLE LABBRA ALLA LINGUA ALLA LARINGE

SUONI RACCOLTI DECIFRATI E CAPITI

IMMAGINI RACCOLTE DECIFRATE E CAPITE

IMMAGINI

lobo frontale

centro di Broca

lobo occipitale

zona di Wernicke

SUONI

labbra

lingua

ARTICOLAZIONE DELLA PAROLA

chiocciola

mandibola

osso ioide

cartilagine dell'epiglottide

tessuto adiposo

laringe

corde vocali

★ شكل (٢٦) كيف نقرأ وكيف نكتب ـ ذات الشرح السابق ـ ★

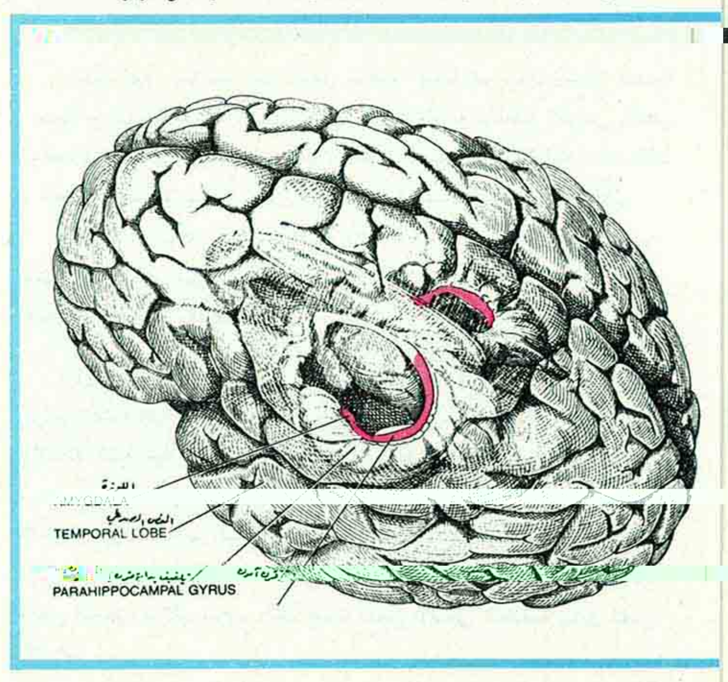
والمحاور العصبية النازلة من المخ تربط ما تحت المهاد مع القشرة ، وتخرج المحاور العصبية من تحت المهاد إلى **النوى الحركية في الجسم المخطط Corpus Striatum والدماغ المتوسط Mid Brain والبصلة Bulb والنخاع Spinal.**

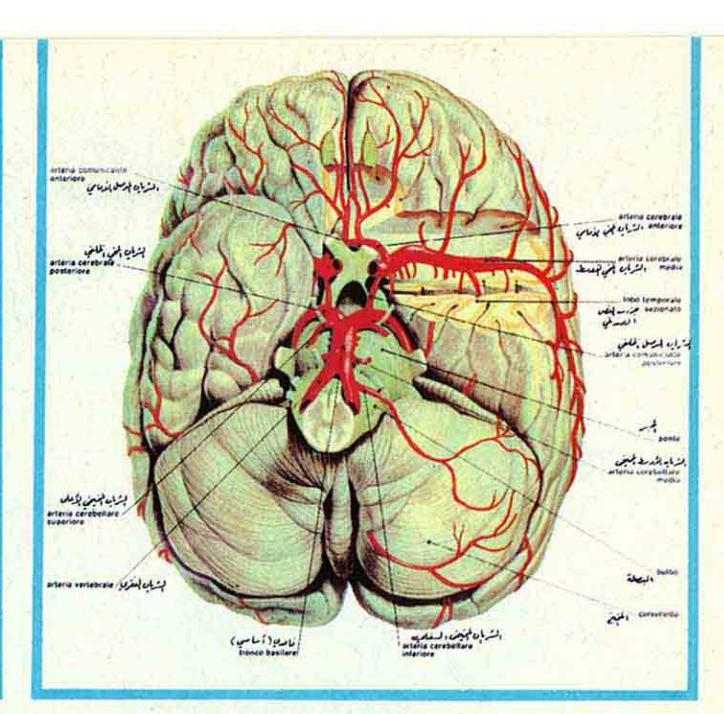
من أعماله الهامة :

تنظيم درجة الحرارة في الجسم : وتثبيتها عند حدها الطبيعي (٣٧°) درجة مئوية . . فإذا انخفضت درجة حرارة المحيط حول الإنسان أصدر تعليماته ـ افرازات داخلية ـ لعضلات الجسم لتتحرك وتختلج وتنتج طاقة تعوض فارق الحرارة المهدور بتأثير برودة الجو المحيطة بالجسم ـ فيحصل الارتعاد والرعشة ـ .

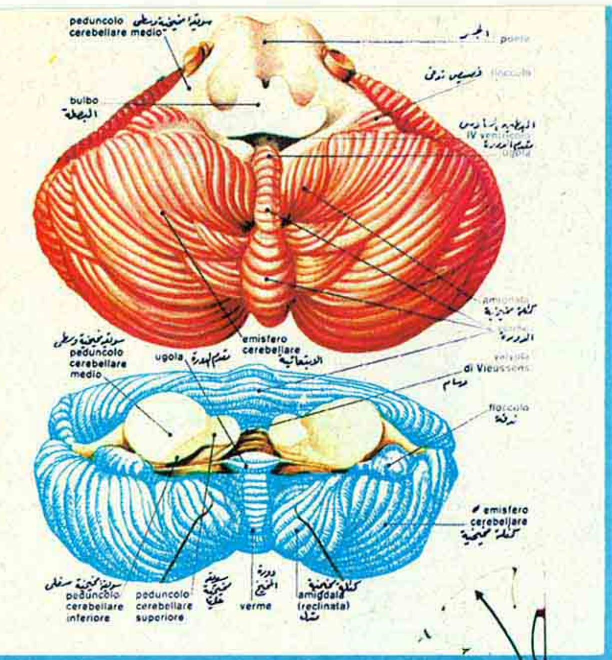
وبالعكس . . إذا ارتفعت درجة حرارة الجو المحيط بالجسم أرسل أوامره إلى الغدد العرقية الجلدية لتفرز العرق ، فيتبخر في الجو ويعوض فارق ارتفاع الحرارة . . وأيضاً حين يصاب الجسم بالأمراض الجرثومية يصدر أوامره للعضلات لتزداد الاختلاجات والرعشة وتصطك الأسنان وتحصل الحمى ـ أي أن الأمر عكس ما يتصور معظم الناس ـ فحركة العضلات ورعشتها لا تحصل نتيجة للمرض والحمى . . ولكنها رد طبيعي وقائي داخلي من الجسم ضد المرض لتزداد الحرارة وتدمر بروتينات الجراثيم .

★ شكل (٢٧) الصورة العلوية ـ Recognition of faces ـ التعرف على الوجوه . ★





★ **شكل (٢٨)** شرايين Arteries المخ الرئيسية التي تحمل الدم النقي ــ الأوكسجين ــ والغذاء لخلايا المخ ، والتي تبدأ من الشريان السباتي المشترك common carotid الذي ينقسم إلى السباتي الانسي والسبات الوحشي ★



★ **شكل (٢٩)** Vascular system of the Brain ــ النظام الوعائي للمخ . شرايين وأوعية دموية كثيرة تتشعب بين تلافيف وثنايا المخ ، وأي انسداد بسيط في أي شريان Artery يميت النسيج الذي يتغذى منه ، وبالتالي يعطل ويشل حركات الأعضاء المتعلقة به ★

ولا يفوتنا أن ننوه بأنه يوجد في تحت المهاد ــ وبشكل دائم ــ منطقتان متضادتان واحدة تقاوم الحر والثانية تقاوم البرد وكذلك الأمر بالنسبة لباقي المهام ــ كما سنرى ــ .

تنظيم السكر في الدم

غرام واحد من السكر في كل ليتر من دم الإنسان ، أو ستة غرامات في دم الإنسان بأكمله . . نسبة ثابتة لا تتغير ما دام الجسم معافى صحيح . . ومهمة ما تحت المهاد البصري إبقاء وحفظ هذه النسبة ثابتة عند هذا المعدل طوال حياة الإنسان ــ لأن الغرامات الستة يستنفدها الجسم في كل ربع ساعة .

ولتحقيق هذا التوازن والثبات تعمل عدة هرمونات رئيسية في الجسم لتنفيذ هذا المراد ــ **الأنسولين . الثايروكسين . الأدرنالين . الجلوكاجون . هرمون النمو . هرمون قشر الكظر** ــ .

فهرمون الأنسولين يحرق السكر ويزود به الجسم والهرمونات الخمسة الباقية تعمل على إيجاد الغلوكوز ــ سكر العنب ــ في الدم بصورة مستمرة ودائمة .

وفي تحت المهاد مركزان متضادان ــ كما سبق وأشرنا ــ الأول ينشط عمل الأنسولين ــ إذا تهاون ــ والثاني يثبط عمله ــ إذا نشط وزاد عن الحاجة ــ لتبقى نسبة السكر ثابتة ولا تختل . . وزيادة نسبة السكر في الدم تؤدي إلى المرض الخطير المعروف (**مرض السكري**) .

مراكز النوم Somnus Centres

النوم حالة ضرورية اجبارية لراحة الخلايا العصبية من حال اليقظة وما يتخللها من إرهاق وتعب ، ولتستعيد نشاطها استعداداً لعمل اليوم التالي .

وروى لنا **الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم** في حديث شريف قوله : « **الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا** » . ومن بعض معنى هذا القول العظيم مغزى ومحتوى فسرت آلية النوم التي ما زالت أكثر جوانبها أسراراً مغلقة مستعصية على الفهم . . فقيل إن اليقظة هي انقطاع النوم ــ لأن حياة الإنسان نوم مستمر ــ ويتخلل هذا النوم فترات من اليقظة تتأثر بتنبيهات مختلفة . . والدليل أن الجنين يكون في نوم مستمر وهو في رحم أمه ، والرضيع لا يستيقظ إلا لتلبية حاجة الجوع والألم ــ كمنبهات يقظة ــ .

واعتبر القسم الخلفي من **ما تحت المهاد** Hipothalamus هو مكان مركز النوم ومركز اليقظة كحالين متضادين . أثناء النوم تنقطع أكثر الصلات بين الدماغ والعالم الخارجي ، فيقل عدد التنبيهات الخارجية الواردة ــ باغماض العينين ــ وتنقطع الوظائف الحركية والحسية ــ بنقص التوتر العضلي ــ ، ويتناقص عدد ضربات القلب والدوران وحركات التنفس ، وتقل بعض الافرازات ــ اللعاب والبول ــ ، وتهبط حرارة الجسم ــ النائم يبرد ــ ، ويخف النشاط النفسي والوعي . . ولا يقتصر الهمود على مراكز القشرة المخية فحسب ، بل يشمل المراكز الموجودة في الدماغ المتوسط والبصلة والنخاع .

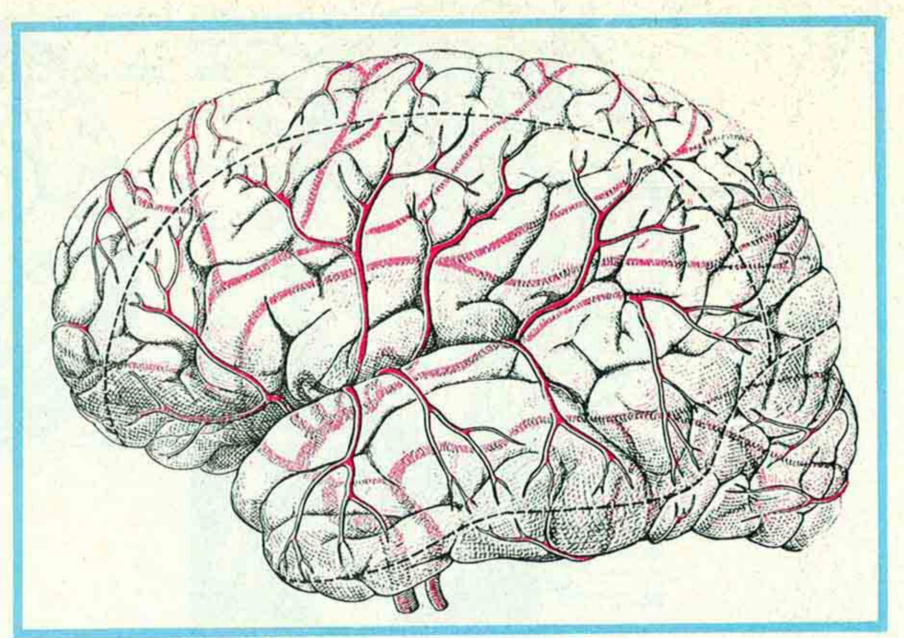
كيف ننام ؟

حال النوم . وما قبله حال النعاس يداعب أجفاننا إثر تبادل رسائل عصبية منبهة بين نوى ما تحت المهاد البصري والقشرة المخية ــ الفص الجبهي والفص الصدغي ــ ، فإذا استمر حال اليقظة يحدث انقطاع بين هذه المؤثرات ــ السيالات العصبية ــ فتضطرب وتضعف تنبيهاتها ، ويبدأ الشخص بالتهيؤ للنوم الآتي .

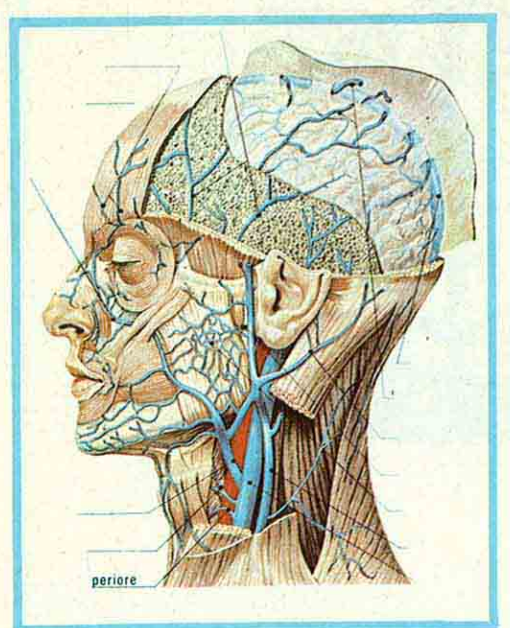
والضوضاء والتفكير والفرح والغضب والنشاط الزائد . . كلها عوامل تنبه القشرة المخية وتقطع سيل الإشارات العصبية المتدفق بين ما تحت المهاد والقشرة المخية . . فلا يحصل النوم .

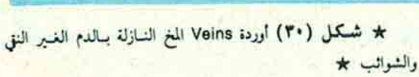
ودورة اليقظة والنوم تتجاذبها عوامل مثبطة وعوامل منشطة . . تتعاون لأدائها كل من القشرة المخية ــ الفص الصدغي والفص الجبهي ــ ، ونوى الدماغ المتوسط ، **والغدة النخامية** Pituitary Gland ــ سيدة الغدد ــ .

والظلمة أو الليل من العوامل التي تنشط مفرزات الفص الخلفي في الغدة النخامية التي لها تأثيرات مثبطة لنوى القمع ومنشطة للنوم ــ وإصابة هذا الفص تؤدي لأعراض الأرق الشديد المستعصي على كافة المنومات ــ ، وخلاصات هذا الفص النخامي لها تأثير منوم ، وأيضاً إصابة الفص الأمامي النخامية يؤدي لنفس الأعراض .



★ شكل (٢٩) Vascular system of the Brain ــ النظام الوعائي للمخ . شرايين وأوعية دموية كثيرة تتشعب بين تلافيف وثنايا المخ ، وأي انسداد بسيط في أي شريان Artery يميت النسيج الذي يتغذى منه ، وبالتالي يعطل ويشل حركات الأعضاء المتعلقة به ★





★ شكل (٣٠) أوردة Veins المخ النازلة بالدم الغير النقي والشوائب ★

وتنبيه نوى الدماغ المتوسط يؤدي إلى اليقظة ، فالانفعال الشديد والآلام المبرحة والبرد وفرط نشاط الغدة الدرقية ، وجميعها منبهات لهرمون الأدرنالين ، تثبط عمل مفرزات الفص الخلفي ــ الداعية للنوم ــ فلا يحصل النوم .

إذن . . هناك تضاد عمل بين نشاط القشرة المخية ونوى الدماغ المتوسط الداعية لليقظة ، ومفرزات الغدة النخامية الداعية للنوم . . وصلة الوصل هي المحاور العصبية التي تربط بين القشرين الجبهي والصدغي ونوى ما تحت المهاد .

ويعتبر النوم اليومي كراحة وإصلاح وترميم للقشرة المخية ــ وخاصة الفص الجبهي ــ الذي ينشأ منه التنبيه النفسي والروحي الداعي لليقظة .

وتعاقب هذه الإفرازات المثبطة والمنشطة للنوم واليقظة ، تؤدي إلى تواصل دورات اليقظة والنوم اليومية . . وكأننا أمام نظام ما بعده نظام وإبداع ما بعده ولا قبله إبداع .

وتنبيه مراكز اليقظة في ما تحت المهاد يفضي إلى اليقظة ، بينما تخريب هذه المنطقة يفضي إلى الاستغراق في النوم . . وللآن لم توجد أي علة دماغية أو عصبية تسبب الأرق المستمر ، مما يدل على أن حالة النوم لا تتعلق بقشرة المخ مباشرة .

مركز اللذة

بعد تجارب عديدة وكثيرة اكتشف مكان هذا المركز العجيب في ما تحت المهاد البصري .

التجارب بدأت على الحيوانات ــ فئران . قردة ــ ، بزرع الأقطاب الكهربائية ــ الألكترودات ــ في أمخاخ هذه الحيوانات . . حيث شعرت هذه الحيوانات بلذات جعلتها تستغني عن الطعام والشراب وحتى اللذات الجنسية من الإناث المستعدة . وتنبيه هذه المراكز الحساسة في دماغ الإنسان يفضي به إلى لذات لا توصف .

وبالإضافة إلى هذه المراكز الحساسة والهامة والحيوية . . فإن تحت المهاد ينظم [illegible] الدم . . وتركيز نسبة الماء في الجسم . . وتحكمه في انقباض العضلات الإرادية ــ المعدة . الأمعاء . المثانة . ــ وتحكمه في نمو الجسم . . وتنظيمه لعمليات الفرح والغضب والخوف والسيطرة على الدوافع والجوع والشبع . . وغيرها .

المخيخ Cervelet

يتكون المخيخ في الإنسان من نصفي كرة مخيخية يمنى ويسرى ــ كالمخ ــ يفصلهما قسم متوسط هو ــ الدودة ــ يربط نصفي الكرة المخيخية ويضمهما إلى بعض . **شكل (٢٨ ــ ب)**

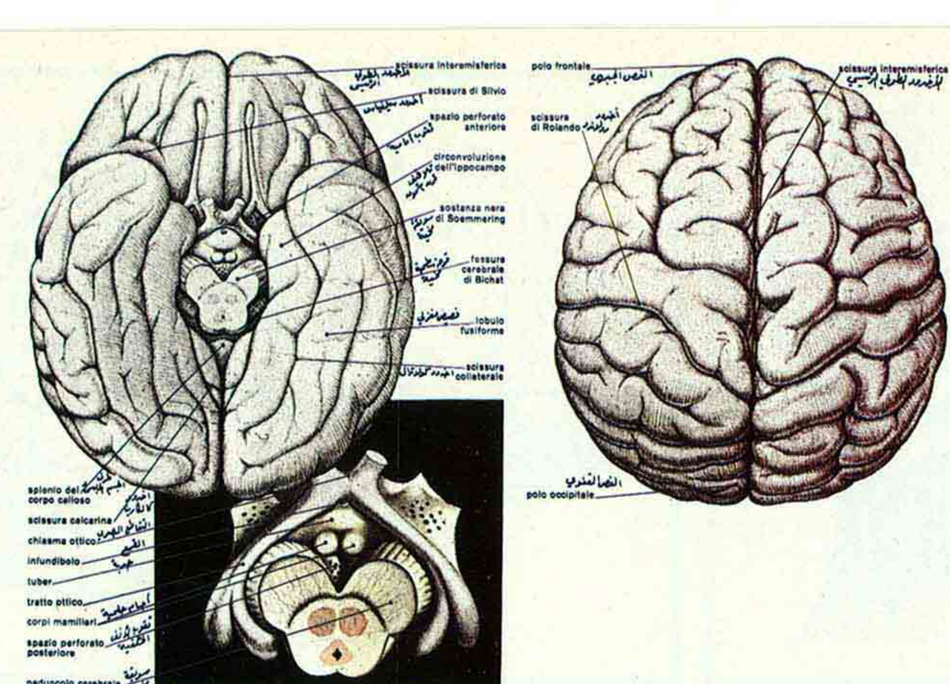
وكالمخ . . يتكون المخيخ من قشرة سنجابية رمادية خارجية هي ــ القشرة المخيخية ــ المكونة من تتالي ثلاث طبقات من الخلايا العصبية الخاصة ــ الأخطبوطية . **خلايا بوركنج** ــ تبلغ سماكتها بين (١ ــ ٢,٥) مم ، وهي كثيرة التعرجات والتلافيف والثنايا والشقوق . . ولب داخلي من المادة النخاعية البيضاء التي تشكل الجزء الأكبر من المخيخ .

يرتبط المخيخ مع باقي أقسام الجهاز العصبي المركزي في الجسم بملايين المحاور العصبية الصاعدة إلى القشرة المخية عن طريق الجذع المخي والمحاور العصبية النازلة إلى النخاع الشوكي .

يعتبر المخيخ مرحلة متوسطة بين أجزاء الجهاز العصبي ــ المخ . المخيخ . الساقان المخيتان . الحدبة الحلقية . الدماغ المتوسط . البصلة السيسائية . النخاع الشوكي ــ .

وليست للمخيخ وظيفة خاصة معينة . بل يشارك الجملة العصبية في وظائفها . . فهو المنسق لحركات انقباضات العضلات المختلفة حسب ما تتطلبه الحركات الإرادية ، فهو لا يحدث الحركة ــ لأنها مهمة المناطق الحركية بالمخ ــ ولكنه يرشد ويرتب وينظم الانقباضات العضلية وفق التوجيهات العليا الآمرة ــ المناطق الحركية بالمخ ــ .

إذن . . المخيخ مركز توافق وانسجام لحركات الجسم الإرادية والذاتية في الحركة والسكون ، وعنصر توازن للجسم هام ، فهو ينظم التوتر ، ويصنف الأوامر حسب أهميتها ــ فهناك المهم والأهم ــ وليس له شأن في الأعمال الفكرية ــ اختصاص قشر المخ ــ . يزن المخيخ حوالي (١٤٣) غراماً ، وينقسم إلى (٢٠) قسماً تتوزع فيما بينها الأعمال ، وستة جسور تصله بباقي أقسام الجهاز العصبي المركزي ــ جسران لعبور الملايين من المحاور العصبية إلى بقية أطراف



★ **شكل (٣١)** على اليمين ــ الأخدود الطولي الرئيسي الذي يقسم المخ إلى نصفين.
وعلى اليسار ــ منطقة قرن آمون ــ كما تبدو من الأعلى.. ولوحدها ★

الجسم. وأربعة جسور لوصول الملايين منها محملة بالرسائل العصبية من الجسم. أقسامه الأمامية تختص بالتوازن، وأقسامه الوسطى تختص بإيصال الأوامر لعضلات الجسم، والأقسام الخلفية تنسق الأعمال الإرادية التامة والجزئية.

كيف نقف ونتزن ولا نرتمي؟ وكيف نجلس ولا ننكفئ؟ وكيف نمشي ولا نهوي؟ ثم كيف يتمكن لاعب الجمباز أو السيرك أو الراقص من أداء حركات التمايل والتشقلب على الأرض والرأس إلى أسفل؟ أو حتى كيف يخرم الصانع الماهر لؤلؤة ماسية، فيرسم صورة قلب رقيق؟ أو إلام تلامس أصابع عازف البيانو نغماته السود والبيض لتشنف الآذان بنغم عذب؟

جميع هذه الأعمال الكبيرة التي تناسبها القوة العضلية، والصغيرة الدقيقة التي تناسبها المهارة والحساسية الفائقة.. يشترك في تنسيقها وترتيبها واقرار توازنها ــ المخيخ ــ مايسترو الجسم المسؤول، والإداري الموجه الضابط. يوجه ويسيطر ويربط ويصل ويوزن ويدير ــ بوعي ما بعده وعي.. وبإدراك ما بعده إدراك ــ. الأوامر المنهمرة تأتي من القائد ــ المخ ــ، إلى ضابط التنسيق ــ المخيخ ــ، فيستوعبها هذا.. ثم ينبه عضلة الرجل إلى المقدار الذي عليها أن تمتطه لتصل إلى معتلى الدرج.. ولعضلة الورك كم عليها أن تنبسط لتتثبت على المقعد.. ولعضلات القدم والظهر والورك لتجلس بحساب على أي كرسي ولا تهبط هبوطاً سريعاً ــ وأكثرنا حصلت معه أكثر من مرة ــ.. ثم لعضلة سبابة ذاك الفنان الحاذق كيف تزخرف وتوشي الطرز.

تخريب المخيخ في الطير يفقده الاتزان وإيصال الحركات اللازمة لنهاياتها المرجوة، فيختل توازنه ويتقلب في كل اتجاه، ويفقد القدرة على الطيران فيهوي ــ وهذا غير تخريب المخ الذي يبقيه ساكناً هادئاً بلا حراك ــ.

وتخريب القسم الأمامي من الدودة في الكلب تجعله يسقط للأمام أثناء المشي.. وتخريب قسمها الخلفي تجعله يسقط للخلف.. وتخريب نصف المخيخ يجعله لا يستطيع الوقوف ويندفع باتجاه واحد، وتتباعد أطرافه، ودائماً يكون سقوطه باتجاه الجهة المخربة في مخيخه.. ولا يستطيع حتى تثبيت رأسه لتناول الطعام.

والتخريب الكامل للمخيخ يجعل الحيوان والإنسان يضطرب ويفقد الانسجام ويتطوح في مشيته كأنه السكران المدمن في خط معوج متعرج مع اهتزاز في الرأس والجسم ورأرأة في العيون ودوران حول النفس.. وكلما كان الإنسان قادراً على الاتيان بحركات معقدة ودقيقة كان مخيخه أكثر نمواً وتطوراً.

مراكز أسفل الدماغ Hind Brain

ــ الدماغ المتوسط. الجذع الدماغي ــ.

مراكز حيوية لتنظيم متطلبات الجسم، وتشكيلات معقدة لها الأهمية البالغة فهي:

★ مراكز لتنظيم التنفس ــ الشهيق والزفير ــ.

★ ومراكز لتنظيم الإفرازات الغددية.

★ ومراكز لتنظيم ضربات القلب.

★ ومراكز لتنظيم البلع والمضغ والتصويت والسكر والحرارة والإفرازات العرقية والبولية.

★ ومراكز لتنظيم النوم واليقظة والجوع والشبع وبناء وهدم المواد ودورات الحيض والتحكم في السوائل والأصبغة.. وغيرها كثير.

الجذع الدماغي ــ المخ المستطيل ــ: شكل (٣٣)

مكانه أسفل الدماغ من الباطن، ويبدو كما لو كان المخ يستند عليه، وهو أشبه بالعصا الغليظة من الأعلى الضيقة من الأسفل.. وينفذ من الثقب الأعظم في الجمجمة إلى العمود الفقري.

يشارك الجذع المخي في عملية السيطرة والاتزان والتدرج، فيعطي للحركات تدرجها وايقاعها فلا تحدث دفعة واحدة ــ الجلوس. المشي. الوقوف.. ــ عن طريق تحكمه في انقباض واسترخاء العضلات.

الرسائل العصبية الواردة من أطراف الجسم محملة بمختلف الأحاسيس، تنتقل بواسطة الأعصاب إلى النخاع الشوكي ثم الجذع المخي ــ حيث يترجمها ويرد عليها آنياً ــ.

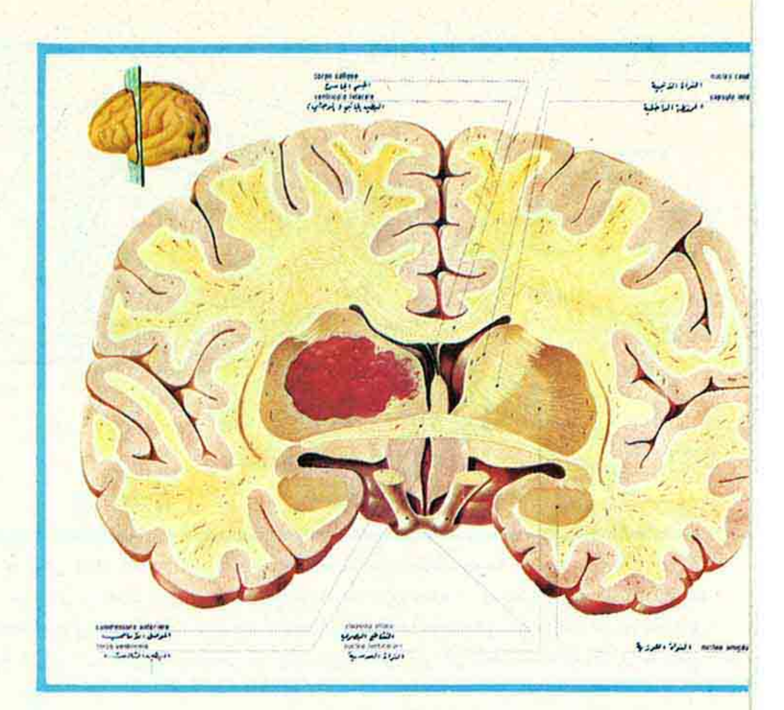
إضافة لتنظيمه الأوامر المرسلة من المراكز الحركية في المخ عبر النويات القاعدية ــ النواة المذنبة . النواة العدسية ــ إلى العضلات والجهاز الهضمي . . وفيه مركز الحياة . . لأن ادخال إبرة في نقرة إنسان ــ مركز التنفس ــ تميته . وفصل الجذع المخي عن المخ يقطع الصلة بين المخ والعضلات ، ويؤدي إلى تصلب الحيوان والإنسان .

الدماغ المتوسط Mid Brain

مكانه أسفل الجذع المخي وأعلى النخاع الشوكي ، ويتكون من ــ المهاد . تحت المهاد البصري . النواة المذنبة . النواة العدسية . النواة الحمراء . اللطخة السوداء . جسيم لويس . تشكلات شبكية معقدة ــ .

وهو مركز تقاطع المحاور العصبية الحركية والحسية الآتية من المناطق الحركية والحسية في قشرة المخ ، فتعبر المحاور العصبية القادمة من نصف كرة **المخ اليمنى** Right Hemisphere إلى الناحية اليسرى من الجسم ، والمحاور العصبية القادمة من نصف كرة **المخ اليسرى** Left Hemisphere إلى الناحية اليمنى من الجسم .

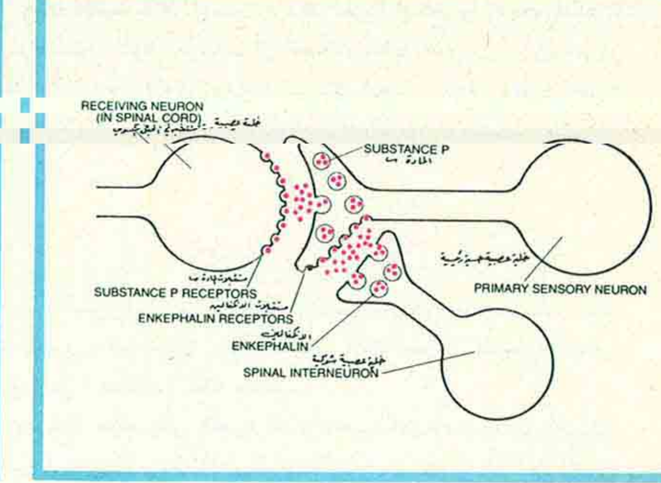
إصابة أو تخريب بعض أجزاء من هذه المراكز الحيوية الهامة ــ وكنا قد تحدثنا سابقاً عن هذه الأهمية ــ يؤدي إلى أمراض كثيرة . منها أمراض فرط الحركة



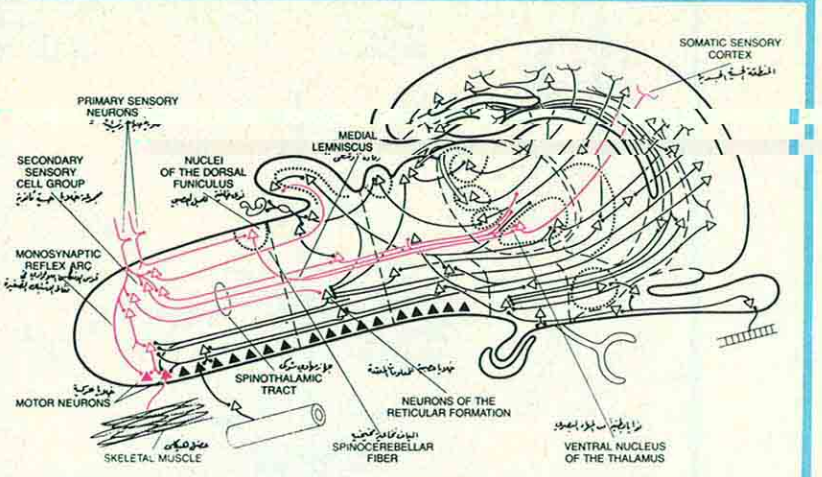
★ **شكل (٣٢)** مقطع في المخ يظهر المادة الرمادية السنجابية ــ القشرة ــ والمادة البيضاء الداخلية وبعض المراكز الهامة والنواة العدسية والذنبية واللوزية . . وفي الأعلى صور بالأشعة لمناطق المخ والوجه ★

★ **شكل (٣٣)** البصلة (النخاع الطويل) والحدبة (الجسر) في المخ ــ الجذع الدماغي ــ .

تظهر الصورتان على اليمين الوجه الأمامي من البصلة والحدبة ، اللتان يعتبران تمادياً للنخاع الشوكي في حزمة البيض ، وتشتمل كل منهما على تشكيلات سنجابية خاصة بها ، مع تفرعات الأعصاب المخية المختلفة . والصورة اليسرى للفص القفوي والدماغ المتوسط والمخيخ والنخاع الأوسط وأعصابها ★



★ شكل (٣٤) Hypothetical gating Mechanism . آلية جريان افتراضية . في نقطة الاتصال الأولى في النخاع الشوكي ، يجري نقل معلومات الألم من مستقبلات المحيط الخارجي إلى المخ . في القرن الظهري للنخاع ، الخلايا العصبية الحاوية ناقلات الانكفالين ــ النقط الحمراء ــ تطلق الانكفالين من داخلها ليثبط Ishibits إطلاق المادة ب Substance P المثيرة للألم . ★



★ شكل (٣٥) Somatic sensory Information ــ نقل المعلومات الحسية الجسدية .
الحس الآتي من ناقلات الحس في الجلد ، ينقل عبر ممرات شوكية متعددة . . في الطرف الأيسر من هذا المخطط Diagram زوج نموذجي من الخلايا الحسية الرئيسية primary sensory neurons التي تنقل المؤثرات الخارجية الحسية إلى النخاع الشوكي . ــ الخطوط الحمر الوسطى ــ ، والتي بدورها تنقل الحس إلى المنطقة الحسية الجسدية في قشرة المخ . ★

ــ المصاب حركة لا تهدأ مع رقص ــ ، وأمراض نقص الحركة وتغليب أمر سابق على أمر مؤخر ، ومرض رجفان باركنسون ــ المصاب يمشي ورأسه إلى الأمام وأصابعه تتحرك وترتجف باستمرار ــ أو مرض الرقص ــ المصاب يرقص ويدور ــ .

وأي تخريب في نوى الدماغ المتوسط يؤدي إلى مرض ــ فرط النوم ــ أو النوبات النومية ، أو قلة النوم ــ الأرق ــ .

الغدة الصنوبرية The pineal gland

مكانها أعلى الجذع الدماغي . . ولم يتمكن للآن من كشف سر وجودها وآلية عملها ، وإن اعتبرت ــ تخميناً وحدساً ــ بأنها قد تكون مركز الحاسة السادسة في الإنسان ــ قراءة الأفكار . التلبثي . البصر المغناطيسي . الجلاء البصري ــ . . وفي الحيوان مركز ــ الغريزة . التوجه . التأويب . الهجرة ــ .

النخاع الشوكي Spinal Cord

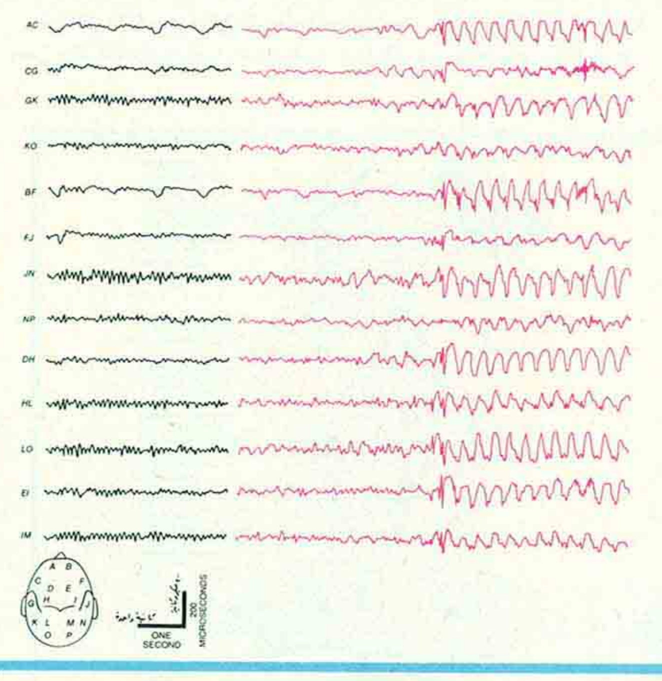
يمتد النخاع الشوكي كعمود من نهاية امتداد الجذع المخي عبر الثقب الجمجمي الأعظم ، حيث يسيل في العمود الفقري على امتداد الظهر بطول (٤٥) سم ، ووزن (٣٠) غراماً ، وهو عضو نقل عصبي . . وهو عمود من المادة العصبية يتكون من قشرة بيضاء تحيط بمركز سنجابي ــ عكس تركيب المخ ــ .

ويصدر عن المادة السنجابية الرمادية ــ ٣١ زوجاً من الأعصاب الشوكية ــ من خلال فقرات العمود الفقري ــ تراجع دراستنا عن جسم الإنسان مجلة الفيصل ، العدد (٣٤)

هذه الأعصاب الشوكية تمتد بتفرعاتها في أجزاء الجسم المقابلة ــ العنق . الكتفين . الذراعين . وحتى أصابع الأيدي والأقدام ــ . تعتبر الجذور الأمامية ــ حركية ــ تنقل التنبيهات من المراكز إلى المحيط ، فالمادة البيضاء المكونة من حزم المحاور العصبية توصل الأحاسيس والانبعاثات العصبية من عضلات وأنسجة الجسم إلى المخ عن طريق الجذع المخي .

والجذور الخلفية ــ حسية ــ تنقل التنبيهات من المحيط إلى المراكز ، لتوصل أوامر المخ عن طريق الجذع المخي أيضاً إلى الأعصاب الشوكية وامتداداتها في عضلات وأنسجة الجسم المختلفة .

وأحياناً . . وفي بعض الحالات ، يبت النخاع الشوكي بنفسه في بعض الأمور



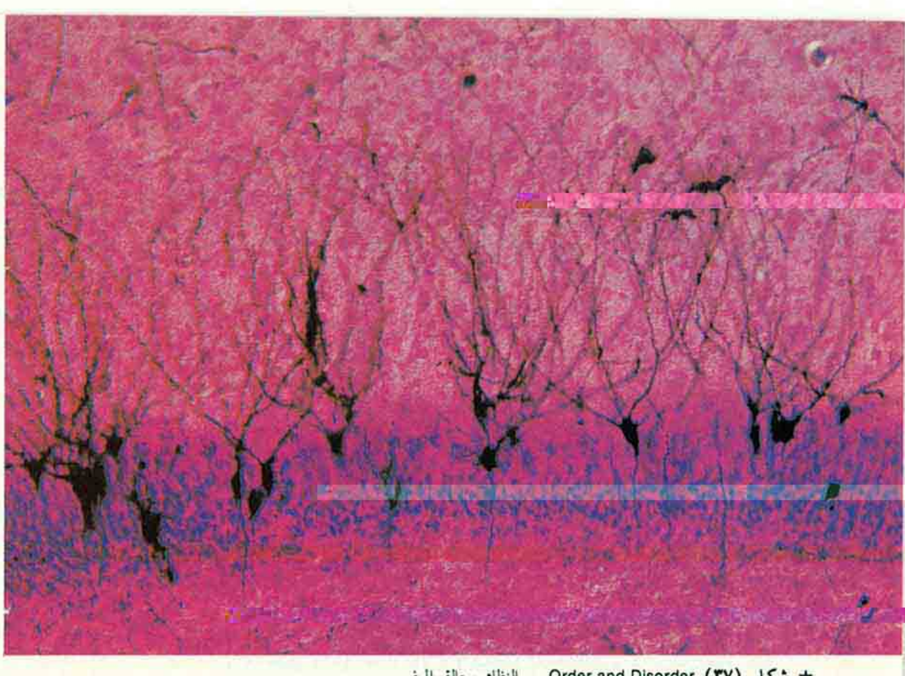
★ شكل (٣٦) Electroen cephalogram of anepileptic ــ الوحدات الكهربية لصرعي ــ مصاب بالصرع ــ . ★

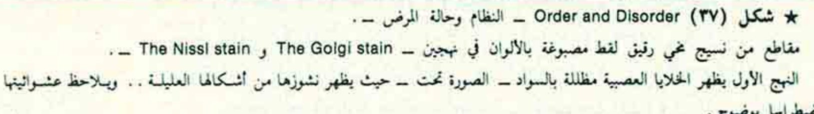
المستعجلة دون الرجوع إلى المخ ، وهي التي تسمى ــ برد الفعل الانعكاسي ــ أو ــ القوس الانعكاسي ــ وكمثل لها حالة اليد التي تلامس ناراً محرقة ، فتبتعد اليد بسرعة عن مصدر الخطر بعد أن يكون النخاع قد أخبرها بهذا الخطر ومحاذيره .

وكل تنبيه شديد في عصب ذاهب إلى المركز يضعف أو يزيل الفعل الانعكاسي ــ حك جناحي الأنف يزيل العطاس . والدغدغة يزيلها العض على اللسان ــ .

والمادة البيضاء بالنخاع الشوكي تتكون من حزم من المحاور العصبية ، تنقل الانبعاثات العصبية في مسلكين ــ مسارات هابطة ــ من المخ ، و ــ مسارات صاعدة ــ إلى المخ .

والنخاع عضو نقل حركي ، ينقل جميع أنواع الحركات ــ الإرادية . الانعكاسية ــ . . كما أنه عضو نقل حسي هام ، وطرق نقل الحس معقدة ومتشابكة ، وتقسم إلى جملتين مستقلتين :

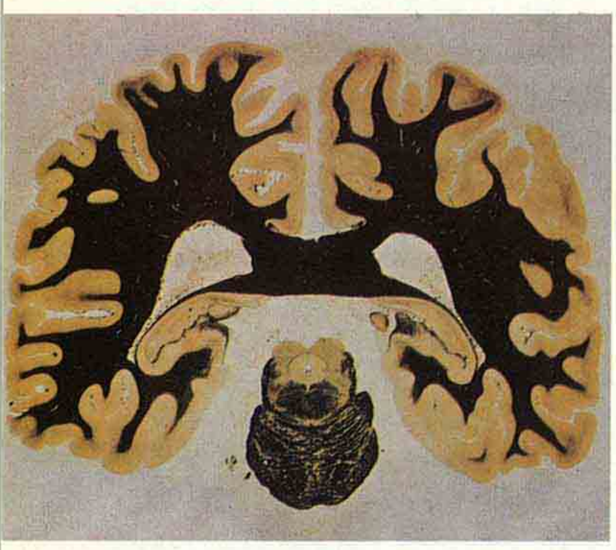




★ شكل (٣٧) Order and Disorder ـ النظام وحالة المرض ـ .
مقاطع من نسيج مخي رقيق لقط مصبوغة بالألوان في نهجين ـ The Golgi stain و The Nissl stain ـ .
النهج الأول يظهر الخلايا العصبية مظللة بالسواد ـ الصورة تحت ـ حيث يظهر نشوزها من أشكالها العليلة . . ويلاحظ عشوائيتها واضطرابها بوضوح .

والنهج الثاني الذي يصبغ أجسام الخلايا باللون الأزرق ـ الأزرق هنا ضارب إلى الأرجواني ـ في الصورة العليا ، يظهر في أعلاها التلافيف المسننة في قرن آمون Hippocampus . ★





١ ـ الحس البدئي Protopathic ـ لا يصل لقشرة المخ ـ ويشمل :

ـ إحساسات اللمس المبهمة .

ـ إحساسات الحرارة التي تقارب الخطر ، أقل من درجة (٢٦°) مئوية وأعلى من (٣٨°) مئوية .

ـ إحساسات الألم الحادة .

٢ ـ الحس المميز Epicritique ويشمل :

ـ إحساسات اللمس المبهمة .

ـ إحساسات الحرارة للدرجات المتقاربة ـ بين (٢٦ ـ ٣٨°) درجة مئوية .

علماً بأن إحساسات اللمس الدقيقة تنتقل بمحاور عصبية قطرها كبير وسرعة كبيرة ، وحس الحرارة ينتقل بمحاور عصبية أصغر قطراً ، وحس الألم ينتقل بمحاور نخاعية دقيقة .

يعمل النخاع كمركز عصبي ـ لوجود المادة السنجابية ـ ، وقطعة واحدة منه تكفي لاصطناع منعكسات ـ أقواس انعكاسية ـ شديدة التعقيد ، حتى إن البط بعد قطع رأسه يستطيع أن يمشي ويسبح ويضرب بجناحيه لمدة مختلفة .

وقطع أو تخريب النخاع يؤدي إلى الشلل وفقد الحس في القسم الأسفل من الجسم ، كما تفقد جميع المنعكسات ، واتلاف النخاع بأكمله أو القطع في الأعصاب العنقية الأربعة الأولى يؤدي إلى الموت ـ لأن الرئتين والصدر يصابان بالشلل ـ ، وتلف المادة السنجابية يزيل حس الألم وحس الحرارة ويبقي حس اللمس ، وقطع نصف النخاع يؤدي إلى شلل حركي وحسي وزوال حس الألم ، وقطع النخاع عرضاً يبقي حس اللمس ، وقطع المادة البيضاء دون المادة السنجابية يبقي حس الألم .



ثمة نظرية طبية تقول: «إن الجسم يشفي نفسه بنفسه».

ففي كل يوم والعلم يكتشف جديداً.. ثم يضاف هذا المكتشف الجديد إلى جانب المكتشف الذي سبقه.. ليظهر أن ما اكتشف وما سيكتشف إن هو إلا تحصيل حاصل لما هو موجود خلقاً.. وسبحان الله فاتن الألباب ومحير العقول في ملكوته والقائل في محكم آياته: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾** (سورة فصلت، الآية ٥٣).

هذا الجسد ـ الإنسان ـ يتعرض في مسيرة حياته لشتى الضغوط الدنيوية الجسدية والنفسية.. ولحكمة إلهية مقدرة أوجدت مجموعات المخدرات ـ المورفين. الأفيون. الهيروين. وغيرها ـ.. والمنبهات ـ الفاليوم. اللبيبريوم. وغيرها ـ كعقاقير مهدئة ومسكنة تستقبلها مراكز معينة ـ خاصة ـ في الدماغ وتتعامل معها.

وآخر مكتشفات الطب في حقل الدماغ البشري كانت ـ مجموعة مخدرات طبيعية ـ يقوم المخ بافرازها بنفسه ليخفف من شدة الألم الجسدي والنفسي لصاحبه.

هاتان المجموعتان سميتا بـ:

١ ـ **مجموعة الأندورفين** Endorphins وتتركب من تتالي (٣١) **حامض أميني** Amino Acid مستخلص من **الغدة النخامية** Pituitary Gland القابعة في أسفل الدماغ ـ جانب المهاد البصري ـ ولكل مادة من هذه المجموعة خاصية في التهدئة وتسكين الألم تختلف عن غيرها، ومنها ما يهدئ بمعدل يفوق (٥٠) مرة مفعول أقوى العقاقير المخدرة والمهدئة.

٢ ـ **مجموعة الانكفالين** Enkephalins وتتركب من تتالي (٥) **أحماض أمينية** Amino Acid، توجد في نهايات الأعصاب عند اتصالها بالخلايا العصبية.

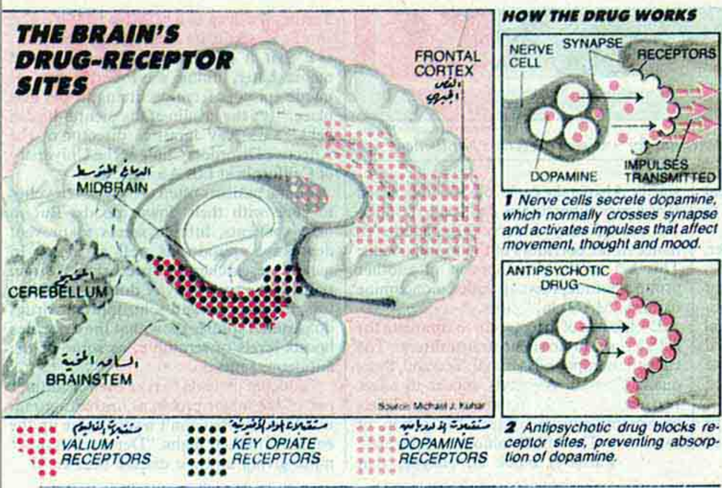
هذه المواد المخدرة ـ الطبيعية ـ توجد ملتصقة على مناطق معينة من سطوح الخلايا العصبية في مراكز الدماغ الخاصة ـ مراكز الألم. الخوف. الانفعلات.. ـ وما دامت هذه المواد تغطي السطوح فإن دماغ الإنسان هادئ ويعمل بروية وحكمة.. أما إذا زالت هذه المواد أو نقصت عن أسطح الخلايا، فإن خلايا قشر المخ Cortex تتأثر وتضطرب، وتحدث أزمات ألم وأزمات نفسية مختلفة.

واستعمال العقاقير المخدرة والمهدئة ـ المورفين. الأفيون. وغيرها ـ يوقف إفراز هذه المواد ـ الطبيعية ـ من الخلايا المتخصصة، وتحل المواد المستعملة محلها كاستعواض لا بد منه، وتقوم بالتالي بعملها المهدئ والمسكن.. وبتكرار الاعتماد عليها يتوقف الإفراز الطبيعي كلية ـ وكأنما استراحت الخلايا المتخصصة من هذا العناء المكلف ـ، وعليه يصبح متعاطيها عبداً لهذه المواد لا يستطيع فكاكاً عنها.

آلية عمل الانكفالين والأندورفين شكل (٣٤)

جسيمات الحس والألم ترسل انبعاثاتها العصبية على شكل رسائل حسية عن طريق الأعصاب الناقلة إلى مراكز الألم والخوف والعواطف في المخ تخبره بنوعية العارض المفاجئ المؤلم الذي اعترى الجسم ـ كسر. حرق. التهاب. تجلط.. ـ وذلك ليتصرف حسب ما يقتضيه الطارئ ـ يراجع ما سبق عن مراكز الألم ـ.

المخ يرسل أوامره ـ كيميائياً وكهربياً ـ إلى خلايا عصبية خاصة في القشرة المخية Cortex **والنخاع الشوكي** Spinal Cord يحثها على افراز مادة سميت بالمادة ب ـ Substance P ـ المثيرة للألم. المادة ب هذه تنطلق من أماكن إنتاجها في الخلايا العصبية المتخصصة وترتبط بمستقبلات خاصة Receptors في مراكز الإحساس ومراكز الألم الجسدية والنفسية.



★ شكل (٣٨) The Brain's Drug-receptor sites- مراكز استقبال عقاقير المخ.
يظهر الشكل الأماكن المتخصصة في المخ البشري لاستقبال المواد المختلفة.. ويلاحظ أن الدماغ المتوسط هو مكان المراكز الحساسة في المخ وأيضاً الفص الجبهي الذي هو مركز التفكير والتعقل. ★

ويبدأ المخ في إفراز مواده ـ الطبيعية ـ المتخصصة المسكنة للألم من مجموعتي الاندورفين والانكفالين ـ حسب حالة الألم ـ فلكل حالة مادة.

وتتنافس المادة ب ـ الحاثة للألم ـ ومواد الاندورفين والانكفالين ـ المثبطة للألم ـ للوصول إلى مراكز الألم، وإن غلبت المادة ب شعر الشخص المصاب بالألم واستمراره، وإن غلبت المواد ـ الطبيعية ـ المخية سكن الألم ذاتياً.

وعلى كل الأحوال.. فإن هذه المواد بوجودها الحاضر عند كل ألم تخفف من جميع آلام الاصابات ـ ولذا كان من يصاب بحادث لا يستشعر الألم فوراً. والواقع تحت التعذيب لا يحس إلا بلسعات العصي الأولى ـ.. وحتى أنهم ليقولون إن من يقتل ـ بطلق ناري أو بسكين حادة أو بغير ذلك ـ لا يحس إلا بوخز بسيط ـ كوخز إبرة ـ والله أعلم فيما يصفون ـ فلا أحد عاد من موت ليخبرنا ـ.

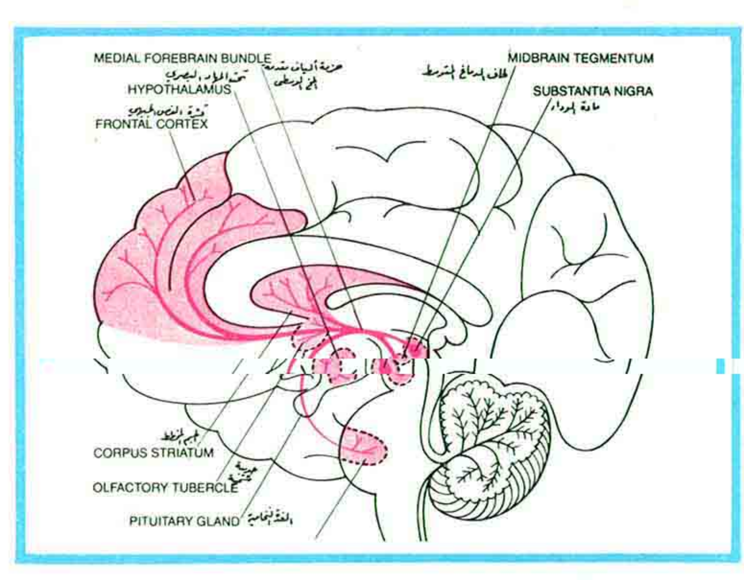
وهذه المواد الطبيعية المكتشفة تفسر آلية عمل ـ غرز الإبر والتنويم المغناطيسي والجلسات الكهربية ـ، كما تفسر كيف تختلف استجابات الألم من شخص إلى شخص.. وربما يؤدي ذلك إلى اكتشاف جهاز كامل للسيطرة في الدماغ.

كيمياء الدماغ The chemistry of the Brain
هل أبقت من شيء اسمه ـ علم النفس؟

بعد مسيرتنا الطويلة الشيقة والممتعة في عالم الدماغ البشري ـ معجزة التكوين والخلق والإبداع ـ يتبقى لنا خلاصة عرض لأهم أسرار نتائج البحوث والدراسات المتعمقة التي تكشف بعض جوانب هذا الإعجاز المحير في عالم هذا الإنسان الكبير ـ معنى وقدراً ـ الضئيل حجماً.. بما لا يوازي ما أهدي إليه من نعم سابغة وقدرات عقلية تتخطى الآفاق والحدود والمكونات.

العقل.. النفس.. الروح

حارت البرية في تفسير هذه المسميات الثلاثة.. فما ماهيات هذه المسميات؟ وأين أمكنة تلبسها ووجودها! أسرار مغلقة عصية على الأفهام لأمور عظام قد لا تدركها الأخيلة.. ويحاول هذا الإنسان المكرم جاهداً باحثاً منقباً كشف السدول بكل ما أوتي من علم.. عله يلج باب الحقيقة.. ولكن يبدو أنه يستعمل مفاتيح صغيرة جداً على المقاس. **أجهزة الإرسال العصبية** Neuro Transmitter **والمستقبلات ـ الحواسية ـ** Receptors **والنواقل الكيميائية ـ** أستيل



★ شكل (٣٩) Dopamine Pathways ـ ممرات الدوبامين . منطقتان صغيرتان في الدماغ المتوسط Mid Brain تحوي الخلايا العصبية المنتجة للألدوبامين ، ـ لحاف الدماغ المتوسط Mid Brain Tegmentum والمادة السوداء Substantia Nigrd ـ ★

كولين Acety coline . النورأدرنيالين . السيروتونين ـ .

كيماويات تنقل الحوافز Impluses من خلية عصبية إلى خلية عصبية داخل المخ بحساب وترتيب مقدر لجزيئات ـ **كربون** Carbon . **أكسجين** Oxygen . **نيتروجين** Nitrogen . **هيدروجين** Hydrogen . **سولفور** Sulfur . . . ـ تتراكب وتتداخل وتكون ملازم شيفرات ـ تسير ـ الإنسان وتوجهه وتفرحه وتغضبه وتتلاعب بنفسه وبعواطفه كيف شاءت متنقلة بين محطات الوقوف ـ ألم . لذة . عنف . وداعة . شجاعة . خوف . أمل . يأس . قلق . كآبة . عزلة . هياج . انفراد . انفصام . هوس . مس جنوني . جنون . . . ـ .

العلم أثبت مخبرياً وتجريبياً وبما لا يدع أي مجال للشك أن أساس جميع الاضطرابات والأمراض النفسية والعقلية ناتج عن اختلاط في التفاعلات الكيميائية المعقدة والكثيرة ـ كثرة لا تحصى ـ التي تجري في الدماغ البشري كأساس . . أي ترتيبات جزيئية أخطأت أماكنها ـ والأصح بدلت أماكنها فلا خطأ في هذا الوجود السوي خلقاً ـ كأن تحل ذرة هيدروجين مكان ذرة نيتروجين أو كربون ـ هذا إن لم نتعرض لما هو أصغر ـ فتتغير التركيبة الهيكلية لكيماويات الدماغ .

وبناء على هيكليتها الجديدة والهيكلية المتغيرة في التفاعلات الدائمة والمستمرة . . ينتقل الإنسان من حال إلى حال ومن نفسية إلى نفسية ـ حال أي إنسان يجد نفسه حزيناً بلا سبب أو فرحاً أو متشائماً أو متفائلاً .

نوع من **نبات (الككتوس)** ـ الصبير ـ من عائلة التين الشوكي ، ينبت في الأراضي القاحلة الجافة في **المكسيك** ، استعمله الأزتك ـ سكان المكسيك القدامى ـ كنبات مقدس يوصلهم للنشوة الروحية والسعادة الأبدية ، واستعملته أيضاً **قبائل الهنود الحمر** ـ الأباش . الكومانشي . الكيمو . الأمها ـ .

بعد تجفيف الككتوس يستخلص منه ـ **المسكالين** Mescaline ـ وهو واحد من أغرب العقاقير في المجموعة الفارماكولجية . . تعاطاه العلماء ـ للعلم ـ بمقادير جد ضئيلة وجربوه واختبروه . . فماذا كانت النتائج :

عاش هؤلاء العلماء في جنات صُوَرية تراءت لهم كحقائق ـ وإن سميت أوهام ـ . حقول من المجوهرات الذهبية المرصعة بأحجار الماس والياقوت والزمرد . . أنهار من الألوان المتغيرة . . وشلالات منهمرة من الورود والرياحين . . غمام ملون رائع . . زهور وبساتين وجنات . . ينابيع مياه متدفقة . . نظم هندسية بديعة عجيبة . . مسارح تفتح في المخ ويعرض عليها مناظر غاية في الأبهة والفخامة . جنات وحواري وغلمان بيض رآها العلماء ـ وطبعاً يراها متعاطي هذه النباتات وخلاصاتها ـ . **فما هذا المسكالين ؟ . .** إنه تركيب كيماوي يتبع مجموعة من المواد الكيميائية المعروفة ـ أمين Mono Amines ـ ، مثله مثل الهرمونات التي تؤثر على كيميائية الجسم ، وهو مشتق من الأمونيا ـ النشادر NH3 ـ ، وهو من العقاقير ـ Hallucinogenic Drugs ـ مثل عقار Psilocybin و L.S.D .

وعقار البنزدرين ـ أمفيتامين ـ له تأثير مضاد للباربيتورات على الجهاز العصبي ، يعيش متعاطيه في سلام ووئام ولا يشكو أي تعب أو إرهاق نفسي أو عصبي .

وعقار آخر يشبه البنزدرين ـ الكوكايين ـ يستخرج أيضاً من نبات مقدس عند **الانكاس ـ شعب بيرو القديم ـ وهنود بيرو والبرازيل** ، اسمه (أرثيروكيلون كوكا) .

هذا العقار منبه يؤثر على المراكز العليا في المخ ، ويشعر متعاطيه بقوة جسمانية وعقلية زائدة ويختفي الشعور بالتعب والجوع .

ثم الأفيون ـ يستخلص من الخشخاش المسمى (بابافرسمينفيرم) ـ ، والهيروين ـ ثنائي أسيتيل المورفين ـ الذي يشتق من المورفين بعملية كيميائية بسيطة .

وعقار الهلوسة Lysergic Acid Diethylamide (L.S.D) كمية بسيطة منه غير ملموسة تؤدي إلى اضطرابات عقلية خطيرة ـ له تأثير عجيب على الجنون ـ وتشعر متعاطيها بغيابه عن هذا العالم وتمحي وجوده ، مع شعور غريب بالبهجة والمتعة .

وعقار الـ / سرباجندا / Sarpaganda كان يتعاطه **المهاتما غاندي** وطائفة من الأطباء الهنود تسمى ـ أبورقيدا ـ وهو عبارة عن مسحوق من جذور أعشاب الثعبان ـ راوولفيا سربئينا ـ والماريهوانا Marihuana ـ الحشيش ـ الذي يؤثر على النفس والعقل .

ماذا يعني كل هذا ! كيف تغير هذه الأعشاب والعقاقير حالة الإنسان وتنقله من نفسية إلى نفسية ومن حالة إلى حالة .

العلم يجيب . . إن جميع هذه الحالات لها أصول كيميائية ـ جميع هذه العقاقير مواد كيميائية ـ وإن الحزن والفرح والقلق والخوف وجميع الانفعالات النفسية والعقلية ما هي إلا نتيجة خلل في التوازن الكيميائي للجسم ، وإن الإفرازات الداخلية للجسم ـ هرمونات ومواد المخ ـ تحدث تغيرات مستمرة في التصرف العقلي والانفعالي للإنسان من يوم إلى يوم بل من ساعة إلى ساعة .

فهل إن التحريف في الفكر لا يحدث بدون تحريف في جزيء كيميائي ما . . وهل ضبط التوازن الكيميائي يحدث التوافق النفسي والعقلي ؟

أسئلة أجاب عنها العلم أيضاً باكتشاف مبهر ـ حديث ـ في عالم **مرض الشيزوفرينيا** Schizophrenia ـ **انفصام الشخصية** ـ أخطر الأمراض العقلية وأوسعها انتشاراً .

فعلى سبيل المثال ـ **الحمض الأميني** Mono Amines **السرتونين** Sertonin ـ يوجد في الجسم ـ وخاصة في المخ ـ ونقصه من الجسم يؤدي إلى انقباض نفسي واضطرابات عقلية مختلفة .

فهل أمراض النفس ـ وخاصة الشيزوفرينيا Schizophrenia ـ هي أيضاً بسبب نقص مادة حيوية من المخ ـ وليس بدافع نفسي بيئوي أو اجتماعي ـ .

كشف العلم أن خلايا عصبية معينة في الدماغ ـ أمكنتها **الدماغ المتوسط** Mid Brain ـ وبالتحديد في منطقتي **المادة السوداء** Substantia Nigrd **ولحاف الدماغ المتوسط** Mid Brain Tegmentum تحرر ـ تطلق ـ مادة كيميائية سميت ـ **الدوبامين** Dopamine ـ ، هذا الألدوبامين يعبر **ثغرات الإتصال** Synapse ـ بين خلية وخلية ويحفز **المستقبلات** Receptors الواقعة بملاصقة الخلايا العصبية والتي أمكنتها المناطق الفكرية والنفسية من الدماغ ـ

لكل مادة أمكنة استقبال محددة **شكل (٣٨)**.

كشفت هذه البحوث أن حالات الشيزوفرينيا ـ سرطان الأمراض العقلية ـ تتم بعد أن تحرر كميات كبيرة من الألدوبامين إلى الخلايا العصبية في مناطق التفكير والعواطف في الدماغ.

كما كشفت هذه البحوث أن العقاقير Drugs المضادة للشيزوفرينيا توقف عمل أجهزة ارسال الدوبامين، بل تمنع الألدوبامين نفسه وتلغي تأثيراته ـ **شكل (٣٨)**

وأحد هذه العقاقير، العقار المسمى بـ ـ **كلوروبرومازين** Chlor-promazine ـ والذي يستعمل لعلاج عدة أمراض عقلية أخرى.

وعقاقير أخرى مثل **مجموعة ـ الفينوثيازين** Phenothiazines (Stelazine, Mellaril, Thorazine)، **والثيوكسانثينس** (Taractan, Navane) و (Haldol).

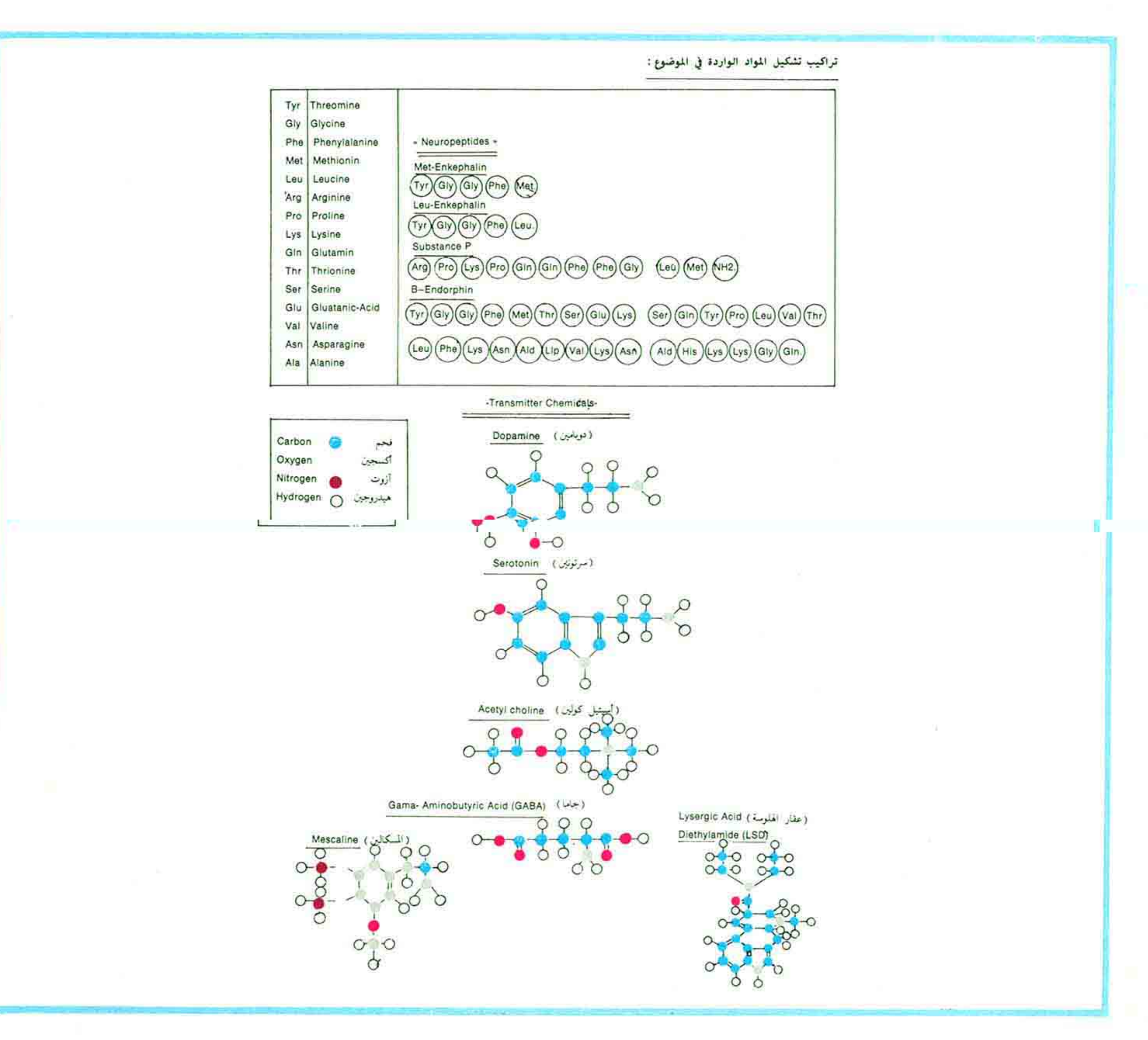
جميعها عقاقير ضد الأمراض النفسية والعقلية Antipsychotic، ولكل منها فعالية تختلف عن الباقي. إضافة للمهدئات والمخدرات المعروفة ـ **كالليثيوم** Lithium الذي يسيطر على أعراض المس الجنوني Symptoms of Mania وحالات الكآبة في طورها الشديد.. **والفوبيا** Phobias **والهستيريا** Hysteria استخدمت ضدها العقاقير المضادة للأمراض النفسية والعقلية.. ثم **الفاليوم** Valium **والليبريوم** Liberium كعقاقير مهدئة مسكنة لنوبات الألم والفزع.

فهل السلوك الإنساني ـ بمختلف تصرفاته ـ مبعثه الشذوذ في التصرف لكيماويات الدماغ والجسم.. وهل الإنسان بحد ذاته عميل غير واع لنتاج تفاعلات كيميائية تتجاوز قدراته؟

وهل الأفكار والعواطف إلا عبارة عن جزيئات بدائية تتشكل وتستقر وتتحول وتستمر ثم تزول ـ من مواد كيميائية إلى شحنات كهربية إلى انبعاث عصبي ففكر وتنفيذ؟

وهل دخلنا عصر الطب الكيميائي للأمراض النفسية والعقلية وبات الطبيب الكيميائي يتدخل وبحساب في أهم الملكات البشرية؟

أم أن على الإنسان أن يواجه ضربات القدر المؤلمة بجهاز يسيطر به على توازنه الكيميائي ـ ويغير من نفسه ـ ويلغي بالتالي دور المهدئات والمسكنات بتكييف هذه النفس والغاء كل أثر كيميائي ليتحكم بافراز المخ الطبيعي المهدئ.



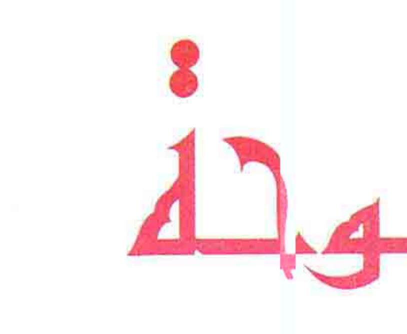
للحصول على أفضل ما تعطيه الكاميرا، زوّدها بفيلم **كوداكلر**

لكي تحصل على أفضل ما تعطيه الكاميرا، من أي نوع كانت، تأكد من أنك تستعمل دائمًا فيلم **كوداكلر** لأفضل النتائج.

العالم يعتمد في ذكرياته على أفلام **كوداكلر** لأن افلام **كوداكلر** تعطيك صورًا ساطعة واضحة وطبيعية.



لوحة  فنان



مشهد لمطبخ

● ولد في إسبانيا عام ١٥٩٩م، وتوفي عام ١٦٦٠م.

● رسام إسباني من الجيل التالي مباشرة **لألجريكو**.

● صور معظم لوحاته من الحياة الواقعية، وقد **كان رساماً للبلاط**، فصور الملك والملكة والأمراء، وأطفال رجال البلاط، وكذا الشعب، لذا كانت لوحاته تعكس الحياة الواقعية.

● تختلط في أعماله العناصر الواقعية بالعناصر الرمزية، فنجد في لوحته « **أبولو عند مصهر البركان** » **شخصية أبولو الأسطورية** وهو يتجول في منظر مستمد من الحياة الواقعية.

● يعد فيلاسكيز من الأخصائيين الكبار في **استخدام الألوان في القرن السابع عشر**، فهو يقلل من التلاعب البارع بالضوء والظل، ويصطنع سطحاً ممتازاً من النغمات الغامقة التي يضعها بجوار بعضها في تدرجات، وقد استخدم اللون بحساسية شديدة وعمق وبراعة وجرية.

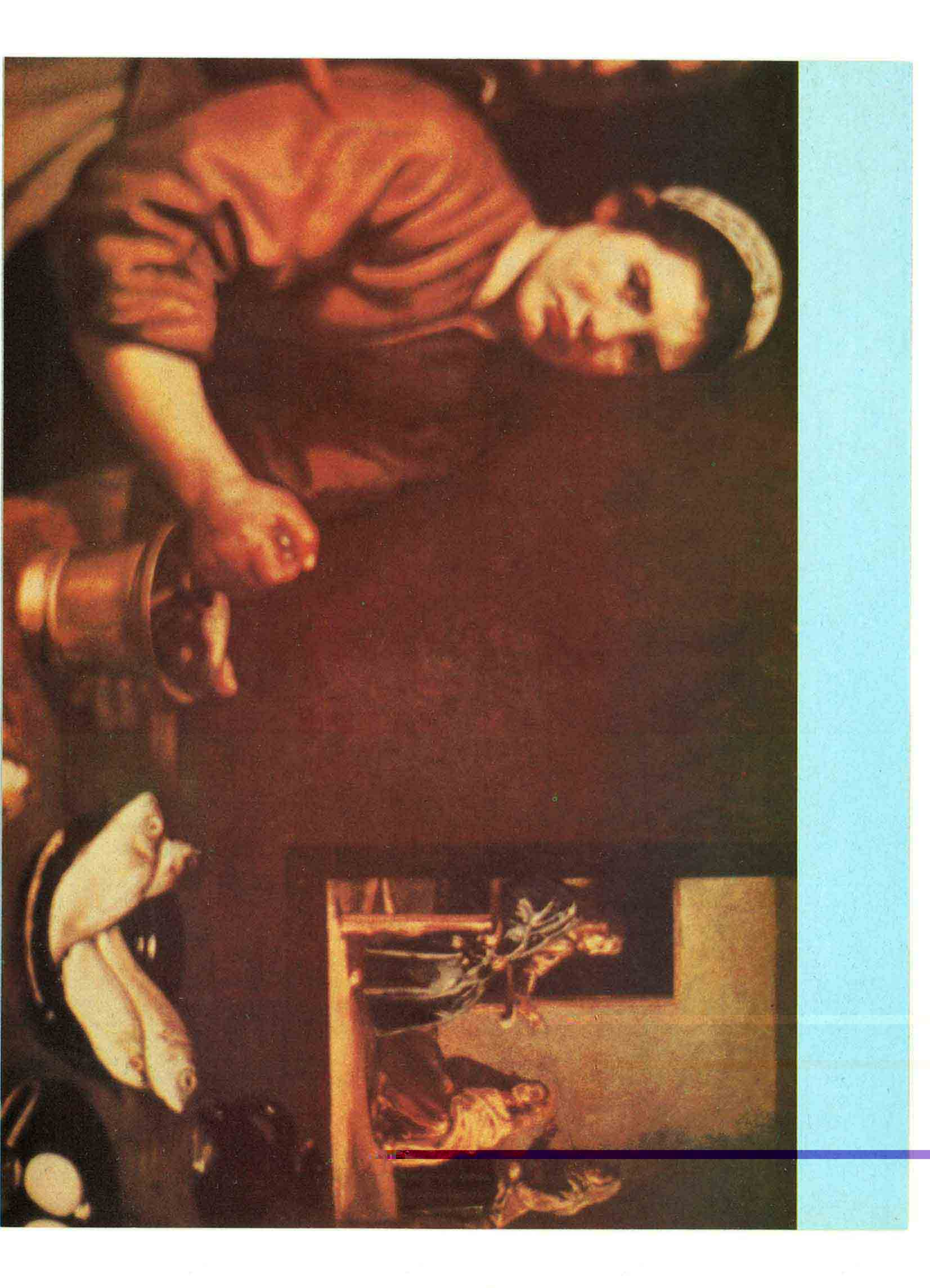
● تسبب فيلاسكيز مثل جميع واقعيي القرن السابع عشر الكبار، في إحداث تطوير كبير، **في الدراسة الخالصة للطبيعة**، وجاء هذا التطوير بالنسبة لخامات الفن وأدواته.

● قام « **مانيه** » في القرن التاسع عشر بدراسة أعمال فيلاسكيز بعناية وجدية، لكي يشيد تجنبه للظل والمضاهات البارعة لمساحات الألوان، ولكن مانيه نقل الفن خطوة في الاستخدام الحديث للألوان.

فيلاسكيز

● يصور فيلاسكيز في **هذه اللوحة التي رسمها عام ١٦١٨م، على قماش** بمقاس ٦٠ × ١٠٣سم ... مشهداً واقعياً لما يحدث في **مطبخ داخل أحد المنازل**، ومن خلال المطبخ يظهر ما يحدث داخل الغرفة.. وقد كان فلاسكيز يهتم بتصوير غرفة من داخل غرفة.. ليعطي من **الناحية الموضوعية** مضموناً معيناً، ومن **الناحية التشكيلية** تكوينان أحدهما داخل الآخر، ويقدم ذلك ببراعة تامة، وباستخدام تصميم هندسي.. فالتصميم الأساسي هو مربع « الغرفة » داخل مستطيل « بعدي اللوحة » وهو ما يصور فيه الموضوع الأساسي « **مشهد لمطبخ** ».. وتعتبر تصميماته الهندسية المستخدمة في لوحاته بشكل عام خطوة متقدمة في عصره.

● نلاحظ في اللوحة مدى واقعيته ودقته في تصوير المشهد، والتعبيرات المرتسمة على الوجوه، ودقته في الرسم والاحساس بملامسة الأشياء المختلفة من ملابس وأدوات ومأكولات..، واسقاط **الضوء** وما يحدثه من **ظلال**، وكذا اهتمامه بتصوير أدق التفاصيل.

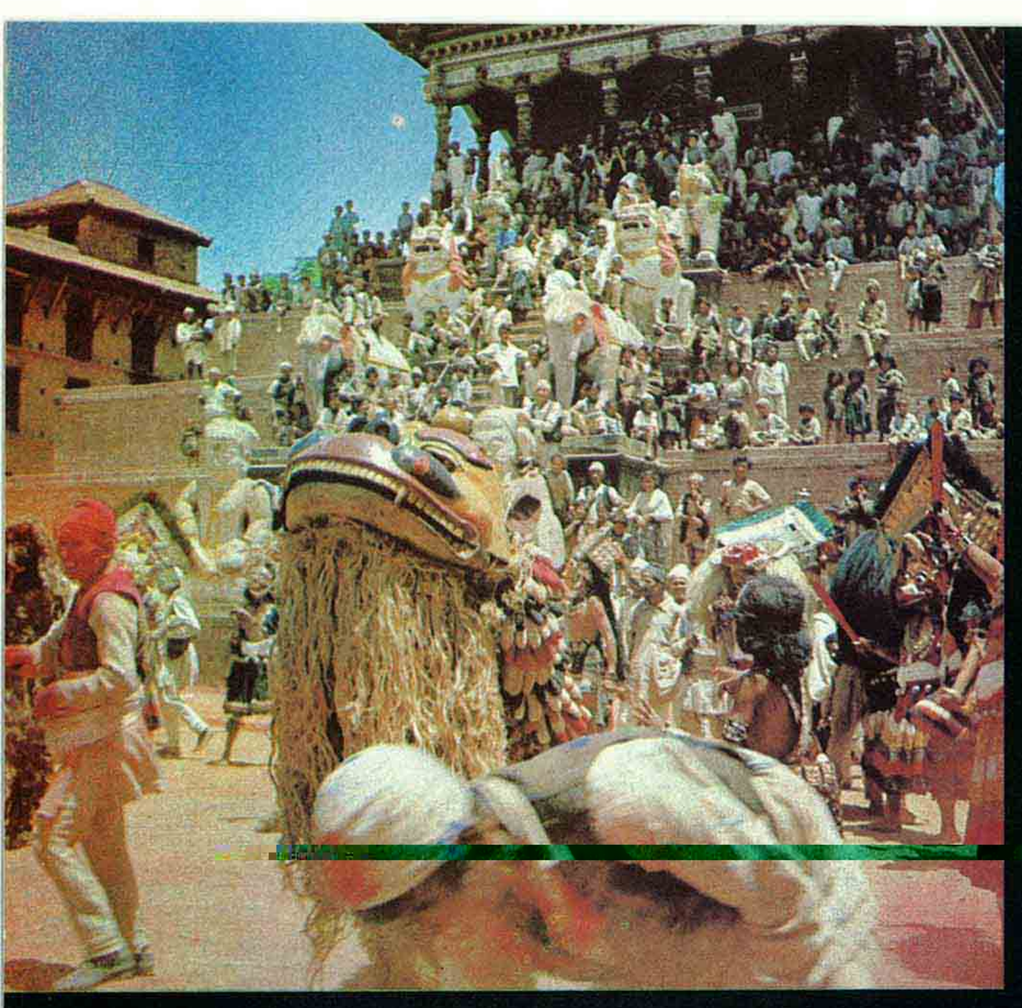


فقط ، كاميرات كوداك للتصوير الفوري مجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت .

الآن أصبح بإمكانك أن
تضفي جواً مرحاً بكاميرا
كوداك للتصوير الفوري.
إنها كاميرا للتصوير الفوري، الوحيدة
المجهّزة بفلاش الكتروني مُبيّت.
بكل بساطة، إلتقط صورة في غمضة عين
وشاهدها تظهر أمام عينيك بألوان زاهية ساطعة
من **كوداك** .
كاميرات **كوداك** للتصوير الفوري ، مجهّزة بفلاش
الكتروني مُبيّت .



كاميرات التصوير الفوري من كوداك.



★ احتفال في إحدى ساحات «كاتامندو» عاصمة نيبال ★



مملكة نيبال

تقع (نيبال) Nepal في وسط آسيا وفي الشمال من **شبه القارة الهندية، وهي تقع بين الهند والتيبت** حيث تمتزج فيها آثار البوذية والبرهمية. وقد اختارها (**الدلاي لاما**)، وهو الرئيس الروحي للبوذيين، مقراً له بعد أن سيطرت الصين الشعبية على (التيبت).

تحدها من الشرق (**سيكيم**)، ومن الشمال جبال (**الهيملايا**) وبلاد (التيبت)، ومن الجنوب والغرب **بلاد الهند**. يوجد في شمالها الجانب الأكبر من جبال الهيملايا ذات القمم الشاهقة ومنها قمة (**إفرست**) المشهورة.

يبلغ **عدد سكان** نيبال (١١,٣٠٠,٠٠٠) نسمة، وتبلغ **مساحتها** التي تمتد على شكل شريط مستطيل (١٤٠,٧٩٨) كلم^2. **عاصمتها (كاتامندو)** Katamandou؛ ونظام الحكم فيها ملكي دستوري.

ويمكن أن نقسم (نيبال) إلى ثلاث مناطق مناخية مختلفة، **فالمنطقة الشمالية** هي منطقة الجبال العالية، وهي تتشكل من سفوح جبال (الهيملايا)، ولا تصلح للزراعة نظراً لبرودتها الشديدة وارتفاعها الشاهق.

والمنطقة الثانية وهي المنطقة الوسطى، وتسمى (**وادي كاتامندو**)، ويبلغ متوسط ارتفاعها (١٥٠٠)م عن سطح البحر، وتقع فيها أهم ثلاث مدن، وهي العاصمة (كاتامندو) و(**پاتان**) و(**بهادغون**) ولا تكاد تبتعد هذه المدن عن بعضها سوى أميال قليلة.

والمنطقة الثالثة هي منطقة الأراضي المنخفضة، التي لا يزيد عرضها عن ١٥ إلى ٢٥ كم، وتشكل جزءاً من سهول **منطقة الغانج** وأغلبها غابات كثيفة وفيها بعض المناطق التي تصلح للزراعة.

وأكثف المناطق سكاناً هي منطقة (وادي كاتامندو) حيث يزرع **الأرز والقمح والفاكهة وقصب السكر والذرة الصفراء**.

وتصدر أغلب المنتجات إلى الهند، وقد كانت تعتمد إلى عهد قريب على استيراد المواد الاستهلاكية من الهند، أما الآن فقد أصبحت تنتج المنسوجات الصوفية والقطنية والأحذية والزجاج والخزف (السيراميك) والسجائر والسكر وغيرها من المواد الغذائية.

يدين أغلب السكان بالهندوسية (**البرهمية**) ويكون البوذيون أقلية، ويتكلمون لغات التيبت والنيبالية، وهي **اللغة الرسمية**. ومن الناحية العرقية فإنهم ينتمون إلى **القبائل المنغولية التيبتية**.

وقد حكمت (نيبال) قبائل (**الغورخا**) مثل (**المغار**) و(**النُّوَر**) لعدة قرون. وقد متنت علاقاتها الاقتصادية عام ١٧٩٢م، مع **شركة الهند الشرقية البريطانية**. لكنها استسلمت للبريطانيين عام ١٨١٦م، بعد حرب استمرت سنتين، وأصبحت محمية بريطانية مع




★ جوقة موسيقية ★

★ آلة موسيقية تشبه الربابة ★

احتفاظها بحقوق السيادة الداخلية . ومنذ عام ١٨٤٦ م ، حكمت البلاد **عائلة (رانا)** ، وحتى عام ١٩٥١ م ، وقد قامت ضدها ثورات ناجحة أرغمتها على تسليم الأمور إلى ملك البلاد الذي كان مجرد رئيس شكلي . وفي عام ١٩٥٥ م ، تولى الحكم **الملك (ماهيندرا)** ، وانضمت نيبال إلى **الأمم المتحدة** .

● الموسيق النيبالية والأعياد ●

بسبب تنوع الديانات والمذاهب واختلاف الأجناس البشرية ، فإن الناس يشاهدون في كل يوم احتفالا شعبياً ، أو دينياً مختلفاً ، فمثلاً قد ترى الناس يسيرون في الشوارع ليلاً على شكل مجموعات منظمة ، وهم يحملون المشاعل أو القناديل ، أو يلوحون بالأعلام الملونة ، وغالباً ما تصاحبهم فرق موسيقية تواكبهم في سيرهم على ايقاع الطبول والصنوج .

أما في **الأديرة البوذية** فإننا نسمع موسيقى ذات ايقاع ورنين غريب . فإذا دخلت الدير وجدت الرهبان قد جلسوا على الأرض على شكل حلقة يتوسطهم كبيرهم الذي يقود الجوقة والسبحة الطويلة تتدلى من يده . ويستخدم هؤلاء ، **الطبول والصنوج النحاسية ، وموسيق القرب الكبيرة** إضافة إلى **أبواق** ضخمة جداً يزيد كل منها على عدة أمتار طولا ، وما بين الحين والآخر تسمع قرع الأجراس مع الإنشاد والترتيل . ويقوم رئيس الحلقة بافتتاح الحفل وبقيادة **(الأوركسترا)** وكذلك بالغناء والترتيل من كتبهم .

● الدراما المغناة ●

مما يثير الاستغراب حقاً لدى الأجانب السياح هي « **الدراما المغناة** » ؛ وهي تمثيلية درامية يترافق فيها الغناء والرقص والقتال ، ويقوم بها الرهبان ، وقد ارتدى بعضهم أقنعة ضخمة مخيفة . . وعادة ما يتم ذلك في حديقة المعبد ، أو ساحة من الساحات العامة ، والهدف منها ــ حسب زعمهم ــ طرد الشياطين والأرواح الشريرة . ويمثل دور الشياطين رهبان ارتدوا تلك الأقنعة القبيحة . . وتستمر الدراما لمدة ثلاثة أيام تنتهي بمصرع الشياطين وانتصار الحق على الباطل .

● الأسطورة القديمة ●

تقول أسطورة نيبالية قديمة إن **الملك (جايا)** أبعد فتاة صغيرة اسمها **(كوماري ديڤي)** ونفاها من (كاتامندو) لأنها ادعت القداسة . . إلا أن ظاهرة غريبة حدثت ، فما كادت الفتاة المنفية تبتعد عن المدينة حتى قامت بنقل قواها الغريبة إلى الملكة التي أصبحت بدورها (كوماري ديڤي) ، وما أن رأى الملك تلك القوى الخفية التي تملكها زوجته حتى هرع يبحث عن الفتاة الصغيرة . وهكذا عادت الصغيرة إلى (كاتامندو) ظافرة ، وقد أحاطها الملك بمظاهر الاحترام والتبجيل ، كما خصص لها حارسين لحمايتها . وهكذا ما يزال في (كاتامندو) معبد (كوماري ديڤي) .

هذه هي الأسطورة التي ما زال يعيشها الشعب النيبالي كل يوم . في معبد (كاتامندو) أو على التحديد بالقرب منه يقوم بيت صغير جميل تسكن فيه فتاة صغيرة مع عائلتها اسمها



★ جماعة في انتظار مرور موكب ديفي ★

(كوماري ديفي) وهي لم تبلغ سن الرشد بعد، فيحيطونها بمظاهر التبجيل والاحترام. وما أن تصل سن البلوغ حتى يختارون غيرها لتكون (كوماري ديفي) جديدة.

● الزيارة الملكية ●

يقوم ملك نيبال في كل عام بزيارة الفتاة التي يطلق عليها اسم (كوماري ديفي) وذلك في شهر أيلول (سبتمبر) ويسير الملك في موكب ضخم، وهو يركب عربة مزخرفة، تجرها ست جياد، ويمر في شوارع المدينة القديمة، كما يصاحب موكب الملك فرقة موسيقية، ومغنون ومرتلون بينما تنتظر الفتاة زيارة الملك لها ولعائلتها.

ويدخل الملك إلى قصرها ويتوقف داخل بهو مربع فيه مذبح وبئر. أما الفتاة الصغيرة فإنها تجلس ضمن إطار من الخشب الغامق المزخرف، وقد ارتدت أجمل حلة وأبهاها، فتبدو بوجهها الجميل وكأنها لوحة ضمن إطار، بل إنها أشبه بتمثال لا حراك فيه. وما أن يدخل الملك إلى القاعة حتى تدب فيه الحياة وتنفرج شفتاها عن ابتسامة خفيفة وتحني رأسها قليلاً دلالة على التحية.. ويقف الملك بعيداً عنها يحييها. ومن هذا البعد تستقبل زوارها أيضاً، إذ لا يجوز الاقتراب منها. وتأخذ الزوار الدهشة من جمال وجهها.. وعادة ما يقوم أخو الفتاة بقيادة الزوار عبر البيت إلى بلاطها حيث يتأملونها من بعيد، ويقومون بعد ذلك بوضع تبرعاتهم في صندوق الحسنات.

● المصير المحتوم والامتحان الصعب ●

بعد مرور عدة سنوات تبلغ الفتاة سن الرشد، وهنا يجب عليها أن تغادر القصر هي وعائلتها إلى غير رجعة، وقد حكم عليها أن لا تتزوج أبداً. إذ إن الأسطورة في اعتقادهم تقول بأن من يتزوج فتاة كانت سابقاً (كوماري ديفي) فإنه يموت بعد ستة أشهر من زفافه!.

ويبدأ الرهبان وعلية القوم بالبحث عن فتاة صغيرة تحل محلها، شرط أن تكون طفلة بريئة، جميلة الوجه، غير راشدة، خالية من العيوب الخلقية، إضافة إلى أن يكون برجها سعيداً. وعندما يصبح لدى الرهبان عدداً من هؤلاء المرشحات، فعليهن أن يجتزن الامتحان الصعب. إذ يتم ذبح الذبائح بالقرب منهن، ثم تطلق بينهن كلاب جائعة ضارية تثيرها رائحة الدم، ويتم ذلك في قاعة أحكم إغلاق أبوابها، قليلة النور. أما الفتاة التي يقع عليها الاختيار فهي تلك التي كانت رابطة الجأش، وقد تمالكت قواها دون أن تحاول الهرب أو العويل!.

● طقس المطر ●

في شهر نيسان (**أبريل**) من كل عام، يجري في (كاتامندو) طقس غريب يهدف إلى استنزال المطر، فتقوم جماعة كبيرة من الناس بمسيرة تتقدمها **عربة طويلة**، ذات عجلات خشبية تجرها الثيران، وأحياناً بعض الشبان الذين يربطون أنفسهم بالحبال مع الثيران، ويجلس في العربة رهبان أمسكوا بأيديهم شجرة عالية وضعت في وسط العربة.. ولك أن تتخيل ما يحدث في مدينة شبه حديثة، عندما تحاول العربة وعليها الشجرة التي يبلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً، أن تمر في شوارع العاصمة! **لا شك بأنها ستقطع كل أسلاك الهاتف والكهرباء**!.

وقد توصل هؤلاء إلى حل: فقبل أن تمر العربة في حي من الأحياء **تقوم شركة الكهرباء بقطع التيار**، ويقوم العمال بقطع الأسلاك أيضاً، وما تكاد العربة تمر حتى تنتصب السلالم الطويلة لتصلح ما أفسد، وتعيد وصل أسلاك الكهرباء والهاتف من جديد.

ويكاد لا يمر يوم واحد في نيبال دون أن يكون هنالك عيد أو احتفال، سواء في الشارع أو في المعبد. وفي العاصمة (كاتامندو) تجد **التقاليد الشعبية** والدينية في كل يوم بدءً من شهر آذار (مارس)، وحتى بداية فصل الخريف. ويمكن وصف (نيبال) بأنها بلاد الاحتفالات والأعياد الدائمة. وقد اكتشف **الغربيون** في هذه الأعياد والاحتفالات طابعاً غريباً وظاهرة فريدة، فأخذوا يتدفقون على البلاد، لا سيا وأن أهل (**نيبال**) قد اشتهروا بكرم الضيافة.

بول بوريه

Paul Buhré

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥م .



أبو حيّة النميري

بقلم: عبد اللطيف السعيد

خرج العرب من جزيرتهم يحملون شعلة الخلاص من ظلام الجهل واستبداد البغي إلى الدول المجاورة، وتأسست في ظل حكمهم دعائم الدولة الجديدة التي تقوم على أسس العدل والرحمة والمساواة، وخرجت إلى العالم حضارة عربية زاهية هي عصارة **الحضارة الاسلامية** والحضارات المجاورة، الفارسية، واليونانية، والهندية.

وقد عرفت الدولة العربية في أواخر **العصر الأموي** عهداً من الاستقرار، تجددت في ظله أنماط العيش وتبدلت مظاهر الحياة، فتدفقت الأموال على البلاد، وأدى اجتماع المال والثروة في المدن إلى اتساع اللهو والغناء اللذين انتشرا نتيجة احتكاك العرب بالأمم المجاورة وخاصة **الفرس**، وقد نشأت في ظل هذا الجو المترف طبقة من الشباب الفارغين، كانت حياتهم موزعة بين اللهو والمجون والاستمتاع بمباهج العيش وملذاته، وعلى النقيض من ذلك اجتمع الحرمان والفقر في **البادية** وكوّنا موجة من الزهد والتقى والعفة، جعلت الناس أكثر تمسكاً بالمثل العليا والقيم الأخلاقية السامية التي غرسها الدين الإسلامي في النفوس، وظهرت طبقة من المتعطشين إلى الثقافة العربية الجديدة التي صهرت في بوتقتها ثقافات الأمم المفتوحة، فانطلقت إلى مراكز الاشعاع الفكري تنهل من منابعها، وكثرت الأسواق الشعرية، فظهرت إلى جانب **سوق عكاظ** في الحجاز سوقان جديدان، **سوق المربد** في البصرة، **والكناسة** في الكوفة.

وقد أدت الأهمية التي اكتسبتها المراكز الحضرية وصعود طبقة تتحكم بالثروة والمجد في الحواضر، إلى تكاثر النظامين المأجورين، حتى إن الشاعر أصبح عديم المقاومة أمام أرباب الثروة، لا يتوانى عن بذل ماء الوجه على أعتابهم، أملاً في عونهم له على درء الفاقة وإبعاد شبح الفقر عنه وعن ذويه.

أبو حية النميري

في هذا العصر عاش **أبو حية النميري**، وهو الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كبير ابن جناب بن كعب بن مالك بن عامر، أحد شعراء بني نمير بن عامر بن صعصعة، من قبائل قيس عيلان، وكانت تسكن **تهامة**، ثم انتقلت إلى **اليمامة**، وقد اشتهرت ببأسها وسطوتها.

منزلته

أبو حية كما وصفه أبو الفرج **الأصفهاني** في كتابه «**الأغاني**»: (شاعر مجيد مقدم من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية)، **وكان أبو عمرو بن العلاء يضعه في مقدمة شعراء عصره، مما يدل على أنه نال منزلة رفيعة بين شعراء عصره.**

نشأتـه

على الرغم من المنزلة التي اكتسبها الشاعر إلا أن كتب الأدب لا تعطينا الكثير عن نشأته ، ونستطيع أن نستشف مما وصلنا ، أن الشاعر **كان ينزل بادية البصرة** ، ولعله كان يلم بها حيث شهدت البصرة نشاطاً شعرياً واسعاً في سوقها الشعري «المربد» ، الذي أراد منه سكان البصرة أن يضاهي سوق عكاظ في الحجاز . وكان شعراء القبائل وأدباؤها يؤمون «المربد» يستمعون فيه إلى الشعر الجيد ، وكانت تستهويهم النقائض الشعرية التي تلقى فيه ، وقد قصد أبو حية «المربد» مع من قصده ، واستمع فيه إلى الشعراء ، وحفظ عنهم ، **وقد أعجب بالفرزدق** وروى شعره ، ولعله تأثر به ، إذ أورد **البغدادي في «الخزانة»** قول أبي حية :

وإنا لـمّا نضربُ الكبشَ ضربةً
على رأسه تلقي اللسانَ من الفم

الذي أخذه من قول الفرزدق :

وإنا لـما نضرب الكبش ضربة
على رأسه والحربُ قد لاح نارها

طاف أبو حية كغيره من الشعراء البلاد وطرق أبواب الأمراء والخلفاء مادحاً ، وقد مدح كل من عاصره من الخلفاء .

أخلاقـه

يقول عنه أبو الفرج الأصفهاني : «وكان أهوج جباناً ، بخيلاً ، كذاباً ، معروفاً بذلك أجمع . . . وقيل إنه كان يصرع» ، ويؤكد الكثيرون هذه الصفات ، ويصرون على صفتي الجبن والكذب ، حتى عده بعضهم من أكذب الناس ، **ويقال إنه كانت به لوثة** . كل هذه الصفات التي ألصقت به كانت تجعل منه عرضة للتندر بين معاصريه ، ومن طريف ما يروى عنه هذه القصة ، التي صور فيها الأصفهاني شخصية أبي حية صورة كاريكاتورية تدل على ضعف وجبن :

«كان لأبي حية سيف يسميه لُعابَ المنيّة ، ليس بينه وبين الخشبة فرق ، وكان من أجبن الناس ، قال : فحدثني جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب ، فظنه لصاً ، فأشرفت عليه وقد انتضى سيفه لعاب المنية ، وهو واقف في وسط الدار وهو يقول : أيها المغتر بنا والمجترىء علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خير قليل ، وسيف صقيل ، لعاب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته ، أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدع قيساً إليك لا تقم لها ، وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً ، سبحان الله ، ما أكثرها وأطيبها ، فبينا هو كذلك إذ خرج الكلب ، فقال : الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفاني حرباً» .

ومن النوادر التي يستدل بها معاصروه على كذبه ما يروى عنه أنه قال : «عنَّ لي ظبي فرميته ، فراغ عن سهمي ، فعارضه السهم ، ثم راغ ، فعارضه السهم ، فما زال والله يروغ ويعارضه حتى صرعه ببعض الجبّانات» .

موضوعات شعره- إبداعه في الغزل

طرق أبو حية في شعره شتى الموضوعات الفنية ، **وأكثر من الغزل** وبرع فيه وأجاد ، وقد كان مولعاً أشد الولع بالوجه الصبوح ، والحديث العذب ، والعين النجلاء ذات السهام النافذة :

جزى الله الغواني يوم قو
ويوم لقيتهن بذي سلام[1]
إذا ريشن أعينهن يوما
فلم يوجد كإحداهن رام
وقلن لطفلة منهن ليست
بمتفال ولا همش الكلام
كأن الشمس سنتها إذا ما
حلفن لتسفرن من اللثام
أزيدي قتله فرمت فؤادي
بنبل غير شاهدة الكلام

إننا واجدون في غزل أبي حية النميري صورة صادقة عن البيئة البدوية المحرومة التي عاش فيها ، فهي بيئة تمسكت -كما أسلفت- بالقيم الأخلاقية التي غرسها الإسلام في نفوس أهلها ، فعفت نفوسهم ، وسمت أخلاقهم لبعدهم عن مرابع اللهو والمجون ، وبذخ الرفه والنعيم عند أهل الحضر . إن الحب عنده داء لا يبقي من العاشق إلا خيالا يلوح للناس ، ونفساً يقترب الموت منها :

ألما نسائلْ قبل أن ترميَ النّوى
بنافذة نبْضَ الفؤاد المتيّم
يقفْ عاشقٌ لم يبقَ من روح نفسه
ولا عقله المسْلوبِ غير التوهم
وما تركَ اللائي يريْشنَ صيغة[2]
هي الموت ، من لحم عليه ولا دم

وهو يتجنب منازل حبيبته والتردد عليها ، على شدة تعلقه بها ، حياء منها ، ومخافة أن يراه واش فيشيع ما بينهما :

وخبَّركِ الواشونَ ألا أحبّكم
بلى وستور الله ذاتِ المحارم
أصدُّ وما الهجرُ الذي تحسبينَه
عزاءً بنا إلا ابتلاع العلاقم
حياء وبُقيا أن تشيعَ نميمةٌ
بنا وبكمْ ، أفٍّ لأهل النّمائم

ونجده بعد أن ودع عهد الصبابة والهوى يعود به الشوق والحنين إلى ذلك العهد البعيد ، فنراه تارة يتذكر مجالس الأمس البعيد ، وأحاديث الأنس العذبة :

ألا حبذا الماء الذي قابل النقا
ومرتبع من أهلنا ومصير
وقد كان لي إذ ذاك منهن مجلس
قريب ، ومن أسرارهن ضمير

وتارة يحز الأسى في نفسه لاعراض الغيد عنه منكرين **الشيب** الذي كسا عارضيه ، فيعيد هذا الاعراض إلى ذاكرته أيام عهده بنضالهن :

قالَ الكواعبُ يومَ أودٍ[3] عمَّنا
حُيِّيتَ يومَ رددْنَ جاهَ وصالي
وفزعْنَ من شمطٍ تجللَ مفْرقي
حتى علا وَضَحُ كلونِ هلال
ولقد أناضلهُنَّ أغراضَ الصِّبا
خلواتِهِنَّ فما تطيشُ نبالي

وهو يقرّ بعجزه عن منازلة الحسان ، ويعترف لهن بالغلبة :

رمتْني ـ وسترُ الله بيني وبينها ـ
عشيّةَ أحجارِ الكناس رميمُ
ألا رُبَّ يوم لو رمتْني رميتها
ولكنَّ عهدي بالنّضال قديمُ
يرى النّاس أني قد سلوْتُ وإنّني
لمَرميٌّ أحناءِ الضّلوع سقيمُ

إن كل ما تغزل به أبو حية النميري من أشعار ليوحي بصدق عاطفته ، ونبل مبتغاه ، فهو عفيف في حبه وفي أحاديث حبه ، لا يبيع شرفه في سوق الفساد ، وشعره في ذلك رقيق يعبر عن خلجات نفس تذوب ، وروح تتعذب .

وقد رأى أبو حية النميري في شعره طريقاً إلى الكسب ، لذلك لم يتوانَ عن القدوم به على أرباب الجاه والثراء يستدر به عطاءهم ، فهو يكثر من مدح المحسن الكريم ويعرض لجوده وعطائه في مدحه ، وفي ذلك تشجيع له على العطاء . اقرأ شعره في مدح **الوليد بن يزيد بن القعقاع** ، تجد أنه ليس من مبرر للصفات التي يسبغها عليه سوى عطائه الواسع :

إنّ الوليدَ جرى المئينَ مُبرِّزاً
وصفَتْ يداهُ بنائل لم يبزُرِ
أعطى الجزيلَ وساد حين مضتْ له
سبعٌ وبعضُ لداته لم يثْغَر(٤)

إن صورة الحرمان والشقاء والفقر المهيمنة على بيئة الصحراء القاسية ، ترتسم بوضوح فيما تركه لنا أبو حية من قصائد مدح ، فهو حين يصر على استدرار عطف الممدوح وحثه على العطاء ، إنما كان يلجأ إلى هذا النوع من الاستجداء درءاً لمرارة الفقر ، وجور حياة الصحراء ، يبدو ذلك بوضوح في مدحه **يزيد بن عتاب بن الأصم** :

إليكَ ابنَ عتّاب رحَلْنا وساقنا
من الغَور جدْبٌ موصِدٌ وغداءُ
وعامٌ كحدِّ السيفِ أمّا ربيعُهُ
فمحلٌ وأمّا قيظُه ففناءُ

لهذا نجده يحرص في مديحه على صفات السخاء والكرم والبذل في السنين المجدبة ، فعندما يمدح **عمرو بن كعب** ، يشبهه بالفرات في كرمه ، لا يرتفع الفرات على عطاء عمرو :

فتىً لا يمنَعُ المعروفَ منه
تبسُّلُ شتوَةٍ و مَحْلُ عام
وما مَدُّ الفرات إذا تسامى
بموج ذي قصيفٍ والتطام
بأغزرَ منكَ نافلةً إذا ما
تخادَبَ ظهرَ جارفةٍ أُذام

هذه الصورة التي يرسمها أبو حية لكرم عمرو تشبه إلى حد كبير الصورة التي رسم بها **النابغة الذبياني** كرم **النعمان بن المنذر** ، ولعل أبا حية قد تأثر بأشعار النابغة ، يقول النابغة :

فما الفراتُ إذا هبَّ الرِّياحُ له
ترمي أواذيُّهُ العبْرَيْن بالزَّبَد(٥)
يوماً بأجودَ منه سيْبَ نافلةٍ
ولا يحولُ عطاءُ اليوم دون غدِ(٦)

وقد يبرز أحياناً الممدوح في هيئة تتجاوز المألوف ليخفي وراءها عاطفته المتكلفة ، فهو يبالغ في اضفاء صفات الشجاعة والمجد وعلو المنزلة على **يزيد بن عتاب** في قوله :

إذا سارَ قومٌ للعُلى سرْتَ فوقهم
إلى شرُفاتٍ ما بهنَّ خفاءُ
بلغتم نجومَ الليل فضلاً وعزّةً
ومجداً فأنتم والنجومُ سواء

ونجده في جانب آخر من أشعاره يفخر بنفسه وبقومه ، ويذكر أيام بني عامر ، فيشيد بشجاعتهم وبسالتهم في القتال ، ونجدتهم لطالب الغوث ، وإبائهم للظلم ، ومَنَعتهم ، ورجاحة عقولهم ، وهي صفات يحرص العربي على التمثل بها ، يقول مفتخراً بقومه :

فلمّا سعى فينا الصَّريخُ وربَّما
بلبَّيْكَ أنجدْنا الصّريخَ المُناديا
بحيٍّ حلال يركزونَ رماحَهم
على الظّلم حتى يُصْبحَ الأمنُ داجيا
جديرونَ يومَ الرّوع أن تخضِبَ القنا
وأن نتركَ الكبْشَ المدجّجَ ثاويا
إذا النّاسُ ماجوا أو وزنْتُ حُلومهم
بأحلامنا كنّا الجبالَ الرّواسيا

وهو حين يتغنى بمناقب قبيلته ويشيد بمآثرها ، يحاول أن يظهر نفسه بمظهر الإنسان الجريء يواجه المخاطر غير عابىء بأهوالها ، يقول متباهياً أمام صاحبته :

لو أن سباع الأرض دونك أصبحت
على كل فج من أسود ومن نمر
رباضا على أشبالها لقطعتها
إليك بسيفي أو هلكت فلا أدري

ولعله يحاول هنا أن ينفي أمام صاحبته ما شاع عنه من ضعف وتخاذل ، لأنه لو صح ما ينسبه إلى نفسه من جرأة لما تردد عن التغني بشجاعته في شعره على غرار شعراء الفروسية ، وهذا لا نعثر عليه في أشعاره ، حيث إن ما افتخر به لا يتجاوز قصيدة وبضعة أبيات من الشعر .

وبعد ، فهذه صورة أبي حية النميري ، حاولنا وضعها ضمن إطارها في العصر الذي وجدت فيه ، بعيداً عن الصورة التي حاول بعضهم أن يرسمها له ، صورة الإنسان المجنون الذي يضحك الآخرين بتصرفاته الهوجاء ووسوسته التي جعلت منه موضع هزء وسخرية . وإن في كل ما استعرضناه لدليل على حسن تصوير الشاعر لبيئته ، وتمثله ثقافة عصره ، وتمسكه بالقيم العربية ، وإجادته في أغراضه الشعرية التي عالجها بعبارة رصينة ، وأسلوب شعري عذب .

هوامش

(١) قو : واد في العقيق . ذي سلام : موضع في نجد .
(٢) صيغة : يريد سهاماً من عمل رجل واحد ، فهي سهام صيغة .
(٣) أود : موضع في نجد .
(٤) يثغر : ثغر الصبي إذا سقطت رواضعه .
(٥) أواذيه : أمواجه . العبرين : الشاطئين .
(٦) سيب نافلة : عطاء زيادة .







★ نجيب الريحاني ★

★ أحمد شوقي ★



برقية للتاريخ

بقلم: منذر شعّار

كان «**محمد مصطفى حمام**» أديباً مُخارَفاً [1]، من أدباء هذا القرن، غير معروف مشهور عند الناس في البلاد، ولكن أكثر الخاصة في مصر والشام يعرفونه، فقد كان أديباً ملء الأدب، يعيش له وبه، يمتصُّه دخينة [2]، كان شاعراً مبيناً له قدرة عريضة على سكب الشعر في أي غرض، ولكنه كان سيء الحظ فلا ينفق شعره كما يريد إذ كان معاصراً في قسم كبير من حياته للشاعر **أحمد شوقي**، ولما غاب شوقي لم يكن يتاح للأستاذ حمام أن ينشر إلا شعراً فكاهياً كانت تطلع به كل أسبوع مجلة «**مصر الحديثة**» في الثلاثينات بتوقيع (النابغة العمياني)، إذ كان الأستاذ حمام، على بؤسه وشقاوة عيشه ذا فكاهية ومرح يأخذان مجالسه وسامعه أخذاً شديداً.

وكان حمام صديقاً لأغلب بناة الأدب والفن في مصر، في زمان عصر خصيب خصوبة مشهودة.

كان صديقاً **لنجيب الريحاني**، الفكاهي المعروف، في مسرح وسينما. وفي إحدى جلساتها باح حمام للريحاني بحادثة جرت له في قصور أحد الأعيان، فأخذها نجيب وبنى عليها فيلمه الطائر الشهرة «**غزل البنات**» وأخذ نجيب دور حمام نفسه، موضوعاً وتسمية.

عرفت الأستاذ محمد مصطفى حمام لما كنت في **الكويت**، وكنت قرأت في مجلة **العربي** له مقالا جعل تحته امضاءه ومعه هذه العبارة «نقيب الصحفيين في القاهرة سابقاً»، ثم كنت ذات يوم في فندق كبير فوجدت جمعاً من الناس حول رجل أشيب قصير حلو الملامح سيال العبارة وهم يضحكون.. فنظرت حتى علمت أنه الأستاذ حمام، فدنوت فجلست، ولما انفض عنه الضاحكون اللاهون اقتربت أكثر وحادثته وطارحته أدباً ونقداً وأخباراً «فَفَجَرْتُ به ثَبَجَ بحر».. كما كان حَدَّثَ أديب عن أديب في تراثنا العريق.

كان الأستاذ حمام عريض الثقافة، سيال التعبير، واسع الاطلاع، له بَصَرٌ بالنقد صائب، وله صداقات مع كبار أعلام الأدب المحدثين، وزعماء السياسة والفن والمجتمع، ويروي عنهم أخباراً وأشعاراً ليست في مطبوعاتهم، فمن هنا يكون لحديثه قيمة علمية، ولأجل هذا قدمت هذه المقدمة عن الأستاذ محمد مصطفى حمام لأنه هو الذي روى لي خبر هذه البرقية العجيبة، من أحمد شوقي إلى لجنة الاحتفال بتكريم «فتحي زغلول»، وكانت برقية شعرية، لم أقرأها في (الشوقيات)، ولا سمعت بها من أحد، وأحب أن أطرف بها اليوم قراء مجلة «**الفيصل**» الكرام.

كانت حادثة (**دنشواي**) بالغة الألم في مصر والشرق، وكانت صورة قاتمة لما يفعله المحتل الأجنبي في الأرض العربية، ويعرف الناس قاطبة أن نفراً من عسكر الانكليز كانوا في العراء لبعض شأنهم، فضاعوا عن رفاقهم، وبلغوا (دنشواي) الضيعة الصغيرة، فجرت بينهم وبين أهلها شؤون، وَقَسا الانكليز على الفلاحين الضعاف وآذوهم أذى لم يتحملوه فطردوهم فعادوا ميّتاً أحدهم في الطريق بضربة شمس.

وقامت قيامة المحتلين في **القاهرة**، وشكلت الحكومة محكمة فورية للحكم على أهل دنشواي، وكان رئيس تلك المحكمة «**فتحي زغلول**» فحكم على أهل دنشواي الأحكام المعروفة في كتب التاريخ، فشنق قسماً منهم، وسجن قسماً، وَجَلَد قسماً، ونفذت الأحكام، ولا يزال الشرق يَوْجَع كلما ذكر تلك الحادثة ويتألم العرب في كل مكان للمشنوقين والمجلودين، والمسجونين، ولأهاليهم الذين مر عليهم ما لم يمر على أحد، وقد ذكر أحمد شوقي هذه الحادثة، بعد عام من تنفيذ أحكامها لعله يُعفى عن سجنائها، فكان مما قاله:

نوحي حمائم دنشواي وروعي
شعبا بوادي النيل ليس ينام
إن نامت الأحياء حالت بينه
سحرا وبين فراشه الأحلام
متوجع يتمثل اليوم الذي
ضجت لشدة هوله الأقدام
السوط يعمل والمشانق أربع
متوحدات والجنود قيام
والمستشار إلى الفظائع ناظر
تدمى جلود حوله وعظام (٣)
في كل ناحية وكل محلة
جزعا من الملأ إلا سيف زحام
وعلى وجوه الثاكلين كآبة
وعلى وجوه الثاكلات رغام

والناظر في هذه الأبيات، والقصيدة كلها يجد بياناً، ولكن لا يجد غضباً، ويحس الألم، لكن لا يحس المرارة، أما أبياته التي بعثها في البرقية التي نحن بصددها فكانت شيئاً آخر، وذلك أن الحكومة جعلت (فتحي زغلول) بعد الأحكام وكيل وزارة العدل. ثم أقامت احتفالا لتكريمه، في فندق (شيبرد) بالقاهرة، واجتمع الناس، وتصدر الأعيان والوجهاء الحفلة، ودعي أهل البيان والأدب ليقولوا كلمات وقصائد في مدح المحتفى به، واظهار فضائله، فوقفوا مادحين مكرمين، وكان أحمد شوقي قد دعي لالقاء قصيدة في المناسبة، فلم يأت، وحين لم يأت اعتقد رعاة الحفل أنه مرسل برقية اعتذار وتهنئة كما هي العادة في الاحتفالات: إن لم يأت الخطيب أو الشاعر أو وجيه البلد المدعو أرسل برقية فَتُتْلى عقب البرنامج، ولذلك وبعد أن انتهت الخطب والأشعار والتكريمات وقف عريف الحفلة يقرأ البرقيات الواردة، فبدأ يقول: برقية فلان باشا من الجهة الفلانية، ثم يتلو برقيته المهنئة المباركة، ثم يقول العريف، والآن برقية فلان الفلاني، وهكذا، ثم قال وهو يسحب ورقة لدورها، برقية أمير الشعراء أحمد شوقي بك. ثم... جحظت عيناه فلم ينبس حرفاً. وتغير لونه، وبدا أنه قد قرأ في البرقية ما لم يكن يتوقعه، فاضطرب وحصلت له مفاجأة مريعة، وأحس الجمهور، فسرت فيه لفظات منكرة.. وهمهم ودمدم، وشعر راعي الحفل الحظير بحرج الموقف، فصاح في العريف:

— مالك، ماذا جرى؟ فيقول العريف: لا أستطيع أن أقرأ البرقية يا باشا، فيضج الجمهور على لسان واحد كالرعد: نريد سماع برقية أمير الشعراء، وما كان بالامكان التفلُّت من ذلك، فأعطى (الباشا) الأذن للعريف بالقراءة، فتلى بصوته المضطرب برقية أحمد شوقي، وهذه هي:

إذا ما جمعتم أمركم وهممتم
بإهداء شيء للوكيل ثمين
خذوا حبل مشنوق بغير جريرة
وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تكتبوا شيئا إليه، فحسبه
من الكتب حكم خطه بيمين
ولا تقرأوه في شبرد.. بل اقرأوا
على ملأ في دنشواي حزين

وقامت قيامة الحاضرين، وفعلت فيهم أبيات الشاعر ما تفعله العاصفة بالبحر، فتكسَّرت أمواجهم جلبة وغضبات، وقلب عالي الحفلة سافلها، وأدى الشاعر الحر كلمته، وكانت برقية للتاريخ.

هذا ما رواه لنا الأستاذ محمد مصطفى حمام منقولا إلى أسلوبنا وطريقتنا، فقد كان الأستاذ حمام في عداد جمهور الحفلة، وكان قريباً قبل الحفلة وبعدها من أمير الشعراء، يحفظ له أغلب شعره، ويلقي بعضه عنه في المحافل، وهذه الأبيات لا توجد في الشوقيات.

أحببنا روايتها عن أحد سامعيها حيث تفجرت، اتحافاً لقراء الفيصل الكرام، ولاستكمال مواد الدراسة عن شاعر عظيم في فترة جد خصيبة سياسة وأدباً واجتماعاً، وقد توفي الأستاذ حمام في الكويت في أوائل الستينات: مخلفاً الحسرة في نفوس كثيرة.

هوامش

(١) المحارف: من أدركته حرفة الأدب: أي الفقر وضيق الحال بسبب اشتغاله بالأدب.
(٢) الدخينة: كلمة وضعها الأستاذ مصطفى صادق الرافعي لهذه «السيكارة».
(٣) مقصود بالمستشار هنا: اللورد كرومر.

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

إعداد : مصطفى الخضري

« **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** هي واحدة من المنظمات المنبثقة عن **جامعة الدول العربية** التي تسترشد ـ أساساً ـ في إعداد برامجها بميثاق الوحدة الثقافية العربية .. وقد حاولت « **المنظمة** » ـ منذ إنشائها قبل ثماني سنوات ـ المشاركة في حركة الفكر وفي التقدم العلمي بما يتفق والواقع العربي ، تحقيقاً لأهداف الأمة العربية والإسلامية ومسؤولياتها تجاه متطلبات التنمية الشاملة .. كما تعمل « **المنظمة** » على دعم مركز اللغة العربية دولياً ، وإحياء الصلات الثقافية التاريخية مع الشعوب ذات العلاقة الفكرية والروحية بالثقافة العربية .. »

هكذا تكلم الشاعر السوداني الدكتور **محيي الدين صابر** المدير العام للمنظمة ، قبل أن يجيب على أسئلة هذا اللقاء الخاص .

● هل لكم أن تعطونا فكرة عن نشأة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والفلسفة الكامنة وراء انشائها ؟

●● منذ ثماني سنوات خلت ، وبالتحديد يوم ٢٥ يوليو عام ١٩٦٩م ، انعقد أول مؤتمر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وقد اشتركت فيه ثمان دول عربية يومذاك ، وأودعت **وثائق التصديق على دستور المنظمة** التي استكملت بها وجودها القانوني والإداري والمالي ، وأقامت مؤسستها وانتخب مجلسها التنفيذي ، وأعيد بناؤها التنظيمي من الوحدات الثقافية التي كانت قائمة في إطار الأمانة العامة لجامعة الدول العربية تحت تنظيم « **الادارة الثقافية** » ، واستحدثت لها أجهزة ودوائر جديدة .. وهكذا بدأت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كوكالة متخصصة في نطاق جامعة الدول العربية ، تباشر نشاطها وتمارس مسؤولياتها القومية ، في كفاية وقدرة في إطار المعاهد الثقافية العربية وميثاق الوحدة الثقافية ، وبدأت الدول العربية ، تنضم إليها واحدة بعد أخرى ، فتضيف في كل مرة طاقات جديدة وقوى دافعة ، حتى إذا كان مؤتمرها العام الرابع في عام ١٩٧٥م ، الذي عقد **بالقاهرة** برئاسة **معالي الدكتور عبد**



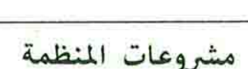




★ محيي الدين صابر ★

العزيز الخويطر وزير المعارف السعودي ، واشتركت فيه عشرون دولة عربية هي أعضاء المنظمة ، وهكذا تهيأت لأداء رسالتها الكبرى في تحقيق أهداف الأمة العربية في التمكين للوحدة الفكرية بين أبنائها ، وفي القيام على **تراثها** الباقي وعلى احيائه ورعايته ، وفي اخصاب النشاط الثقافي والفني ، في مجالات **الآداب والفنون والآثار والاعلام ، وفي توطين العلوم الطبيعية والرياضية وتطبيقاتها التكنولوجية وتشجيع البحوث العلمية** ، بما يحقق المعاصرة الحضارية ، وفي **دراسة الواقع العربي** ، اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً ، بما يتيح التعرف العلمي على إمكانات التقدم ومعوقاته ، وفي **تنمية القوى البشرية العربية** ، بتوسيع وعاء التعليم ، وتعميمه من حيث الكم ، وتعميقه وتجويده من حيث الكيف ، وبتنويع مجالاته الأكاديمية والمهنية والفنية ، وصلا بينه وبين متطلبات التنمية الشاملة ، ثم في السعي لرفع الجهل عن كواهل القواعد البشرية العربية ، بمحو أميتها وتدريبها وتأهيلها بما يجعلها طاقة إنتاجية في بناء الأمة العربية ، وقوة مسؤولة عن تنميتها وعن مصيرها .

هذا ، إلى جانب الدور الأساسي الذي تضطلع به المنظمة في تقديم الثقافة العربية فكراً وفناً ، إلى العالم ، بمحتواها الإنساني والروحي ، كقيمة رفيعة ، ثم بنشر اللغة العربية على النطاق العالمي ، عن طريق تنسيق الجهود العربية الكبيرة المبذولة في هذا الشأن على مستوى الحكومات وعلى مستوى المؤسسات القومية ، وعلى مستوى الجامعات العربية ثم عن طريق التعاون الدولي والإقليمي .



مشروعات المنظمة

● وماذا عن مشروعاتكم المستقبلية ؟

●● يستطرد الدكتور محيي الدين صابر فيقول :

« إن المنظمة تركز إلى جانب اهتماماتها الوظيفية وأهدافها المرسومة على **أربع أولويات :**

اولا : تنمية الثروة البشرية العربية عن طريق التعليم والتدريب ، والنظر في النظام التعليمي المدرسي ، واقامة الجسور بينه وبين نظام تعليم الكبار بحيث يتكامل النظامان ، وتتلاقى مؤسساتها ، في مرونة تتيح تطور مؤسسات تعليمية تفتح الطريق لإعداد أفضل للأجيال العربية القادمة ، وأن يكون محو الأمية ، بمعنييها الأبجدي والحضاري ، محوراً أساسياً في عملية التنمية البشرية .

ثانيا : تنمية الفكر العربي ، علما وفنا ، واستعادة كبريائه التاريخية ، وقدرته الإبداعية ، ببعث تراثه الحي من ناحية ، وصلاً للروافد الجديدة بالينابيع الأصلية ، ثم باقتحام آفاق المعاصرة ، وبالالتحام بقضايا التقدم العلمي والتكنولوجي من ناحية أخرى ، في مشاركة ايجابية وقادرة ، وفي هذا المجال فإني أقول عادة إنه إذا كانت لنا حاجات كثيرة مما نطلبه عند الناس في إطار هذه الحضارة العلمية التكنولوجية ، فإن لدينا كذلك كثيراً مما نستطيع أن نقدمه مما نملك من قيم باقية وفضائل علمية .

ثالثا : التأكيد على السياسة الخارجية للثقافة العربية ، باعتبارها سلاحاً من أسلحة النضال العربي ،

لمواجهة تحديات العصر والمصير ، ولـوضع صـورة الإنسـان العربي ، والفكر العـربي ، في مـكانها الصحيح ، زمـانـاً ومكاناً ، على النطاق العالمي . . .

رابعا : تحقيق الأمن الثقافي العربي ، ويتمثـل ذلك في انشاء صناعات ثقافية عـربية عمـلاقة في مجـالات الأجهـزة العلمية والطبية ، والمختبرات المدرسية ، والـوسائل التعليميـة السمعية والبصرية المتطورة وفي المواد الأوليـة لـلإنتاج الثقـافي والتربوي ، كمصانع الورق والأحبار والأقلام ، وكالمطابع القادرة على الإنتاج الكبير ، وسد حـاجة الـكتب المدرسيـة العـربية في مستوى جيد من الاخراج ، ثم ما يتصـل بـذلك مـن شـؤون الكتاب العربي وسهولة تداوله بين أجزاء الـوطن العـربي ، وفي خارج الوطن العربي ، ثم في الضمانـات الـتي ينبغـي أن تـكون لحقوق الابداع الفكري والعلمي ، **ويدخل في الأمن الثقـافي العربي التنسيق والتعاون العلمي ورعـاية العلماء . . واستعادة العقـول العـربية المهـاجرة ، وتــوطين التكنولوجيا** . . وغير ذلك من وجوه السعي والحركة » .

دور المنظمة في إفريقيا

● وعن مشروعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا المجال وخاصة في افريقيا . . يقول الدكتور صابر :

●● « تقوم المنظمة بتـكثيف العمـل العـربي في **إفـريقيا** بـإنشاء **المراكز الثقـافية والمدارس العـربية لأبنـاء الجاليات العـربية ، والتجمعات الاسلامية والعنـاية بنشر المخطوطات الافريقية المكتوبة بالحروف العربية في اللغات المحلية** مثل لغات **الهـوسا والـولف والمنـاندينيقا والتكرور والسواحيلي** ذلك بجانب توسيع قدرة الحرف العربي لاستعادة كتابة هذه اللغات بها مرة أخرى وبخاصة أن معـظمها بدأت الكتابة بها **بـالحرف الـلاتيني** ، وينهض لتنفيـذ هـذه الأنشطة **معهد الخرطوم لتعليم اللغة العربية** والذي يمنح الدول الإفريقية منحاً للدراسة فيه .

وتعنى المنظمة بانشاء معـاهد وشعب ومـراكز للـدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الإفريقية وتساعد المراكز والمعاهد

كيف تعمل المنظمة ؟

تتكون المنظمة من (مؤتمر عام ـ ومجلس تنفيذي ـ وادارة عامة) .

● **المؤتمر العام** : يتألف من ممثلي الدول الأعضاء برئاسة الوزير الذي تتبعه اللجنة الوطنية للمنظمة . . ويكونون عادة وزراء التربية والتعليم والثقافة . . يجتمع مرة كل سنتين بحيث تتناوب الدول الأعضاء رئاسة المؤتمـر وفقـاً للـترتيب الهجـائي لأسمائها . . واختصاصات المؤتمر هي :

١ ـ تحديد الخطوط الرئيسية لعمل المنظمة ، واتخاذ القرار بشأن الـبرامج الـتي يقدمها المدير العام بالاتفاق مع المجلس التنفيذي .

٢ ـ انتخاب المجلس التنفيذي .

٣ ـ تعيين المدير العام .

٤ ـ الموافقة على مشروع الميزانية .

● **المجلس التنفيذي** : يتكون من ممثل واحد ينتخب في المؤتمـر العـام لمدة عامين لكل دولة عربية عضو في المنظمة . . يجتمع مرتين في الـسنة . . وللمجلس رئيس ، ومقرر ، وأمانة دائمة . . واختصاصاته تشتمل على :

١ ـ إعداد جدول أعمال المؤتمر العام ، ودراسـة بـرامج عمـل المنـظمة ، وتقديرات الميزانية التي يقدمها المدير العام .

٢ ـ متابعة تنفيذ برامج المنظمة .

٣ ـ تنفيذ ما يوكل إليه من مهام .

● **الادارة العامة** : المدير العام هو الموظف الإداري الرئيسي للمنـظمة . . وهو وحده المسؤول أمام المؤتمر العـام والمجلس التنفيـذي عـن جميـع أعمال الإدارة العامة . . واختصاص المدير العام على النحو التالي :

١ ـ إعداد مشروع برنامج عمل المنظمة . . وتقديرات الموازنة لها .

٢ ـ وضع مقترحات بشأن اللوائح والنظم والإجراءات .

٣ ـ القيام بتنفيذ المهام الموكلة إليه . . ومتابعة تنفيذ القرارات والبرامج .

٤ ـ إعداد تقارير دورية عن أعمال المنظمة .

٥ ـ اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتحقيق التعاون الـوثيق بـين أجهـزة المنـظمة وادارتها . وتعتبر الإدارة العامة الهيئة التنفيذية والإدارية للمنظمة . . وتتكون من قطاعات رئيسية . . وأجهزة متخصصة برأس كل واحدة أو أكثر منهـا مـدير عـام مساعد أو رئيس جهاز يكون مسؤولا أمام المدير العام .

الادارات والأجهزة التي تتكون منها المنظمة

- إدارة التربية .
- إدارة الثقافة .
- إدارة العلوم .
- إدارة التوثيق والإعلام .
- معهد المخطوطات .
- إدارة الشؤون المالية والإدارية .
- إدارة مكتب المدير العام .
- الأمانة العامة للمجلس التنفيذي .
- مكتب الوفد الدائم للمنظمة لدى اليونيسكو .
- الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار (جهاز متخصص) .
- مكتب تنسيق التعريب في مدينة الرباط ـ المغرب (جهاز متخصص) .
- معهد البحوث والدراسات العربية (جهاز متخصص) .
- معهد الخرطوم لإعداد متخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (جهاز متخصص) .
- المركز العربي للوسائل التعليمية في الكويت (جهاز متخصص) .
- مركز تدريب ملاكات وقيادات محو الأمية .. وتعليم الكبار في ليبيا .
- مركز تدريب ملاكات وقيادات محو الأمية .. وتعليم الكبار في البحرين .

تمويل المنظمة

تتكون الموارد المالية للمنظمة من :

١ ـ أنصبة الدول العربية الأعضاء التي تحدد على أساس نسبة نصيب كل دولة في ميزانية جامعة الدول العربية .

٢ ـ الحساب الخاص الذي يتكون من الهبات والتبرعات .. ويتكون منه الصندوق الخاص للتنمية الثقافية للبلاد العربية .

العضوية

بلغ عدد الدول العربية الأعضاء في المنظمة عند انعقاد مؤتمرها الأول ثمان دول .. وتصاعد الرقم إلى أن وصل عدد الأعضاء عند انعقاد المؤتمر الرابع ٢٠ دولة عربية .

القائمة في بعض الجامعات وتحرص في المشاركة في التنظيمات والتجمعات العلمية والثقافية والاشتراك في المؤتمرات والندوات الإفريقية .

وقد أقامت المنظمة علاقات مع **منظمة الوحدة الافريقية** ، وبخاصة مع لجنتها التربوية والثقافية والعلمية ، وسيمثل المنظمة من معهد اللغة العربية الدولي في الخرطوم ، إلى حين اكتمال الاجراءات ، لتبادل ممثلين عن المنظمتين في مقريهما .

وتقيم المنظمة علاقات مباشرة مع **الاتحاد الافريقي لتعليم الكبار** ، ومع **اتحاد العاملين في الخدمة الاجتماعية** حيث تحضر اجتماعاتها وتتبادل معها التجارب والمعلومات .

كما يقوم معهد البحوث والدراسات العربية بدراسات متعمقة ومختارة عن إفريقيا حول **العلاقات التاريخية بين العرب وإفريقيا** وحول القضايا الافريقية مثل التعصب العنصري وتجارة الرقيق والأصالة الثقافية لإفريقيا » .

●● ويضيف الدكتور صابر :

« إن المنظمة تقدم العون مباشرة وفي معظم الحالات بالتعاون مع **الصندوق العربي للمعونة الفنية بالأمانة العامة بجامعة الدول العربية** الذي يتحمل الأعباء المالية للأنشطة الثقافية والتربوية أو بالاتصال بالهيئات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية في الوطن العربي ذات الاهتمام بالعلاقات العربية الإفريقية لعدد من الدول والهيئات الثقافية والاجتماعية في إفريقيا ، ونذكر على سبيل المثال من الدول : **جزر القمر ، بوروندي ، زنجبار ، فولتا العليا** . وقد مول الصندوق العربي للمعونة الفنية برامجها وفقاً للدراسات التي قامت بها المنظمة ، ونذكر من المراكز والمجالس الإسلامية ، **المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في كينيا** (ويشرف المجلس اشرافاً كلياً على التعليم الإسلامي في كينيا) ويقوم الصندوق العربي للمعونة الفنية بتمويل خطة بعيدة المدى لتوفير معلمي اللغة العربية والدين الإسلامي هناك . كما أن مشروعات **الاتحاد التقدمي في السنغال** هي قيد البحث والدراسة في المنظمة والصندوق معاً » .

« إن هناك بعض الدول العربية في إفريقيا **كالصومال وموريتانيا والاقليم الجنوبي من السودان** توليها المنظمة عناية خاصة لوضعها الحضاري الفريد من **الثقافة العربية**

الاسلامية فيما يتصل بموضوع **التعريب** كهدف مباشر وعاجل لاحتياجاتها في مجالات التربية والثقافة والعلوم والتدريب والتنمية الاجتماعية ، وقد قدمت العون العاجل لها ، وتقوم الصناديق العربية وبصفة خاصة الصندوق العربي للمعونة الفنية مشكورة بتقديم العون الفعال طويل المدى لهذه المناطق والمنظمة تـوالي الاتصالات بصناديق التنمية العربية وبعض الدول القادرة لتنسيق التعاون وتوفير التمويل للدراسات الفنية التي أعدتها حول قضايا التعليم والتعريب في هذه المناطق ، كما تولي المنظمة عناية خاصة بموضوع **التعريب والتعليم في جيبوتي**» .

نشاطات المنظمة

● في مجال التربية والتعليم ●

● إنشاء المركز العربي للوسائل التعليمية في الكويت بهدف تحقيق التنمية الشاملة لحركة الوسائل التعليمية في الوطن العربي .. والمساعدة على رفع مستوى وتطوير التربية وتمكينها من ملاحقة مسيرة التقدم الحضاري المعاصر .

● إنشاء معهد في مدينة الخرطوم بالسودان لإعداد متخصصين في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بهدف نشر اللغة العربية .

● ضمت المنظمة مكتباً لتنسيق التعريب في مدينة الرباط بالمغرب بهدف تنسيق الجهود التي تبذل للتوسع في استعمال اللغة العربية في جميع مراحل التعليم وأنواعه ، ومواده .. وفي هذا المجال اصدرت مجلة « اللسان العربي » لنشر الدراسة والبحوث المتعلقة بهذا الموضوع .

● قامت بعدة دراسات لمشكلات تعليم اللغة العربية في التعليم العام والفني .. ودراسات أخرى حول المناهج التعليمية المقررة على الطلاب العرب والطلاب اليهود في فلسطين المحتلة .. ودراسة حول نتائج استخدام التليفزيون في التعليم .

● أصدرت في مجال التربية مجموعة كبيرة من المطبوعات حول عدد من قضايا التربية والتعليم .

● وضعت استراتيجية جديدة لمحو الأمية وتعليم الكبار تقوم على نظرة جديدة إلى الأمي .

● في مجال الثقافة ●

● انعقاد المؤتمر الأول للوزراء والمسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية الذي عقد في عمان بالاردن في شهر ديسمبر عام ١٩٧٦ لوضع الخطوط الأساسية لاستراتيجية عربية موحدة لتنمية الثقافة .

● كما عقدت المنظمة في مجال الثقافة مجموعة من المؤتمرات والحلقات واللجان الفنية حول الجوانب المتعددة للثقافة العربية .. اضافة إلى سلسلة مؤتمرات عن الآثار .. ودراسة حول أحرف الطباعة العربية .. وأخرى لاصدار مرجع أساسي عن الطب والصيدلة .. ومجموعة دراسات حول حماية حقوق المؤلف والملكية الأدبية .. وقد نشرت نتائج هذا كله في مجموعة من المطبوعات المتخصصة .

● قامت المنظمة بترجمة عدد من الأعمال الفكرية والإنسانية إلى اللغة العربية .

● اعدت ثلاثة تشريعات على أمل اصدارها في كافة الدول العربية هي : (القانون الموحد للآثار في البلاد العربية) ، (قانون ايداع المصنفات) ، (قانون حق المؤلف والملكية الأدبية) .

● أنشأت معهد المخطوطات العربية لجمع أكبر عدد من صور المخطوطات القيمة النادرة والمبعثرة في أنحاء العالم .. ووضعها تحت تصرف العلماء ، والوفاء بحاجة الباحثين والهيئات العلمية العربية والأجنبية من استنساخ هذه الصور .. ويصدر هذا المعهد دورية متخصصة تعنى بنشر البحوث المتعلقة بالمخطوطات ، والتعريف بما تم تحقيقه ونشره من المخطوطات في مختلف أنحاء العالم .. اضافة إلى النشرة الشهرية « أخبار التراث العربي » .

● في مجال العلوم ●

● ركزت المنظمة اهتمامها على تطوير تدريس الرياضيات ، وعلوم الأحياء ، وتطوير تدريس العلوم المتكاملة .. وتأليف الكتب اللازمة ، ودليل المعلم .. كما نظمت عدداً كبيراً من الدورات التدريبية للمعلمين وللقيادات .. وأصدرت نشرة دورية لتطوير تدريس العلوم والرياضيات .

● أصدرت موسوعة الثروة المائية .. وموسوعة المياه الأرضية .. وهي في سبيلها لاصدار موسوعة رواسب الفوسفات .. وموسوعة تنمية المراعي .. وموسوعة النباتات الطبية .. وأصدرت ثلاثة مجلدات من نشرة المستخلصات العلمية باللغات العربية والانكليزية والفرنسية .

● قامت المنظمة بعقد مجموعة من الدورات التدريبية للاخصائيين من الدول العربية في مجالات التلوث البيئي المختلفة .. وأعدت مرجعاً في التعليم البيئي لمراحل التعليم العام وآخر لمراحل التعليم العالي .. اضافة إلى إعداد مجلد حول الاعتبارات البيئية في مجال العمارة والحلل السكنية .

● عقدت مؤتمرين في مدينة جدة بالمملكة العربية السعودية لتنظيم التعاون بين الدول العربية المطلة على البحر الأحمر شكل على أثرهما مكتب للتنسيق بين هذه الدول .. وتم عقد دورات تدريبية للاخصائيين في علوم البحار .. وقدمت منحاً دراسية للحصول على دبلومات عليا في علوم البحار .

● اهتمت بخطر الزحف الصحراوي فأعدت بروتوكولا للتعاون العربي .

● في مجال المعلومات وتوثيقها ●

● أصدرت تعريب التقنين الدولي للوصف الببليوجرافي مع مجموعة من الملاحق لكي يستطيع المفهرسون والببليوجرافيون العرب تطبيقه في الجانب الوصفي من عملية الفهرسة .

● وضعت خطة عربية جديدة للتصنيف راعت فيها أحدث المناهج والأسس مستفيدة من التجارب العالمية في هذا الشأن .

● وضعت المنظمة قائمة رؤوس لموضوعات علوم الدين الإسلامي اشتملت على أكثر من ١٥٠٠ رأس موضوع .. كما وضعت ببليوجرافيا موضوعية لعلوم الدين الإسلامي صدرت في عدة مجلدات .

● أصدرت دليلاً ببليوجرافياً للمراجع بالوطن العربي لتستفيد منه المكتبات ومراكز المعلومات العربية تشتمل على ما يزيد على ١٧٠٠ كتاب مرجعي ، اضافة إلى الدليل الببليوجرافي للانتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والتوثيق ضم حوالي ٤٠٠٠ مادة .

● تصدر بشكل منتظم « النشرة العربية للمطبوعات » تتضمن المعلومات الكاملة عن الإنتاج الفكري الصادر في جميع أنحاء الوطن العربي .

السعودية تواجه مشكلة .. هل تساعدنا في حلها.

أخي المسافر!

مقعدك محجوز اندفاعك السريع من الاتوبيس

يؤذيك و يؤذي الآخرين .

مع تحيات العلاقات العامة





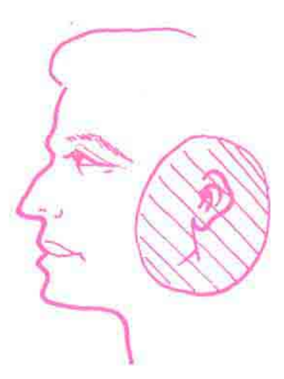
ضرس العقل

آلامــــه.. مشكلاتـــه.. عــلاجــه

بقلم: د. مصباح أحمد قويدر

● شاب راجع العيادة الأذنية بسبب ألم في أذنه اليمنى، فأحاله الطبيب بعد فحصه إلى طبيب الأسنان. وبعد أن فحص الأخير أسنانه، أشار إليه بقلع ضرس العقل في الجهة نفسها حتى يتخلص من ألم أذنه!..

● مريض يشكو من صداع مستمر منذ فترة طويلة، وبعد مراجعة الأخصائيين تبين أن سبب ذلك أضراس العقل!..



★ منطقة انتشار الألم الناتج عن ضرس عقلي علوي منطمر ★

فلماذا يسبب ضرس العقل هذه المشكلات ؟!.

من المعروف أن عدد الأسنان الدائمة عند الإنسان (٣٢) سناً، أي ثمانية أسنان في كل طرف من كلا الفكين العلوي والسفلي. وتسمى على الترتيب بدءً من الأمام وباتجاه الخلف بالمسميات التالية:

الثنية ـ الرباعية ـ الناب ـ الضاحك الأول ـ الضاحك الثاني ـ الرحى الأولى ـ الرحى الثانية ـ الرحى الثالثة (ضرس العقل).

معنى ذلك أن فم الإنسان يحوي أربعة أضراس عقل ما لم يكن أحدها غائباً.

لماذا أطلق عليه هذا الاسم؟

ضرس العقل آخر الأسنان بزوغاً في فم الإنسان، حيث إنه يظهر على الغالب بين سن ٦ ــ ٢٢ من عمر الإنسان ولذلك سمي بهذا الاسم، علماً بأن بزوغه قد يتأخر عن هذا السن. وليس لضرس العقل أي صلة بالعقل.

المشكلات التي قد يسببها ضرس العقل

إن معظم الشباب اليوم يعانون كثيراً من بزوغ أضراس العقل، أو من محاولة البزوغ وانحصارها الجزئي وعدم بزوغها كاملة، أو من فشلها في البزوغ وبقائها منطمرة في عظم الفك. وتأخذ هذه المعاناة أشكالا عدة منها:

١ ـ الألم:

قد يصاحب بزوغ الأسنان عند الأطفال إحساساً بالانزعاج فقط أكثر من كونه ألماً واضحاً. ولكن الألم إنما يحدث غالباً عند بزوغ ضرس العقل عند الكبار. ويوصف هذا الألم من قبل المريض بأنه ألم مبهم أحياناً في المنطقة ذاتها، ويبدأ بدون أية إثارة ويستمر لعدة ساعات. علماً بأن أضراس العقل قد تبزغ بدون أي انزعاج حتى أن المريض لا يشعر بها أبداً.



★ منطقة انتشار الألم الناتج عن ضرس عقلي سفلي منطمر ★

ولكن إذا لم ينجح ضرس العقل في محاولته للبزوغ وبقي منطمراً[1] فقد يسبب ألماً بسيطاً في المنطقة التي يقع فيها ، أو أنه يسبب ألماً شديداً منتشراً إلى ما بعد المنطقة التي تحويه ، وقد ينعكس هذا الألم إلى أذن المريض في الجهة ذاتها[2] ، وربما يختلط بالألم الحاصل من اضطراب وظيفة المفصل الفكي الصدغي وخاصة فيما إذا كان في نفس جهة السن المنطمرة . **ومن الممكن أن يشمل الألم الأسنان العلوية والسفلية جميعها وحتى أنه قد يصل إلى عنق المريض .**

أما عن مدة هذا الألم ، فقد يكون متقطعاً ، وقد يستمر لعدة أيام ما لم يتناول المريض المسكنات لتهدئته .

وقد يأخذ الألم شكلاً عفوياً أو يأتي إثر « تخريش » المنطقة ذاتها أو عند اغلاق الفم والعض على الأسنان . والملاحظ أن هذا الألم لا يتأثر بالحرارة والبرودة ، ولكن يشعر المريض بألم عند الطرق على السن المجاورة لضرس العقل المنطمر .

٢ ـ التواج Pericoronitis :

عندما يبدأ ضرس العقل بالبزوغ تأخذ اللثة المغطية له بالتراجع حتى يصل إلى مكانه الطبيعي في القوس السني . ولكن في بعض الأحيان تبقى اللثة مغطية له ، فتؤمن بذلك مكاناً ملائماً لنمو الجراثيم حيث تتوفر فيه الرطوبة والحرارة والغذاء والظلمة واعاقة وسائل التنظيف الآلية والمطهرات له . . **فتنمو الجراثيم نمواً شديداً وتتكاثر بسرعة مذهلة ، فتبدو المنطقة عندئذ حمراء اللون ومنتبجة** ، وقد يغطي الانتباج جزءً من الرحى الثانية المجاورة ، ويحدث ألم تختلف شدته حسب شدة الالتهاب وحسب شدة الرضّ الحاصل من الضرس المقابل نتيجة الاطباق .

والملاحظ أن هذا الألم يزيد عند اطباق الفم ، **وقد « يترافق » هذا الالتهاب مع ألم في بلعوم المريض ومع صعوبة في المضغ والبلع** نتيجة امتداد الالتهاب إلى النسج الرخوة والألياف العضلية المجاورة ، ويشعر المريض حينئذ بحرارة ورعشة مع تعب عام وانتباج في العقد اللمفاوية الرقبية وتحت الفكية والتي تكون مؤلمة جداً بالجس .

ويلاحظ طبيب الأسنان أن هذه الحالة الالتهابية الانتانية كثيراً ما تصيب ضرس العقل السفلي ، كما أن الضغط على المنطقة الملتهبة يسبب ألماً مزعجاً عند المريض .

٣ ـ امتصاص السن المجاورة :

يحدث امتصاص في السن المجاورة فيما إذا كان ضرس العقل يحدث ضغطاً عليها بسبب اتجاهه غير الصحيح . وقد يؤدي هذا الامتصاص إلى انكشاف لب السن وبالتالي حدوث آلام ناتجة عن ذلك .

٤ ـ عض الخد :

يحدث غالباً بسبب انحصار الخد بين ضرس العقل وبين مقابله ، وخاصة فيما إذا كان وضعه شاذاً ، مما يؤدي إلى حدوث منطقة التهابية في باطن الخد وبمحاذاة ضرس العقل فيشعر المريض بألم في باطن الخد فقط مما يدعوه لمراجعة طبيب أسنانه .

٥ ـ التهاب اللثة :

فكثيراً ما ينصح أخصائي اللثة بقلع ضرس عقل أو أكثر قبل البدء بمعالجة بعض أمراض اللثة المضرة ، وذلك لما له من تأثير على اللثة .

٦ ـ ازدياد تراكت الأسنان :

يحدث ذلك بسبب الضغط الحاصل على الأسنان المجاورة ودفعها وربما ابعادها عن مستوى الاطباق .

٧ ـ الصداع المستمر .

٨ ـ رنين أو طنين الأذن أو التهابها .

أسباب عدم بزوغ ضرس العقل

إن السبب الرئيسي الغالب لعدم بزوغ ضرس العقل بزوغاً طبيعياً هو صغر حجم الفكين العلوي والسفلي عند

إنسان اليوم ، فحجم القوس السني يزيد على حجم الفك مما يعيق بزوغ أضراس العقل في مكانها الطبيعي نظراً لضيق المسافة ولكونها آخر ما يبزغ من الأسنان ، فتبدو في جوف الفم بوضع شاذ ، فقد تتجه نحو الخد أو نحو اللسان مثلاً .

وقد يظهر قسم من ضرس العقل في الفم ويبقى معظمه منطمراً ، أو أنه يبقى منطمراً بشكل كامل داخل العظم ، ويأخذ عندئذ عدة أشكال مختلفة فقد يكون « شاقولياً » أو مائلاً نحو الأمام ، أو مائلاً نحو الخلف ، أو يكون أفقياً أو مقلوباً أو معترضاً (باتجاه الخد أو اللسان) وقد يشترك أكثر من قبل في اتجاه الضرس فيكون مثلاً باتجاه الأمام ونحو الخد .

أما عن سبب صغر حجم الفكين عند إنسان اليوم فيعزى إلى المدنية في العصور الحديثة ، حيث إن معظم غذاء الناس اليوم مطبوخ ولين فلا يحتاج إلى قوة مضغ يقوم بها الفك الإنساني ، وبالتالي يكون نموه أقل من نمو فك الإنسان القديم الذي كان طعامه صلباً ليفياً قاسياً ويستخدم أسنانه أيضاً في أعمال تتطلب القوة .

وهذا ما توصل إليه **الدكتور نودين** Nodine بعد فحصه لفكوك وأسنان المصريين القدامى والأقوام غير المتحضرة في الوقت الحاضر كالبدو والهنود الحمر وسكان الاسكيمو ، حيث لم يجد في فكوكهم أسناناً منطمرة . **وربما يعود صغر حجم الفك إلى العامل الوراثي أو إلى بعض الأمراض كالزهري الولادي والسل واضطرابات الغدد الصم وفقر الدم وسوء تغذية الطفل مما يكون سبباً في عدم نمو الطفل نمواً طبيعياً .**

وقد يكون سبب الانطمار كيساً شمل برعم الرحى الثالثة فحبسها عن البزوغ ، أو وجود سن زائدة في مكان ضرس العقل أعاقت بزوغه .

معالجة ضرس العقل

بعد معرفة وضع ضرس العقل وعلاقته بما يجاوره من نسج وأسنان عن طريق التصوير الشعاعي **تتم المعالجة بقلع السن المقابل أي ضرس العقل المقابل فيما إذا كان هو السبب غير المباشر في التهاب المنطقة بعد شرح ذلك للمريض** . ويعمل على غسل المنطقة بواسطة محاليل مطهرة مع اعطاء الأدوية المضادة للالتهاب ، وكذلك يعطى فيتامين (C) لزيادة مقاومة الجسم للالتانات . وإذا قرر الطبيب قلع ضرس العقل المسبب فيتم ذلك بعد زوال الأعراض الحادة .

ويمكن أن يتركه الطبيب فيما إذا توقع أن يأخذ الضرس مكانه الصحيح في القوس السني . ويمكن أيضاً قطع الشريحة اللثوية المغطية لضرس العقل بواسطة مشرط يدوي أو كهربائي ، بل إن طبيب الأسنان قد يقرر أحياناً قلع ضرس العقل المقابل فيما إذا لم تظهر له أية فائدة من الناحية الوظيفية .

الوقاية :

مراجعة طبيب الأسنان عند الشعور بأي ألم أو حس مزعج ، والأفضل تطبيق المبدأ الوقائي الذي يدعو لزيارة طبيب الأسنان مرة كل ستة أشهر لفحص الفم والأسنان وتقديم العلاج السريع ولاتخاذ التدابير الوقائية اللازمة .

مراجع البحث

ـ أمراض الفم الجراحية **د .عبد الاله طلمات**

- Toothache and Related Pain . J.M.Mumford
- Oral Roentgenographic Diagnosis . E.C.Stafne

الحواشي

(١) السن المنطمرة : السن التي منع بزوغها بتأثيرات مختلفة .

(٢) انظر الشكل .


٦٤٤٤٤٤٤
تهامة
TIHAMA
تود
مؤسسة
تهامة
للإعلان والعلاقات العامة
وأبحاث التسويق
أن تسترعي الانتباه .. إلى أنه .. في إطار
التغييرات التي جرت في أرقام الهاتف
بمنطقة جدة أصبح الرقم الموحد لمركزها
الرئيسي بجدة .. وفرع تهامة بجدة أيضاً
٦٤٤٤٤٤٤ (٢٠ خطاً)
بدلاً من الرقم السابق ٤٠٠٠٠
كما أن الرقم الموحد لفرع تهامة بالرياض
قد أصبح ٤٧٧١٠٠٠ (عشرة خطوط)
أما بالنسبة للفروع والمكاتب في المملكة
فيرجى مراعاة تعليمات إدارة الهاتف عند الطلب.
مع وافر التقدير.

ميتسوبيشي اليكتريك

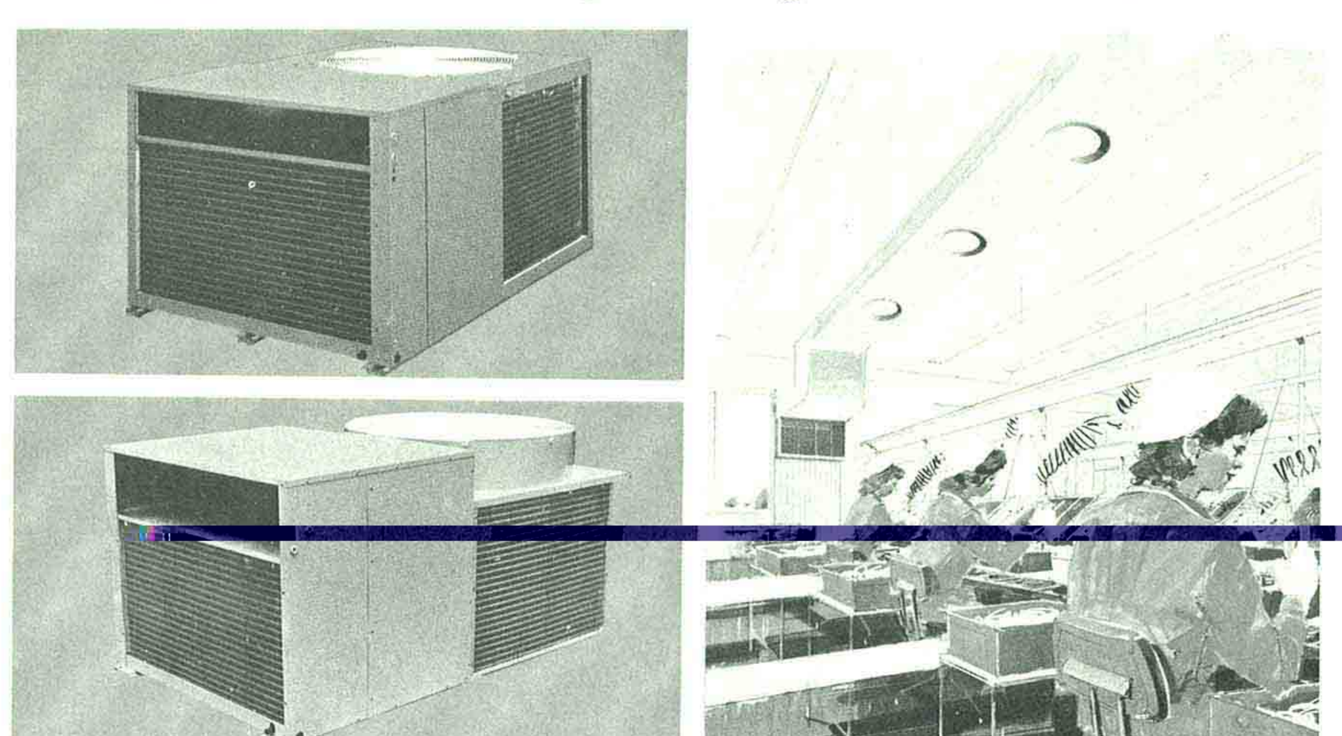
اسم يستحق ثقتكم في مجال التبريد

وبجانب وحدات الشبابيك المألوفة

نحن نقدم مجموعة من :-

الأجهزة الصامتة ذات القطعتين وأجهزة التكييف المركزي

وكلها تمتاز بـ كفاءة عالية - أسعار منافسة - خدمة تامة وضمان شامل



للمعلومات إتصلوا بـ : وكالة ميتسوبيشي اليكتريك

الشركة السعودية للألكترونيات

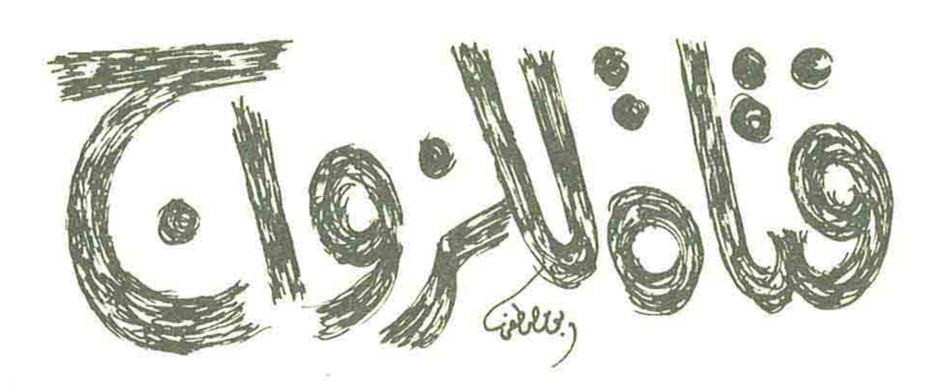
الرياض : ت ٣٩١٩٢ - ص.ب ٦٢١٤ عمارة الرصيص الجنوبية - شارع الملك فيصل

جدة : ت ٢٦٨٥٨ - ص.ب ٦٥٩٢ عمارة البنك الأهلى - طريق مكة - كيلو (١)

الدمام : ت ٢٨٣٤٤ - ص.ب ٢٨٤٠ الشارع ١٥ من الشارع العام - خلف سوق السمك



للكاتب : أوجين يونسكو
ترجمة : فتحي العشري



★ السيدة : **يمكنني أن أقول لك إن ابنتي كانت متفوقة في دراستها ..**

— **الرجل :** هذا ما لم أكن أعرفه ولكني كنت أتوقعه .. كنت أعلم فقط أنها فتاة شجاعة ..

★ السيدة : **لم يكن عندي ما أشكو منه ، كما هو الحال عند الكثيرين من الأهالي ، فقد أرضتنا دائماً ..**

— **الرجل :** هذا شرف لكما ، فقد نجحتما في تربيتها ، لأن الطفل المثالي نادر الوجود خاصة في عصرنا هذا ..

★ السيدة : **حقاً !**

— **الرجل :** في زماننا كان الأطفال أكثر طاعة وأكثر حباً لأبويهم .. كانوا يقدرون تضحياتهما وهمومهما ومشاكلهما المادية .. لكن من الأفضل أن يجهلوا مثل هذه الأمور ..

★ السيدة : **حقاً ! .. كانوا أيضاً أكثر ..**

— **الرجل :** كانوا أيضاً أكثر عدداً من الآن ..

★ السيدة : **حقاً ! .. يبدو أن عدد المواليد ينخفض في فرنسا .**

— **الرجل :** هناك ارتفاع وانخفاض . أما نسبة المواليد الآن فتميل للارتفاع .. ولكن لا يمكن أن تعوض هذا سنوات القحط .. لا يمكن قول ذلك !

★ السيدة : **كلا بالطبع .. عندك حق .. تخيل !**

— **الرجل :** نعم ، إن تربية الصغار في وقتنا هذا من الأمور البالغة القسوة ..

★ السيدة : **حقاً ! أنا لا أدري بذلك .. إن تكاليف الحياة في ارتفاع مستمر .. إننا نحتاج إلى كل شيء الآن ، كل شيء نحن في حاجة إليه الآن ..**

— **الرجل :** ما هو مصيرنا ؟ .. إن الحياة الإنسانية وحدها هي الشيء الأرخص اليوم ..

★ السيدة : **حقاً ! .. هذا صحيح .. إنك فعلاً على حق ..**

— **الرجل :** الزلازل وحوادث السيارات والطائرات وكل أنواع المركبات والآفات الاجتماعية والانتحار والقنبلة الذرية ..

★ السيدة : **أوه ! أما هذه .. يبدو أنها قد غيرت طبيعة الجو ، فلم نعد نعرف فصول السنة ، لقد قلبتها رأساً على عقب ! .. وهناك أشياء أخرى .. أتدري ماذا يقول الناس ؟!**

— **الرجل :** أوه ! يقولون أشياء كثيرة .. ولكن لو صدقنا كل ما يقوله الناس ! ..

★ السيدة : **هذا صحيح ، فلن تنتهي أبداً .. حقاً ! فالجرائد تكذب وتكذب وتكذب ..**

— **الرجل :** إفعلي مثلي يا سيدتي ولا تثقي بأحد مطلقاً ، ولا تصدقي شيئاً ولا تتركيهم يملأون رأسك ..

★ السيدة : **حقاً ! .. من الأفضل ألا أتركهم يملأون رأسي .. أنت خير ناصح ..**

ـ **الرجل :** أوه ! إني أتمتع بقليل من الفطنة ، هذا كل ما في الأمر ..

★ السيدة : **ولكن الجميع لا يستطيعون أن يفعلوا مثلك !**

ـ **الرجل :** والآن يا سيدتي ، هل ترين ، فالكل يبحث عن التسلية والملذات والانفعالات .. السينا والإذاعة والتليفزيون والأسطوانات والمجلات وركوب الطائرات ، هذا فضلاً عن الضرائب ..

★ السيدة : **نعم ! هذا كلام في موضعه ..**

ـ **الرجل :** والسجون والشوارع الرئيسية والتأمينات الاجتماعية وكل شيء ، كل ما ..

★ السيدة : **حقاً ! .. حقاً ! ..**

ـ **الرجل :** .. كل ما يجعل للحياة الحديثة سحراً ، كل هذا قد غير الإنسانية إلى الحد الذي جعل التعرف عليها مستحيلاً ..

★ السيدة : **وهذا ليس في صالحها .. حقاً !**

ـ **الرجل :** ولكن التقدم المضطرد لا يجدي ..

★ السيدة : **صحيح !**

ـ **الرجل :** في التقنية ، في العلوم التطبيقية ، في الميكانيكا ، في الآداب والفنون ..

★ السيدة : **نعم ، بكل تأكيد .. وينبغي أن نكون عادلين ، فإن الظلم شيء فظيع ..**

ـ **الرجل :** يمكننا أن نصل بالقول أيضاً إلى أن الحضارة تتطور بلا انقطاع في اتجاه سليم ، وهذا بفضل الجهود المشتركة لجميع الأمم ..

★ السيدة : **هذا صحيح ، وكنت على وشك أن أقول ذلك ..**

ـ **الرجل :** فكم من مسافات قطعناها منذ كان يعيش أجدادنا في الكهوف ، يفترسون بعضهم البعض ويتغذون بجلود الخرفان .. يا له من مشوار طويل قطعناه ..

★ السيدة : **أوه .. حقاً ! .. حقاً ! .. والتدفئة يا سيدي ، ماذا عن التدفئة ؟! هل كانت توجد تدفئة في الكهوف ؟!**

ـ **الرجل :** انظري يا سيدتي العزيزة ، عندما كنت غلاماً ...

★ السيدة : **يا لها من مرحلة سعيدة .. كم هي سعيدة هذه السن ! ..**

ـ **الرجل :** كنت أعيش في الريف .. ولا زلت أذكر .. كنا ندفئ أنفسنا بحرارة الشمس ، صيفاً وشتاءً ، وكنا نضيء بيوتنا بالنفط .. كان أرخص في ذلك العهد من اليوم .. وأحياناً كنا نضيء بالشموع ..

★ السيدة : **وذلك ما يحدث حتى الآن ، عندما ينقطع التيار الكهربائي ..**

ـ **الرجل :** إن الآلة أيضاً ليست كاملة ، فلقد اخترعها الإنسان وبالتحديد الرجل ، ولذلك ففيها كل نقائصه !

★ السيدة : **أوه ! لا تحدثني عن نقائص الرجال ، إني أعرف جيداً .. فالرجال ليسوا أفضل من النساء ، الكل سواء ، ولا مجال للمفاضلة أو الاختيار ..**

ـ **الرجل :** مفهوم .. ولكن لماذا يطلب من الرجل أن يؤدي جهداً تعجز الآلة نفسها عن تأديته ؟!

★ السيدة : **أعترف بأني لم أفكر في ذلك قط .. أما إذا فكرت في الأمر جيداً فإني أرى أن ذلك يحدث فعلاً ..**

ـ **الرجل :** سيدتي ، إن مستقبل الإنسانية في الغد .. ولكن العكس هو الصحيح بالنسبة للحيوان أو النبات .. ولا ينبغي أن نتصور أن الآلة ستحل محل الإنسان وأننا لن نبذل أي جهد في المستقبل ..

★ السيدة : **أنا لم أقل ذلك ..**

ـ **الرجل :** كنت أقول إن الإنسان هو أرق الآلات الإنسانية .. فالإنسان هو الذي يدير الآلة ، لأنه هو العقل !

★ السيدة : **قول جميل !**

ـ **الرجل :** أما الآلة فهي الآلة .. إلا إذا استثنينا الآلة الحاسبة التي تحسب وحدها ..

★ السيدة : **هذا صحيح .. فهي تحسب تلقائياً .. قولك في منتهى الصواب ..**

ـ **الرجل :** وما هذا إلا استثناء يؤكد القاعدة .. فمنذ برهة كنا نتحدث عن النفط والشمع ، أيامها كنا نشتري البيضة بمليم واحد وليس أكثر ..

★ السيدة : **غير معقول !**

ـ **الرجل :** صدقيني ..

★ السيدة : **لا أشك في قولك ! ..**

ـ **الرجل :** كنا نتناول العشاء بعشرين مليماً .. ولم يكن الطعام يكلفنا كثيراً في ذلك الوقت ..

★ السيدة : **لقد تغيرت الأحوال الآن ..**

ـ **الرجل :** كنا نشتري الحذاء الجيد بثمن لا يتجاوز العشرين قرشاً .. إن شباب اليوم لا يعرف ذلك ..

ولد «**أوجين يونسكو**» في **سلاتينا برومانيا** يوم ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩١٢م .. تردد بين الدراسة الدينية والدراسة العسكرية .. لكنه التحق **بجامعة بوخارست** ليدرس الأدب الفرنسي وفاء لأمه الفرنسية .. واتجه إلى المسرح في سن متأخرة (٣٧ سنة) عن طريق المصادفة .. كتب «**المغنية الصلعاء**» سنة ١٩٤٩م، ثم «**الدرس**» سنة ١٩٥٠م، وعرضت المسرحيتان على مسارح الجيب ففشلتا فشلاً ذريعاً وهوجمتا من النقاد هجوماً حاداً وعنيفاً .. ولكن يونسكو سرعان ما عرف مع «**بيكيت**» كأهم كاتبين لما سمي بمسرح الطليعة أو مسرح العبث واللامعقول ..

وابتداءً من عام ١٩٥٤م، وبعد أن قدم «يونسكو» مسرحيته الثالثة «**إميديه**» لم تتوقف المسارح عن تقديم عروض له سواء في فرنسا أو خارجها ولم تتوقف المطابع عن طبع مسرحياته في لغتها الفرنسية واللغات المختلفة التي تترجم إليها وعن طبع الدراسات العديدة التي تتناوله هو ومسرحه بالتقييم والتحليل ..

وقد كرمته «**فرقة الكوميدي فرانسيز**» العريقة فقدمت في سنة ١٩٦٦م، مسرحيته الكبيرة «**الجوع والعطش**» التي أخرجها «**جان ـ ماري سورو**» أحد كبار المخرجين في فرنسا اليوم .. كما كرمته الدولة الفرنسية فمنحته **جائزة المسرح الكبرى** في أول عام لها، عام ١٩٦٩م ..

أما مسرحيته الأولى ومسرحيته الثانية فيقدمها «مسرح الجيب» في عرض واحد منذ أكثر من عشر سنوات بلا انقطاع ..

يقول «يونسكو»: «**لا شيء يضحك كل شيء يبكي .. لا شيء يبكي كل شيء يضحك**» .. وهكذا يصور شخصيات مسرحياته .. إنه يصورها تصويراً كاريكاتيرياً على الرغم من أنها جادة تماماً فيما تفعل وتقول .. وسواء كان ما تفعله حركات هازلة أم أن ما تقوله عبارات ضاحكة وساخرة .. فالإمعان في الجد إزاء شيء هزلي يعطي إحساساً أعمق بالمهزلة ..

ويرى «يونسكو» أن التمثيل ما هو إلا صورة للشخصية وليست الشخصية نفسها .. وعلى هذا فليس من الضروري أن يقوم بدور الفتى ممثل شاب ويقوم بدور العجوز ممثل طاعن في السن .. بل من الأفضل أن يحدث العكس تماماً، حتى يعطينا هذا الممثل أو ذاك صورة الشخصية التي يقوم بها وليست شخصيته هو .. بل يذهب «يونسكو» إلى أكثر من ذلك عندما يجعل الرجل ممثلاً لدور المرأة، كما في مسرحيته «الدرس» وفي هذه المسرحية «**فتاة للزواج**» ..

ويؤكد «يونسكو» أن مفتاح العمل الفني لمسرحياته هو إدراك الجو الذي تعيش فيه الشخصيات وهو «**لا واقع الواقع**» ـ على حد تعبيره ـ مع عدم الاهتمام بقواعد المسرح التقليدي ..

أما النقاد فقد لاحظوا أن مسرحيات يونسكو كلها تدور حول محورين أساسيين لا ثالث لهما .. «مأساة اللغة» و «انعدام الاتصال» .. ذلك أن اللغة التي تستخدمها شخصياته المسرحية تبدو عقيمة، غير محددة المعاني وقد تحمل كلماتها أكثر من معنى، بحيث تتحول إلى موصل رديء للتفاهم، مما يؤدي في النهاية إلى سوء التفاهم وسوء الفهم بل وإلى نتائج عكسية وسيئة .. كذلك تحيا شخصيات يونسكو المسرحية منفصلة داخل ذواتها بعد أن انعدم الاتصال والتواصل بين بعضها البعض، فكل شخصية تحيا حياتها وحدها وتجتر ذكرياتها وحدها وتنفث أفكارها الخاصة بها وتغزل أحلامها التي تحلم بها بعيداً عن الآخرين ..

هكذا رأينا تلميذة (الدرس) و (المغنية الصلعاء) والكاتب الفاشل (إميديه) والزوج المعذب في (**ضحايا الواجب**) والزوجان الوحيدان في (**الكراسي**) والملك في (**الملك يموت**) والإنسان الوحيد في مدينة (**الخرتيت**) والإنسان الغريب في (الجوع والعطش) والفتاة الرجل في هذه المسرحية (فتاة للزواج) ..

ولا شك في النهاية أن معرفة الكاتب أي كاتب والتعرف عليه، إنما تأتي في المقام الأول من قراءة إنتاجه .. وهذه المسرحية القصيرة تمثل ـ على قصرها ـ أدب يونسكو المسرحي وجانباً كبيراً من فكره الفلسفي أيضاً ..

(المترجم)

★ السيدة: **إنه لا يدرك مدى السعادة التي يعيش فيها! إن الشباب ناكر للجميل، جاحد ..**

ـ **الرجل**: كل شيء الآن قد زاد ثمنه ألف مرة، فهل يمكننا القول بأن الآلة اختراع طيب وأن التقدم شيء جيد؟!

★ السيدة: **بالطبع لا!**

ـ **الرجل**: سوف تقولين أن ثمة تقدماً سلبياً وتقدماً خاطئاً ..

★ السيدة: **لا .. لا!! لا يمكنني قول ذلك ..**

ـ **الرجل**: ولم لا؟! يمكنك قوله، فهذا حقك!

★ السيدة: **موافقة!**

ـ **الرجل**: إني أحترم كل الآراء .. فأفكاري ليست جامدة .. الثورة الفرنسية مثلاً ووليم الثاني وعصر النهضة ولويس الرابع عشر وكم من تضحيات عديدة أخرى، لم تضع هباءً! لقد دفع الإنسان غالياً ثمن حريته ..

★ السيدة: **حقاً! .. فنحن أصحاب هذه الدنيا، ولا ينبغي أن يضايقنا أحد في بيتنا ..**

ـ **الرجل**: جان دارك! .. ألم تسألي نفسك ما الذي يمكنها أن

تقوله جان دارك إذا ما رأت كل هذا ؟!

★ السيدة : **سألت نفسي أكثر من مرة هذا السؤال ! ..**

ـ **الرجل :** هي التي كانت تسكن كوخاً بالياً .. هل كان يمكنها التعرف على هذه التغيرات ، حتى بالإشارات اللاسلكية ؟!

★ السيدة : **أوه ! بالطبع لا .. لم تكن لتتمكن من ذلك !**

ـ **الرجل :** ربما !

★ السيدة : **حقاً ! .. ربما ! .. على الرغم من كل شيء ..**

ـ **الرجل :** كلما تذكرت أن الإنجليز الذين أحرقوها حية هم الذين صاروا فيما بعد حلفاءً لنا ..

★ السيدة : **من كان يصدق ذلك ! ..**

ـ **الرجل :** وهناك أيضاً إنجليز طيبون !

★ السيدة : **وهناك أيضاً إنجليز أشرار ..**

ـ **الرجل :** هل تعتقدين أن كورسيكا أسعد حالا ؟!

★ السيدة : **لم أقصد ذلك ..**

ـ **الرجل :** ولكن أهل كورسيكا يفعلون شيئاً على الأقل !

★ السيدة : **شر لا بد منه !**

ـ **الرجل :** الشر لا يمكن أن يكون ضرورياً !

★ السيدة : **موافقة !**

ـ **الرجل :** (يهب واقفاً) سيدتي لقد نطقت الآن بكلمات عظيمة ، تستحق أن تدون كالحكم المأثورة .. اسمحي لي أن أهنئك .. ها هو وسام الاستحقاق .. (يعلق شارة على صدرها)

★ السيدة : (وكلها خجل) **ولكني يا سيدي ، لست سوى سيدة في نهاية الأمر .. إلا إذا كنت صادقاً !**

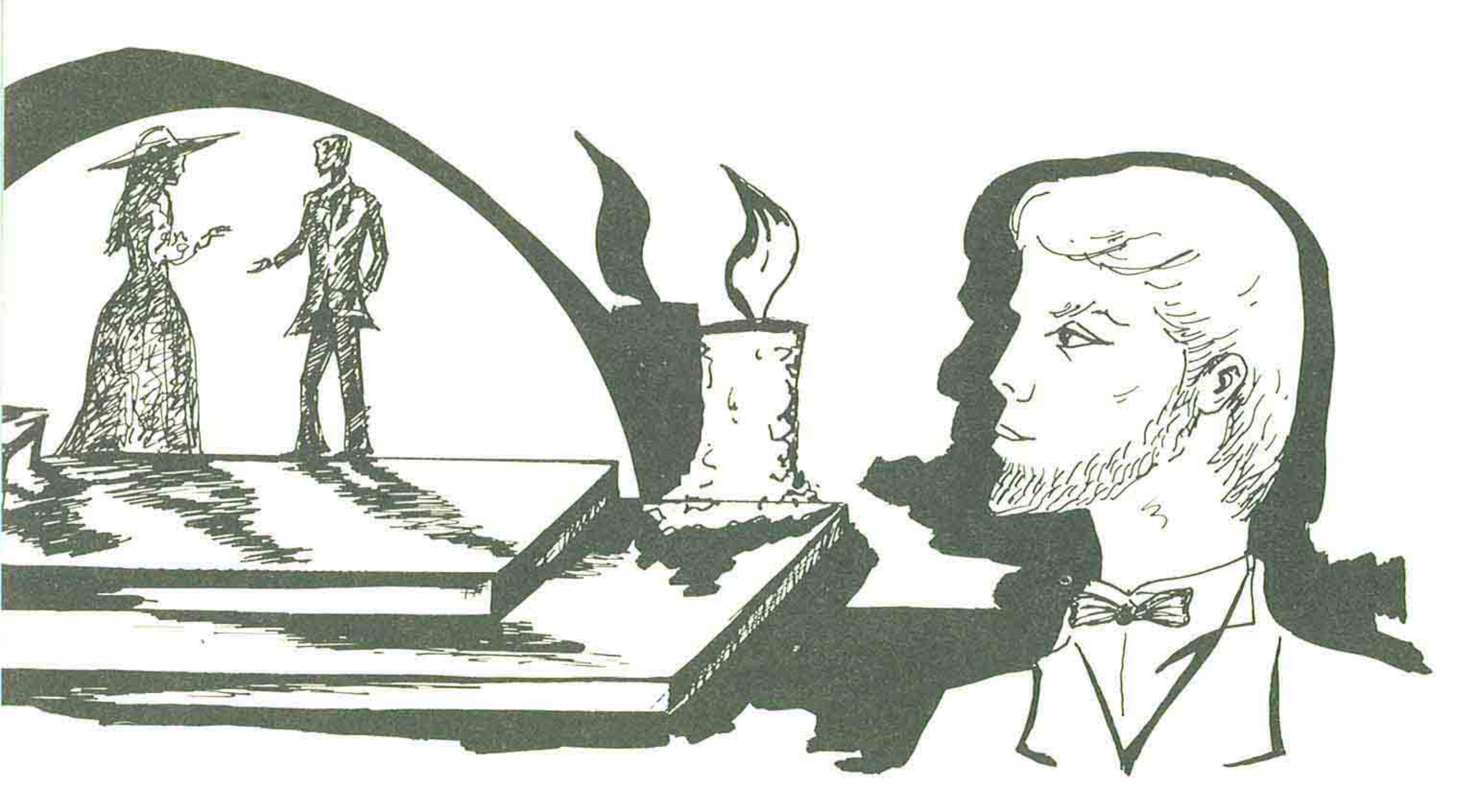
ـ **الرجل :** أؤكد لك ذلك يا سيدتي .. فالحقيقة تنبع من العقل ، أياً كان هذا العقل ..

★ السيدة : **أوه ! أنت تجاملني !**

ـ **الرجل :** (يعود للجلوس) سيدتي ، لقد لمست النقطة الحساسة ، ولا سيما الرذيلة الأساسية في مجتمعنا هذا ، تلك الرذيلة التي أمقتها .. ومع هذا فإني لا أرغب في التوصل إلى حل تضامني مع هذا المجتمع .. ولا أرغب في الوقت نفسه الانفصال عنه ..

★ السيدة : **هذا لا يصح ..**

ـ **الرجل :** إن مجتمعنا يا سيدتي لم يعد يحترم أي مهنة .. انظري إلى هجرة أهل الريف إلى المدن ..



★ السيدة : **نعم يا سيدي إني أنظر ..**

ـ **الرجل :** .. وبما أنه لا يحترم المهن ، فهو لم يعد يحترم بـالطبع الإنسان !

★ السيدة : **حقاً ! .. أنت على حق ! ..**

ـ **الرجل :** ربما لم يعد الإنسان قادراً على فرض الاحترام !

★ السيدة : **ربما !**

ـ **الرجل :** ولكن علينا أن نحترم الصغار على الأقـل ، لأنـه إذا لم يعد هناك أطفالا ، فإن الجنس البشري سيتعرض للفنـاء بعـد وقـت قصير ..

★ السيدة : **هذا ما كنت أفكر فيه الآن ..**

ـ **الرجل :** لأننا قد نصل إلى عدم احترام كلمة الشرف !

★ السيدة : **فظيع ! ..**

ـ **الرجل :** وما يزيد من فظاعة الأمر أن الكلمة مقدسة ولا ينبغي أن نسخر منها ..

★ السيدة : **أشاركك الرأي تماماً ، ولهذا السبب بـالذات أردت أن تتعلم ابنتي تعلماً قويماً وأن تحصل على وظيفة محترمة حتى تكسب عيشها بشرف وبفضل جهدها وحده ، وحتى تتعلم كيف تحترم الآخرين ، انطلاقاً من احترامها لنفسها ..**



ـ **الرجل :** خير ما فعلت .. وماذا تعلمت ؟!

★ السيدة : **أتمت دراستها العليا .. وكنت أحلم دائماً بـأن أجعل منها كاتبة .. وها هي الآن قـد حصلت على شهادتها وسوف تتعاقد في القريب على عمل مناسب ..**

ـ **الرجل :** لا بد أنك فخورة بها !

★ السيدة : **هي نفسها ترقص من الفـرحة ليـل نهـار .. فلقد أجهدت نفسها في الاستذكار .. صغيرتي المسكينة !**

ـ **الرجل :** وها هي الآن تحصل على المكافأة ..

★ السيدة : **لم يعد إلا أن أجد لها زوجاً مناسباً ..**

ـ **الرجل :** حقاً ! يبدو أنها فتاة طيبة !

★ السيدة : (تنظر في الكواليس) **أوه ! هـا هـي قـادمة .. دعني أقدمها لك .**

(تدخل ابنة السيدة ، فإذا به رجل في الثـلاثين مـن عمـره ، قـوي البنية ، واضح الرجولة ، له شارب أسود ويرتدي حلة رمادية)

● الفتاة الرجل : طاب صباحك يا أمي .. (يتضح أن صوته قـوياً يشير إلى رجولة كاملة .. يقبل أمه)

★ السيدة : **اذهبي لتحية السيد ..**

● الفتاة الرجل : (يؤدي حركة الانحناء التقليدية) طـاب صبـاحك يا سيدي ..

ـ **الرجل :** طاب صباحك يا صغيرتي ! (للسـيدة) إنهـا مـؤدبة حقاً .. كم تبلغ من العمر ؟

★ السيدة : **ثلاثة وتسعين عاماً !**

ـ **الرجل :** لقد بلغت إذن سن الرشد ..

★ السيدة : **كلا .. إنها مدينة لنا بتسعين عـاماً ، ولا يبق لها إلا ثلاثة عشر عاماً ..**

ـ **الرجل :** سوف تمضي هـذه الأعـوام بنفس سرعـة الأعـوام الأخرى .. أوه ! (للفتاة الرجل) لا زلت إذن قاصر ؟!

● الفتاة الرجل ، (بصوت مرتفع جداً) نعم ، لـكل قـاصر مـن يزيدها قصوراً ..

(الرجل والسيدة ينهضان مفزوعين .. يتبادل الثلاثة نـظرات دهشـة بينما تضم السيدة يديها ..)

(ستار)



بقلم : محمد المجذوب

الحل

لم يدر كم من الوقت قد مر عليه وهو غارق في هذه الغمرة من التأمل العميق . .

لقد عاد (أبو مرشد) من صلاة الفجر ليستأنف غفوته التي ألف العودة إليها في مثل هذا الموعد من كل صباح ، إلا أنه لم يستطع استعادتها حتى الساعة ، على الرغم من بذله الجهد في طلبها .

وكان من عادته إذا استعصى عليه النوم لأمر ما ، أن يعمد إلى بعض ما يحفظ من قصار السور ، فيشغل بها لسانه حتى يغيب عن الوعي . ولكن ذلك لم يجده اليوم ، إذ استعاد كل ما يحفظ أكثر من مرة دون مردود . . لذلك لم ير بداً من الاستسلام للواقع ، وترك لخياله أن ينتشر في كل اتجاه ، وقد ساعد خياله على ذلك كونه في يوم الجمعة ، وهو موعد عطلته الأسبوعية التي يفرغ فيها إلى نفسه ، فيقضي بعضها في تلاوة القرآن الكريم ، عقيب ركعات الضحى ، حتى إذا حان وقت خروجه إلى المسجد تهيأ له بالغسل والطيب ، ومضى مع أولاده الثلاثة حتى يأخذوا أمكنتهم المعتادة على يمين المنبر قبل أن تطوي ملائكة الجمعة صحفها .

ومضت الذكريات تتراءى له متزاحمة متداخلة ، وكأن كلا منها يريد أن يتقدم غيره ليكون الأثير في عملية التفكير .

ولقد وجد (أبو مرشد) متعة غير يسيرة في مراقبة هذه الصور التي كانت تتواثب من هنا وهناك ، أشبه بحركة الفقاعات الهوائية وهي تتصاعد من قاع الكأس . . . فلا يتمالك أن يستجيب لمؤثراتها المختلفة ، فيضحك لهذه حتى يكاد يقهقه ، ويعبس لتلك حتى يوشك أن يصرخ بالاحتجاج ، ويأخذه العجب من هاتيك حتى ليتساءل في دهش : « وكيف حدث هذا » ؟

وفجأة ألفى نفسه مشدود الفكر إلى مشاهد من حياته ، مستمرة الحلقات حتى هذه اللحظة . . وكان أولها مشهد والده وهو متربع فوق « زربيته » الوثيرة في وسط الدكان يستقبل زبائنه من أهل (البلد) والوافدين عليها من أطراف البادية . . . فيرحب بهؤلاء وأولئك ، ويتحدث إلى كل منهم في الشأن الذي يريد . . ثم لا يلبث أن يعقب ذلك المشهد منظر أبي مرشد نفسه ، وقد ورث مكان والده وعمله في ذلك الدكان . . **ومن ثم جعل يتابع تطورات ذلك العمل ، فيشاهد تجارته وهي تتسع وتتمدد حتى يضيق بها المكان ، فيتخذ لها أمكنة أخرى في معزل عن السوق ، يودعها الفائض من السلع .**

وتعبر به صور الحقول التي ضمها إلى إرثه من أبيه ، وهي مائجة بالنخيل والبرسيم ، وأنواع البطيخ الأحمر والأصفر . . ووراء ذلك قطعان الإبل والغنم يكاد يخطئ حسابها ، وقد انتشرت هنا وهناك عند شركائه من البدو . . حتى تستقر تصوراته أخيراً على هاتيك الآلاف من الدنانير الذهبية التي اقترضها منه الحاكم وأعادها إليه قبل سنوات .

ويستشعر (أبو مرشد) نشوة لاذة تسري في أعصابه كلها ، وهو يتابع هذا الشريط السار من حياته ، التي ما توقفت عن مسيرتها الصاعدة حتى الآن . . . فتمتم في غبطة بالغة : « **الحمد لله على نعمه التي لا تحصى** » .

وسرعان ما يتفتق ذكر النعم في خيال (أبي مرشد) عن مشاهد أخرى من ذلك الشريط ، فإذا هو تلقاء ألوان من الفرص محملة بألوان من الخيرات لم يحلم هو ولا غيره في هذا البلد ببعضها فضلاً عن مثلها .

لقد بدأ كل شيء يتحرك في طريق النمو . . المال ، والعمران ، وأصناف المتع وكل جديد من التطور ، الذي فجره تدفق البترول في عهده الجديد . . . ومن حق (أبي مرشد) أن يتوقع لتجارته وزراعته من هذا التطور بنصيبه الملائم ، ولا سيما أنه لا يباشر عملاً جديداً يتطلب الوقت الطويل لتأسيسه وتركيزه ، بل يوافيه هذا التطور وهو على أتم الأهبة لاستقباله بما يناسبه من المراس والخبرة .

ولكن . . . ما باله ينسى العبء الثقيل الذي يلقيه هذا التوفيق الكبير على عاتقه !

إنه ليذكر جيداً اهتمام والده بتفقد أمواله ، وحسبان ما له وما عليه ، كلما أوشك هلال رمضان على الإطلال ، فلا يكاد يحتويه الشهر حتى يكون قد حدد ما للفقراء والمساكين في ذمته من حقوق . . ولكنه لا يذكر أنه تجاوز في زكواته حدود ألف ريال في أي سنة .

وهكذا بدأ هو بعده فما كاد يجاوز حدود هذا المقدار إلا قليلاً طوال العشرين عاماً التي تلت وفاته . . ثم ما لبث هذا الاستحقاق أن أخذ سبيله في التمدد حتى ليبلغ اليوم الرقم الذي لا يكاد يطيق تصوره ، فضلاً عن تأديته . فما أعجب هذه الفريضة تلاحق صاحب المال في كل خطوة ، فكل زيادة في ربحه تتبعها زيادة في واجباته من غير تقدير لما يكلفه ذلك من نصب ، وما يستتبعه من متاعب .

وبغير قصد منه وجد نفسه يتساءل : أليس ثمة من سبيل إلى



التخفيف من هذا العبء ؟ . .

ولكن الجواب على هذا التساؤل يقتضيه علماً لا يتوافر لمثله وليس هو من أهله ، على الرغم من أنه من **المواظبين على مجالس المسجد التي يعقدها الأئمة عقيب كل صلاة ، إذ يقرؤون على الناس ما تيسر من الأحاديث الشريفة دون أن يتناولوها على الغالب بأي تفسير** . ولذلك ، وعلى الرغم من بلوغه حتى اليوم نهاية العقد السابع ، لا يكاد يعرف من علوم الدين سوى ما يصحح به عباداته من صلاة وصيام وحج وعمرة . . والضروري الذي لا مندوحة عنه من معرفة الحلال والحرام في شؤونه اليومية . .

وعلى هذا فلا بد له من الرجوع إلى بعض أهل العلم في استيضاح ما يبغيه من جواب شاف لسؤاله المعقد . . ولكن . . هل تواتيه الجرأة على مواجهة أحدهم به ؟! وماذا سيقولون عنه سوى أنه يريد التحايل على حق المساكين والمحرومين في ماله . .

وبغتة طرق سمعه قرع على الباب خفيف لم يلبث أن قطع عليه حبل تصوراته ، ثم تلى صوت ابنه مرشد يلقي عليه التحية وهو يقول : الماء الساخن في انتظارك . . وقد حان موعد الانطلاق للصلاة .

ولم يتردد فانتصب قائماً وهو يسبح لله ، ويدعو لولده بحسن الجزاء على تنبيهه وتذكيره .

****

كان المسجد على سعته غاصاً بالوافدين لصلاة الجمعة ، وكثير منهم قدموا من الضواحي المحيطة بالبلد ، وقد اختلطت الأصوات ترتل آي الكتاب في دوي يشبه أزيز النحل وهو يحوم حول العشرات من الخلايا .

وبصعوبة وجد أبو مرشد وأولاده الثلاثة مكاناً لهم في مواجهة المنبر ، وبعد أداء الركعتين المسنونتين لتحية المسجد ، تناول كل منهم مصحفاً من الحامل القابل له ، وسرعان ما غرقوا في الموجة الغامرة من التلاوة الشاغلة كل قارئ عمن حوله .

وشاء الله أن يكون أول ما يطالعه من مصحفه قوله تعالى من سورة التوبة **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾** ، فإذا هو جامد البصر على هاتين الآيتين ، لا يكاد يفرغ منهما حتى يعاودهما ، وما كان بحاجة إلى مفسر يوضح له مضمونهما ، إذ سبق له أن استمع إلى خطيب هذا المسجد يكشف للسامعين ما غمض عليهم من تلك المعاني .

ولا يزال يذكر ما قصه عليهم يومذاك من شأن هؤلاء الأحبار والرهبان ، الذين خانوا أمانة الله ، فبدلا من أن يأخذوا بأيدي الناس إلى التعاون على البر والتقوى جعلوا يبتزونهم أموالهم ليحتكروها لأنفسهم ، وليحرموا منها أولي الفاقة من عباد الله . . ولذلك يحذر الله المؤمنين من مسلك هؤلاء الظالمين ، فيعلمهم أنه إنما رزق الموسرين المال ليستعملوه في طاعته ، من كفاية أنفسهم وأهليهم ومساعدة المعوزين . . فإذا انحرفوا به عن هذه السبيل ولم يؤتوا كل ذي حق حقه كان لهم يوم القيامة مصدر عذاب لا يوصف . . . **وأي عذاب أهول من أن يستحيل هذا المال يومئذ صفائح من نار يكوى بها جنب الكانز وجبهته وظهره ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ، كما ورد في الحديث النبوي الذي قرأه عليهم هذا الشيخ من صحيح مسلم .

وشد ما أرعبت تلك الصور (أبا مرشد) ، فإذا هو يحرك يده إلى الأمام كالذي يريد أن يدفع عن وجهه مكروهاً . . ولكن هذا كله قد أخذ بالتلاشي عندما انطلق الصوت الندي بالأذان الثاني ، ليشعر المتأخرين بموعد الخطبة ، فيعجلوا للاستماع إلى ذكر الله .

ورفع (أبو مرشد) بصره إلى وجه الشيخ ، الذي جلس أعلى درجات المنبر ينتظر ختام الأذان ، ولكنه كان مشغولا عن شخصه بالتأمل في تلك الفكرة التي عرضت له فراح يتساءل : **وهل يدخل ورق النقد السعودي في حقيقة الذهب والفضة اللذين حرم الله كنزهما ؟!**

وتذكر ألا مندوحة له عن استفتاء الشيخ في مشكلته كلها ، فيعود إلى التساؤل : « ترى هل يجد في كتبه ما يسعفني بالحل المعقول المقبول » ؟

وبدأ الشيخ خطبته بالمقدمة الواجبة من الثناء على الله ، والصلاة والسلام على رسوله ، والحض على تقوى الله ، ثم أردف ذلك بشيء من براعة الاستهلال الموجه إلى موضوع الخطبة ، إذ ذكر بفضل رمضان ، وعرض للكثير من بركاته ، وخص منها الزكاة التي جعلها الله طهرة للمال ، وتثبيتاً لأهل الإيمان ، والوسيلة الفضلى لتوثيق عرى التكافل بين عناصر الأمة ، حتى يكونوا كما يحب لهم الله خير أمة أخرجت للناس .

ثم مضى الخطيب في تفصيل ما أجمل ، إذ ركز على أهمية هذا الركن في بناء المجتمع الإسلامي . . وجعل يحشد له الأدلة الصادعة من كتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح . . وعني بتصوير الهول الهائل الذي أوعد به الله ورسوله المعطلين له من أصحاب المال ، الذين غلب عليهم الشح والجشع فأمسكوا عن أداء حقه ، وزين لهم الشيطان مسالك الاحتيال عليه فأوغلوا في شعابها ، وقد نسوا أنهم بذلك يخادعون الله ، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء .

وخفض (أبو مرشد) بصره عن وجه الخطيب ، وكأنما خيل إليه أنه لا يريد سواه بهذا التقريع ، ولم يستطع أن يكف خياله عن تصوراته السابقة للمقادير التي يراد منه أن يخرجها من ماله . . وقد بدت له في حجم ثروة كبيرة يتعذر عليه رؤيتها وهي تفر من صناديقه إلى أيدي أولئك الذين لا يرى إلا أنهم فرطوا في مسؤوليتهم نحو أنفسهم ، وأضاعوا الكثير من فرص العمل اعتماداً على حق الفقراء والمساكين في أموال أمثاله من العاملين الكادحين . .

وكان المأمول أن يقف هذا الشريط المخيف بمجرد انتقال الخطيب إلى الصلاة ، إلا أنه أبى إلا أن يخيب فأل (أبي مرشد) ، إذ ما كاد الرجل يفرغ من فاتحة الكتاب حتى شرع في تلاوة الآيات نفسها التي كادت تخلع قلبه من سورة التوبة **﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ﴾** .

وغاب (أبو مرشد) في غمرة أخرى من التخيلات الحائرة : لماذا كانت هذه الآيات أول ما وقع عليه بصره من المصحف منذ استقراره في هذا الموضع ؟ . ولم أدار الخطيب حديثه على المضمون نفسه ؟ . . ثم لماذا يعيد الآن الآيات نفسها في أولى الركعتين من صلاة الجمعة ؟ . .

إنها لظواهر غريبة أشبه بالمطارق تقرع رأسه على غير توقع . . وقبل أن يعثر على أي جواب لأي من أسئلته وجد نفسه في مواجهة جديدة من التأنيب الذي استأنفه الإمام حين أعقب الفاتحة الثانية بهذه الآيات القارعات من السورة نفسها : **﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ﴾** .

وكان يستمع إلى هذه الآيات وفي خياله سبب نزولها كما ذكره الشيخ لمستمعيه ذات يوم حين قص نبأ رجل ضربه الله مثلاً للناكث الذي تطغيه النعمة ، فينسى فضل الله عليه ، ويجحد حق عباده في ما أعطاه ، فكان عاقبة أمره أن سلب طمأنينة المؤمنين وحشر في زمرة المنافقين . .

وكأن يداً خفية تشد أبا مرشد للوقوف على الآية الأخيرة ، حيث يرى أسرار النفس مكشوفة أمام علم الله ، لا يعزب منها شيء ، ولا ينجيها من حسابه اعتذار . . ووجد الرجل نفسه في أمس الحاجة إلى استمداد العون من الله ، لينقذه من حيرته ، وليأخذ بيده في الطريق القويم الذي عمي عليه . . ولذلك استشعر الكثير من الارتياح إلى طول سجدات الإمام ، **إذ أتاحت له أن يرسل في أعقابها ضراعاته الحارة إلى الله أن يريه الحق حقاً ويرزقه اتباعه ، ويريه الباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه .**

****

وعلى الرغم من قصر الطريق ، الفاصل بين المسجد ومنزل (أبي مرشد) فقد أحس له امتداداً غير مألوف . . ولعل ذلك عائد إلى التغير الطارئ على أعصابه التي لم تعد كما ألفها من قبل . .

لقد ظل طوال سنيه السبعين محتفظاً بما يعوزه من القوة والنشاط . . أما الآن فهو يلقي ببعض ثقله على عاتق ولده (مرشد) دونما إرادة منه . . حتى إذا انتهى إلى موضعه المعتاد من حجرته الخاصة ترك لأولاده الثلاثة أن يريحوه في مجلسه ، ثم تحلقوا حوله يسألونه عما إذا كان في حاجة إلى طبيب ، فرفع يده بالنفي ، ثم أطرق ملياً كأنه يراجع نفسه في أمر لم ينته منه إلى قرار . . . وشخصت إليه أبصار بنيه تنتظر منه الإشارة إلى ما يريد . . وفي جو مشوب بالقلق ، رفع بصره إليهم ، وقد غرقت عيناه السوداوان في بقعة من الحمرة غير المعهودة . . وبصوت أجش مرتجف جعل يقول ، وهو قابض على أسفل لحيته المصبوغة بالحناء :

ــ في أي الأيام نحن من رمضان ؟

وأجاب مرشد :

ــ في السابع عشر .

وأمسك الوالد قليلاً ثم استأنف وقد ازدادت الرعشة في لهجته :

ــ حسناً . . . فما ينبغي أن نستمر في تأخير الزكاة بعد . .

وعاد إلى الصمت . . كأنه يركز في نفسه ما يجب أن يقوله ، ثم لم يلبث أن واصل الحديث في نبرات مصممة :

ــ مرشد . سعيد . تركي . . . لقد عجزت عن تنفيذ ما يجب فعليكم أنتم أن تقوموا به . . هذه مفاتيح الصناديق وفيها المال ، وكشوف الحسابات فأخرجوا زكاتها كاملة . . . **ولكن . . ولكنكم لن تستطيعوا ذلك حتى تقيدوني . . أفهمتم ؟ اربطوني بذلك الحبل ، واجعلوا وجهي إلى الجدار ، وأنفذوا حق الله . . ذلك هو الحل الأفضل .**

ونظر الشباب بعضهم إلى بعض ، كأنهم يريدون أن يتحققوا مما يسمعون . . وجاءهم صوت أبيهم في شدة أكبر :

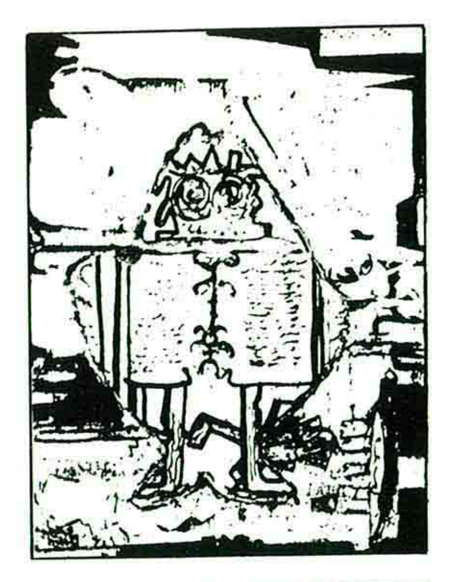
ــ افعلوا ما آمركم حالا ودون تأخير .

ولم يبق أمام الفتية مجال للتردد ، فنهض (مرشد) وهو يقول لأخويه :

ــ إن والدنا على حق . . فهلم نقيده عن معصية الله .

وتحرك الفتيان للاستجابة ، وعلى لسان أحدهما ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل** » .

وانطلقوا يرددون ، وهم يلفون الحبل حول أبيهم : **صدق رسول الله . . . صدق رسول الله .**





تفتقر مكتبتنا العربية والإسلامية إلى الدراسات العلمية الجادة في موضوع المراجع والمصادر، نظراً لما لهذا الجانب من أهمية بالغة في وضع الأسس العلمية لدراسته دراسة موضوعية تفصح عن حقيقته وتعرف بأهدافه وموضوعه وميادينه، وتعطي صورة واضحة المعالم والقسمات عن أسسه ودعائمه التي ينهض بها ويرتكز عليها مما ينير الطريق لطلاب العلم والباحثين الذين هم بأمس الحاجة إلى ما يبصرهم بهذا العلم.

مُلاحظات عَلى كتاب:

مدخل لدراسة المراجع

بقلم: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان

وعلى الرغم من أن هناك أكثر من كتاب باللغة العربية ظهر في هذا الميدان إلا أنه لا يزال مفتقراً إلى المزيد من الدراسات الرصينة الجادة، بما يتلاءم مع الثقافة الإسلامية والعربية في مراجعها ومصادرها، وقد خطا **الدكتور عبد الستار الحلوجي** خطوة جيدة في هذا المضمار حينما ألف كتابه (**مدخل لدراسة المراجع**) الذي طبع عام ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، في دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة.

وقد توخى فيه أن يتجنب التفاصيل الثانوية في مثل هذا الموضوع واكتفى بتتبع الخطوط الرئيسية في كل نوع من أنواع المراجع في محاولة لتحديد أبرز ملامحه وأهم سماته وأدق خصائصه مع إيضاح الخطوط العامة والتيارات الكبرى التي تحكم هذا النوع من الكتب، كتب المراجع[١].

وفي التمهيد أفصح المؤلف عن شيء من منهجه وطريقة المعالجة التي تناول بها الموضوع فقال: «وقد يتساءل البعض: لماذا تجنبنا طريقة المعالجة الموضوعية مع أنها الشائعة في مثل تلك الكتابات؟ والرد على ذلك يعرفه المكتبيون قبل غيرهم، فالتقسيم الموضوعي يضطر صاحبه إلى تكرار الحديث عن المراجع العامة التي يلجأ إليها الباحث في أي فرع من فروع المعرفة. وتفادياً لهذا التكرار اتخذت تلك الدراسة من نوعيات المراجع أساساً للتقسيم، وتدرجت في معالجة كل نوع منها من **العام** إلى **الخاص** تمشياً مع طبائع الأشياء»[٢].

ومن التمهيد ننفذ إلى صلب الكتاب حيث نجد الحديث عن الموسوعات، فالمعاجم، فكتب التراجم، فالببليوجرافيا وقوائم الكتب، فالدوريات.

والحق أن المؤلف بذل جهداً بارزاً ملموساً في هذه الدراسة التي وضع فيها بين يدي الباحثين معالم واضحة لعلم المراجع، وقد استمتعت بقراءة كتابه، وخرجت منه بفوائد جيدة، قد لا تتوفر في غيره، وخلال قراءتي عنت لي بعض الملاحظات التي أرى لزاماً علي إيضاحها، ولم أرد من ذلك سوى التقويم العلمي وإتمام الفائدة من قراءة الكتاب إن كنت مصيباً فيما بدا لي حوله، ولا ينقص ذلك من قيمته، ويمكن إجمال هذه



الملاحظات فيما يلي :

(١) جاء في مقدمة المؤلف قوله (ص ٧) : « وما زال البحر يموج ويفرض على كل من يخوضه من الدارسين بعامة ، والمكتبيين بخاصة أن يحسنوا فن السباحة ، وأن يحسنوا فن الغوص أيضاً حتى إلا على كل غال وثمين » .

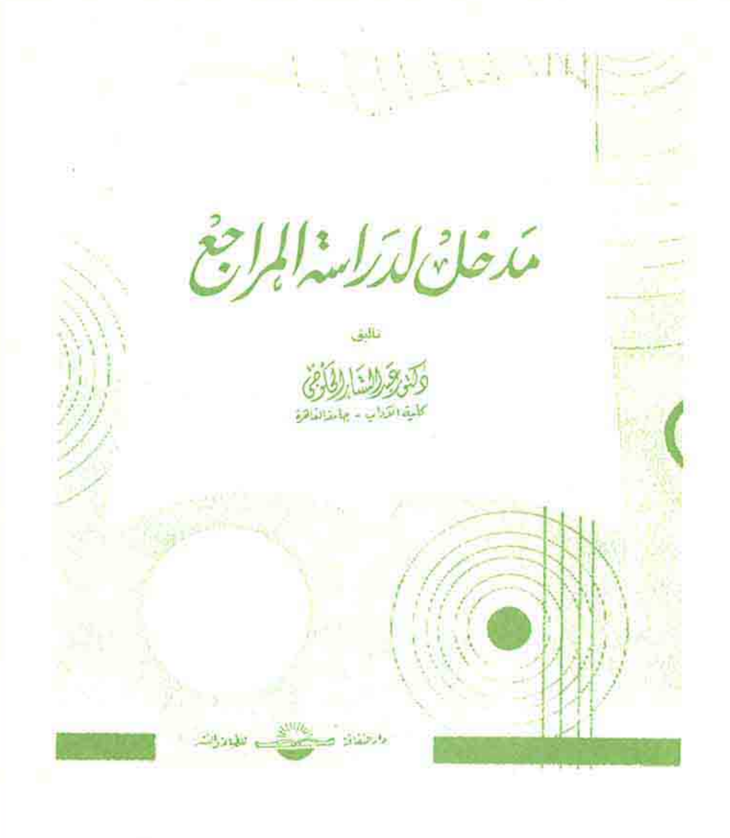
حبذا لو وضع المؤلف هذه السطور ذات التوجيه الجيد نصب عينيه حينما شرع في الغوص لاستخراج ما في بحر المراجع من كل غال وثمين ، وتريث حتى يخرج لنا درر ذلك البحر صافية نقية من بعض الشوائب .

(٢) يقول (ص ١٣) في تحديد **المصدر التاريخي** : « فالمصدر في الدراسات التاريخية هو الكتاب الذي يضم معلومات أصلية عن موضوع الدراسة . كأن يكون روايات مشاهد للحدث التاريخي ، أو وثائق أو آثاراً ترجع إلى الفترة موضوع الدراسة » .

ويبدو لي أن هذا التحديد يعد قاصراً ، إذ إن المصدر التاريخي ليس هو ما يحتوي على روايات مشاهد الحدث أو وثائق أو آثار ترجع إلى الفترة موضوع الدراسة ، بل هو إلى جانب ذلك ما اشتمل على أخبار تاريخية وأحداث وروايات أصلية لمشاهد وغير مشاهد ، ولو أخذنا بتحديد المؤلف لأخرجنا كثيراً من المصادر المعتمدة في التاريخ الإسلامي والعربي ، من مثل **السيرة النبوية لابن هشام وتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير** وغيرها .

(٣) (ص ٣٠) في الحديث عن التفرقة بين **الموسوعات والكتب الموسوعية** يقول : « والفرق بين الموسوعات والكتب الموسوعية أن الموسوعات يشترك في تحريرها عدد ضخم من المتخصصين يعالج كل منهم موضوعاً أو أكثر في مجال تخصصه ، وترتب المقالات ترتيباً هجائياً يساعد الباحث على الوصول إلى ما يريد بسهولة ويسر ، أما الكتاب الموسوعي ، فهو الذي يؤلفه فرد واحد يعالج فيه ألواناً مختلفة من المعارف بحيث يصعب تصنيفه تحت علم من العلوم ، أو موضوع من الموضوعات ، وهو لا يفتت المعرفة إلى أبسط جزئياتها ، ولا يلتزم بالترتيب الهجائي في عرض موضوعاته ، وإنما يتناول موضوعات واسعة يقسم كل منها إلى أقسام أصغر متخذاً الوحدة الموضوعية أساساً بصرف النظر عن الترتيب الهجائي » .

ومثل هذه التفرقة قد تصدق على الموسوعات والكتب الموسوعية الأجنبية أما العربية فيعوز الكلام فيها شيء من الدقة للتفرقة بين هذين اللونين فقد ذكر المؤلف أن الموسوعات هي التي يشترك في تحريرها عدد ضخم من المختصين ، وعلى هذا التحديد لا يمكن أن نعد من الموسوعات مثل **موسوعة فريد وجدي** « دائرة المعارف » التي انفرد بتحريرها دون أن يشترك معه سواه ، وكذلك الشأن بالنسبة **لبطرس البستاني** صاحب **« دائرة معارف البستاني »** مع أن المؤلف نفسه ذكر



الموسوعتين السابقتين في عداد الموسوعات ؟ .

وفي الحديث عن الكتاب الموسوعي ذكر أنه يتخذ الوحدة الموضوعية أساساً بصرف النظر عن الترتيب الهجائي ، ويلاحظ أن مثل هذه العبارات تصحيحاً يحتاج إلى شيء من التخصص ، والأولى أن يقال « متخذاً الوحدة الموضوعية أساساً في كل قسم من تلك الأقسام » وذلك حتى لا توهم العبارات أن المراد توفر الوحدة الموضوعية في الكتاب كله مما يتنافى مع ما ذكره المؤلف في السطور السابقة ، ويتنافى مع طبيعة الكتاب الموسوعي في الثقافة العربية .

(٤) (ص ٣١) يقول : « لم تعرف اللغة العربية الكتب الموسوعية فحسب ، وإنما عرفت أيضاً القواميس الموسوعية منذ وقت مبكر ، **ففي** التصنيف الأول من القرن السابع الهجري ألف **ابن البيطار** كتابه « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » ، وهنا كان بودي لو أن المؤلف أورد مثل **كتاب « الكليات » لأبي البقاء** من القرن الحادي عشر ، وكتاب **« كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي** من القرن الثاني عشر ، إذ ينسجم عليهما مفهوم الكتاب الموسوعي وهما أوسع من كتاب الجامع في مجال التعريف بمصطلحات الفنون والعلوم والمعارف والآداب ، وقد جاءت المادة فيهما مرتبة على حروف المعجم » .

(٥) (ص ٣٥) في الحديث عن **المعاجم العربية** يحدد الباحث لفظ المعاجم بقوله : « ويطلق لفظ المعاجم على تلك الكتب التي تجمع الألفاظ في ترتيب هجائي فتشرحها وتوضح طريقة نطقها وتبين اشتقاقها وتذكر معانيها المختلفة واستعمالات كل منها مع التمثيل لكل استعمال منها » .

ومثل هذا التحديد يحتاج إلى نظر إذ لا ينطبق على كل معجم وإذا تناسب مع بعضها فلا يتناسب مع البعض الآخر ، والأولى أن يكون التحديد حسب نوعية المعجم هل هو معجم ألفاظ ، أو معجم معاني ، أو معجم لغات ، أو معجم موضوعات خاصة ، فقد لا نجد في بعض المعاجم اضطراد تبيين الاشتقاق ، أو التمثيل لاستعمالات الألفاظ .

(٦) (ص ٣٦) في تقسيم المعاجم إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ معاجم الألفاظ .

ب ــ معاجم المعاني .

جـ ــ معاجم الألفاظ الدخيلة والمعربة .

هنا أرى من الأولى أن يكون القسم الثالث على النحو التالي « معاجم اللغات والموضوعات المتخصصة » وذلك ليكون شاملاً لمعاجم الألفاظ الدخيلة وغيرها من مثل معاجم غريب القرآن والحديث ، ولحن العامة ولغات القبائل والقرآن ، ومعاجم الفقه مثل الزاهر في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي **لأبي منصور الأزهري** (ت ٣٧٠ هـ) وتهذيب الأسماء واللغات **للنووي** (ت ٦٧٦ هـ) ، والمصباح المنير **للفيومي** (ت ٧٧٠ هـ) .

(٧) (ص ٤٩ ، س ٢) الأولى استبعاد مثل عبارات « صانع المعجزات » في وصف الإنسان .

(٨) (ص ٥٧) في التفرقة بين **التراجم والطبقات** يذهب المؤلف إلى أن كتب التراجم تتناول الأشخاص في ترتيب هجائي أو زمني . . . بينما كتب الطبقات تصنف المترجم لهم تصنيفاً تنازلياً . . . إلخ .

وهنا أود أن أضيف وأن أوضح الفرق بين كتب التراجم العامة وكتب الطبقات ، هو أن الطبقات غالباً ما تتخذ منحى معيناً أو تسير في خط واحد فتعنى بتراجم علماء ورجال في فن أو اتجاه واحد ، كطبقات القراء ، والنحويين ، والشعراء ، والفقهاء المالكية والشافعية والحنابلة والأحناف ، وإن كان بعضها لم يلتزم بالأساس الزمني وإنما في نحو الترتيب الهجائي ، إلا أن من المفيد ذكر هذه الإضافة في هذا المجال .

(٩) (ص ٥٩) ذكر أن **ابن سعد** أول من تصدى للتأليف في تراجم الصحابة ، والواقع أن **محمد بن عمر الواقدي** (ت ٢٠٧ هـ) شيخ ابن سعد يعد أسبق منه في هذا المضمار ، إذ له كتاب الطبقات الذي وجه فيه عنايته إلى طبقات الصحابة وسلالاتهم في **المدينة** وإلى طبقات محدثي **الكوفة والبصرة** (انظر المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص ١١٨) .

(١٠) (ص ٥٩ ، ٦٠) ذكر من كتب طبقات المفسرين والقراء كتابي طبقات المفسرين **للسيوطي** وغاية النهاية في طبقات القراء « **لابن الجوزي** » وحبذا الإشارة هنا إلى كتابي طبقات المفسرين **للداودمي** ، ومعرفة طبقات القراء **للذهبي** على اعتبار أنهما أوسع وأشمل من الكتابين السابقين .

(١١) (ص ٦٠) في مجال الحديث عن كتب التراجم قال : « وطبيعي أن تفرد أبواب لمن يعرفوا بالكنى والألقاب والإنساب » .

وبودي لو أشار المؤلف إلى أن هناك كتباً مستقلة في ذلك من مثل كتاب الكنى **للدولابي** ، والكنى والألقاب **لابن عبد الله الحاكم** ، والأنساب **للسمعاني** وغيرها .

(١٢) (ص ٦٣) في معرض الحديث عن تراجم الشعراء يقول المؤلف : « ولم يبدأ التأليف في تراجم المحدثين من **شعراء العصر العباسي** إلا في أوائل القرن الخامس » .

والواقع أن التأليف في تراجم الشعراء العباسيين إنما بدأ منذ القرن الثالث الهجري حينما ظهر كتاب **طبقات الشعراء لعبد الله بن المعتز** (ت ٢٩٦ هـ) الذي ترجم فيه لمجموعة كبيرة من الشعراء العباسيين المحدثين **كبشار بن برد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري** وغيرهم .

(١٣) (ص ٦٧) أشار إلى أن مشكلة اللحن في اللغة العربية ظهرت بعد الفتوح الإسلامية ودخول الأعاجم في الإسلام منذ عهد عمر .

والذي يبدو لي أن بوادر هذه المشكلة ظهرت منذ عهد مبكر في زمن **النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ** يقول **أبو الطيب اللغوي :** « واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب فأحوج إلى التعلم والإعراب لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقد روينا أن رجلاً لحن بحضرته فقال : أرشدوا أخاكم (مراتب النحويين ، ص ٥) . » .

(١٤) (ص ٨٣) في معرض الحديث عن **جهود العلماء المسلمين في مجال الببليوجرافية** كان الأولى أن يأتي المؤلف إلى ذكر نوع طريف من الكتب يناسب هذا المقام ذلك من مثل كتب برامج الشيوخ كالفهرست **لابن خير الإشبيلي** ، الذي يحتوي على عدد كبير من الكتب والمؤلفات ، التي وإن كانت تمثل فترات متعددة ، إلا أنها تنبع من بيئة معينة ، وهي بلاد **الأندلس** الذي ضم الكتاب كثيراً من تراثها .

(١٥) في الحديث عن **الدوريات** (ص ١١٥) وما بعدها يلاحظ أن المؤلف أسرف في الحديث عن **الدوريات الأوروبية** ولم يتحدث عن **الدوريات العربية** إلا بحديث عابر ، وفي معرض حديثه عن كشافات الدوريات نجده (ص ١٤٣) يقرر أنه لا يوجد كشاف واحد للدوريات العربية رغم كثرتها ولا أدري كيف يصح ذلك في حين أننا نجد الكشاف الذي عمله **عمر رضا كحالة** ، لمجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، والكشاف الذي عمل لمجلة لغة العرب .



مؤلفون مسرحيون



أرسطوفان Aristophanes (٤٤٨ ــ ٣٨٠ ق . م) :

أشهر كتاب الملهاة **الإغريق** ، كتب ما يزيد على أربعين مسرحية لم يصل منها إلا إحدى عشرة مسرحية ؛ أشهر هذه المسرحيات « **السحب** » ، التي يهاجم فيها السفسطة والسفسطائيين بلا هوادة ، ومسرحية « **الضفادع** » ، التي يجري فيها ملاحاة أدبية في العالم الآخر بين الشاعرين المسرحيين **أيسخيلوس ويوربيديس** ، ويفضل الأول على الثاني . وفي مسرحية « **الزنابير** » يشن هجوماً ساخراً على **نظام القضاء الأثيني كله** . وله غير تلك المسرحيات « **ليزستراتي** » و « **النساء في البرلمان** » و « **الفرسان** » وغيرها .



بريخت Brechet, Bertolt (١٨٩٨ ــ ١٩٥٦ م) :

برتولد بريخت الكاتب والشاعر والمخرج المسرحي الألماني ، الذي بدأ ممارسة الكتابة المسرحية تعبيرياً في مسرحياته الأولى التي بدأ كتابتها عام ١٩١٨ م ، لكنه تحول عن **التعبيرية** مبتكراً طريقته الخاصة في الكتابة والإخراج لما سماه هو « **بالمسرح الملحمي** » ، حيث يواجه الإنسان نفسه في منهج نقدي » . وفي عام ١٩٣١ م ، كتب يحدد خواص مسرحه الجديد « **اللاأرسطي** » ، مقرراً أن **مسرحه لا يعتمد على الحدث** ، ولا يدفع المشاهد إلى الاستغراق ، بل يحفزه إلى العمل ، وأنها تواجه المتفرج بأقيسة لا بتجربة .. إلخ .. وتعتبر مسرحيات « **أوبرا البنسات الثلاثة** » (١٩٢٨ م) و « **حياة جاليلو** » (١٩٣٧ م) و « **الأم شجاعة** » (١٩٣٨ م) و « **السيدة الطيبة من سيتزوان** » (١٩٣٨ م) و « **دائرة الطباشير القوقازية** » (١٩٤٣ م) من أشهر مسرحياته .

بومارشيه Beaumarchais (١٧٣٢ ــ ١٧٩٩ م) :

المسرحي الفرنسي الذي تقلب في كثير من الأعمال قبل أن يستقر به المقام كاتباً مسرحياً . وقد عاصر فترة الغليان العام في فرنسا في عهد الملك **لويس السادس عشر** ، وشارك فيه بمسرحياته ، التي تعد « **زواج فيجارو** » أشهرها على الإطلاق . وقد كتب بومارشيه في بداية حياته المسرحية مسرحيتين لم تلقيا نجاحاً ، هما « **أوجيني** » (١٧٦٧ م) و « **الصديقان** » (١٧٧٠ م) ؛ وقد بدأ نجاحه وشهرته الحقيقيان بمسرحية « **حلاق إشبيلية** » (١٧٧٥ م) و « **زواج فيجارو** » (١٧٨٤ م) التي سخر فيها سخرية مرة من طبقة النبلاء وامتيازاتهم .. وقد ازدادت شهرة بومارشيه حين تحولت مسرحيته « حلاق إشبيلية » إلى موسيقية على يد **روسيني** و « زواج فيجارو » على يد **موزار** .



تشيخوف Chekhov, Anton (١٨٦٠ ــ ١٩٠٤ م) :

القصاص والمسرحي الروسي ، الذي بدأ طريقه المسرحي بكتابة مجموعة

من « **الفارسات** » Farces على الطريقة الفرنسية ، ثم تحول بعد ذلك إلى كتابة المأساة الطويلة بمسرحيته « **إيفانوف** » (١٨٨٧ م) ، التي أتبعها بمسرحية « **شيطان الغابة** » (١٨٨٩ م) ثم مسرحية « **النورس** » (١٨٩٦ م) . ولم تلق هذه المسرحيات نجاحاً يدفعه إلى الاستمرار ، فكاد أن يتخلى عن المسرح ، لولا أن أعيد إخراج « النورس » فلاقت نجاحاً شجعه على كتابة أشهر مسرحياته « **الخال فانيا** » (١٨٩٩ م) و « **الشقيقات الثلاث** » (١٩٠١ م) ثم « **بستان الكرز** » (١٩٠٤ م) .. وتشيخوف في مسرحه **لا يهتم بالحكاية** قدر اهتمامه بالتحليل النفسي الدقيق لشخصياته المحطمة . والمأساة عنده هي مأساة الوعي الفردي المسجون في الواقع الراكد المميت ، والمتطلع إلى التغيير دون قدرة حقيقية على تحقيقه . والبطولة ــ إن كانت في مسرحياته بطولة ــ هي المصير الذي تشترك فيه مجموعة متشابكة المصائر ، مرتبطة الأقدار ؛ لا بطولة فرد . وتشيخوف يحقق في مسرحياته توازناً دقيقاً بين النزعة المأساوية التي تجتاح شخصياته ، والحس الملهاوي الدقيق .

تيرانس Terence (١٩٠ ــ ١٥٩ ق . م) :

من كتاب الملاهي الرومان ، ويقال إنه كان عبداً رقيقاً ثم اعتق . كان يرى في المسرح الإغريقي مثلاً أعلى ينبغي احتذاؤه ، وحاول ذلك بتقليد كاتب الملهاة الإغريقي **ميناندر** . بقي مما كتب حوالي ست مسرحيات ، أشهرها مسرحية « **الخصي** » ومسرحية « **أندريا** » و « **فورميو** » .



جالزورثي Galsworthy, John (١٨٦٧ ــ ١٩٣٣ م) :

كاتب روائي ومسرحي **إنجليزي** ، دفعه نجاح مسرحيات الكاتب الأيرلندي الشهير **برنارد شو** إلى تجربة الكتابة المسرحية ؛ فكتب مسرحيته الأولى « **الصندوق الفضي** » سنة ١٩٠٦ م ، وأتبعها بمسرحيات أخرى مثل « **الصراع** » (١٩٠٩ م) و « **العدالة** » (١٩١٠ م) وغيرهما .. ويعد جالزورثي من الكتاب المسرحيين متوسطي القيمة ، لتمسكه بالتقاليد المسرحية ، واعتماده على قوة « الحبكة » في مسرحياته . ومع هذا فقد كانت موضوعاته المسرحية كلها ــ تقريباً ــ ذات صبغة اجتماعية واضحة .

جوته Goethe, Johann (١٧٤٩ ــ ١٨٣٢ م) :

الشاعر والروائي والكاتب المسرحي الألماني الشهير ، الذي عرف عنه اهتمامه بالشرق وقراءاته في الإسلام ، كما ذاع تأثير « **ألف ليلة وليلة** » عليه . كان جوته واسع المعرفة والثقافة ، وربط الثقافة الألمانية بكثير من الثقافات الأخرى ، كما لعب دوراً مؤثراً بمؤلفاته المتنوعة في الحركة **الرومانسية** التي يعد واحداً من أعلامها .

كتب جوته ــ أول ما كتب للمسرح ــ مسرحية « **نزوة العاشق** » ثم « **الشركاء** » . ولكن أشهر مسرحياته على الإطلاق كانت ــ وما تزال ــ « **فاوست** » التي نشرها ثم أعاد صياغتها لتنشر بعد وفاته عام ١٨٣٢ م . وله غير هذه المسرحيات : « **ذو اليد الحديدية** » و « **الطيور** » و « **احجونت** » و « **إفيجينيا** » التي كتبها أيضاً مرتين ؛ مرة نثراً ثم مرة أخرى شعراً . وقد تابع فيها خطوات الكاتب الإغريقي **يوريبيديس** .



دورينمات Durrenmatt (١٩٢١ م) :

الكاتب والروائي والمسرحي **السويسري** . اتجه إلى المسرح بعد كتابته عدداً من الروايات والقصص ؛ فكتب عام ١٩٤٦ م ، مسرحية « **مكتوب** » ثم « **الأعمى** » (١٩٤٧ م) و « **رومولوس الأعظم** » (١٩٤٩ م) و « **زواج السيد مسيسيبي** » (١٩٥٢ م) ، ثم « **زيارة السيدة العجوز** » (١٩٥٦ م) و « **علماء الطبيعة** » (١٩٦٢ م) وتعتبران أشهر مسرحياته .



راتيجان Rattigan, Terance (١٩١١ م) :

كاتب مسرحي **إنجليزي** ، كان نجاحه ظاهرة في عصره ؛ فقد عرضت مسرحيته الثانية « **الفرنسية بلا دموع** » (١٩٣٦ م) لأكثر من ألف ليلة عرض . وقد أتبعها بمسرحياته « **عندما تشرق الشمس** » (١٩٤٣ م) و « **من تكون سيلفيا ؟** » (١٩٥٠ م) ، و « **الأمير النائم** » (١٩٥٣ م) ، و « **الممر المضيء** » (١٩٤٢ م) . وكتب راتيجان عن حياة **الإسكندر المقدوني** مسرحية بعنوان « **قصة مغامرة** » (١٩٤٩ م) ، وعن حياة **ت . إ . لورانس** ، أو لورانس العرب مسرحية « **روس** » (١٩٦٠ م) . وله غير هذه المسرحيات « **الموائد المنعزلة** » (١٩٥٤ م) و « **الرجل الصبي** » (١٩٦٣ م) وغيرها .. وله إلى جانب مسرحياته اسهاماته في كتابة التمثيلية التلفزيونية وسيناريوهات الأفلام السينمائية ، ولعل أكثرها شهرة « **الطريق إلى النجوم** » و « **سيارة الرولز رويس الصفراء** » .

راسين Racine, Jean (١٦٣٩ ــ ١٦٩٩ م) :

الشاعر المسرحي **الفرنسي** الشهير ، **وعلم المسرحية الكلاسيكية الفرنسية** في عصرها الذهبي . كتب أول ما كتب « **الإخوة الأعداء** » التي مثلها الكاتب الفرنسي **موليير** سنة ١٦٦٤ م ، ثم مسرحية « **الإسكندر الأكبر** » (١٦٦٥ م) ، وبعدها تقاطع الكاتبان . وقد كتب راسين عدداً كبيراً من المسرحيات ، لعل أكثرها شهرة « **أندروماك** » (١٦٦٧ م) و « **بيرنيس** » و « **بايزيد** » و « **إفيجينيا** » و « **ماتريدات** » و « **فيدر** » ، التي توقف بعدها راسين لمدة اثني عشر عاماً عن الكتابة للمسرح . وأخيراً عاد ليكتب مسرحيتين عن الكتاب المقدس هما « **استير** » و « **أثالي** » (١٦٨٩ ، ١٦٩١ م) .



سفوكليز Sophocles (٤٩٦ ــ ٤٠٦ ق . م) :

أشهر شعراء المسرح **اليوناني** في عصره الذهبي إبان القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد . **كتب أكثر من مائة مسرحية** ، لم يبق منها كاملاً إلا سبع مآس ومسرحية (**ساتيرية**) واحدة . والمسرحيات التي قاومت الزمن حتى

وصلت إلى عصرنا هي «**أجاكس**» و«**أنتيجون**» و«**نساء تراخيس**» و«**أوديب الملك**» و«**أوديب في كولونا**» و«**إلكترا**» و«**فيلوكتيتس**». وقد بنى **أرسطو** كتابه «فن الشعر» على اعتبار أن هذه المسرحيات مثال لكمال الفن المسرحي، وبخاصة مأساة أوديب، التي استنبط منها أكثر آرائه في الفن المسرحي.



شكسبير Shakespear, William (١٥٦٤ ـ ١٦١٦ م):

شاعر إنجلترا المسرحي، وواحد من أعظم كتاب المسرح في التاريخ. استطاع بمسرحياته التي كتبها لفرقته المسرحية المتجولة أن يهز كل القيم المسرحية التي كانت سائدة في الكتابة المسرحية في عصره، لا في إنجلترا وحدها، بل في العالم الغربي كله.. كتب شكسبير ستاً وثلاثين مسرحية، لم يبق منها إلا اثنتا عشرة مسرحية. وليس من شك في أن مسرحياته: «**هاملت**» و«**عطيل**» و«**الملك لير**» و«**ماكبث**» و«**روميو وجولييت**» و«**يوليوس قيصر**» و«**أنطونيو وكليوباترا**» من أروع ما كتب للمسرح. وإلى جانب هذه المآسي هناك مآسيه التاريخية «**هنري السادس**» و«**ريتشارد الثالث**» و«**ريتشارد الثاني**» و«**هنري الرابع**» و«**هنري الخامس**» و«**هنري الثامن**».. ولم يقف شكسبير عند حدود المأساة التي غير في بنائها كثيراً عما كان سائداً في **المأساة الكلاسيكية**، بل تعدى إلى كتابة الملهاة. وتعتبر «**خاب مسعى العشاق**» و«**سيدان من فيرونا**» و«**كوميديا الأخطاء**» و«**ترويض النمرة**» و«**تاجر البندقية**» و«**حلم منتصف ليلة صيف**» و«**كما تهوى**» و«**الليلة الثانية عشرة**» و«**سيدات وندسور المرحات**» تعتبر كل هذه المسرحيات من التراث الحي للملاهي المسرحية.

شو Shau, George Bernard (١٨٥٦ ـ ١٩٥٠ م):

الكاتب المسرحي **الأيرلندي** الساخر، الذي بدأ حياته ناقداً ثم اتجه إلى الكتابة المسرحية تحت تأثير الكاتب النروجي الشهير **إبسن**. كتب أولى مسرحياته «**منزل الأرامل**» التي ظهرت على المسرح عام ١٨٩٢ م، وتلاها بمسرحية «**الأسلحة والإنسان**» (١٨٩٤ م)، والتي ما تزال من أكثر مسرحياته جماهيريا. بعد هاتين المسرحيتين تدفق قلمه بغزارة، فكتب «**مهنة السيدة وارن**»، و«**كانديدا**» (١٨٩٥ م)، و«**تلميذ الشيطان**» (١٨٩٧ م)، و«**قيصر وكليوباترا**» (١٨٩٨ م)، و«**جزيرة جون بول الأخرى**» (١٩٠٤ م)، و«**الماجور بربارا**» (١٩٠٥ م)، و«**حيرة الطبيب**» (١٩٠٦ م)، ثم «**الإنسان والإنسان الخارق**» (١٩٠١ ـ ١٩٠٣ م) التي شرح فيها أفكاره عن قوة دفع الحياة كعامل في حياة البشر. وله غير هذه المسرحيات «**أندرو كليز والأسد**» و«**بيجماليون**» و«**العودة إلى ميتوشالح**» و«**منزل القلوب المحطمة**» و«**القديسة جون**» و«**عربة التفاح**».. وعلى الرغم من الشهرة التي تمتع بها شو، وما يزال، إلا أن أعماله المسرحية تعد أقل فنية من الكثيرين من الكتاب، وربما كان ذلك لتركيزه أكثر على الفكرة من التكنيك المسرحي، هذا مع استثناء مسرحيتين «**في الأيام الذهبية للملك تشارلز الطيب**» (١٩٣٩ م) و«**المليونيرة**» (١٩٣٥ م).



فريش Frisch, Max (١٩١١ ـ ...):

كاتب مسرحي وروائي **سويسري**. فيما عدا مسرحيته الواقعية «**حين تنتهي الحرب**» فقد وهب نفسه **للمسرح الرمزي**. مسرحيته الأولى «**سانتا كروز**» (١٩٤٤ م) وتدور حول الحرية والزواج، و«**سور الصين**» (١٩٤٦، ١٩٥٥ م) تدور حول عدم قدرة الإنسان على التعلم من التجربة، وتبعتها مسرحيتان «**مشعلوا النار**» (١٩٥٣، ١٩٥٨ م) التي تعالج البدايات الصغيرة للكوارث، ثم «**دون جوان**» و«**أندورا**» ١٩٦٢ م، و«**أمير الأراضي البور**» و«**سيرة ذاتية**». والأخيرة نشرت عام ١٩٦٨ م.



كامي Camus, Albert (١٩١٣ ـ ١٩٦٠ م):

الروائي والفيلسوف والكاتب المسرحي **الفرنسي**، الذي ولد وتعلم **بالجزائر**، وأحد مؤسسي **الفلسفة الوجودية**. بدأ بتكوين فريق للتمثيل باسم «**المسرح المتنقل**». وتعتبر «**كاليجولا**» (١٩٤٥ م)، و«**حالة حصار**» (١٩٤٨ م). المعدة عن روايته «**الطاعون**». ومسرحية «**العادلون**» (١٩٤٩ م) أشهر مسرحياته، ومجلس فلسفته عن عبث الوجود. كما أن كامي قام بإعداد عدد من المسرحيات عن روايات لكتاب آخرين، أشهرها رواية **وليم فوكنر** «حين استلقيت ميتاً» (١٩٥٧ م)، ورواية «**الشياطين**» لدستيوفسكي (١٩٥٨ م).

كورني Corneille, Pierre (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤ م):

يعد كورني، بكثير من المقاييس، **مؤسس المذهب الكلاسيكي الفرنسي في المسرح**، وبخاصة فن المأساة. هذا على الرغم من أنه بدأ بكتابة ملهاة من لون الفارس بعنوان «**ميليت أو الخطابات المزورة**» (١٦٢٨ م) أ[illegible]ملهاة مأساوية هي «**كليتاندر**» (١٦٣٢ م) وثالثة هي «**الأرملة**» (١٦٣٣ م) وغيرها. غير أنه يعرف دائماً بوصفه كاتب مأساة بالدرجة الأولى. وأشهر مسرحياته: «**السيد**» (١٦٣٦ م)، و«**هوراس**» (١٦٤٠ م)، و«**سنا**» (١٦٤١ م)، و«**يوليوكت**» (١٦٤٤ م)، و«**موت بومبي**»، و«**الكذاب**»، و«**رودجين**»، و«**هرقل**»، و«**نيوكوميد**»، و«**أوديبا**».. وله غيرها كثير.



لوب دي فيجا Lope de Vega (١٥٦٢ ـ ١٦٣٥ م):

كاتب عصر النهضة **الإسباني** الشهير، الذي قيل إنه **خلف أكثر من**

ألفي عمل مسرحي ، عاش منها حوالي ٤٧٠ عملاً . ولقد كان واسع الموهبة ، غزير الإنتاج ، حتى أنه جرب كل أشكال المسرحية ، كما أنه ابتدع كثيراً من الأشكال الأخرى ، والتي تابعه فيها حتى معاصروه . . وأكثر ما يلفت في كتاباته أنه قليلاً ما تابع القواعد الكلاسيكية للمسرحية ، كما ارتكز في كتاباته على ربطها بالألوان الشعبية الإسبانية ، مما جعله يبدع مسرحاً إسبانياً له سماته ومذاقه الخاص . وقد كان له تأثير خاص على الكاتب الفرنسي الشهير **موليير** . أشهر مسرحياته « **زيجات التوافق** » و « **كلب البستاني** » وغيرهما .

لوركا Lorca, Federeco Garcia (١٨٩٨ ـ ١٩٣٦ م) :

الشاعر والكاتب المسرحي **الإسباني ، وأحد القلائل الذين كتبوا المسرحية الشعرية في العصر الحديث** ، واستطاع أن يصل بها إلى جمهور عريض . وربما يرجع السبب في ذلك إلى اتقانه لكل من فني الشعر والمسرح معاً ، وقدرته على تزويجهما بنجاح ؛ فضلاً عن اتقانه للفنون الشعبية ، التي دخلت بنجاح وعمق إلى مسرحه . . وقد تراوحت مسرحيات لوركا بين الرومانتيكية ، بغنائيتها الحزينة ، وبين (الفارس) ، بانطلاقها وسخريتها ، وبين الدراما الجادة في موضوعات شعبية . ولعل مسرحياته « **عرس الدم** » ، التي أتت بعد مجموعة من التجارب المسرحية ، و « **يرما** » (١٩٣٤ م) ، و « **دونا روزيتا ، العانس** » (١٩٣٥ م) ، و « **بيت برناردا ألبا** » (١٩٣٦ م) ، أن تكون أشهر مسرحياته التي عرف بها في أنحاء العالم .



موليير Moliere (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣ م) :

أشهر كاتب للمسرحية الكوميدية في فرنسا على الإطلاق ، والذي تجاوز زمنه ـ ككل الكتاب العظام ـ ليعيش حتى اليوم على مسارح الدنيا . **وكان موليير من أشد نقاد عصره سخرية** . وقد بدأ حياته بكتابة « **الفارس** » ومقطوعات على غرار الكوميديا الإيطالية المرتجلة (**الكوميديا ديلارتي**) ، ثم تحول إلى الكوميديا الاجتماعية الهادفة ؛ فكتب « **المتحذلقات المضحكات** » و « **سجاناريل** » و « **مدرسة الزوجات** » و « **نقد مدرسة الزوجات** » و « **مدرسة الأزواج** » و « **ارتجالية فرساي** » و « **الأمير الغيور** » و « **المزعجون** » و « **عدو البشر** » و « **تارتوف** » و « **دون جوان** » وغيرها كثير . . ولا شك أن موليير قد ترك أثره على كتابة الكوميديا في كل العصور التي تلته ، حتى يومنا هذا ؛ ولعل الشخصيات التي تمثل البخل الشديد ، أو الغيرة المرضية ، أو التظاهر المفرط ، كل هذه الشخصيات وغيرها من مسرح موليير ما تزال تعيش على المسرح حتى اليوم .



نيكولز Nichols, Peter (١٩٢٧ م . . .) :

كاتب مسرحي ومسرحيات تلفزيونية **بريطاني** ، بدأ في الانتشار بمسرحيته التي تجمع بين المأساة والملهاة : « **يوم في موت بيضة جو** » (١٩٦٧ م) التي تعالج أزمة الأبوين مع ولد مصاب بتشنجات ، وبعد ذلك كتب « **الصحة القوفية** » (١٩٦٩ م) التي تعالج تدهور العناية بالمستشفيات ، ثم « **انسني ولا تنس لين** » (١٩٧١ م) وهي شبه سيرة ذاتية .



هيجو Hugo, Victor (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥ م) :

شاعر ، وكاتب مسرحي ، وروائي **فرنسي** شهير . كتب أولى مسرحياته « **كرومويل** » (١٨٢٧ م) مصدرة بمقدمة ، اعتبرت دستور الحركة الرومانسية الموارة في ذلك العصر ، ثم أتبعها بمسرحيته « **هرناني** » (١٨٢٩ م) التي لاقت نجاحاً جماهيرياً كبيراً ؛ وتلتها مسرحياته « **روي بلاس** » (١٨٣٨ م) ، و « **الملك يلهو** » (١٨٣١ م) ، و « **لوكريس بورجيا** » (١٨٣٣ م) .



وايلدر Wilder, Thornton (١٨٩٧ ـ ١٩٧٠ م) :

كاتب روائي ومسرحي **أميريكي** . بدأ غزو عالم المسرح عام ١٩٢٨ م ، بمجموعة مسرحيات من فصل واحد ، ظهر منها « **الملاك الذي عكر الماء** » (١٩٢٨ م) ثم مجموعة « **عشاء الميلاد الطويل** » (١٩٣١ م) . ولكن أشهر مسرحياته على الإطلاق مسرحيتاه « **بلدتنا** » (١٩٣٨ م) و « **نجونا بأعجوبة** » (١٩٤٢ م) اللتان فازتا بجائزة البوليتزر الأدبية . وله غير هذه المسرحيات « **البوق سيدوي** » (١٩٢٦ م) و « **تاجر يوتكرز** » (١٩٣٨ م) و « **الخاطبة** » (١٩٥٤ م) ، وكتب الخطوط العريضة لـ « **هالو دوللي** » ١٩٦٤ م ، وغير ذلك .



يوربيديس Euripides (٤٨٤ ـ ٤٠٦ ق . م) :

الثالث في الترتيب الزمني للثلاثة العظام في المسرح الإغريقي ، **اسخيلوس ، وسفوكليز ، ثم يوربيديس** . يقال إنه **كتب اثنتين وتسعين مسرحية** ، لم تبق منها إلا سبع عشرة مأساة ومسرحية (ساتيرية) واحدة . وعلى عكس سلفيه ، كانت ليوربيديس نظرة نقدية متشككة في الخرافات والأساطير التي تشكل الموضوع الرئيسي ، ليس لمسرحه وحده ، بل لكل المسرح اليوناني . ولذلك كان له ولع خاص بالموضوعات الفردية وبالتحليل النفسي (في حدود ما أتيح له طبعاً) ، كما أن قدرته على الجدل دفعته إلى مناقشة موضوعات الحرب والسياسة . . أشهر مسرحياته « **ميديا** » ، « **هيبوليتوس** » ، « **إلكترا** » ، « **هيلين** » ، « **إفيجينيا في توريس** » ، « **إفيجينيا في أوليس** » ، و « **حاملات القرابين** » ، و « **الفينيقيات** » وغيرها .

مناقشات و تعليقات

رد على تعليق

أشكر مجلة «**الفيصل**» على نشر تعليق على مقال «جيل ١٩٢٧ م» المنشور بالعدد : (٣٧) السنة الرابعة : ص= ١٥٤ ـ ١٥٥ أولا وقبل كل شيء أشكر السيد **البشير النظيفي** على عملية «الرصد» التي قام بها فيما أوردته من معلومات في موضوعين عن الأدب الإسباني، وقد نشرا على التوالي في «**المجلة العربية**» و «**الفيصل**». وحتى لا تبق عملية «الرصد» بدون مراقبة أريد أن أوضح للقارئ الكريم بعض النقاط لنصل إلى الحقيقة الواضحة .

● **أولا** : لم يكن هناك أي استغلال مكشوف أو غير مكشوف، ولن يكون أبداً لأي شخص مهما كانت قيمته . ولكني لا أنكر ارتباطي الوثيق ـ فكرياً ـ بالأستاذ **محمود علي مكي** الذي أتتبع له بكل شوق أبحاثه التي ينشرها على صفحات المجلات العربية، وخصوصاً المتعلقة بالأدب والفكر الإسباني .

● **ثانياً** : إن اهتمامي **بالأدب الإسباني** يعود إلى أيام الدراسة الأولى، بحكم أنني درست في منطقة كانت محتلة من طرف الإسبان، وما زلت أتابع دراستي العليا في هذا الميدان . أنجزت وترجمت بعض الدراسات نشرت على صفحات الجرائد والمجلات المغربية والعربية . الغريب في عملية «الرصد» التي قام بها السيد البشير النظيفي أنها اقتصرت على بعض الفقرات فقط، دون أن يتساءل من أين حصلت على كل المعلومات المسطرة في بحثي عن جيل ١٩٢٧ م والذي اشتمل على ست صفحات من المجلة، ولا على صور الشعراء ـ ربما قد تكون له ـ ولكن هذا لا يمنعني من أن أوضح له بعض الحقائق خدمة للأمانة العلمية وتجنباً لكل لبس .

★ أولا : حول موضوع : **الأخوان ماتشادو** ـ الذي نشر بالمجلة العربية العدد السادس ـ السنة الثالثة .

لم تكن هناك عملية استغلال مكشوف لفقرة الدكتور محمود علي مكي، وإنما أشرت إليها على الهامش، ولكن الذي وقع هو أن الورقة التي سطرت عليها هوامش البحث سقطت أثناء المراقبة في البريد المضمون، ولم أشعر بذلك إلا بعد مرور أسبوعين، وحاولت أن أستدرك الموقف فبعثت بها في رسالة خاصة على عنوان المجلة بلبنان لأن المجلة كانت تطبع هناك . وللأسف ظهر الموضوع على صفحات المجلة دون (هوامش) .

وهذه الهوامش هي :

١ ـ انظر كتاب : ESPANA EN SU LITERATURA- G.DIAZ PLAJA «Modernismo y Noventa y ocho Planteamiento de la cuestion» ps: 151- 161.

٢ ـ انظر مجلة «عالم الفكر» ـ المجلد الرابع ـ العدد الثاني ص : ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ١٧٦

٣ ـ انظر كتاب : ANTONIO MACHADO PAGINAS ESCOGIDAS-EDITORIAL: SATURNINO CALLEJA. S.A'. MADRID PS:7-8-9-10.

مقدمة بقلم الشاعر حول مفهوم الشعر والنقد .

٤ ـ انظر مجلة : MUNDO HISPANICO MANUEL MACHADO P: 65- ENERO 1970.

أما البحث الثاني والذي نشر على صفحات مجلة الفيصل العدد ٢٩ عن «جيل ١٩٢٧ م» الذي اقتصرت فيه عملية الرصد على شاعر واحد وهو «**لوركا**» وركز «الراصد» على فقرتين فقط : كتبه ورحلاته . لا يسعني هنا إلا أن أوضح له وللقارئ الكريم أن المعلومات المتعلقة بحياة الشاعر وأعماله الأدبية حصلت عليها من المراجع التالية :

١ ـ كتاب : POESIA ESPANOLA CONTEMPORANEA- GERARDO DIEGO TAURUS- SEPTIMA EDICION PS : 402- Y 620.

٢ ـ كتاب : ANTOLOGIA DEL GRUPO POETICO DE 1927 EDICION de vicente GAOS- CATEDRA TERCERA EDICION PS: 35- 36.

٣ ـ كتاب : PROSA- F.G. LORCA ALIANZA EDITORIAL «EL CANTE JONDO- PRIMITIVO CANTE ANDALUZ» PS 9- 34.

٤ ـ مجلة : CUADERNOS DE LA BIBLIOTECA ESPANOLA DE TETUAN NOVIEMBRE 1964- NUM. 2 PS. 5- 6- 7.

دراسة عن مسرحية «عرس الدم» للشاعر لوركا .

مع العلم أن الاهتمام الذي حظي به لوركا عند القارئ العربي لم يحظ به شاعر إسباني آخر، فقد أنجزت حول هذا الشاعر دراسات كثيرة جداً باللغة العربية .

وما أوردته عن حياته ورحلاته وكتبه في بحثي إلا حقائق واضحة ومعروفة لدى كل من اهتم ويهتم بهذا الشاعر ولا داعي ليأخذ أحد عن الآخر مستغلاً «إبداعه أو ابتكاره» لأن المنبع واحد وهو الترجمة عن المراجع الإسبانية .

أما فيما يخص الأستاذ **حسن الوراكلي** الذي أكن له كل تقدير وإعجاب لما يبذله من جهد في ميدان الثقافة والفكر، فإنني لم أطلع على ما كتبه في هذا الميدان . واستجابة لرغبة السيد البشير النظيفي «الراصد» فإنني أبين هنا المصدر الذي استقيت منه النص المترجم عن الشاعر خيراردو دييكو :

مناقشات و تعليقات

كتــــاب : POESIA ESPANOL A CONTEMPORANNEA GERARDO DIEGO- P: 377.

والنص بالإسبانية جاء كما يلي :

«No he sido escritor precoz. Mis comienzos no pudieron ser mas brillantes pues tuve el honor de estrenarme como prosista en la revista -GENERAL- donde colabore' en 1918... en ese mismo ano comence' a intentar versos. obtuve el el premio Nacional de literatura de 1924-2925 al alimon con alberti».

فما على السيد النظيفي إلا أن يترجم هذا النص إلى اللغة العربية ـ إن كان يتقن الإسبانية ـ ويقارنه بما ورد في بحثي مترجماً .

وأضيف هنا إلى أن عدد شعراء الجيل حسب ما جاء في المراجع الإسبانية (١١) شاعراً : ورد في بحثي خمسة .

الأخرون هم : **بيدرو ساليناس ـ خوان خوسي دو مينشينا ـ داماسو الونسو ـ لويس ثيرنودا مانويل الطولكيري ـ إيميليو برادوس .**

وأخيراً أشكر رئيس تحرير مجلة الفيصل وأرجو أن ينشر هذا الرد في أقرب وقت ممكن تفادياً لكل لبس قد يقع ، وخدمة للفكر والحقيقة التي يرجوها كل واحد .

محمد القاضي
مراكش ـ المغرب

الملاحة عند العرب

مقالة (**الملاحة عند العرب قبل الإسلام**) المنشورة في العدد (٣٧) من **مجلة الفيصل** (رجب ١٤٠٠ ـ أيار (مايو) ـ حزيران (يونيو) ١٩٨٠م) بقلم **عبد الجبار محمود السامرائي** ، فيها أغلاط سببها العجلة التي هي أم الندامة ، ولا بد من التنبيه على أهم هذه الأغلاط لأن العلم أمانة وكتمه خيانة .

(أ) لقد قال الأولون (إن السفينة لا تجري على اليبس) فذهبت مثلاً ، واليوم أبتكر هذا المثل فأقول (ويل الحدوج إذا صارت على الماء) . فحين سرد الكاتب أسماء بعض السفن كالفلك والبارجة وغيرهما من مراكب النهر أو البحر أقحم بينها اسم مركب بري يُحمل على البعير ، فقال في الصفحة (١١٨) الحدوج : جمع حدج ، وهو مركب من مراكب النساء . . . كما جاء في معلقة طرفة بن العبد :

كأن (حدوج) المالكية غدوة
خلايا سفين بالنواصف من در

وقال لبيد :

وفي (الحدوج) عروب غير فاحشة
ريا الروادف يعشى دونها البصر

انتهى كلام الكاتب الذي خدعته كلمتا (خلايا) و (سفين) فحسب حدوج البر من سفائن البحر ، وللتذكير أقول له : المركب هو الدابة في البر والسفينة في البحر وموضع الركوب (متن اللغة لأحمد رضا ـ ج ٢ ، ص٦٣٨) . وكذلك قالوا : السوية هي كساء يجعل كالحلقة حول سنام البعير وهو من مراكب الإماء والمحتاجين ويسمى الحوية (**متن اللغة ٣/ ٢٥٨**) وفيه (٢/ ٤١) الحدج مركب للنساء نحو الهودج والمحفة ، والحدوج الإبل برحالها . وفي المخصص (٧/ ١٤٦) يتكلم ابن سيده على المراكب والهوادج ويروي قول صاحب العين : (حدجت البعير أحدجه . . . شددت عليه الحدج) . وعلى هذا فلن يكون الحدج سفينة حتى يلج الجمل في لجة الماء .

(ب) جاء في الصفحة ١١٤ (الدويطرة . وقد عرفت بأنها كوثل السفينة) . الصواب : الدوطيرة ، فهكذا وردت في **تهذيب اللغة للأزهري** (٣/ ٣٠٩) وفي **التكملة للصغاني** (٢/ ٥١٣) وفي **لسان العرب لابن منظور** في مادتي (دطر) و (كثل) وفي **تاج العروس للزبيدي** في مادتي (دطر) و (رنح) .

(ج) وجاء في الصفحة ١١٤ أيضاً . (المرساة : البقعة التي ترسو فيها السفينة (٦٣)) . الصواب : المرساة هي الأنجر ، ثم إن الحاشية (٦٣) تحيل القارئ إلى مادة (رسا) في القاموس والتاج ، وحين نرجع إليهما لا نجد ما قاله الكاتب ، وكذلك كان شأن الحاشية (٢٧) . ولزيادة الفائدة أقول : إن الأنجر كلمة يونانية معربة ، والهوجل مما يقابلها في العربية .

(د) في الصفحتين ١١٥ و ١٢٠ وردت كلمة (**السمبوك**) . الصواب : **السنبوك أو السنبوق** . قال **الزمخشري** في مادة (قرب) في أساس البلاغة : (وركبت في القارب إلى الفلك وهي سفينة صغيرة تكون مع الملاحين تستخف لحوائجهم وسمعت أنهم يسمونه : السنبوك) .

وقال الصغاني في مادة (س ب ق) في التكملة : (السنبوق : الزورق الصغير) .

وهيب دياب
دمشق ـ سورية



● **الأخ سعيد سعد القرني ـ بيشة ـ المملكة العربية السعودية**

يبدو أن الطريق ما زال طويلاً أمامك فلا تتعجل ولك تحياتنا .

● **الأخ يوسف عبد اللطيف الخالد ـ دير الزور ـ سورية**

ما زلنا عند وعدنا وسوف نعيد طبعة العدد الأول ونصدره قريباً إن شاء الله . أما سؤالك فقد حولناه للجنة المختصة وسنجيبك عليه مستقبلاً .

● **الأخ أحمد الحمصي ـ دمشق ـ سورية**

لقد سبق أن أوضحنا لكثير من قرائنا في ردودنا القصيرة بأن الكتابة للصحف والمجلات يجب أن تكون على وجه واحد من الورق وبخط واضح وعلى أي حال نعتذر عن نشر القصة .

● **الأخ عبد الله أحمد غزال ـ الجبيل ـ المملكة العربية السعودية**

قرأنا رسالتك الطويلة ولكننا في النهاية لم نعرف شيئاً مما تقصد .

● **الأخ عبد الله دحيم الراضي القنون ، حائل ـ المملكة العربية السعودية**

مهمتنا في المجلة ليست بيع الكتب ، وإذا كنت تريد جاداً الكتب التي أشرت إليها ، فهي موجودة بكثرة في مختلف المكتبات وبإمكانك الحصول عليها بسهولة بطريقة الشراء .

● **الأخ محمد محب الدين ، حمص ـ سورية**

القصص التي تنشر في المجلة ليست كلها مترجمة كما ذكرت وما يترجم لا يضير المجلة في شيء إذا كنت تؤمن بعالمية الأدب .

● **الأخ محمد نور الحسين ، قرية معصران ـ سورية**

نشاركك دعاءك إلى الله ونعتذر عن نشر القصيدة لعدم مناسبتها وشكراً .

● **الأخ محمد حمدي زيتون ، حلب ـ سورية**

كثير من رسائل القراء التي وصلت إلينا أشارت إلى الموضوع الذي نوهت عنه ، وما كتبته لا يتناسب مع ما تنشره المجلة .

● **الأخت منى سعيد ، دمشق ـ سورية**

الباب الذي أشرت إليه في رسالتك من اختصاص المجلات والصحف الخاصة بالمرأة ، وستجدينه في كثير منها .

● **الأخ جمال سهيل دنون ، طرابلس ـ لبنان**

نشكرك على بطاقة التهنئة ، ونشكرك أيضاً على مجهودك فيما أرفقته برسالتك ، ويؤسفنا أن نعتذر عن النشر .

● **الأخ صابر حسن الغنام ، بورسعيد ـ مصر**

شكراً لك على شعورك الطيب ، وقد أحلنا رسالتك إلى قسم الاشتراكات لنفيدك بما يجب .

● **الأخ محمود فردوس العظم ، دمشق ـ سورية**

نشكرك على تعاونك ، ونعتذر عن نشر موضوعك لعدم مناسبته ، ولك تحياتنا .

● **الأخ حسين العلي ، منبج ـ سورية**

الموسوعات كثيرة ، نذكر لك منها على سبيل المثال : الأعلام للزركلي ، وموسوعة المعرفة ، والموسوعة الذهبية ، وموسوعة الهدف وغيرها .

● **الأخ هاشم الحسين ، الميادين ـ سورية**

بقدر ما نستطيع سنحاول السير إلى الأفضل ، وشكراً على مشاعرك الطيبة .

● **الأخ عبد الحي حامدي ، حلب ـ سورية**

لو تابعت أعداد المجلة لوجدت فيها كل ما أشرت إليه ، أما الرسائل التي ترد إلينا من قرائنا فجميعها تنال اهتمامنا .

● **الأخ محمد بشير يوسف ، حمص ـ سورية**

إذا لم يكن الكتاب موجوداً في مكتبات بلادك فتستطيع الحصول عليه بواسطة أحد أصدقائك في المملكة عن طريق شرائه من إحدى المكتبات .

● **الأخ أديب عمر ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية**

ما اتهمت به المجلة غير صحيح . . وعدم ذكرك عنوانك أو اسم صديقك الكاتب الذي أشرت إليه يدل على ذلك ، والمجلة حريصة دائماً على التعامل بصدق مع كل كتّابها وقرائها .

● **الأخ عياد مخلف سالم ، عرعر ـ المملكة العربية السعودية**

لو رجعت إلى أي خريطة عن المملكة فستجد توضيحاً كاملاً للحدود التي طلبتها وشكراً .

● **الأخ مجدي محمد عبدالله ، الجيزة ـ مصر**

قصتك غير مناسبة للنشر والكتابة للصحف والمجلات يجب أن تكون على وجه واحد من الورق .

● **الأخ إحسان عبدالله شناعه ، صيدا ـ لبنان**

جميع أعداد المجلة لا تخلو من الموضوعات العلمية ، وشكراً على تحياتك .

● **الأخ حسني عبد الحافظ ، الدقهلية ـ مصر**

هدفنا من المسابقة هو حث القارئ وتشجيعه على البحث والاطلاع .

● **الأخ حمدان الكرادي ، الدوحة ـ قطر**

شكراً على شعورك الطيب ، والمجلة ترحب بكل ما يتلاءم مع مستواها .

● **الأخ صديق يعقوب ، نجيت ـ السودان**

نشكرك ونعتذر عن نشر القصيدة لعدم مناسبتها .

● **الأخ محمود محمد السيد ، سوهاج ـ مصر**

في بداية السنة الأولى من إصدار المجلة قمنا بتنفيذ الفكرة التي طرحتها ، لكن كثيراً من الفائزين في المسابقة شكوا من عدم وصول الأعداد إليهم بانتظام لظروف خارجة عن إرادتنا ، لذا عدلنا عن هذه الفكرة واستبدلناها بجوائز نقدية .

● **الأخت محاسن فوزية ، الدار البيضاء ـ المغرب**

مشاعرك نحو المجلة وأسرتها نشكرك عليها ، ونفيدك بأننا حريصون على أن تكون الأعداد بين أيدي قرائنا في أسرع وقت ممكن ، وإذا حدث تأخير في التوزيع فهذا شيء خارج عن إرادتنا .

● **الأخ سيف الدين أشقر ، اللاذقية ـ سورية**

إن ميزة (دائرة المعارف) هو هذا التنوع مع التخصيص ، وهي طريقة مناسبة وسهلة وتفيد القارئ كثيراً .

أما صدور المجلة فهي تصدر مع مطلع كل شهر هجري .

● **الأخ أحمد معراوي ، حلب ـ سورية**

نشكرك على رسالتك ونعتذر عن نشر القصيدة ولك تحياتنا .

● **الأخ عماد الدين أحمد زغلول ، دمياط ـ مصر**

نبادلك شعورك الطيب ، ونتمنى التوفيق للجميع مع اعتذارنا عن نشر القصة .

● **الأخ الجعواني الحسن ، القنيطرة ـ المغرب**

نحن لا نبخل بتقديم كل مفيد لقرائنا ، ونرجو أن لا تصدر حكمك علينا بمجرد اطلاعك على عدد واحد ، ولك تحياتنا .

● **الأخ عبد الفتاح أحمد حسن ، الهفوف ـ المملكة العربية السعودية**

المكتبات زاخرة بالكتب الدينية عامة والكتب المؤلفة عن الحج خاصة ، والمرشدون إلى الخير كثيرون ، وعندما تحج ستجد كل تسهيل إن شاء الله .

● **الأخ أشرف الحسين محمد غالي ، الدقهلية ـ مصر**

ننصحك بالاطلاع المستمر وعدم استعجال النشر مع تمنياتنا بالتوفيق .

● **الأخت هدى فتوح ، دمشق ـ سورية**

الأمر ليس بهذه البساطة ، والباحث الذي تذكرين هو المسؤول عن عدم نشر أبحاثه وإخراجها إلى النور ، وما عليه إلا أن يقدم هذه الأعمال وعندئذ سيجد أكثر من جهة تتولى رعايتها إذا كانت تستحق ذلك .

● **الأخت هدى عبد المنعم خاطر ، القاهرة ـ مصر**

قصائدك تبشر بمستقبل جيد في عالم الشعر إذا ثابرت على الاطلاع وتمكنت من قواعد اللغة التي لا غنى لأي أديب أو شاعر عنها .

● **الأخ مجدي العماري ، ولاية سوسه ـ تونس**

للحصول على طلبك اكتب لسعادة مدير عام الصحافة بوزارة الإعلام ـ الرياض ، ولك تحياتنا .

● **الأخ أحمد عبد الستار عبد الله ، الشرقية ـ مصر**

نحن نرحب بكل ما يصل إلينا ، وجودة الموضوع هي التي تحدد صلاحيته للنشر . أما ركن التعارف فنرجو العودة إلى أعدادنا السابقة لتعرف ردنا على ذلك .

● **الأخ محمد واصل صوان ، حلب ـ سورية**

هدفنا من المسابقة توسيع أفق القارئ في مختلف أنواع المعرفة ومن هذا المنطلق تتنوع أسئلتنا . أما ما ذكرته عن الحاسب الإلكتروني فأنت على حق .

● **الأخ يحيى مضوي أحمد ، أم درمان ـ السودان**

شكراً لك على الأمثال التي بعثتها ، ونأسف لعدم نشرها لأننا قد استبدلنا هذا الباب بأشياء أخرى .

● **الأخ ع . م . س . ال ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية**

ما قرأته في العدد (٣٤) كان عبارة عن دراسة عن الحيض بين أحكام الطب وأحكام الدين ، والحالة التي ذكرتها تستدعي عرض زوجتك على طبيب مختص ، وإذا لم توفق عند طبيب فلعلك تجد الحل عند آخر وشكراً .

● **الأخت لؤلؤة صالح العلي ، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية**

بالرجوع إلى أعدادنا السابقة ستجدين الإجابة عن الأسباب التي تؤدي بنا إلى تأخير نتيجة المسابقة ، ولك تحياتنا .

● **الأخ محمد عبد الله الجلعود ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية**

نشكرك على إرسالك الصفحة التي قامت إحدى المجلات بنقلها عن « **الفيصل** » دون الإشارة إليها كمصدر ، ونكبر فيك غيرتك على الأمانة العلمية التي ينتهك البعض حرمتها دون وازع من ضمير .

● **الأخ نجاح علي حسين ، نينوى ـ العراق**

فكرتك جيدة لولا أن تنفيذها سيستولي على عدد كبير من الصفحات ، وسيكون ذلك على حساب الموضوعات الأخرى التي لا يستغني عنها القارئ ، ولك تحياتنا .

● **الأخ بو حريكة الحسن ابن جامع ، أحبوية ـ المغرب**

سنعمل على تنفيذ اقتراحك إذا توفرت لدينا الدراسات الكافية حول ما أشرت إليه وشكراً .

● **الأخ أيمن غنيم علي غنيم ، دمياط ـ مصر**

مع شكرنا على عباراتك الرقيقة نؤكد لك أن اللفظين صحيحين ، ولك تحياتنا .

● **الأخ إبراهيم عبدالله الشويعر ، الرياض ـ المملكة العربية السعودية**

نشكرك على إعجابك بالمجلة عامة وبرحلتنا مع الخط العربي خاصة ، أما رحلتنا مع الرسم فتتمثل في « لوحة وفنان » التي نقدم فيها نماذج مختلفة لفنانين عالميين وفنانين من عالمنا العربي من بينهم كثير من فنانينا السعوديين الذين نعتز بهم ، وشكراً على اقتراحك .

● **الأخ معوان خضرة ، دمشق ـ سورية**

قصيدتك غير مناسبة لذلك نعتذر عن نشرها .

● **الأخوان جورج وسمير كمال عبده ، القاهرة ـ مصر**

● **الأخ رفيق محمد ، الرباط ـ المغرب**

الصحف والمجلات المتخصصة وغير المتخصصة بشؤون الرياضة كثيرة وتوجد فيها التغطية الكاملة والكافية للأحداث الرياضية . أما سؤالكم الآخر فهو قيد الدراسة وشكراً .

● **الأخ سلطان شريم الراشد ، سكاكا ـ المملكة العربية السعودية**

للحصول على الإجابة الكافية على استفساراتك اكتب للجهات ذات الاختصاص ، ونعتقد أنها لا تبخل بالرد عليك لأنها ترحب بأمثالك للالتحاق بها .



مسابقة تصميم ميدالية
جائزة الملك فيصل العالمية
للعلوم والطب
تدعو
الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية
الفنانين من الرسامين والمصممين إلى الاشتراك فى مسابقة
تصميم ميدالية جائزه الملك فيصل العالمية للعلوم والطب
بالشروط التالية:
أن تكون الرسوم والأشكال أصيلة لم يسبق لها أن استعملت فى شعارات أو ميداليات سابقة.
أن تعبر الميدالية عن الموضوع الذى ستمنح من أجله
أن تحمل الميدالية صورة المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز
أن تكون الكتابة على الميدالية باللغتين العربية والانجليزية.
آخر موعد لقبول التصاميم هو أول ربيع الثانى ١٤٠١هـ الموافق الخامس من شهر فبراير ١٩٨١م
لاتعاد التصاميم الى أصحابها سواء فازت اولم تفز.
ستدفع مكافأة مقدارها عشرة آلاف ريال لصاحب التصاميم الفائزة.
ترسل التصاميم الى مقر أمانة الجائزة أو تسلم باليد على العنوان التالى:
أمانة جائزة الملك فيصل العالمية - مؤسسة الملك فيصل الخيرية شارع جرير ص.ب ٣٥٢ - الرياض المملكة العربية السعودية
والله ولى التوفيق
أمانة جائزة الملك فيصل العالمية
AL MADINA

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



للقارئ

يهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد المشترك في المسابقة من المعلومات التي يحصل عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ، كما يهمنا أن يقضي القارئ أو يعتاد على زيارة المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل زاداً ثقافياً .

وتأتي الفائدة من الفوز في المسابقة في الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم نكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف إلى استفادة القارئ ثقافياً .. والفوز يأتي نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا ـ عند الفوز ـ يكون الكسب مرتين ، مرة الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ، ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب .. لأن الحكمة تقول : « المال تحرسه ، والعلم يحرسك » .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعنا من بين الشروط أنه من حق القارئ أن يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن يرفق قسيمتين كنا نعطي القارئ فرصة للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ، ويحتار في أي الإجابتين أصح .

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع قسيمتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن تكون الإجابة على وجه واحد من الورق ، وبخط واضح وفي حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على الظرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه النقطة تفوت على بعض القراء ربما عن غير قصد .. وهذه الكلمة للتنبيه .. والله الموفق .. وهو من وراء القصد .

المجلة

السؤال الأول:

أحد أطباء العرب.. لقب بأبي الجراحة بين أطباء عصره.. ما اسمه.. ولماذا أطلق عليه هذا اللقب؟

السؤال الثاني:

على يد مَنْ كانت نهاية الصليبيين في الشام؟

السؤال الثالث:

خط الاستواء السماوي.. ماذا تعرف عنه في سطور؟

السؤال الرابع:

ما معنى قولهم أعدى من السُّلَيْك.. وأعدى من الشنفرى؟

السؤال الخامس:

من القائل:

أعـذني ربِّ مـن حصرٍ وعـيٍّ ومـن نفس أعـالجها عـلاجا

السؤال السادس:

«ديوان الأشعار الستة».. من كتب التراث حسب رواية الشَّنتمري عن الأصمعي.. مَنْ هؤلاء الشعراء الستة؟

السؤال السابع:

ما الفرق بين اليعسوب.. والبرقة؟

السؤال الثامن:

الهليوم.. عنصر غازي بالغ الخفة.. لا لون له.. فيمَ يستخدم؟

السؤال التاسع:

ما معنى كلمة «جُرُز».. وكم مرة ذكرت في القرآن الكريم؟

السؤال العاشر:

ما المقصود بقول العلماء «طاقة التشميس».. وما العوامل المؤثرة في درجته؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

العدد "٤٥"

الاسم: ------------------------------------

المهنة: ------------------------------------

العنوان: ------------------------------------

نتائج مسابقة العدد الثامن والثلاثين

● فازت بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي من الطائف الأخت سارة عبدالله آل الشيخ .

● وفازت بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي من جدة ، كلية التربية الأخت هدى حسن سليمان سندي .

● وفاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ عدنان سليم قاسم ، وعنوانه مكتب كلية الآداب ، جامعة تشرين ، اللاذقية — سورية .

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من المغرب الأخ السليماني عبد الغني محمد ، الحي الحسيني بلوك — ٧ — رقم — ٦٩ — الناظور .

● من العراق الأخ خالد أحمد عبد القادر ، الأنبار إعدادية الرمادي المسائية .

● من السودان ، عطبرة الأخت سلوى عباس الأمين .

● من الأردن الأخ مأمون يوسف عليان عبد الرحيم ، عمان جبل النزهة ، محطة برهومة .

● من مصر الأخ أشرف سعدات الهمص ، بواسطة حسن خليل الكاشف ، مكتب التأمينات الاجتماعية ، العريش .

● من المغرب الأخ محمود صالح الفلاح ، مراكش درب أهل السوس ، حي برعة ، رقم المنزل ٣٢ ، الطابق العلوي .

● من تونس الأخ الطيب بن محمد بن الكلبوسي بو عبيد ، ١٧ نهج ابن خلدون ، القلعة الصغرى ، ولاية سوسة .

بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فقد فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من سورية الأخ فهد أحمد سلامة ، بكلية الهندسة ، جامعة حلب .

● من مصر الأخ محمد المهدي دسوقي إبراهيم ، ١٨ شارع دمياط بولكلي ، الإسكندرية .

● من لبنان — طرابلس ، الأخت يُمن فائز محمد نجيب مغربي .

● من قطر — الدوحة ، الأخت سمية درويش الفار .

● من البحرين الأخ جليل منصور العريض ، منزل ٦٨٤ طريق ٧١٣ مجمع ٨٠٧ ، مدينة عيسى .

● من الإمارات العربية المتحدة — أم القوين ، الأخت منى سعد عبد الرحمن .

● من السودان الأخ سليمان محمد سليمان وعنوانه : أم درمان ، كلية التربية ، ص . ب ٤٠٦ .

● من تونس الأخ الحسين بن الطاهر مهنّي ، مدنين ، البرق والبريد والهاتف .

● من سورية الأخ جمال أحمد حسين بكلية الطب جامعة دمشق .

● من الأردن — عمان ، جبل النزهة ، الأخت فاطمة صديق داود الولويل .

أجوبة مسابقة العدد الثامن والثلاثين

ج ١ **البراء بن عازب بن الحارث الأنصاري** صحابي من الخزرج ، منعه النبي صلى الله عليه وسلّم عن القتال في **موقعة بدر** لصغر سنّه .. اشترك فيما بعد في عدة غزوات .. وشارك في **فتح فارس** .. ثم توفي بالكوفة .

ج ٢ **عدد خلايا جسم الإنسان** ٦٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ خلية .

ج ٣ إن السيوف التي استعملها العرب تعود في جملتها لثلاثة أنواع :
العتيقة من أجناسها اليمانية والقلعية .
المولدة (أو المحدثة) ومن أجناسها الخرسانية والبصرية .
غير العتيقة وغير المولدة ومن أجناسها السليمانية والسرنديبية .

ج ٤ **أسماء مؤلفي الكتب الآتية :**
أ — المستطرف من كل فن مستظرف : لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي .
ب — المعيار في نقد الأشعار : لشمس الدين محمد بن أحمد بن علي ابن جابر الأندلسي .
ج — الفلك الدائر على المثل السائر : لعز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد .
د — كتاب الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : لشمس الدين محمد بن أبي بكر — ابن قيم الجوزية — .
هـ — نقد الشعر : لقدامة بن جعفر البغدادي .

ج ٥ إن جبل **التوباد** يقع في قلب (طويق) مطلّ على قرية الغيل الواقعة في وادي الغيل غربي مدينة «ليلى» بالأفلاج ، وسبب شهرته تعود لذكره في شعر مجنون ليلى .

ج ٦ **الشاعر الأندلسي يحيى بن الحكم البكري لقّب بالغزال ،** أما الملوك الخمسة الذين عاصرهم فهم : عبد الرحمن الداخل ، هشام بن عبد الرحمن ، الحكم بن هشام ، عبد الرحمن بن الحكم ، محمد بن عبد الرحمن .

ج ٧ القائد المسلم الذي استولى على **حصن (بارين)** الذي كان يشكل خطورة على المسلمين في الحروب الصليبية هو : **الأتابك زنكي عماد الدين بن قسيم الدولة الحاجب آق سنقر .**

ج ٨ الاسم القديم لجبل طارق **«عواميد هرقل»** والعرب هم الذين سموه جبل طارق عند فتح الأندلس ، والاسم الثالث الذي كان يدعى به **«جبل الفتح»** .

ج ٩ **حكماء اليونان السبعة هم :** بياس ، خيلون ، كليوبولس ، بيرياندر ، بيتاكوس ، سولون ، أرسطوطاليس .

ج ١٠ «إنكم في دار قُلعة ، وفي بقية أعماد ، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه ، فلقد أوتيتم ، صبحتم أو مسيتم ، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور» قائل هذه العبارة هو الخليفة **عثمان بن عفان رضي الله عنه .**



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات

الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)

هاتف : ٤٥٤٣٠٢٦ - ٤٥٤٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To :
Riyadh - Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4543026 - 4543027
TELEX 202600 DRFATH SJ



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم



EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R.250
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض